

الجزء الخامس عشر
من كتاب الأغاني



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة الحضرية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الدار السنوية الجديدة

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة الحضرية

بوليفار نزيه البرزي - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

جعفرُ بنُ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ بنِ حُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غالبِ .

وأُمُّ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ: زينبُ بنتُ بَشْرِ بنِ عبدِ عَمْرِو بنِ قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلِ .

أخبرني الطُّوسِيُّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مُصْعَبُ بنِ عثمانَ، قال: أخبرني جدُّك عبدُ الله بن مصعب، عن أبي عثمان بن مصعب، عن شُعَيْبِ بن جعفر بن الزبير، قال:

فَرَضَ^(١) سليمانُ بن عبد الملك للناس في خلافته، وعَرَضَ القَرَضَ^(٢) - قال: وكان ابن حزم في ذلك محسناً، يعلم الله أنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك - قال شعيب بن جعفر بن الزبير: فقال لي سليمان بن عبد الملك: مَنْ أَنْتَ؟ فقلت: شعيب بن جعفر بن الزبير. فقال: ما فعل جعفر؟ فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْعِيَالِ. فقال: قل له يحضر الباب. فقال لجعفر: احضر الباب. فدعا الْمُنْذِرَ بنَ عُبَيْدَةَ بنِ الزبير، فرفع معه رُقْعَةً، وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فيها قوله:

يَا عُمَرَ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِنَّ وُقُوفِي مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ
بَعْدَكَ عِنْدِي حَظْمٌ بَعْضُ الْأَنْيَابِ

[الرجز]

قال: فلما قرأها عمر عذره عند سليمان، فأمر له سليمان بألف دينار في دينه، وألف دينار مَعُونَةً عَلَى عِيَالِهِ، وبرقيق من البَيْضِ وَالسُّودَانِ، وبكثير من طعام الجار^(٣)، وأن يُدَانَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِأَلْفِي دِينَارٍ. قال: فلما جاء ذلك إلى أبي، قال:

(١) الفرض: تحديد مبلغ من المال من بيت مال المسلمين.

(٢) عرض الفرض: استعرض من لهم حق مفروض من مال الدولة.

(٣) الجار: موضع تنتشر فيه البساتين بكثرة.

أَعْطَيْتُهُ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ؟ فَقِيلَ: نَعَمْ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَسْخَى هَذَا الْفَتَى! مَا كَانَ أَبُوهُ سَخِيًّا وَلَا ابْنُ سَخِيٍّ، وَلَكِنْ هَذَا كَأَنَّهُ مِنْ آلِ حَرْبٍ، ثُمَّ قَالَ:

فَمَا كُنْتُ دَيَّانًا فَقَدْ دُنْتُ إِذْ بَدَتْ صُكُوكُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَدَوَّرُ
بَوْضِلٍ إِلَى الْأَرْحَامِ قَبْلَ سُؤَالِهِمْ وَذَلِكَ أَمْرٌ فِي الْكِرَامِ كَثِيرُ
[الطويل]

قَالَ بَعْضُ مَنْ رَوَى هَذَا الْخَبَرَ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ: وَالنَّاسُ لَا يَنْظُرُونَ فِي عَيْبِ أَنْفُسِهِمْ، وَمَا كَانَ لَجَعْفَرٍ أَنْ يَعِيبَ أَحَدًا بِالْبَخْلِ وَمَا رُئِيَ فِي النَّاسِ أَحَدٌ أَبْخَلَ مِنْهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ وَلَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ خَاصَّةً، وَمَا كَانَ فِيهِمْ جَوَادٌ غَيْرَ مُصْعَبٍ.

قَالَ الزُّبَيْرُ: حَدَّثَنِي عَمِي، قَالَ:

كَانَ السُّلْطَانُ بِالْمَدِينَةِ إِذَا جَاءَ مَالُ الصَّدَقَةِ أَدَانَ مَنْ أَرَادَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ صَكًّا عَلَيْهِ، فَيَسْتَعْبِدُهُمْ بِهِ، وَيَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيَدَارُونَهُ؛ فَإِذَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ اسْتَخْرَجَ ذَلِكَ مِنْهُ، حَتَّى كَانَ هَارُونُ الرَّشِيدِ، فَكَلَّمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ فِي صُكُوكٍ بَقِيَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُرِّقَتْ عَنْهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ:

فَمَا كُنْتُ دَيَّانًا فَقَدْ دُنْتُ إِذْ بَدَتْ صُكُوكُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَدَوَّرُ
[الطويل]

قَالَ الزُّبَيْرُ: وَحَدَّثَنِي عَمِي مُصْعَبٌ، قَالَ:

شَهِدَ جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ مَعَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ حَرْبَهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَقَاتَلَ يَوْمَ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى جَمَدَ الدَّمُ عَلَى يَدِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَعْفَرُ:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَجَلْتُ رَكَائِبِي لِأَطْيَبُ نَفْسًا بِالْجِلَادِ^(١) لَدَى الرِّكْنِ^(٢)
ضُنَيْنٌ^(٣) بِمَنْ خَلَفَنِي شَحِيحٌ بِطَاعَتِي طِرَادُ رِجَالٍ لَا مَطَارِدَةَ الْخُصْنِ
[الطويل]

الْخُصْنُ جَمْعُ حِصَانٍ، يَقُولُ: هَذَا طِرَادُ الْقِتَالِ لَا طِرَادُ الْخَيْلِ بِالْمِيدَانِ.

غَدَاةٌ تَحَامَتْنَا تُجِيبُ^(٤) وَغَافِقُ^(٥) وَهَمْدَانُ تَبْكِي مِنْ مَطَارِدَةِ الضُّبْنِ^(٦)
[الطويل]

(١) الركن من الكعبة: الزاوية اليمنى منها.

(٢) تُجِيبُ: بطن من كندة.

(٣) ضنين: بخيل، حريص، شحيح.

(٤) غافق: قبيلة أزدية.

(٥) الجِلَادُ: المضاربة بالسيوف.

(٦) الضبن: الواحدة ضبنة: خاصة الرجل وبطانته.

قال الزبير: وحدثني عمي مصب بن عثمان أن جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروة معاتبة، فقال في ذلك:

لا تَلَحِينِي يا ابنَ أُمِّي فإنني عدوُّ لمن عاديتَ يا عُرُو جَاهِدُ
وفارقتُ إخواني الذين تتابعوا وفارقتُ عبدَ الله، والموتُ عاندُ^(١)
ولولا يمينٌ لا أزالُ أبرُّها لقد جمعتنا بالفناء^(٢) المقاعدُ
[الطويل]

قال الزبير: أنشدتني عمتي أسماء بنتُ مُصعب بن ثابت لجعفر بن الزبير - وأنشدني غيرها - يرثي ابناً لها:

صوت

أهاجَكَ بَيْنُ من حبيبٍ قدِ احتملُ نَعَم ففؤادي هائمُ العُقلُ مُخْتَبِلُ
وقالوا: صُخَيْرَاتُ اليمام، وقدَّموا أوائلهم من آخر الليل في النَّفْلُ
مرزَنَ على ماءِ العُشِيرَةِ، والهوى على مَلَلٍ، يا لَهْفَ نفسي على مَلَلٍ^(٣)
فتى السنَّ كهْلُ الحِلْمِ يَهْتَزُّ للندى أمرٌ من الدَّفلى^(٤) وأحلى من العَسَلُ
[الطويل]

في هذه الأبيات خفيف رمل بالنصر، نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج، ونسبه الهشامي إلى الأبحر. قال: ويقال: إنه لابن سهيل.

فأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، عن المدائني؛ وحدثني محمد بن جعفر النحوي. قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا الخزاز، عن المدائني - وخبره أتم - قال:

إصطحب قوم في سفر، ومعهم رجل يُعني، وشيخٌ عليه أثر النُسكِ والعبادة، فكانوا يشتهون أن يُغنيهم الفتى ويستحون من الشيخ، إلى أن بلغوا إلى صُخيرات اليمام، فقال له المغني: أيها الشيخ، إن عليّ يميناً أن أنشد شعراً إذا انتهيت إلى هذا الموضع، وإنني أهابك وأستحي منك، فإن رأيت أن تأذن لي في إنشاده، أو تتقدم

(١) عاند: مائل، مفارق.

(٢) الفناء: بكسر الفاء: الساحة أمام الدار.

(٣) ملل: مواضع ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

(٤) الدفلى: ضرب من الشجر.

حتى أَوْفَى بيمينِي، ثم نلحق بك، فافعل، قال: وما عليّ من إنشادك؟ أنشد ما بدا لك. فاندفع يغني:

وقالوا صَحِيرَاتُ الْيَمَامِ وَقَدَّمُوا أَوَائِلَهُمْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فِي النَّفْلِ
وَرَدَّنْ عَلَى مَاءِ الْعُشِيرَةِ وَالْهَوَى عَلَى مَلَلٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلَلٍ
[الطويل]

فجعل الشيخ يبكي أحراً بكاءً وأشجاء، فقال له: مالك يا عمّ تبكي؟ فقال: لا جُزيتم خيراً، هذا معكم طول هذا الطريق وأنتم تبخلون عليّ به! أتفرّج به، ويُقَطَّع عني طريقي، وأتذكّر أيام شبابي؛ فقالوا: لا والله، ما كان يمنعنا منه غير هيبتك، قال: فأنتم إذاً معذورون. ثم أقبل عليه، فقال: عُدْ فديتُك إلى ما كنت عليه، فلم يزل يُعنيهم طول سفرهم حتى افترقوا.

قال الزبير: وأخبرني مصعب بن عثمان أن أمّ عروة بنت جعفر بن الزبير أنشدته لأبيها جعفر، وكان يُرقصها بذلك:

يَا حَبَّذا عروّة في الدَّمَالَجِ^(١) أَحَبُّ كُلِّ دَاخِلٍ وَخَارِجِ
[الرجز]

قال: وأخبرتني أن أباها صالح بن جعفر غزا أرض الروم، فقال فيه جعفر:

قَدْ رَاحَ يَوْمَ السَّبْتِ حِينَ رَاحُوا مَعَ الْجِمَالِ، وَالتُّقَى صَاحُ
مَنْ كُلِّ حَيٍّ نَفَرٌ سَمَاحُ بِيضُ الْوَجْهِ عَرَبٌ صَحَاحُ
وَفَزَعُوا وَأَخَذَ السَّلَاحُ وَهُمْ إِذَا مَا كُرِيَ الشَّيَاحُ^(٢)
مَصَاعِبٌ يَكْرَهُهَا الْجَرَاحُ

[الرجز]

قال الزبير: ولجعفر شعر كثير قد نُحِلَ عمرُ بن أبي ربيعة بعضه، ودخل في شعره. فأما الأبيات التي ذكرتُ فيها الغناء، فمن الناس من يرويها لعمر بن أبي ربيعة، ومنهم من يرويها للأحوص، وللعرّجي. وقد أنشدنيها جماعة من أصحابنا لجعفر بن الزبير،

وأخبرني بذلك الحرّمي والطوسي وحبيب بن نصر المهلبّي، قالوا: حدثنا الزبير، عن أمّ عروة، قالت:

(١) الدمالج، الواحد دملج: حلي يلبس في المعصم.

(٢) الشّياح: الاحتراس.

أبي والله القائل :

هل في اذكار الحبيب من حَرَج
وذكر الأبيات، وأخبرني عمي، عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أم
عروة بنت جعفر مثله: قال ابن أبي سعد: قال الحرمي:
الناس يروونها للعرجي وأُم عروة أصدق،
وأخبرني الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سعيد بن عمرو الزبيري،
قال:

تزوّج جعفر بن الزبير امرأة من خُزاعة، وفيها يقول:

هل في اذكار الحبيب من حَرَج^(١)

الأبيات وزاد فيها بيتين وهما:

تَسْفَرُ^(٢) عن واضح إذا سَفَرْتُ ليس بذِي آمَةٍ^(٣) ولا سَمِج
[المنسرح]

وسقط البيت الآخر من الأصل.

قال الزبيري في رواية الطوسي: حدثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب،
قالا:

كان جماعة من قريش مُتَنَحِّينَ عن المدينة، فصدر عن المدينة بدويّ، فسألوه:
هل كان للمدينة خبر؟ قال: نعم، مات أبو الناس. قالوا: وأنتي ذلك؟ قال: شهده
أهل المدينة جميعاً، وبُكِّيَ عليه من كل دار، فقال القوم: هذا جعفر بن الزبير.
فجاءهم الخبرُ بعد ذلك أن جعفر بن الزبير مات.

تزوّج الحجاج وشعر جعفر فيه:

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن
معاوية، عن أبي محمد الأنصاري، عن عروة بن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

لما تزوّج الحجاج - وهو أمير المدينة - بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
أتى رجلٌ سعيد بن المسيّب، فذكر له ذلك، فقال: إني لأرجو أن لا يجمع الله
بينهما، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل، وعسى الله، فإن أباهما لم يُزوّج إلا الدراهم، فلما

(٣) الآمة: العيب.

(٢) تسفر: تكشف.

(١) الحرج: الضيق.

بلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان أبْرَدَ البريدَ إلى الحجاج، وكتب إليه يُعْلِظُ له ويُقَصِّرُ به، ويذكر تجاوزَه قدرَه، ويُقسَمُ بالله لئن هو مسَّها ليقطعنَ أحبَّ أعضائه إليه، ويأمره بتسويغ^(١) أبيها المَهْرَ، وبتعجيل فراقها، ففعل، فما بقي أحد فيه خير إلا سرَّه ذلك. وقال جعفر بن الزبير - وكان شاعراً - في هذه القصة:

وجدتَ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسفٍ حمياً من الأمر الذي جئتَ تنكفُ^(٢)
ونبئتُ أن قد قال لما نكحتَها وجاءت به رُسلٌ تخبُ^(٣) وتوجفُ^(٤)
ستعلم أني قد أنفتُ لما جرى ومثلك منه - عمرُك اللُّه - يُؤنفُ
ولولا انتكاسُ الدهر ما نال مثلُها رجاؤك إذ لم يرجُ ذلك يوسفُ
أبنتَ المصَفَّى ذي الجناحين تبتغي؟ لقد رُمْتَ خطباً^(٥) قدرُه ليس يُوصفُ
[الطويل]

صوت

كَأَنَّ لم يكن بينَ الحَجَوْنِ إلى الصِّفا^(٦) أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامِرُ^(٧)
بلى، نحن كُنَّا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي^(٨) والجُدودُ العواثرُ^(٩)
[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر فيما ذكر أبو إسحاق صاحب المغازي لمُضاض بن عمرو الجُرْهُمِيُّ، وقال غيره: بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض، أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شَبَّة، عن أبي غسان محمد بن يحيى، عن غسان بن عبد الحميد؛ وقال عبد العزيز: هو عمرو بن الحارث بن مُضاض، والغناء ليحيى المكي، رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوري بالبنصر، وفيه لأهل مكة لحنٌ قديمٌ ذكره إبراهيم ولم يُجَنِّسه.

(١) التسويغ: إعطاء شيء ما وتركه خالصاً.

(٢) تنكف: تعترض.

(٣) تخب: تسرع وتعدو كما تركض الإبل.

(٤) توجف: تسرع وتعدو عدو الجواد.

(٥) الخطب: جبل بأعلى مكة المكرمة.

(٦) الصفا: مرتفع من جبل أبي قابوس.

(٧) السامر: الساهر.

(٨) صروف الليالي: مصائبها وويلاتها.

(٩) الجدود العواثر: الحظوظ السيئة.

ذكر خبر مضاض بن عمرو

هو مُضاض بن عمرو بن الحارث الجُرهمي، وكان جدُّه مضاضٌ قد زوّج ابنته رَغلةَ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمن، فولدت له اثني عَشَرَ رجلاً، أكبرهم قَيْذار ونابت، وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمره بذلك، لأنه لما بنى مكة وأنزلها ابنه قدم عليه قَدَمَةٌ من قَدَمَاتِهِ، فسمع كلام العرب، وقد كانت طائفة من جُرهم نزلت هنالك مع إسماعيلَ وسمع ابنه إسماعيل يكلمهم فأعجبته لغتهم واستحسنها، فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوّج إليهم، فتزوَّج بنتَ مُضاض بن عمرو وكان سيّدَهم.

فأخبرنا محمد بن جرير، قال: حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، وأخبرني محمد بن جعفر النحوي، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد الخُزاعي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأزرقِي قال: حدثني جَدِّي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بنِ ساج، عن محمد بنِ إسحاق. ورواية إسحاق بن أحمد أتم، وقد جمعتهما:

أن نابت بن إسماعيلَ ولي البيت بعد أبيه، ثم تُوفي، فولى مكانه جده لأُمّه مُضاض بن عمرو الجُرهمي، فضمَّ ولد نابت بن إسماعيلَ إليه، ونزلت جُرهم مع ملكهم مُضاض بن عمرو بأعلى مكة، ونزلت قَطُوراءَ مع ملكهم السَّمِيدَع أَجِيادَ أسفل مكة، وكان هذان البطانانِ خَرَجَا سَيَّارَةً^(١) مِنَ الْيَمَنِ، وكذلك كَانُوا لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا مَعَ مَلِكٍ يَمْلُكُونَهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا مَكَةَ رَأَوْا بِلْدًا طَيِّبًا وَمَاءً وَشَجَرًا، فَنَزَلُوا، وَرَضِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ وَلَمْ يُنَازِعْهُ، فَكَانَ مُضاضُ يَعِشُرُ^(٢) مَنْ جَاءَ مَكَةَ مِنْ أَعْلَاهَا، وَكَانَ السَّمِيدَعُ يَعِشُرُ مَنْ جَاءَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَمَنْ كُدِّي^(٣). لَا يَدْخُلُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فِي أَمْرِهِ، ثُمَّ إِنْ جُرَّهُمَا وَقَطُوراءَ بَغَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، فَتَنَافَسُوا فِي الْمَلِكِ حَتَّى نَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ. وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْبَيْتِ إِلَى مُضاضٍ دُونَ السَّمِيدَعِ.

(١) سَيَّارَةٌ: سائرٍن جماعة، قوافل قوافل.

(٢) يَعِشُرُ: يستحوذ على عشر أموال من ينزل في تلك الديار للسكنى.

(٣) كُدِّي: موضع في أسفل مكة المكرمة.

فخرج مضاض من بطن فُعَيْقَعَانَ مع كتيبته في سلاحٍ شاكٍ يَتَقَعَقَعُ^(١)، فيقال: ما سُمِّيَتْ فُعَيْقَعَانَ إِلَّا بذلك، وخرج السميذع من شُعْبٍ أجيادٍ في الخيل الجياد والرجال، ويقال: ما سميت أجياداً إِلَّا بذلك؛ حتى التقوا بفاضح فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل السميذع وفُضِحت قطوراء، ويقال: ما سُمِّيَ فاضحاً إِلَّا بذلك، ثم تداعى القوم إلى الصلح. فساروا حتى نزلوا المطابخَ شُعْباً بأعلى مكة. وهو الذي يقال له الآن شُعْبُ ابنِ عامر. فاصطلحوا هناك وسلّموا الأمر إلى مُضاض، فلما اجتمع أمرُ مكة. وصار ملكها دون السميذع نحر للناس فطبخوا هناك الجُرْزَ فأكلوا، وسُمِّيَ ذلك الموضع المطابخ. فيقال: إن هذا أوّلُ بَغْيٍ بمكة، فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب:

نحن قتلنا سيّدَ الحَيِّ عَنُوءَ فأصبح منها، وهو حيران مُوجِعُ
يعني أن الحَيَّ أصبح حيران موجعاً.

وما كان يبغى أن يكون سَوَاؤُنَا^(٢) بهما ملكاً حتى أتانا السميذع
فذاق وبالأحين حاول مُلْكُنَا وحاول منا عُصَّةٌ تُتَجَرَّعُ
ونحن عمَرْنَا البيتَ كُنَّا وُلَاتَه نُضارب عنه من أتانا ونُدْفَعُ
وما كان يبغى ذاك في الناس غيرنا ولم يك حَيٌّ قبلنا ثم يَمْنَعُ
وكنّا ملوكاً في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لا تُرام فتُوضَعُ
[الطويل]

قال عثمان بن ساج في خبره: وحدثني بعض أهل العلم أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم، فأعادته جُرْهم على بناء إبراهيم، بناه لهم رجل منهم يقال له أبو الجَدْرَة، واسمه عمر الجارود، وسُمِّيَ بنوه الجَدْرَة.

قال: ثم استخفَّت جُرْهم بحق البيت، وارتكبوا فيه أموراً عظيماً، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة، وكانت للبيت خزانة، وهي بئر في بطنه يُلقَى فيها الحَلِيّ والمتاع الذي يُهدى له، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه، فتواعد عليه خمسة من جرهم أن يسرقوا كل ما فيه، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم، واقتحم الخامس، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفله، وسقط مُنْكَساً فهلك، وفرّ الأربعة الآخرون. قالوا: ودخل إسافٌ ونائلةُ البيت، ففجرا فيه، فمسخهما الله حَجْرين، فأخرجنا من البيت، وقيل: إنه لم يَفْجُرْ

(١) يتقققع: يحدث السلاح صوتاً عند تقدّم حامله.

(٢) سواؤنا: غيرنا.

بِهَا فِي الْبَيْتِ، وَلَكِنَّه قَبَّلَهَا فِي الْبَيْتِ. وَذَكَرَ عَثْمَانُ بْنُ سَاجٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، أَنَّهُ إِسَافُ بْنُ سُهَيْلٍ، وَأَنَّهَا نَائِلَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ ذُئْبٍ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهَا نَائِلَةُ بِنْتُ ذُئْبٍ، فَأَخْرَجَا مِنَ الْكَعْبَةِ؛ وَنُصِبَا لِيَعْتَبَرَ بِهِمَا مَنْ رَأَاهُمَا، وَيَزْدَجِرَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ مَا ارْتَكَبَا، فَلَمَّا غَلَبَتْ خُزَاعَةُ عَلَى مَكَّةَ نُسِيَ حَدِيثُهُمَا وَحَوَّلَهُمَا عَمْرِو بْنُ لُحَيٍّ بْنُ كِلَابٍ بَعْدَ ذَلِكَ، فَجَعَلَهُمَا تَجَاهَ الْكَعْبَةِ يُذَبِّحُ عَنْهُمَا عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ.

قالوا: فلما كَثُرَ بَغْيُ جُرْهُمَ بِمَكَّةَ، قَامَ فِيهِمْ مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ، احْذَرُوا الْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِأَهْلِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَمَالِيقِ، اسْتَخَفُّوا بِالْحَرَمِ وَلَمْ يُعْظَمُوهُ، وَتَنَازَعُوا بَيْنَهُمْ وَاخْتَلَفُوا، حَتَّى سَلَطَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَاجْتَحْتُمُوهُمْ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، فَلَا تَسْتَخَفُّوا بِحَقِّ الْحَرَمِ وَحُرْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ، وَلَا تَظْلَمُوا مَنْ دَخَلَهُ وَجَاءَهُ مُعْظَمًا لِحُرْمَاتِهِ أَوْ خَائِفًا أَوْ رَغْبًا فِي جَوَارِهِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَخَوَّفْتُ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهُ خُرُوجَ دُلٍّ وَصَغَارٍ، حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحَرَمِ، وَلَا إِلَى زِيَارَةِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ لَكُمْ حِزْرٌ^(١) وَأَمْنٌ، وَالطَّيْرُ تَأْمَنُ فِيهِ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ مَجْدَعٌ: وَمَنْ الَّذِي يُخْرِجُنَا مِنْهُ؟ أَلَسْنَا أَعَزَّ الْعَرَبِ وَأَكْثَرَهُمْ مَالًا وَسِلَاحًا؟ فَقَالَ مُضَاضُ: إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ بِطَلٍّ مَا تَذْكُرُونَ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِالْعَمَالِيقِ.

قالوا: وَقَدْ كَانَتْ الْعَمَالِيقُ بَعَتْ فِي الْحَرَمِ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ الدَّرَّ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهُ، ثُمَّ رُمُوا بِالْجَدْبِ مِنْ خَلْفِهِمْ حَتَّى رَدَّاهُمُ اللَّهُ إِلَى مَسَاقِطِ رُؤُوسِهِمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ. قَالَ: وَالطُّوفَانُ: الْمَوْتُ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَى مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ وَنُصْبَهُمْ عَلَيْهِ، عَمَدَ إِلَى كَنْوَزِ الْكَعْبَةِ، وَهِيَ غَزْلَانُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٍ قَلْعِيَّةٍ^(٢)، فَحَفَرَ لَهَا لِيلاً فِي مَوْضِعِ زَمْزَمَ وَدَفَنَهَا، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ سَارَتْ الْقَبَائِلُ مِنْ أَهْلِ مَأْرَبَ وَمَعَهُمْ طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةِ حِينَ خَافُوا سَيْلَ الْعَرَمِ وَعَلَيْهِمْ مُزَيْقِيَاءُ وَهُوَ عَمْرِو بْنُ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَازِنَ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْعَوْثِ بْنِ نُبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، فَقَالَتْ لَهُمْ طَرِيفَةُ لَمَّا قَارَبُوا مَكَّةَ: وَحَقٌّ مَا أَقُولُ؛ وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ، إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكِمُ، رَبُّ جَمِيعِ الْأُمَمِ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ، قَالُوا لَهَا: مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ؟ قَالَتْ: خَذُوا الْبَعِيرَ الشَّدَقَمَ^(٣)، فَخَضَّبُوهُ بِالْدَمِ^(٤)، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضُ جُرْهُمَ، جِيرَانُ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ

(١) الحِرْزُ: الصُّونُ وَالْحِمَايَةُ.

(٢) السُّيُوفُ الْقَلْعِيَّةُ: الْمَنْسُوبَةُ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَالْقَلْعَةُ مَوْضِعٌ فِي الْبَادِيَةِ.

(٣) الشَّدَقَمُ: الْوَاسِعُ الشَّدَقُ.

(٤) خَضَّبُوهُ بِالْدَمِ: لَطَّخُوهُ.

وأهلها أرسل إليهم عمرو ابنه ثعلبة، فقال لهم: يا قوم إنا قد خرجنا من بلادنا فلم نزل بلدة أفسح أهلها لنا وتزحزحوا عنا فنقيم معهم حتى ترسل رؤاداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا. فافسحوا لنا في بلادكم حتى نُقيم قدر ما نستريح وترسل رؤادنا إلى الشام وإلى الشرق، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً. فأبت ذلك جرهم إباءً شديداً، واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله ما نُحب أن تنزلوا فتضيّقوا علينا مراتعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث أحببتهم، فلا حاجة لنا بجواركم. فأرسل إليهم إنه لا بدّ من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إليّ رُسلي التي أرسلت، فإن أنزلتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وواسيتكم في المرعى والماء، وإن أبيتم أقمتم على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً، ولا تشربوا إلا رنقاً^(١)، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرْتُ عليكم سبيْتُ النساء وقتلت الرجال، ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبداً. فأبت جرهم أن تتركهم طوعاً وتعبت لقتاله، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبرُ ومنعوا النصرَ، ثم انهزمت جرهم فلم يُفلت منهم إلا الشريدُ. وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يُعنهم في ذلك، وقال: قد كنت أحذركم هذا. ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنوّي وما حوله، فبقيا جرهم به إلى اليوم وفنيّ الباقون. أفناهم السيف في تلك الحروب، فلما حازت خزاعة أمر مكة وصاروا أهلها، جاءهم بنو إسماعيل، وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك، فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث - وقد كان أصابه من الصّابة إلى مكة أمرٌ عظيم - أرسل إلى خزاعة يستأذنها، ومَت إليهم برأيه وتوريعة^(٢) قومَه عن القتال وسوء العِثرة في الحرم واعتزاله الحرب، فأبت خزاعة أن يُقرّوهم، ونفّوهم عن الحرم. وقال عمرو بن لحيّ لقومه: من وجد منكم جرهمياً قد قارب الحرم فدمه هدر^(٣)، فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو من قنوّي^(٤) تريد مكة، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة، فمضى إلى الجبال نحو آجياد، حتى ظهر على أبي قُبيس يتبصّر الإبل في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تُنحر وتُوكّل لا سبيلَ له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل، فولّى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسْمُر بمكة سامرٌ

(١) الرنق: الكدر.

(٢) توريعة قومه: تحذيره وتخوفه.

(٣) هدر دمه: أباحه.

(٤) قنوّي: وادٍ من أودية السراة.

إلى المنحنى من ذي الأريكة^(١) حاضر
 صروف الليلي^(٢) والجود العواثر^(٣)
 بها الذئب يعوي والعدو المخامر^(٤)
 إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
 وجمير قد بدلتها واليحابر^(٥)
 ويصبح شر بيننا وتشاجر
 نمشي به والخير إذاك ظاهر
 فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
 كذلك يا للناس تجرى المقادر
 كذلك غصتنا السنون الغواير^(٦)
 بها حرم آمن وفيها المشاعر
 أقام بمفضى سيله والظواهر
 مضاض ومن حيي عدي عمائر
 وهل جزع منجيك مما تحاذر؟
 [الطويل]

أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
 دهر بصرف كما صرنا تصيرونا
 قبل الممات وقضوا ما تقضونا
 بالبغي فيه فقد صرنا أفانينا
 نأوي بلاداً حراماً كان مسكوناً
 [البسيط]

ولم يتربّع واسطاً فجئوبه
 بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا
 وأبدلنا ربي بها دار غربة
 أقول إذا نام الخلي^(٥) ولم أنم
 وبدلت منهم أوجهها لا أريدها
 فإن تمل الدنيا علينا بكل كل^(٧)
 فنحن ولأه البيت من بعد نابت
 وأنكح جدّي خير شخص علمته
 وأخرجنا منها المليك بقدره
 فصرنا أحاديثاً وكئنا بغبطة
 وسحت دموع العين تبكي لبلدة
 ويا ليت شعري من بأجساد بعدنا
 فبطن منى أمسى كأن لم يكن به
 فهل فرج آت بشيء تحبّه؟

قالوا: وقال أيضاً:

يا أيها الحيي سيروا إن قضركم
 إنا كما أنتم كئنا فعيرنا
 أزجوا المطي^(٩) وأزخوا من أزمتها^(١٠)
 قد مال دهر علينا ثم أهلكنا
 كئنا زماناً ملوك الناس قبلكم

(١) واسط والأريكة: جبالان.

(٢) صروف الليلي: مصائبها وويلاتها.

(٣) الجدود العواثر: الحظوظ السيئة.

(٤) المخامر: الخفي، المستتر.

(٥) الخلي: من لا هم له.

(٦) اليحابر: هو مراد أب لقبيلة.

(٧) الكلكل: الصدر.

(٨) السنون الغواير: الماضيات.

(٩) أزجوا المطي: سوقوا وادفعوا برفق الرواحل.

(١٠) الأزمة، الواحد زمام: رسن الدابة.

قال الأزرقى: فحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران قال:

خرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبيل الإسلام في نفر من قريش يريدون اليمن، فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق، وأمسوا على غير الطريق، فتشاوروا جميعاً، فقال لهم أبو سلمة: إني أرى ناقتي تنازعني شقاً أفلا أرسلها وأتبعها؟ قالوا: فافعل، فأرسل ناقتة وتبعها، فأصبحوا على ماء وحاضر فاستقوا وسقوا، فإنهم لعل ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال: مَن القوم؟ قالوا: من قريش، فرجع إلى شجرة أمام الماء. فتكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا فقال: لينطلق معي أحدكم إلى رجل ندعوه، قال أبو سلمة: فانطلقت معه، فوقف بي تحت شجرة، فإذا وَكَّرَ معلقُ فصوصٍ: يا أبت، فزعزع^(١) شيخ رأسه فأجابه، فقال: هذا الرجل. فقال: مِمَّن الرجل؟ قلت: من قريش، قال: من أيها؟ قلت: من بني مخزوم بن يقظة، قال: من أيهم؟ قلت: أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة. قال: أنبتك. أنا ويقظة سن^(٢)، أتدري من يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرٌ
بلى نحنُ كُنّا أهلها فأبادنا صرُوف اللّياي والجدود العواثرُ
[الطويل]

قلت: لا والله قال: أنا قائلها، أنا عمرو بن الحارث بن مضاض الجهمي، أتدري لم سمي أجياد أجياداً؟ قلت: لا، قال: جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطوراء. تدري لم سمي قُعَيْقَعَانُ؟ قلت: لا، قال: لتقعع السلاح على ظهورنا لما طلعا عليهم منه.

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، قال: حدثني راشد بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال:

قال أبو سلمة بن عوف: وخرجت في نفر من قريش يريدون اليمن. وذكر الخبر مثل حديث الأزرقى، والله أعلم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، قال: حدثنا غسان بن عبد الحميد:

(١) زعزع: حرك.

(٢) أنا ويقظة سن: أي أننا تربان، في نفس العمر.

أَنْ رَّبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، كَانَ قَدْ أَدَمَنَ الشَّرَابَ، وَشَرِبَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَرَبَهُ إِلَى ذِي الْمَرْوَةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى تُؤَفِّيَ، وَاسْتَخْلَفَ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ تُؤَفِّيَ عُمَرُ وَاسْتَخْلَفَ عَثْمَانَ، فَلَوْ دَخَلْتَ الْمَدِينَةَ مَا رَدَّكَ أَحَدٌ. قَالَ: لَا؛ وَاللَّهِ، لَا أَدْخُلُ الْمَدِينَةَ فَتَقُولَ قَرِيْشٌ قَدْ غَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ.

فلحق بالروم وتنصّر، فكان قيصر يحبوه ويكرمه، فأعقب بها.

قال غسان: حدثني أبي، قال:

قَدِمَ رَسُولُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: هَلْ كَانَ لِلنَّاسِ خَبْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَيْنَا نَحْنُ مُحَاصِرُونَ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا إِذْ سَمِعْنَا رَجُلًا فَصِيحَ اللِّسَانِ مُشْرِفًا مِنْ بَيْنِ شُرَفَتَيْنِ مِنْ شَرْفِ الْحَصَنِ، وَهُوَ يَنْشُدُ:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَوْنَ إِلَى الصَّفَا أَنْيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
[الطويل]

فقال معاوية: ويحك ذاك الربيع بن أمية يتغنى بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي:

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ، قَالَ:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: مَرُّ بِالْدَوَابِّ تُسْرَجُ سَحَرًا حَتَّى نَغْدُوَ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ نَسْتَقْبِلُهُ بِالْيَاسِرِيَّةِ ^(١) بِسُحْرَةٍ ^(٢) لَا تَأْخُذُنَا الشَّمْسُ، قَالَ: فَأَمَرْتُ بِذَلِكَ، وَرَكَبْنَا فِي السَّحَرِ. فَأَصْبَحْنَا دُونَ الْيَاسِرِيَّةِ، وَقَدْ طَلَعَتِ عَلَيْنَا الشَّمْسُ، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى ابْنِ جَامِعٍ، وَإِذَا بِهِ مُخْتَضِبٌ، وَعَلَى رَأْسِهِ وَلِحِيَّتُهُ خِرْقٌ الْخِضَابِ، وَإِذَا بِقَدْرٍ تَطْبَخُ فِي الشَّمْسِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْنَا رَحَّبَ بَنَا، وَقَامَ إِلَيْنَا فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ دَعَا بِالْمَاءِ فَغَسَلَ رَأْسَهُ وَلِحِيَّتَهُ، ثُمَّ دَعَا بِالْغَدَاءِ. فَأَتَانِي بِغَدَائِهِ فَغَرَفَ لَنَا مِنْ تِلْكَ الْقَدْرِ الَّتِي فِي الشَّمْسِ فَتَقَرَّرْتُ وَبَشِعْتُ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ الَّذِي طَبَخَ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَبِي بِأَنْ كُلْ، فَأَكَلْنَا حَتَّى فَرَعْنَا مِنْ غَدَائِنَا، فَلَمَّا غَسَلْنَا أَيْدِينَا نَادَى ابْنُ جَامِعٍ: يَا غَلَامَ، هَاتِ شَرَابَنَا، فَأَتَانِي بِبَنِيذٍ فِي زُكْرَةٍ ^(٣) قَدْ كَانَتْ الزُّكْرَةُ فِي الشَّمْسِ، فَكَرِهْتُ ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَبِي أَنْ لَا تَمْتَنِعَ، ثُمَّ أَتَوْا بِقَدَحِ جَيْشَانِي ^(٤) مِلءِ الْكَفِّ،

(١) الياسرية: قرية تقع على ضفة نهر عيسى تبعد عن بغداد ميلين.

(٢) السحرة: آخر الليل قبيل الصبح. (٣) الزكرة: زق للخمير صغير.

(٤) جيشاني: قدح ينسب إلى جيشان، وجيشان: موضع.

فصبّ النبيذ فيه وهو يشوبه^(١) ماءً أغلي بالنار، ثم غنى ابن جامع فقال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسْمُر بمكة سامرٌ
بلى نحنُ كُنّا أهلها فأزالنا صرُوف اللّياي والجدود العواثرُ
[الطويل]

ثم غنى للعرجي:

صوت

لو أنّ سلمى رأّتنا لا يُراعُ^(٢) لنا وكشّرنا^(٣) وكبُولُ^(٤) القين^(٥) تنكُونَا^(٦)
لَمّا هبطنا جميعاً أبطنَ السُّوقِ كالأسد تكشّر عن أنيابها الرُّوقِ^(٧)
[البيط]

ثم تغنى:

صوت

أجرّرُ في الجوامع كلَّ يومٍ فيألّهِ مظلّمتي وصَبْري
[الوافر]

ثم أمر بالرحيل وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات، فقال لي أبي: يا بنيّ بشعتَ لِمَا رأيتَ من طعام ابن جامع وشرابه، فعليّ عِتْقُ ما أملك إن لم يكن شُرْبُ الدّم مع هذا طيباً، ثم قال: أسمعت أي بنيّ غناءً قطُّ أحسنَ من هذا؟ فقلت: لا! واللّه، ما سمعت، قال: ثم خرج ابن جامع حتى نزل بباب أمير المؤمنين الرشيد ليلاً، واجتمع المغنون على الباب، وخرج الرسول إليهم، فأذن لهم، والرشيد خلف الستارة، فغنّوا إلى السّحر، فأعطاهم ألف دينار، إلا ابن جامع فلم يعطه شيئاً، وانصرفوا متوجّعين له، وعرضوا عليه جميعاً فلم يقبل، وانصرفوا؛ فلما كان في الليلة الثانية دُعوا فغنّوا ساعة، ثم كُشفت الستارة، وغنى ابن جامع صوتاً عَرَض فيه بحاله وهو:

(١) يشوبه: يُمازجه، يُخالطه.

(٢) لا يُراع: لا يُرب.

(٣) كشّرنا: كشفنا عن أسناننا عند التّبسّم.

(٤) كبُول، الواحد كبل: القيد.

(٥) القين: الحدّاد.

(٦) تنكُونَا: تدمينا.

(٧) الرُّوق: طول في الثّنايا العليا على السفلى وهو من معاييب الأسنان.

صوت

تقول أقم فينا فقيراً وما الذي ترى فيه ليلى أن أقيم فقيراً
 ذريني أمت يا ليل أو اكسب الغنى فإنني أرى غير الغنى حقيراً
 يُدفع في النادي ويُرفض قوله وإن كان بالرأي السديد جديراً
 ويُغفر ما يجني سواه وإن يُطفئ بذنب يَكُن منه الصغير كبيراً
 [الطويل]

قالوا: فأعجب الرشيد ذلك الشعر واللحن فيه، وأمال رأسه نحوه كالمستدعي له
 وغناه أيضاً:

صوت

لئن مضر فأتتني بما كنت أرتجي^(١) وأخلفني منها الذي كنت آمل
 فما كل ما يخشى الفتى نازل به ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
 ووالله ما فرطت في وجه حيلة ولكن ما قد قدر الله نازل
 وقد سلم الإنسان من حيث يتقي ويؤتى الفتى من أمه، وهو غافل
 [الطويل]

ثم أمرُوا بالانصراف فانصرفوا، فلما بلغوا الستر صاح به الخادم: يا قرشي
 مكانك، فوقف مكانه، فخرج إليه بخلع وسبعة آلاف دينار، وأمر إن شاء أن يُقيم،
 وإن شاء أن ينصرف.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: ذكر الكلبي عن أبيه:
 أن الناس بينا هم في ليلة مُقمرة في المسجد الحرام إذ بصروا بشخص كأن قامته
 رمح، فهربوا من بين يديه وهابوه، فأقبل حتى طاف بالبيت الحرام سبعة، ثم وقف
 فتمثل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
 [الطويل]

قال: فأتاه رجل من أهل مكة فوقف بعيداً منه ثم، قال: سألتك بالذي خلقتك
 أجني أنت أم إنسي؟ فقال له: بل إنسي، أنا امرأة من جرهم، كنا سكان هذه الأرض

(١) أرتجي: أتمنى، أمل.

وأهلها، فأزالنا عنها هذا الزمان الذي يُبلي كلَّ جديد ويغيِّره. ثم انصرفت خارجةً عن المسجد حتى غابت عنهم، ورجعوا إلى مواضعهم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي عن جدِّي، قال:

قال لي يحيى بن خالد: أخبرك برؤيا رأيتهَا؟ قلت: خيراً رأيته. قال: رأيته كأنني قد خرجتُ من داري راكباً، ثم التفت يميناً وشمالاً، فلم أر معي أحداً حتى صرت إلى الجسر، فإذا بصائح يصيح من ذلك الجانب:

كَأَن لَمْ يَكُن بَيْنَ الْحَجَوْنَ إِلَى الصَّفا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
[الطويل]

فأجبتُه:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صُروفُ اللَّيالي والجُدودُ العوائرُ
[الطويل]

فانصرفت إلى الرشيد فغثَّيته الصوت وخبَّرتُه الخبر، فعجب منه، وما مضت الأيام حتى أوقع بهم.

صوت

شاقني الزائراتُ قُضِرَ نفيسُ مُثَقَّلَاتِ الأعجازِ^(١) قُبَّ البطونِ^(٢)
يتربَّعُنه الربيعَ وينزلُ نَ إِذَا صَفُنَ مَنْزَلَ المَاجِشونِ
[الخفيف]

يتربَّعُنه: ينزلُنه في أيام الربيع، يقال لمنزل القوم في الربيع مُتَرَبَّعُهُمْ، قال الشاعر:

أَمِنْ آلِ لَيْلى بِالْمَلا مُتَرَبَّعُ كَمَا لَاحَ وَشَمٌ فِي الذَّرَاعِ مُرَجَّعُ
[الطويل]

والماجشون: رجل من أهل المدينة يُروى عنه الحديث، والماجشون: لقب لقَّبته به سُكَيْنَةُ بنتُ الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وهو اسم لَوْنٍ مِنَ الصَّبْغِ يُخالطُه حُمْرَة، وكذلك كان لونه، ويقال: إنها ما لُقِّبَتْ أحداً قط بـلقب إلا لصق به.

(١) مثقلات الأعجاز: ممتلئات الأرداف. (٢) قُبَّ البطون: ضامرات الخواصر.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب الزبيري، قال: حدثني ابن الماجشون، قال: نظرت سكينه إلى أبي، فقالت: كأن هذا الرجل الماجشون. وهو صبيغ أصفر يُخالطه حُمرة. فلُقّب بذلك.

قال عبد العزيز: ونظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت فيه غُلظة، فقالت: هذا الرجل في قُريش كالشَّيرج في الأدهان. فكان ذلك الرجل يسمى فلان شيرج حتى مات.

الشَّعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لإبراهيم الموصلي، خفيف رمل مطلق في مجرى البَنْصر، وفيه لبْصَبص جارية ابن نفيس التي قيل هذا الشعر فيها رمل، وذكر حَبَش أن لها فيه أيضاً ثَقِيلاً أوَّل بالوسطى.

ذكر بصبص جارية ابن نفيس وأخبارها

كانت بَصْبَصُ هذه جارية مُؤَلَّدة من مَوْلَدَاتِ المدينة، حُلوة الوجه، حسنة الغناء، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين، وكان يحيى بن نفيس مولاهما - وقيل نفيس بن محمد، والأول أصح - صاحب قِيَانٍ يغشاه الأشراف ويسمعون غِناءَ جواريه، وله في ذلك قصص نذكرها بعد، وكانت بصبص هذه أنفَسَهَن وأشَدَّهَن تَقْدُماً، وذكر ابن خُرْدَاذْبَةَ أن المهديَّ اشتراها، وهو وليُّ العهد سراً عن أبيه بسبعة عشر ألف دينار، فولدت منه عَلِيَّةُ بنتُ المهدي، وذكر غيره أن ابن خرداذبة غلط في هذا، وأن الذي صحَّ أن المهدي اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرها وولدت عَلِيَّةَ، وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القَدَّاح حدثه، قال:

كانت مكنونة جارية المروانية - وليست من آل مروان بن الحكم، وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس - أحسن جارية بالمدينة وجهاً، وكانت رَسَحاء^(١)، وكان بعض من يُمازحها يعبث بها ويصيح: طُست طُست. وكانت حسنة الصدر والبطن، وكانت تُوضَحُ بهما وتقول: ولكن هذا. فاشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول: ما ملك أمة أغلظ عليَّ منها. واستتر أمرها عن المنصور حتى مات، وولدت من المهدي عَلِيَّةُ بنتُ المهدي. والذي قال ابن خرداذبة غير مردود إذا كان هذا صحيحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن غرير بن طلحة، قال:

إتعد محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن مصعب الزُّبيري وأبو بكر بن محمد بن عثمان الرِّبَعي ويحيى بن عقبة أن يأتوا بَصْبَصُ جارية ابن نفيس، فعجل محمد بن

(١) الرسحاء من النساء: القليلة لحم العجز والفخذين.

يحيى، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ليخرج إلى الكوفة، فقال عبد الله بن مصعب:

أَرَأَيْتَ أَنْتَ أَبَا جَعْفَرٍ من قبل أن تسمع من بَصْبَصَا
هِيَهَاتَ^(١) أَنْ تَسْمَعَ مِنْهَا إِذَا جَاوَزْتَ الْعَيْسُ^(٢) بِكَ الْأَعْوَصَا^(٣)
فَحُذِّ عَلَيْهَا مَجْلَسِي لَذَّةٍ ومَجْلِسًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَشْخَصَا
أَحْلِفَ بِاللَّهِ يَمِينًا، وَمَنْ يَحْلِفُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَخْلَصَا
لَوْ أَنَّهَا تَدْعُو إِلَى بَيْعَةٍ بَايَعْتُهَا ثُمَّ شَقَّقْتُ الْعَصَا
[السريع]

قال: وفيها غناء لبصبص. قال: فاشتراها سابق أبو غسان مولى مُنيرة للمهدي بسبعة عشر ألف دينار.

قال حماد: وحدثني أبي، عن الزبير، أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصور لما حج فاجتاز المدينة منصرفاً من الحج لا أبا جعفر محمد بن يحيى بن زيد.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازةً، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن سلام قال: حدثني موسى بن مهران، قال:

كانت بالمدينة قَيِّنة لآل نفيس بن محمد، يقال لها بصبص، وكان مولاهما نفيس صاحب قصر نفيس الذي يقول فيه الشاعر:

شَاقَنِي الزَّائِرَاتُ قَصْرَ نَفِيسٍ مَثَقَلَاتِ الْأَعْجَازِ قُبَّ الْبَطُونِ
[الخفيف]

قال: وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها فيسمع منها، وكان يأتيها فتیان قريش فيستمعون منها، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور مُنصرفاً من الحج ومراً بالمدينة يذكر بَصْبَصَ:

أَرَأَحِلُّ أَنْتَ أَبَا جَعْفَرٍ من قبل أن تسمع من بَصْبَصَا
[السريع]

وذكر الأبيات، فبلغت أبا جعفر فغضب فدعا به، فقال: أما إنكم يا آل الزبير

(١) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بُعد.

(٢) العيس، بكسر العين: كرائم الإبل.

(٣) الأعوص: موضع قرب المدينة المنورة، وكذلك وادٍ في ديار باهلة.

قديمًا ما قادتكم النساء، وشققتم معهن العصا، حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع
المغنيات، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم. قال: ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك
أن عبد الله بن مصعب قد اضطبح مع بصبص وهي تغنيه بشعره:

صوت

إِذَا تَمَزَّزْتُ^(١) صُرَاجِيَّةً^(٢) كمثل ريح المسك أو أطيَّب
ثُمَّ تَعَنَّيَ لِي بِأَهْزَاجِهِ زِيدُ أَخُو الْأَنْصَارِ أَوْ أَشْعَبُ
حَسِبْتُ أَنِّي مَلِكٌ جَالِسٌ حَفَّتْ^(٣) بِهِ الْأَمْلاكُ وَالْمَوَكِبُ
فَلَا أَبَالِي وَإِلَهُ الْوَرَى^(٤) أَشَرَّقَ الْعَالَمُ أَمْ غَرَّبُوا
[السريع]

الغناء لزيد الأنصاري هَزَجٌ مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وغيره. وذكر
غيره أنه لأشعب.

المنصور والحادي

فقال أبو جعفر: العالم لا يُبالون كيف أصبحت ولا كيف أمسيت. ثم قال أبو
جعفر لكن الذي يعجبني أن يحدو بي الحادي الليلة بشعر طريف العنبري، فهو آلف
في سمعي من غناء بصبص، وأحرى أن يختاره أهل العقل. قال: فدعا فلاناً الحادي -
قد ذكره وسقط اسمه - وكان هذا إذا حدا وضعت الإبل رؤوسها لصوته، وانقادت
انقياداً عجيباً، فسأله المنصور: ما بلغ من حسن حدائه؟ قال: تعطش الإبل ثلاثاً أو
قال خمساً وتدنو من الماء، لم أخذوا فتتبع كلُّها صوتي، ولا تقرب الماء. فحفظه هذا
الشعر:

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِي كَاشِحاً^(٥) لِمُرَاجِمٍ^(٦) مِنْ دُونِهِ وَوَرَائِهِ
وَمُيِّدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ امْراً متزحزحاً في أرضه وسمائه
وَأَكُونُ مَاوَى سِرِّهِ وَأَصُونُهُ حَتَّى يَحِقَّ عَلَيَّ يَوْمٌ أَدَائِهِ
وَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْبَةٍ بِطَرِيفَةٍ لَمْ أَطْلِعْ مَاذَا وَرَاءَ خِبَائِهِ

(١) تمَزَّزْتُ: ترشفت بتؤدة.

(٢) الصراجية من الخمور: الصافية التي لم يخالطها ماء.

(٣) حَفَّتْ: أحاطت.

(٤) الْوَرَى: البشر، الناس.

(٥) الْكَاشِح: المبغض، الكاره.

(٦) الْمُرَاجِم: المناضل.

وَإِذَا تَحَيَّفَتْ^(١) الْحَوَادِثُ مَالَهُ قُرْنَتْ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرْبَائِهِ
وَإِذَا تَرَيَّشَ فِي غِنَاهُ وَفَرَّتْهُ وَإِذَا تَصَعَّلَكَ كُنْتُ مِنْ قُرْنَائِهِ
وَإِذَا عَدَا يَوْمًا لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَائِهِ^(٢)

[الكامل]

فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحمُّ على المروءة وأشبه بأهل الأدب من غناء بصبص. قال: فحدا به ليلته فلما أصبح، قال: يا ربيع أعطه درهمًا. فقال: يا أمير المؤمنين حَدُّوْتُ بهشام بن عبد الملك فأمر لي بعشرين ألف دينار، وتأمّر لي أنت بدرهم! فقال: إِنَّا لِلَّهِ، ذكرت ما لم يجب أن تذكره، ووصفت رجلاً ظالماً أخذ مال الله من غير حِلِّه، وأنفقه في غير حقّه، يا ربيع اشدّد يدك به حتى يَرُدَّ المال. فبكى الحادي وقال: يا أمير المؤمنين قد مضت هذه السّنون، وقضيت به الديون، وتمزّقته النفقات، ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي عندي منه شيء. فلم يزل أهله وخاصته يسألونه حتى كفّ عنه، وشرط عليه أن يحدّو به ذاهباً وراجعاً ولا يأخذ منه شيئاً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني القاسم بن زيد المدني، قال:

اجتمع ذات يوم عند بَصْبَص جارية ابن نفيس عبد الله بن مصعب الزُبيري ومحمد بن عيسى الجعفري في أشراف من أهل المدينة فتذكروا مُزَبِّدًا المدني صاحب النوادر وبخله، فقالت بَصْبَص: أنا أخذ لكم منه درهمًا، فقال لها مولاها: أنت حُرّة لئن فعلت إن لم أشتري لك مِخْنَقَةً^(٣) بمائة ألف دينار، وإن لم أشتري لك ثوب وشي بما شئت، وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر لك فيه بَدَنَةً^(٤) لم تُقَتَّبْ^(٥) ولم تُرَكَّبْ. فقالت: جيء به وارفع عني العيرة. فقال: أنت حُرّة أن لو رفع برجليك لأعنته على ذلك. قال عبد الله بن مصعب: فصليت الغداة في مسجد المدينة، فإذا أنا به، فقلت: يا أبا إسحاق أما تحب أن ترى بَصْبَص جارية ابن نفيس؟ فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها، وإن لم أكن أسأله أن يُرينيها منذ سنة فما يفعل، فقلت له: اليوم إذا صَلَّيْتَ العصر فوافني هاهنا. قال: امرأته طالق إن برحت من هاهنا حتى تجيء صلاة العصر، قال: فانصرفت في حوائجي حتى كانت العصر،

(١) تحيفت: بخست وأجحفت بماله.

(٢) السيساء: الظهر والحدّ.

(٣) المِخْنَقَةُ: القلادة تزيّن صدر المرأة.

(٤) البدنة: الناقة.

(٥) لم تقتب الناقة: لم يوضع عليها القتب.

ودخلت المسجد فوجدته فيه، فأخذت بيده فأتيتهم به، فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا، فأقبلت بصبص على مُزَبَد، فقالت: أبا إسحاق كَأني في نفسك تشتهي أَنْ أُغْنِيكَ الساعة:

لَقَدْ حُثُوا الْجَمَالَ لِيَهْـ رَبُّوا مَنَّا فَلَمْ يَلُـ^(١)
[مجزوء الرمل]

فقال: زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللُّوح المحفوظ، قال: فغنته ثم مكثت ساعة، فقالت: أبا إسحاق كَأني في نفسك تشتهي أَنْ تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي فتقرُصني قرصات وأغْنِيكَ:

قَالَتْ وَأَبْشَتْهَا وَجَدِي^(٢) فَبَحَتْ^(٣) بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَرِ
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا: غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي
[البسيط]

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غداً، وبِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت. فغنته ثم قالت: بَرَحَ الْخِفَاءُ^(٤) أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تَشْتَهِي أَنْ تُقْبِلَنِي شَقَّ التِّينِ وَأُغْنِيكَ هَزْجاً:

أَنَا أَبْصَرْتُ بِاللَّيْلِ غُلَاماً حَسَنَ الدَّلِّ
كُغْضِنَ الْبَانَ^(٥) قَدْ أَصَبَ حَ مَسْقِيّاً مِّنَ الطَّلِّ^(٦)
[الهزج]

لم يذكر صانعه، وهو هزج على ما ذكره.

فقال: أنت نبيّة مرسلة، فقبلها وغنته ثم قالت: أبا إسحاق، أَرَأَيْتَ أَسْقَطَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ يَدْعُونَكَ وَيُخْرِجُونِي إِلَيْكَ وَلَا يَشْتَرُونَ رِيحَاناً بِدَرَاهِمٍ، أَيُّ أَبَا إِسْحَاقٍ هَلُمَّ دَرَاهِمًا نَشْتَرِي بِهِ رِيحَانًا. فوثب وصاح وَاحْرَبَاهُ، أَيُّ زَانِيَةٍ، أَخْطَأْتُ إِسْتِكَ الْخُفْرَةَ^(٧). انقطع واللّه عنك الوحي الذي كان يُوحى إليك. وَعَطَعْتُ^(٨) الْقَوْمَ بِهَا وَعَلِمُوا أَنَّ

(١) يثلوا: لم ينجوا.

(٢) أبثها وجدتي: أعبر لها عن حبّي وشوقي إليها.

(٣) بحث به: كشفت عنه وأعلنت.

(٤) برح الخفاء: إنكشف الأمر وبدأ جلياً.

(٥) البان: ضرب من الشجر يمتاز برقة غصونه ونعومتها.

(٦) الطل: الندى.

(٧) ذلك مثل يضرب لمن حاول الحصول على شيء فلم يحصله.

(٨) عطعت القوم: أحدثوا أصواتاً متتابعة كأنهم جان.

حيلتها لم تنفذ عليه، ثم خرج فلم يعد إليها، وعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم فيه حديث مُرَبَّد معها والضحك منه.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: أنشدني الزبير بن بكار، قال: أنشدني غرير بن طلحة لابن أبي الزوائد، وهو ابن ذي الزوائد في بصبص:

بَصْبُصُ أَنْتِ الشَّمْسُ مَزْدَانَةٌ فَإِنْ تَبَذَّلْتِ فَأَنْتِ الْهَلَالُ
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كَانَ يَكُونُ الْجَمَالُ
إِذَا دَعَتْ بِالْعُودِ فِي مَشْهَدٍ وَعَاوَنْتِ يُمْنِي يَدِيهَا الشَّمَالُ
غَنَّتْ غِنَاءً يَسْتَفْزُ الْفَتَى حِذْقًا وَزَانَ الْحِذْقِ مِنْهَا الدَّلَالُ

[السريع]

قال هارون: قال الزبير: وأنشدني غرير أيضاً لنفسه يهجو مولاها:

يَا وَيْحَ بَصْبُصَ مَنْ يَحْيَى لَقَدْ رُزِقَتْ وَجْهًا قَبِيحًا وَأَنْفًا مِنْ جَعَامِيسٍ^(١)
يَمُجُّ مِنْ فِيهِ فِيهَا إِذَا هَجَعَتْ^(٢) رَيْقًا خَبِيثًا كَأَرْوَاحِ الْكَرَائِيسِ^(٣)

[البسيط]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي، قال:

هَوِيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْجَعْفَرِيُّ بَصْبُصَ جَارِيَةِ ابْنِ نَفِيسٍ، فَهَامَ بِهَا وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَصَدِيقٍ لَهُ: لَقَدْ شَغَلْتَنِي هَذِهِ عَنْ ضِيعَتِي وَكُلِّ أَمْرِي، وَقَدْ وَجَدْتُ مَسَّ السَّلْوِ، فَاذْهَبْ بِنَا حَتَّى أَكْاشِفَهَا بِذَلِكَ فَأَسْتَرِيحَ، فَأَتِيَاهَا، فَلَمَّا غَنَّتْ لَهَا قَالَ لَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى: أَتَغْنَيْنِ:

وَكُنْتُ أَحَبُّكُمْ فَسَلَوْتُ عَنْكُمْ عَلَيْكُمْ فِي دِيَارِكُمُ السَّلَامُ

[الوافر]

فَقَالَتْ: لَا، وَلَكِنِّي أَغْنِي:

تَحَمَّلْ أَهْلُهَا عَنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ^(٤)

[الوافر]

فَاسْتَحْيَا وَازْدَادَ بِهَا كَلْفًا^(٥) وَلَهَا عَشَقًا، فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: أَتَغْنَيْنِ:

(١) الجعاميس، الواحد جعموس: الرجيع.

(٢) هجعت: نامت.

(٣) الكرايس، الواحد كرباس: الكنيف، بيت الخلاء، المرحاض.

(٤) العفاء: دروس الديار، الهلاك.

(٥) الكلف: الحب الشديد.

وَأَخْضَعُ بِالْعُتْبَى^(١) إِذَا كُنْتُ مُذْنِباً وَإِنْ أَذْنَبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنَصَّلُ^(٢)
[الطويل]

قالت: نعم، وأغني أحسن منه:

فَإِنْ تُقْبِلُوا بِالْوُدِّ تُقْبِلُ بِمِثْلِهِ وَنُنْزِلُكُمْ مِنَّا بِأَقْرَبِ مَنْزِلٍ
[الطويل]

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين.

وفي هذه الأبيات الأربعة غناء كان محمد قُريش وذُكاء وغيرهما ممن شاهدنا من الحُذَّاق يُعَنِّونَه في الابتداءين لحنين من الثقل الأول، وفي الجوابين لحنين من خفيف الثقل ولا أعرف صانعهما.

أخبرني عمي، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثني أبو أيوب المَدِينِيُّ، عن مصعب، قال:

حضر أبو السائب المَخْزُومِيُّ مجلساً فيه بصبصُ جارية يحيى بن نفيس فغنت:

قلبي حبيسٌ عليك موقوفٌ والعين عَبرَى والدمعُ مَذْرُوفٌ^(٣)
والنَّفْسُ في حَسْرَةٍ بَغْضَتِهَا^(٤) قد شَفَّ^(٥) أَرْجَاءُهَا التَّساويفُ
إِنْ كُنْتُ بِالْحَسَنِ قَدْ وُصِفْتُ لَنَا فَإِنِّي بِالْهَوَى لَمَوْصُوفٌ
يَا حَسْرَتَا حَسْرَةً أَمُوتُ بِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي لَدَيْكَ مَعْرُوفٌ
[المنسرح]

قال: فطرب أبو السائب ونعر^(٦) وقال: لا عَرَفَ اللَّهُ قَدْرَهُ إِنْ لَمْ يَعْرِفْ لِكَ مَعْرُوفِكَ، ثم أخذ قناعها عن رأسها وجعله على رأسه وجعل يلطم ويكي ويقول لها: بأبي واللَّهِ أَنْتِ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونِي عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنَ الشَّهَدَاءِ لَمَّا تُؤَلِّينَاهُ مِنَ السَّرُورِ، وجعل يصيح: وَاعُوْثَاهُ يَاللَّهِ لِمَا يَلْقَى الْعَاشِقُونَ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو بكر العامري قال: حدثني عمرو بن عبد الله البصري قال: حدثنا الحسين بن يحيى. عن عثمان بن محمد الليثي قال:

كنت يوماً في مجلس ابن نفيس فخرجت إلينا جاريته بصبص. وكان في القوم

(٢) أَتَنَصَّلُ: أَتَنَحَّى، أَتَخَلَّصُ.

(٤) الْغَضَّةُ: الْحَرَقَةُ.

(٦) نَعْرُ: صَاحَ وَصَوَّتَ بِخِشْمِهِ.

(١) الْعُتْبَى: الرَضَى.

(٣) الدمع مذكور: منهمر.

(٥) شَفَّ: رَقَّ، كَشَفَّ.

فتى يُحبها، فسألتُه حاجةً. فقام ليأتيها، فنسي أن يلبس نعله، ومشى حافياً، فقالت:
يا فلانُ نسيْتَ نعلَكَ. فلبسها وقال: أنا واللّه كما قال الأول:

وحُبُّكَ يُنْسِينِي عَنِ الشَّيْءِ فِي يَدِي وَيَشْغَلْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحَاوُلُهُ
[الطويل]

فأجابت فقالت:

وبي مثلُ ما تشكوه مني وإنني لأُشفق من حُبِّ أراك تُزاولُهُ
[الطويل]

صوت

يشتاق قلبي إلى مُليكة لو أمست قريباً ممّن يُطالِبُها
ما أَحْسَنَ الجيدَ من مُليكة واللَّبِّ ات^(١) إذ زانها تَرائِبُها
يَا لَيْتَنِي لَيْلَةً إِذَا هَجَعَ النَّاسُ وَنَامَ الْكِلَابُ صَاحِبُهَا
فِي لَيْلَةٍ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ يَسْعَى عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا
[المنسرح]

الشُّعْرُ لِأُحَيْحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ، والغناء لابن سُرَيْج، رَمَلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى
الْبَنْصَرِ، وفيه لحن من رواية يونس.

(١) اللَّبَّات، الواحدة لبة: موضع القلادة من الصدر.

ذكر أحيحة بن الجلاح

ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله

قال الشعر

هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ويكنى أحيحة أبا عمرو.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز، قال:

ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد، فأتى مسجد العُصبة^(١)، فلما صلى قال للأحوص: يا أحوص، أين الزوراء التي قال فيها صاحبكم:

إِنِّي أَقِيمُ عَلَى الزَّوْرَاءِ أَغْمُرُهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
لَهَا ثَلَاثُ بئَارٍ فِي جَوَانِبِهَا فَكُلُّهَا عُقْبٌ يَسْقِي بِإِقْبَالِ
إِسْتَعْنِ أَوْ مُتْ وَلَا يَغُرُّكَ ذُو نَشْبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالِ

[البسيط]

قال الزبير: العُقب: الذي في أول المال عند مدخل الماء، والطلب الذي في آخره.

قال: فأشار له الأحوص إليها، وقال: هاهي تلك، لو طوّلت لأشقرك هذا لجال عليها. فقال الوليد: إن أبا عمرو كان يراه غنياً بها. فعجب الناس يومئذ لعناية الوليد بالعلم حتى علم أن كنية أحيحة أبو عمرو.

وفي هذا الشعر غناء هو:

صوت

إِسْتَعْنِ أَوْ مُتْ وَلَا يَغُرُّكَ ذُو نَشْبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالِ

(١) العُصبة: دار بني جحجبا.

يَلُوءُونَ^(١) مَا لَهُمْ عَنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ وَعَنْ عَشِيرَتِهِمْ وَالْحَقُّ لِلْوَالِي [البسيط]

غناه الهذلي رملاً بالوسطى من رواية الهشامي وعمرو بن بانه .

وأما السبب في قول أحيحة هذا الشعر فإن أحمد بن عبيد المكتب ذكر أن محمد بن يزيد الكلبي حدثه، وحدثه أيضاً هشام بن محمد جميعاً عن الشرقي بن القطامي، قال هشام: وحدثني به أبي أيضاً، قال: وحدثني رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر، قال: وحدثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري قالوا جميعاً:

أقبل تُعَّ الأخير وهو أبو كرب بن حسان بن تُعَّ بن أسعد الحميري من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل، فمرَّ بالمدينة فخلف بها ابناً له، ومضى حتى قدم الشام، ثم سار من الشام حتى قدم العراق، فنزل بالمُسَقَّر فقتل ابنه غيلةً بالمدينة. فبلغه، وهو بالمشقر مقتل ابنه فكَّر راجعاً إلى المدينة وهو يقول:

ياذا المعاهد^(٢) ما تزال تَرُودُ^(٣) رَمَدٌ بعينك عاذاً أم عودُ؟
مَنَعَ الرُّقَادَ فما أغمض ساعة نَبَطُ^(٤) يثرب^(٥) آمنون فعودُ
لا تَسْقِنِي بيديك إن لم تَلْقَها حَرْباً كأنَّ أشاءها^(٦) مَجْرُودُ^(٧)

[الكامل]

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مُجمع على إخراجها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبي الذرية، فنزل يسفح أحد فاحتفر بها بئراً، فهي البئر التي يقال لها إلى اليوم بئر الملك، ثم أرسل إلى أشرف أهل المدينة ليأتوه، فكان فيمن أرسل إليه زيد بن ضُبَيْعَةَ بن زيد بن عمرو بن عوف، وابن عمه زيد بن أميَّة بن زيد، وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد - وكانوا يُسمَّون الأزياد - وأحيحة بن الجلاح. فلما جاء رسوله، قال الأزياد: إنما أرسل إلينا ليملكنا على أهل يثرب، فقال أحيحة: واللَّهِ ما دعاكم لخير. وقال:

(١) يلوون: يجحدون.

(٢) المعاهد، الواحد معهد: الموضع المعتاد حيث يتردد المرء.

(٣) ترود: تتردد باستمرار عليه.

(٤) النبط: قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقيين.

(٥) يثرب: اسم المدينة المنورة قبل الإسلام.

(٦) الأشاء: صغار النخل. (٧) مجرود: منزوع.

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرَب أَنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبْلَهُ
[المديد]

فذهبت مثلاً، وكان يقال: إن مع أحيحة تابعاً من الجنّ يعلمه الخبر لكثرة صوابه، لأنه كان لا يظنّ شيئاً فيُخبر به قومه إلا كان كما يقول: فخرجوا إليه وخرج أحيحةُ ومعه قَيْنَةٌ له وخِباءٌ وخمر. فضربَ الخِباءَ وجعل فيه القينة والخمر، ثم خرج حتى استأذن على تُبّع، فأذن له وأجلسه معه على زُرْبِيَّة^(١) تحته، وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة، فجعل يُخبره عنها، وجعل تَبّع كلما أخبره عن شيء منها يقول: كل ذلك على هذه الزُرْبِيَّة؟ يريد بذلك تَبّع قتل أحيحة، ففطن أحيحة أنه يريد قتله. فخرج من عنده فدخل خِباءه، فشرب الخمر وقَرَضَ أبياتاً، وأمر القينة أن تغنيه بها، وجعل تَبّع عليه حرساً، وكانت قينته تُدعى مُليكة فقال:

يشتاق شوقي إلى مليكة لو أمست قريباً ممّن يُطالبُها
[المنسرح]

الآيات، وزاد فيها مما ليس فيه غناء:

لَتَبْكُنِي قَيْنَةٌ وَمِزْهَرُهَا^(٢) وَلَتَبْكُنِي قَهْوَةٌ^(٣) وَشَارِبُهَا
وَلَتَبْكُنِي نَاقَةٌ إِذَا رَحَلَتْ وَغَابَ فِي سَرْدَجٍ^(٤) مَنَّاكِبُهَا
وَلَتَبْكُنِي عُصْبَةٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مَا عَوَاقِبُهَا
[المنسرح]

فلم تزل القينة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته. فلما نام الحرس قال لها: إني ذاهب إلى أهلي فشدّي عليك الخِباءَ، فإذا جاء رسول الملك فقولِي: هو نائم. فإذا أَبَوْا إلا أن يُوقظوني فقولِي: قد رجع إلى أهله وأرسلني إلى الملك برسالة، فإن ذهبوا بك إليه فقولِي له: يقول لك أحيحة: اغدُرْ بقينة أو دَعْ. ثم انطلق فتحصّن في أُطْمِهِ^(٥) الضّحيان، وأرسل تَبّع من جوف الليل إلى الأزياد فقتلهم على فَقَارَةٍ من فَقَارٍ^(٦) تلك الحرّة، وأرسل إلى أحيحة ليقته، فخرجت إليهم القينة فقالت: هو راقد، فانصرفوا

(١) الزُرْبِيَّة: بتسكين الراء: ضرب من الرياش يتكأ عليه.

(٢) المزمز: آلة موسيقية، ينفخ فيها الزامر.

(٣) القهوة: من أسماء الخمرة.

(٤) السردج من الأراضي: المستوية اللينة.

(٥) الأطم: القصر والحصن المبني بالحجارة، وكل بيت مربع مسطح.

(٦) الفقار، الواحدة فقرة: النافر من عظام الصلب، استعملها الشاعر ليرسم نتوءات تلك الحرّة.

وتردّدوا عليها مراراً كل ذلك تقول: هو راقد، ثم عادوا فقالوا: لتوقظنه أو لندخلن عليك. قالت: فإنه قد رجع إلى أهله وأرسلني إلى الملك برسالة. فذهبوا بها إلى الملك، فلما دخلت عليه سألها عنه، فأخبرته خبره وقالت: يقول لك: اغدِرْ بقينة أو دَعْ. فذهبت كلمة أحيحة هذه مثلاً، فجرد له كتيبة من خيله ثم أرسلهم في طلبه، فوجدوه قد تحصّن في أطمه، فحاصروه ثلاثاً يقاتلهم بالنهار ويرميهم بالنبل والحجارة، ويرمي إليهم بالليل بالتّمْر؛ فلما مضت الثلاث رجعوا إلى تبّع فقالوا: تبّعنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويضيئنا بالليل، فتركه وأمرهم أن يحرقوا نخله، وشبّت الحرب بين أهل المدينة أوسها وخزرجها ويهودها وبين تبّع، وحصّنوا في الأطام، فخرج رجل من أصحاب تبّع حتى جاء بني عديّ بن النجار، وهم متحصّنون في أطمهم الذي كان قبلة مسجدهم، فدخل حديقة من حدائقهم، فرقي عذقا^(١) منها يجذّه^(٢)، فاطلع إليه رجل من بني عديّ بن النجار من الأطم يقال له أحمر أو صحر بن سلمان من بني سلمة، فنزل إليه فضربه بمَنجَل حتى قتله ثم ألقاه في بئر وقال: جاءنا يجذّ نخلتنا إنما النخل لمن أبرّه. فأرسلها مثلاً، فلما انتهى ذلك إلى تبّع زاده حنقاً وجرّد إلى بني النجار جريدة من خيله، فقاتلهم بنو النجار ورؤسهم عمرو بن طلة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار، وجاء بعض تلك الخيول إلى بني عديّ وهم متحصّنون في أطمهم الذي في قبلة مسجدهم فراموا بني عديّ بالنبل، فجعلت نبلهم تقع في جدار الأطم، فكان على أطمهم مثل الشعر من النبل، فسمي ذلك الأطم الأشعر، ولم تزل بقايا النبل فيه حتى جاء الله عز وجل بالإسلام، وجاء بعض جنوده إلى بني الحارث بن الخزرج فجذّموا نخلهم من أنصافها، فسميت تلك النخل جذّمان، وجدّعوهم فرساً لتبع. فكان تبع يقول: لقد صنع بي أهل يثرب شيئاً ما صنعه بي أحد. قتلوا ابني وصاحبي وجدّعوهم فرسي. قال: فبينما تبع يريد إخراج المدينة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وقطع الأموال أتاه خبر أن من اليهود، فقالوا: أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنا نجد اسمها كبيراً في كتابنا، وإنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذي بمكة، تكون داره وقراره، ويتبعه أكثر أهلها. فأعجبه ما سمع منهما وكفّ عن الذي أراد بالمدينة وأهلها. وصدّق الحبرين بما حدثا. وانصرف تبع عما كان أراد بها وكفّ عن حربهم وآمنهم حتى دخلوا عسكره ودخل جُنده

(١) العذق، بكسر العين: كلّ غصن له شُعب.

(٢) يجذّه: يقطعه.

المدينة، فقال عمرو بن مالك بن النجار يذكر شأن تبع ويمدح عمرو بن طلة:

أَصْحَا أُمِّ مَا انْتَحَى ذِكْرَهُ أُمِّ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهُ^(١)
 بعد ما ولَّى الشباب وما
 إنها حربٌ يمانية
 سائلي همدان أو أسداً
 فَيَلَقُ^(٢) فيه أبو كرب
 ثم قالوا من يؤمُّ بنا
 يا بني النجار إن لنا
 فتلقتهم مسايقة
 مدها كالغبية النثرة
 أبنت عوف أم النجرة
 إذ أتت تعدو مع الزهرة
 ذكرت شُبَّانَه عُصْرَه
 ثم بَعَّ أبدانَه دُفْرَه
 فَيَكُمُ ذَحْلًا^(٣) وإن تره^(٤)
 مدها كالغبية النثرة

الغبية: السحابة التي فيها مطر وبرق برعد.

فيهم عمرو بن طلة لا
 سيّد سامى الملوكة ومن
 هم فامنح قومَه عُمرَه
 يدعُ عمراً لا يجد قدرَه

[المديد]

وقال في ذلك رجل من اليهود:

تُكَلِّفَنِي مِنْ تَكَالِيفِهَا نخيل الأسايف^(٥) والمصنعة^(٦)
 نخيلاً حمتها بنو مالك
 جنود أبي كرب المفضعة

[المقارب]

وقال أحيحة يرثي الأزياد الذين قتلهم تبع:

أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي أَيَّ لَهْفٍ على أهل الفقارة كل لهف
 مضوا قصد السبيل وخلفوني إلى خلف من الأبرام^(٧) خلفي^(٨)

(١) الوطر: الحاجة.

(٢) الفيلق: الكوكبة من الفرسان.

(٣) الذحل: الثأر.

(٤) تره، بكسر التاء: وقع في الترهات والأباطل.

(٥) الأسايف: قد يكون الشاعر قد جمع السائفة على أفاعيل: وهي الرملة الدقيقة.

(٦) المصنعة: الحصن، القرية.

(٧) الأبرام، الواحد برم: هو من لا يدخل مع المقامرين في الميسر، واللتام.

(٨) الخلف من البشر: هم الذين يتتابعون القرن بعد القرن.

سُدِّي لَا يَكُنْفُون وَلَا أَرَاهُمْ يَصُونُونَ أَمْرًا إِنْ كَانَ يَكْفِي
[الوافر]

قالوا: فلما كفّ تبع عن أهل المدينة اختلطوا بعسكره فبايعوهم وخالطوهم، ثم إن تبعاً استوباً^(١) بثره التي حفرها وشكا بطنه من مائها، فدخلت عليه امرأة من بني زُرَيْق يقال لها فَكْهَةٌ بنتُ زيد بن كلدة بن عامر بن زُرَيْق وكانت ذات جَلَدٍ^(٢) وشرف في قومها، فشكا إليها وبأء بثره، فانطلقت فأخذت قِرْباً وحمارين حتى استقت له من ماء رُومَةٍ^(٣) فشربه فأعجبه، وقال: زِيدَنِي من هذا الماء، كانت تختلف إليه في كل يوم بماء رُومَةٍ، فلما حان رحيله دعاها فقال لها: يَا فَكْهَةُ، إنه ليس معنا شيء من الصفراء والبيضاء، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا، فلما خرج تبع نقلت ما تركوه من أزوادهم ومتاعهم، فيقال: إنه لم تزل فَكْهَةُ أَكْثَرَ بني زُرَيْق مالا حتى جاء الإسلام.

قال: وخرج تبع يريد اليمن ومعه الحَبْرَانِ اللذان نهياه عن المدينة، فقال حين شخص من منزله: هذه قناة الأرض فسميت قناة ومراً بالجرف^(٤) فقال هذا جُرْفُ الأرض فسمي الجُرْفُ وهو أرفعها، ومراً بالعرصة^(٥) وكانت تسمى السَّلِيل فقال هذه عَرَصَةُ الأرض، ثم انحدر في العقيق فقال: هذا عَقِيقُ الأرض فسمي العقيق، ثم خرج يسير حتى نزل البقيع فنزل على غدير ماء يقال له بَرَاجم فشرب منه شُرْبَةً فدخلت في حلقه عَلَقَةٌ فاشتكى منها، فقال، فيما ذكر أبو مسكين، قوله:

ولقد شربت على بَرَاجمَ شُرْبَةً كادتُ بباقيَةِ الحياة تُذِيعُ^(٦)
[الكامل]

ثم مضى حتى إذا كان بِجُمُودَانَ جاءه نفر من هُذَيْل فقالوا له: اجعل لنا جُعلاً^(٧) وَنُدْلَكَ على بيتٍ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب، ليست لأهلك منعة ولا شرف، فجعل لهم على ذلك جُعلاً فقالوا له: هو البيت الذي تحبُّه العرب بمكة، وأرادوا بذلك هلاكه، فتوجه نحوه فأخذته ظُلْمة منعتة من السير فدعا الحبرين

(١) استوباً بثره: وجده حلّ فيه الوباء والفساد.

(٢) الجلد، بالفتح: الصبر مع شدة العزيمة.

(٣) ماء رومة: بثر تسمى أيضاً فاكهة.

(٤) الجرف: موضع يبعد ثلاثة أميال عن المدينة المنورة.

(٥) العرصة: موضع في العقيق في إحدى نواحي المدينة المنورة.

(٦) تذيع بشيء ما: تذهب به.

(٧) الجُعْل، بضم الجيم: العطاء.

فسألهما فقالا: هذا - لما أجمعت عليه في هذا البيت، واللّه مانعه منك ولن تصل إليه، فاحذر أن يُصيبك ما أصاب من انتهك حرّات اللّه، وإنما أراد القوم الذين أمروك به هلاكك، لأنه لم يرّمه أحد قطّ بشرّاً إلاّ أهلكه اللّه. فأكرّمه وطّف به واحلق رأسك عنده. فترك الذي كان أجمع عليه وأمر بالهذليين فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم خرج يسير حتى أتى مكة فنزل بالشّعب من الأبطح، وطاف بالبيت وحلق رأسه وكساه الخصف^(١).

قال هشام: وحدثني ابنٌ لجريز بن يزيد البجليّ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال هشام: وحدثني أبي، عن صالح، عن ابن عباس، قال:

لما أقبل تُبّع يريد هدمَ البيت وصَرَفَ وجوه العرب إلى اليمن بات صحيحاً فأصبح وقد سالت عيناه على خديّه، فبعث إلى السحرة والكهّان والمنجّمين فقال: مالي واللّه لقد بُتّ ليلتي ما أجد شيئاً، وقد صرت إلى ما ترون، فقالوا: حدّث نفسك بخير، ففعل، فارتد بصيراً وكسا البيت الخصف.

هذه رواية جعفر بن محمد عن أبيه، وفي رواية ابن عباس:

فأتني في المنام ف قيل له اكسّه أحسن من هذا، فكساه الوصائل قال: وهي برود العَصَبِ سُمّيت الوصائل لأنها كانت توصل بعضها ببعض، قال:

فأقام بمكة ستة أيام يُطعم الطعام وينحر في كل يوم ألف بعير ثم سار إلى اليمن وهو يقول:

ونحرنّا بالشّعب ستّة آلا	ف ترى النّاس نحوهن وُرُوداً
وكسونا البيت الذي حرّم اللّ	ه مُلاء منضّداً وُبُرُوداً
وأقمنا به من الشهر ستّاً	وجعلنا له به إقليداً ^(٢)
ثم أبنا ^(٣) منه نوّم ^(٤) سهيلاً	قد رفعنا لواءنا المعقوداً

[الخفيف]

قال: وتهوّد تُبّع وأهل اليمن بذينك الخبرين.

أخبرني محمد بن يزيد، قال: أخبرني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

(١) كساه الخصف: ألبسه ذلك الثوب الغليظ المسمى بالخصفة.

(٢) الإقليد: المفتاح، يوناني معرب.

(٣) أبنا: عدنا، رجعنا.

(٤) نوّم: نلحق.

حدثني أبو البَحْتَرِيّ، عن ابن إسحاق، قال: أخبرني أيوب بن عبد الرحمن:

أن رجلاً من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو تزوج امرأة من بني سالم بن عوف وكان يختلف إليها، ففقد له رهط من بني جَحْجَبَا بمُرْصَدٍ فضربوه حتى قتلوه أو كادوا، فأدركه القوافل فاستنقذوه، فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج معه بنو النجار، وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوف فالتقوا بالرحابة^(١) فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل أخا عاصم يومئذ أحيحة بن الجلاح، وكان يكنى أبا وَخُوحة فأصابه في أصحابه حين انهزموا، وطلب عاصم أحيحة حتى انتهى إلى البيوت فأدركه عاصم عند باب داره فزجه^(٢) بالرمح، ودخل أحيحة الباب ووقع الرمح في الباب، ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياماً، ثم إن عاصماً طلب أحيحة ليلاً ليقتله في داره، فبلغ ذلك أحيحة وقيل له إن عاصماً قد رُئي البارحة عند الضُحَيان والغابة وهي أرض لأحيحة والضُحَيان أطم له، وكان أحيحة إذ ذاك سيد قومه من الأوس، وكان رجلاً صنّاعاً للمال شحيحاً عليه يتبع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يُحيط بأموالهم وكان له تسع وتسعون بغيراً كلّها يَنْضَح^(٣) عليها، وكان له بالجُرْفِ أَصْوَارٌ^(٤) من نخل قلّ يوم يمر به إلا يطلع فيه، وكان له أَطْمان: أطم في قومه يقال له المُسْتَظَلُّ، وهو الذي تحصّن فيه حين قاتل تَبْعاً أسعدَ أبا كَرِبِ الحميري وأطمه الضُحَيان بالعُصْبَةِ في أرضه التي يقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبني عليه نَسْبَةً بيضاء^(٥) مثل الفِضَّة، ثم جعل عليها مثلها يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه، وكانت الآطام هي عزهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرّزون^(٦) فيها من عدوهم، ويزعمون أنه لما بناه أشرف هو وغلام له ثم قال: لقد بنيت حصناً حصيناً ما بنى مثله رجل من العرب أَمْنَع ولا أكرم، ولقد عرفتُ موضع حجر منه لو نُزِع لوقع جميعاً. فقال غلامه: أنا أعرفه، فقال: فأرنيه يا بني. قال: هو هذا، وصرف إليه رأسه، فلما رأى أحيحة أنه قد عرفه دفعه من رأس الأطم فوق وقع على رأسه فمات، وإنما قتله إرادة أن لا يعرف ذلك الحجر أحد. ولما بناه قال:

بنيت بعد مُسْتَظَلٍّ ضاحياً بنيته بعُصْبَةٍ من مالياً

(١) الرحابة: من حصون المدينة.

(٢) زجه بالرمح: طعنه.

(٣) ينضح: يحمل البعير الماء من بئر أو نهر للسقي.

(٤) الأصوار، الواحدة صور من صغار النخل.

(٥) نبرة بيضاء: مرتفع يبدو من بعيد لبياضه.

(٦) يتحرّزون: يتحصنون، يحتمون.

للسَّيِّرِ مِمَّا يُتَّبَعِ الْقَوَاضِيَا أَخْشَى رُكَيْباً أَوْ رُجَيْلاً عَادِيَا
[الرجز]

وكان أحيحة إذا أمسى جلس بحذاء^(١) حصنه الضحيان، ثم أرسل كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لا يعرف حذراً من أن يأتيه عدو يصيب منه غيرة^(٢)، فأقبل عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقته بأخيه، وقد أخذ معه تمرّاً، فلما نبحت الكلاب حين دنا منه ألقى لها التمر فوقفت. فلما رآها أحيحة قد سكنت حذر فقام فدخل حصنه، ورماه عاصم بسهم فأحرزه منه الباب فوقع السهم بالباب، فلما سمع أحيحة وقع السهم صرخ في قومه، فخرج عاصم بن عمرو فأعجزهم حتى أتى قومه، ثم إن أحيحة جمع لبني النجار فأراد أن يغترهم، فواعده قومه لذلك، وكانت عند أحيحة سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش إحدى نساء بني عديّ بن النجار، له منها عمرو بن أحيحة، وهي أم عبدالمطلب بن هاشم، خلف عليها هاشم بعد أحيحة، وكانت امرأة شريفة لا تنكح الرجال إلّا وأمرها بيدها، إذا كرهت من رجل شيئاً تركته.

فزع ابن إسحاق أنه حدثه أيوب بن عبد الرحمن وهو أحد رهطها، قال:
حدثني شيخ منا:

أن أحيحة لما أجمع الغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة، وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم، وهي مع أحيحة في حصنه، عمدت إلى ابنها فربطته بخيط، حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي، وهي تحمله، وبات أحيحة معها ساهراً يقول: ويحك ما لايني؟ فتقول: واللّه ما أدري ما له. حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام، وذكروا أنها ربطت رأس ذكره، فلما هدا الصبي قالت: وارأساه، فقال أحيحة: هذا واللّه ما لقيت من سهر هذه الليلة، فبات يعصب لها رأسها ويقول: ليس بك بأس، حتى إذا لم يبق من الليل إلّا أقله قالت له: قم فثم فإني أجدني صالحة قد ذهب عني ما كنت أجده؛ وإنما فعلت به ذلك ليشغل رأسه وليشتدّ نومه على طول السهر، فلما نام قامت وأخذت حبلاً شديداً وأوثقت برأس الحصن ثم تدلت منه، وانطلقت إلى قومها فأنذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك، فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا، فأقبل أحيحة في قومه فوجد القوم على حذر قد استعدوا، فلم يكن بينهم كبير قتال، ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه وقد فقدوها

(١) بحذاء: مقابل حصنه.

(٢) غيرة، بكسر الغين: على حين غفلة، فجأة.

أحيحة حين أصبح، فلما رأى القوم على حذر قال: هذا عمَلُ سلمى، خدعتني حتى بلغت ما أرادت، وسماها قومها المُتَدَلِّيَّة لتدليها من رأس الحصن، فقال في ذلك أحيحة وذكر ما صنعت به سلمى:

تَفَهَّمُ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْجَهُولُ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الرَّأْيُ الْوَبِيلُ^(١)
فَإِنَّ الْجَهْلَ مَحْمَلُهُ خَفِيفٌ وَإِنَّ الْجَلْمَ مَحْمَلُهُ ثَقِيلٌ
[الوافر]

وفيهما يقول:

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا يُغْنِي مَقَامِي مِنْ الْفَتَيَانِ رَائِحَةَ جَهُولٍ
نَوُومَ مَا تَقَلَّصَ مُسْتَقْلًا عَلَى الْغَايَاتِ مَضْجَعُهُ ثَقِيلٌ
تَبُوعٌ^(٢) لِلْحَلِيلَةِ^(٣) حَيْثُ حَلَّتْ كَمَا يَعْتَادُ لِقُحْتَهُ^(٤) الْفَصِيلُ^(٥)
إِذَا بَاتَتْ أُعْصِبَهَا^(٦) فَنَامَتْ عَلَيَّ مَكَانَهَا الْحُمَى الشَّمُولُ^(٧)
لَعَلَّ عَصَابَهَا يَبْغِيكَ حَرْبًا وَيَأْتِيهِمْ بِعَوْرَتِكَ الدَّلِيلُ
وَقَدْ أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ أَضْلًا لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ يَنْفَعُهُ الْعُقُولُ
[الوافر]

وقال فيها وفيما صنعت به:

أَخْلَقَ الرَّبُّ^(٨) مِنْ سَعَادَ فَامْسَى رَسْمُهُ مُخْلِقًا^(٩) كَدَرَسِ الْمُلَاةِ^(١٠)
بَالِيًا بَعْدَ حَاضِرِ ذِي أَنْيْسٍ مِنْ سُلَيْمَى إِذْ تَغْتَدِي كَالْمَهَاةِ^(١١)
[الخفيف]

وهي قصيدة طويلة، يقال: إن في هذين البيتين منها غناء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مسكين:

(١) الرأي الوبيل: الفاسد الذي يؤدي إلى الهلاك.

(٢) تبوع: بمعنى تابع.

(٣) الحليلة: الزوجة.

(٤) اللقحة: الناقة التي تقبل اللقاح.

(٥) الفصيل: ولد الناقة.

(٦) أعصبها: شددت فخذي الناقة لتدر اللبن.

(٧) الحمى الشمول: الخمر.

(٨) أخلق الربيع: خلا المنزل.

(٩) المخلق: البالي.

(١٠) المُلَاة، بضم الميم: الملاءة، بتخفيف الهمزة: هو ثوب ذو لفقين.

(١١) المهواة: البقرة الوحشية.

أَنَّ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ بْنَ جَذِيمَةَ أَتَى أُحِيحَةَ بْنَ الْجُلَاحِ - لَمَّا وَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُجَهِّزَ بَعَثْنَا إِلَيْهِمْ حِينَ قَتَلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ، زُهَيْرَ بْنَ جَذِيمَةَ - فَقَالَ قَيْسٌ لِأُحِيحَةَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، نَبِئْتُ أَنَّ عِنْدَكَ دِرْعًا لَيْسَ بِيَثْرَبٍ دِرْعٌ مِثْلُهَا، فَإِنْ كَانَتْ فُضْلًا فَبِعْنِيهَا أَوْ فَهْبُهَا لِي. فَقَالَ: يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ لَيْسَ مِثْلِي يَبِيعُ السِّلَاحَ وَلَا يَفْضُلُ عَنْهُ، وَلَوْ لَا أَنِي أَكْرَهُ أَنْ أَسْتَلِّمَ^(١) إِلَى بَنِي عَامِرٍ لَوْهَبْتُهَا لَكَ، وَلَحْمَلْتُكَ عَلَى سَوَابِقِ خَيْلِي، وَلَكِنْ ابْتَرَّهَا يَا أَبَا أَيُّوبَ فَإِنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخَصٌ وَغَالٍ. فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا، فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ: فَمَا تَكْرَهُ مِنْ اسْتِلَامِكَ إِلَى بَنِي عَامِرٍ؟ قَالَ: كَيْفَ لَا أَكْرَهُ ذَلِكَ وَخَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ الَّذِي يَقُولُ:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعَزَّ فِي آلِ يَثْرَبٍ فَنَادِ بِصَوْتٍ يَا أُحِيحَةُ تُمْنَعِ
رَأَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أُحِيحَةَ جَارُهُ يَبِيتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ غَيْرَ مُرْوَعِ
وَمَنْ يَأْتُهُ مِنْ خَائِفٍ يَنْسُ خَوْفَهُ وَمَنْ يَأْتُهُ مِنْ جَائِعٍ الْبَطْنُ يَشْبَعِ
فَضَائِلُ كَانَتْ لِلْجُلَاحِ قَدِيمَةً وَأَكْرِمُ بِفَخْرٍ مِنْ خِصَالِكَ الْأَرْبَعِ
[الطويل]

فَقَالَ قَيْسٌ: وَمَا عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ لَوْمٍ، فَلَهَا عَنْهُ ثُمَّ عَاوَدَهُ فِساوَمُهُ، فَغَضِبَ أُحِيحَةُ وَقَالَ لَهُ: بَتُّ عِنْدِي، فَبَاتَ عَنْدَهُ، فَلَمَّا شَرِبَ تَغْنَى أُحِيحَةُ وَقَيْسٌ يَسْمَعُ:

أَلَا يَا قَيْسُ لَا تَسُْمَنَّ دِرْعِي فَمَا مِثْلِي يُسَاوِمُ بِالْدُرُوعِ
فَلَوْ لَا خَلَّةٌ^(٢) لِأَبِي حُوَيٍّ وَأَنِّي لَسْتُ عَنْهَا بِالنَّزُوعِ
لَأُبَّتْ بِمِثْلِهَا عَشْرًا وَطَرْفٍ^(٣) لِحَوْقِ الْإِطْلِ^(٤) جِيَاشٍ تَلِيعٍ^(٥)
وَلَكِنْ سَمِّ مَا أَحْبَبْتَ فِيهَا فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ غَبْنُ الْبُيُوعِ
فَمَا هَبَهُ الدُّرُوعُ أَخَا بَغِيضٍ وَلَا الْخَيْلُ السَّوَابِقُ بِالْبُدَيْعِ
[الخفيف]

قال: فأمسك بعد ذلك عن مساومته.

خبر لإسحاق الموصلي:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني أخي أحمد بن علي، عن

(١) استلتم: أتدزع.

(٢) الخلة؛ بفتح الخاء: المزية، الخلق.

(٣) الطرف، بكسر الطاء: الجواد الأصيل، الكريم.

(٤) الإطل: الخاصرة.

(٥) التليع من الخيول: الطويل العنق.

عافية بن شبيب، قال: حدثني أبو جعفر الأسدي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة، عن عمر بن شبة.

عن إسحاق، قال: دعاني الفضل بن الربيع يوماً فأتيته فإذا عنده شيخ حجازي حسن الوجه والهيئة فقال لي: أتعرف هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن أنيسة بنت مَعْبَدٍ، فسُله عما أحببت من غناء جَدّه. فقلت: يا أخا أهل الحجاز كم غناء جَدِّك؟ قال: ستون صوتاً، ثم غناني:

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةَ والـ لَبَّات^(١) إذ زانها ترائبُها^(٢)

[المنسرح]

قال: فغنائه أحسن غناء في الأرض، ولم آخذه منه اتكالا على قدرتي عليه، واضطرب الأمر على الفضل وصار إلى التغيب، وشخص الشيخ إلى المدينة، فبقيت أنشد الشعر وأسأل عنه مشايخ المغنين وعجائز المغنيات، فلا أجد أحداً يعرفه. حتى قدمت البصرة، وكنت آتي جزيرتها في القبط فأبيت بها وأبكر بالغداة إلى منزلي، فإني لداخل يوماً إذا أنا بامرأتين نبيلتين قد قامتا فأخذتا بلجام حماري، فقلت لهما: مه - قال أبو زيد في خبره - فقالت إحداهما: كيف عشقك اليوم «لما أحسن الجيد من مليكة» وشغفك به؟ فقد بلغني أنك كنت تطلبه من كل أحد، وقد كنت رأيتك في مجلس الفضل وقد استخفك الطرب لهذا الصوت حتى صفقت. قال: فقلت لها: أشد والله ما كنت عشقاً له، ولقد ألهمت بذكراك إياه في قلبي جَمراً، ولقد طلبته ببغداد كلها فلم أجد أحداً يُسمعني، قالت: أفتحب أن أغنيك إياه؟ قلت: نعم، فغنته والله أحسن مما سمعته قديماً بصوت خافض، فنزلت إليها فقبلت يديها ورجليها وقلت: جعلني الله فداك، لو شئت لصرت معي إلى منزلي. فقالت: أصنع ماذا. فقلت: أغنيك وتغنيني يوماً إلى الليل. فقالت: أنت والله أنفس من أن تفعل ذاك، وإنما هو عَرَضٌ ولكني أغنيك حتى تأخذه، فقلت: بأبي أنت وأمي وجعلني الله فداك من أنت: فقالت: أنا وهبة جارية محمد بن عمران القروي التي يقول فيها فرُّوج الرِّقاء الطَّلحي:

صوت

يا وهبَ لم تُبق لي شيئاً أسرُّ به إلا الجلوس فتسقينني وأسقيك

(١) اللَّبات، الواحدة لَبَّة: موضع القلادة من الصدر.

(٢) الترائب، الواحدة تريبة: أعلى الصدر، العظمة من الصدر.

وَتَمْرُجِينَ بَرِيقٍ مِنْكَ لِي قَدَحًا كَأَنَّ فِيهِ رُضَابَ الْمَسْكَ^(١) مِنْ فَيْكِ
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
قَدْ زُرْتَنَا زُورَةً^(٢) فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً فَائْتَنِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بِيضَةً الدَّيْكِ
مَا نَلْتُ مِنْكَ سِوَى شَيْءٍ أُسْرُ بِهِ وَلَسْتُ أَبْصِرُ شَيْئًا مِنْ مَسَاوِيكِ
[البسيط]

قال: أبو زيد خاصة: قال إسحاق: وأنشدتني وغنتني فيه بصوت مليح قد صنعته فيه، ثم صارت إلي بعد ذلك، وكانت من أحسن الناس غناء وأكثرهم رواية فمما كانت تفوق فيه من صنعتها سائر الناس صوتها وهو:

صوت

لَا بُدَّ مِنْ سَكْرَةٍ عَلَى طَرْبٍ لَعَلَّ رَوْحًا^(٣) يُدَالُ^(٤) مِنْ كُربٍ
فِعَاطْنِيهَا^(٥) صَفَرَاءَ صَافِيَةً تَضْحَكُ مِنْ لَوْلُؤٍ عَلَى ذَهَبٍ
[المنسرح]

قال: ولها فيه عمل فاضل، ومن صنعتها:

صوت

أَلْكَاسُ بَعْدَ الْكَاسِ قَدْ تُصْبِي^(٦) لَكَ الرَّجْلَ الْحَلِيمَا
وَتُقَرَّبُ النِّسْبَ الْبَعِي دَوْتُ بَسْطِ الْوَجْهِ الشَّتِيمَا^(٧)
[مجزوء الكامل]

قال: ومما برزت فيه من صنعتها:

صوت

هَاتِهَا سُكْرِيَّةً كَشْعَاعِ الْـ شَمْسٍ لَا قَرْقَفًا وَلَا خَنْدَرِيسَا^(٨)

(١) رضاب المسك: الريق العذب كأنه المسك.

(٢) زورة: بمعنى زيارة.

(٣) الروح: الراحة.

(٤) يُدَالُ: يتحوّل وجه الزمان بين الناس من حالٍ إلى حال.

(٥) الكرب، الواحدة كربة: المصيبة.

(٦) تُصْبِي: تجعل المرء يتصرّف كصبي.

(٧) الوجه الشقيم: العبوس الكثير الشتم.

(٨) القرقف والخندريس: من أسماء الخمرة.

ففي رُباً يخلع الولي^(١) عليها ما يُحسِّي به الجليسُ الجليسا
فلنؤارها نسيماً إذا ما حرَّكته الرياحُ ردَّ النفوسا
[الخفيف]

صوت

أَمسى لَسَلَامَةً الزرقاءِ في كبدي صَدْعٌ^(٢) مقيمٌ طَوَالَ الدهرِ والأبدِ
لا تستطيع صَناعُ القومِ تَشَعُّبُهُ وكيف يُشَعَّبُ صَدْعُ الحُبِّ في الكبدِ
إِلَّا بوضِلِ التي من حُبِّها انصدعت تلك الصُّدوعُ مِنَ الأسقامِ والكَمدِ
[البسيط]

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فَجْوَةَ الكاتب الكوفي أحد بني زُهرة من قريش، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالبنصر، وسَلَامَةُ الزرقاء هذه جارية ابن رامين، وكانت إحدى القَيْنَاتِ المحسنات.

(١) الولي من المطر: الذي يلي مطراً سبقه.

(٢) الصدع: الإنشقاق.

ذكر خبر سلامة الزرقاء وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، ذكر أن أبا أيوب المدينيّ حدثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود، قال: كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهريّ كاتباً، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه، فمن ذلك قوله في زرقاء جارية ابن رامين وكان يألّفها:

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي
وذكر الأبيات قال: ومن شعر فيها يخاطب مولاها، وقد كان حجّ وأخرج معه جواريه كلّهن، هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم - وهذا الشعر الثاني لإسماعيل بن عمار الأسديّ، وقد ذكرت أخباره في موضع آخر -:

صوت

أَيُّهُ حَالٍ يَا ابْنَ رَامِينَ حَالُ الْمُحِبِّينَ الْمَسَاكِينَ
تَرْكَتْهُمْ مَوْتَى وَلَمْ يَتَلَفُوا قَدْ جُرَّعُوا مِنْكَ الْأَمْرِينَ
وَسَرَتْ فِي رُكْبٍ عَلَى طِيَّةٍ^(١) رُكْبَ تِهَامٍ وَيَمَانِينَ
يَا رَاعِي الدَّوْدَ^(٢) لَقَدْ رُغِّتَهُمْ^(٣) وَيْلَكَ مِنْ رَوْعِ الْمُحِبِّينَ
فَرَّقْتَ جَمْعاً لَا يُرَى مَثْلُهُمْ بَيْنَ دُرُوبِ الرُّومِ وَالصَّيْنِ
[السريع]

[ويروى: تركتهم موتى وما مؤتوا.]

(١) الطية: ما يُخفيه المرء من بغض وكرهية في نفسه.

(٢) الدود: الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن الثلاث.

(٣) رُغِّتَهُمْ: أُرْعِبْتَهُمْ، أَخَفَّتَهُمْ.

وجدته بخط حماد .

يَا رَاعِي الدَّودَ لَقَدْ رَعْتَهُمْ وَيَحْتُمُ بِالرَّبِّ^(١) الْعَيْنِ^(٢)

[السريع]

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيدٌ خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى في مجراها عن ابن المكي وغيره .

قال : ودخل ابن الأشعث يوماً على ابن رامينَ فخرجت إليه الزرقاء ، فبينما هو يلقي عليها إذ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته . فقال شعراً من وقته وتغنَّى فيه ، فأخذته منه الزرقاء وهو قوله :

صوت

قُلْ لِأَخْتِي الَّتِي أَحَبُّ رِضَاهَا أَنْتِ لِي - فاعلميهِ - رَكْنٌ شَدِيدٌ
إِنْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ فَقُولِي بَيْنَ أَذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ
[الخفيف]

يعني قولي : ما تُريد في عنقي حتى أفعله . ففطنت الزرقاء للذي أراد ، فوهبت له الوصيفة فخرج بها . الغناء فيه رمل بالوسطى ، ذكر عمرو بنُ بَانَةَ أنه لابن سُريج ، وقد وَهَمَ في ذلك ، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

قال هارون : وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال ، وحدثني أبو عبد الله الأَسَكُ أميرُ المغنين :

أن محمد بن الأشعث الزهري وهشام بن محمد بن أبي عثمان السُّلَمي اجتمعا عند ابن رامين ، وكان هشام قد أنفق في منزله مالاً عظيماً وكان يقال لأبيه بِسَيَارِذَرَمَ وتفسيره بالعربية : الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام ، قال : ما تشاء ؟ قال :

قُلْ لِأَخْتِي الَّتِي أَحَبُّ رِضَاهَا أَنْتِ لِي - فاعلميهِ - رَكْنٌ شَدِيدٌ
[الخفيف]

وأشار بذلك إلى سلامة الزرقاء ، فقالت وقد سمعتُ : فقل : فقال :

إِنْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ فَقُولِي بَيْنَ أَذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ
[الخفيف]

(١) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٢) العين : بكسر العين ذوات العيون الكبيرة التي تمتاز بشدة سواد العيون وبياضها .

فَفَطِنَتْ الزَّرْقَاءَ لِلَّذِي أَرَادَ فَقَالَتْ: بَيْنَ أَذْنِي وَعَاتِقِي مَا تَرِيدُ، فَمَا هُوَ؟ قَالَ: وَصِيْفَتِكَ هَذِهِ فَإِنَّهَا قَدْ أَعْجَبَتْنِي. قَالَتْ: هِيَ لَكَ، فَأَخَذَهَا، فَمَا رَدَّ ذَلِكَ ابْنُ رَامِينَ وَلَا تَكَلَّمَ فِيهِ. وَهَذَا الشَّعْرُ وَالْغَنَاءُ فِيهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ.

قال هارون: وحدثني أبو أيوب، عن أحمد بن إبراهيم، قال: ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميمي:

أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ كَانَ مَلَاظِمًا لِابْنِ رَامِينَ وَلِجَارِيَتِهِ سَلَامَةَ الزَّرْقَاءَ فَشُهِرَ بِذَلِكَ، وَكَانَ رَجُلًا قَصَافًا^(١)، فَلَامَهُ قَوْمُهُ فِي فِعْلِهِ فَلَمْ يَحْفَلِ^(٢) بِمَقَالَتِهِمْ، وَطَالَ ذَلِكَ مِنْهُ وَمِنْهُمْ، حَتَّى رَأَى بَعْضَ مَا كَرِهَ فِي مَنْزِلِ ابْنِ رَامِينَ، فَمَالَ إِلَى سَحِيقَةِ جَارِيَةِ زُرَيْقِ بْنِ مَنِيحٍ مَوْلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى، وَكَانَ زُرَيْقٌ شَيْخًا كَرِيمًا نَبِيلاً يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى مَنْزِلِهِ رَجُلَانِ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْغَفَارِ الْعِجْلِيِّ كَعْلَبَةَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى مَنْزِلِ ابْنِ رَامِينَ، فَتَوَاصَلَا عَلَى مِلَازِمَةِ بَيْنِ زُرَيْقٍ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ:

يَا ابْنَ رَامِينَ بَحْتُ بِالتَّصْرِيحِ قَيْنَةً عَمَّةً وَمَوْلَى كَرِيمٍ رَبْعِيٍّ مَهْدَبٍّ أَزْيَحِيٍّ نَحْنُ مِنْهُ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهِي الْأَنْدَ عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا فِي سُرُورٍ وَفِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ فَاسْأَلْ عَنَا كَمَا سَلَوْنَاكَ إِنِّي حَافِظٌ مِنْكَ كُلِّ مَا كُنْتُ قَدْ ضَيَّ فَاكْتَفَيْ مَا حَيَّتْ مِنْي لِكَ الدَّهْرِ	فِي هَوَائِي سَحِيقَةَ ابْنِ مَنِيحٍ وَنَدِيمٌ مِنَ اللَّبَابِ^(٣) الصَّرِيحِ^(٤) يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِالْفَعَالِ الرَّبِيحِ فُسُ مِنْ لَذَّةٍ وَعَيْشٍ نَجِيحِ وَعَنَاءٍ مِنَ الْغَزَالِ الْمَلِيحِ قَدْ أُمِنَّا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قَبِيحِ غَيْرُ سَالٍ عَنْ ذَاتِ نَفْسٍ وَرُوحِي عُتَ مِمَّا عَصَيْتُ فِيهِ نَصِيحِي رَبُّودٌ يَا مُنْيَتِي مَمْنُوحِ^(٥)
---	---

يَا ابْنَ رَامِينَ فَالْزَمْنُ مَسْجِدَ الْحَيِّ وَطَوَّلَ الصَّلَاةَ وَالتَّسْبِيحَ
[الخفيف]

(١) القَصَافُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يَمِيلُ إِلَى شَتَى أَنْوَاعِ اللَّهْوِ.

(٢) لَمْ يَحْفَلْ: لَمْ يَأْبَهُ، لَمْ يَهْتَم.

(٣) اللَّبَابُ، الْوَاحِدُ لَبٌّ: الْعَقْلُ.

(٤) الصَّرِيحُ: الْخَالِصُ.

(٥) الْمَمْنُوحُ: الْمَعْطَى.

قال عمرو بن نوفل: فلم يدع ابن رامين شريفاً بالكوفة إلاّ تحمّل به على ابن الأشعث، وأن يرضى عنه ويعاود زيارته فلم يفعل، حتى تحمّل عليه بالجحواني وهو محمد بن بشر بن جحوان الأسدي، وكان يومئذ على الكوفة، فكلّمه فرضي عنه ورجع إلى زيارته، ولم يقطع منزل زريق، وقال في سحيفة:

سَحِيقَةُ أَنْتِ وَاحِدَةُ الْقِيَانِ فَمَا لَكَ مُشَبِّهٌ فِيهِنَّ ثَانِي
فَضَلْتِ عَلَى الْقِيَانِ بِفَضْلِ حِذْقٍ^(١) فَحُزَّتِ عَلَى الْمَدَى قَصَبَ الرَّهَانِ
سَجَدْنِ لَكَ الْقِيَانُ مُكْفَّرَاتٍ كَمَا سَجَدَ الْمَجُوسُ لِمَرْزُبَانَ
وَلَا سَيْمًا إِذَا غَنَّتِ صَوْتًا وَحَرَّكَتِ الْمَثَالِثَ وَالْمَثَانِي
شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي أَبُو قَابُوسَ أَوْ عَبْدُ الْمَدَانِ
فِي أَعْمَالِ الْيَسَارِ عَلَى الْمَلَاوِي وَمِنْ يُمْنَاكِ تَرْجَمَةُ الْبَيَانِ
[الوافر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، عن حماد، عن أبيه، قال:

كان رَوْحُ بن حاتم المهلبِي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزرقاء جارية ابن رامين، وكان يهواها محمد بن جميل وتهواه، فقال لها: إن روح بن حاتم قد ثقل علينا فما أصنع؟ فقالت: قد غمر مولاي ببرّه. فقال: احتالي له، فبات عندها رَوْحٌ ليلة من الليالي، فأخذت سراويله، وهو نائم فغسلته، فلما أصبح سأل عنها فقالت: غسلناه، فظن أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهها لابن جميل.

قال هارون: وأخبرني حماد، عن أبيه، قال:

ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر، وجواريه سَعْدَةُ وَرُبَيْحَةُ وَسَلَامَةُ الزرقاء، وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدي، وأنشدناه الحرَمِيُّ عن الزبير عن عمه وروايته أتم.

هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقَلْبٍ لَجَّ مُحْزُونٍ صَبَا وَصَبَّ إِلَى رِئِمِ ابْنِ رَامِينَ
إِلَى رُبَيْحَةٍ إِنْ اللَّهُ فَضَّلَهَا بِحَسْنِهَا وَسَمَاعِ ذِي أَفَانِينَ
نَعَمْ شَفَاؤُكَ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ لَهَا قَتَلْتَنِي يَوْمَ دَيْرِ اللُّجِّ فَاحْيِنِي

(١) الحذق: المهارة، والذكاء وحسن التصرف.

مَنْ الْجَوَى ^(١) فَأَنْفُثِي ^(٢) فِي فِيَّ وَارْقِينِي
وَأَنْتِ تَحْمَيْنِ أَنْفَاً أَنْ تُطِيعِينِي
وَأَنْتِ تَتْلِينَهَا، مَا ذَاكَ فِي الدِّينِ
وَلَا ابْنُ رَامِينَ لَوْلَا مَا يُمَنِّيَنِي
عَيْنٌ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ الْبَرَاذِينَ ^(٤)
يَرْضَى بِهِ مِنْكَ غَيْرَ الْخُرْدِ ^(٥) الْعَيْنِ ^(٦)
إِلَّا وَجِئْتُ عَلَى قَلْبِي بِسَكِّينِ
أَنْسُ لَأَنْكَ فِي دَارِ ابْنِ رَامِينَ
وَأَنْتِ كُنْتَ كَمَثَلِ الْخَزْفِ فِي اللَّيْنِ
نَفْسَ إِلَيْكَ وَقَدْ مُثِّلْتَ مِنْ طِينِ
بِاللُّجِ ^(٧) شَرْقِيَّهُ فَوْقَ الدَّكَائِينَ
بِالْمُسَجَّحِيِّ وَتَشْبِيبِ الْمُحْبِيِّينِ
وَلَمْ نَعِشْ يَوْمَنَا عِيشَ الْمَسَاكِينِ
مُنَعَّمِ الْعِيشِ فِي بُسْتَانِ سُورِينَ
بِالْجَرْدَنَاجِ وَسَحَّاجِ الشَّقَابِينَ
يُمْسِي الْأَصْحَاءُ مِنْهُ كَالْمَجَانِينَ
قُمْنَا إِلَيْهَا بِلا عَقْلِ وَلَا دِينِ
[البسيط]

أَنْتِ الطَّبِيبُ لِدَاءٍ قَدْ تَلَبَّسَ بِي
نَفْسِي تَأْبَى لَكُمْ إِلَّا طَوَاعِيَةً
فَتِلْكَ قِسْمَةُ ضِيْزَى ^(٣) قَدْ سَمِعْتَ بِهَا
مَا عَائِذُ اللَّهِ لِي إِلْفٌ وَلَا وَطَنٌ
يَا رَبِّ مَا لَابْنَ رَامِينَ لَهُ بَقَرٌ
لَوْ شِئْتَ أَعْطَيْتَهُ مَا لَّا عَلَى قَدَرٍ
لِعَائِذِ اللَّهِ بَيْتٌ مَا مَرَرْتُ بِهِ
يَا سَعْدَةُ الْقَيْنَةُ الْبِيضَاءُ أَنْتِ لَنَا
لَا تَحْسَبَنَّ بِيَاضَ الْجِصِّ يُؤْنِسُنِي
لَوْلَا رُبَيْحَةُ مَا اسْتَأْنَسْتُ، مَا عَمَدْتُ
لَمْ أَنْسَ سَعْدَةَ وَالزَّرْقَاءَ يَوْمَهُمَا
تُعْنِيَانِ ابْنَ رَامِينَ ضُحَاءَهُمَا
فَمَا دَعَوْتُ بِهِ مِنْ عِيشٍ مَمْلُوكَةٍ
أَذَاكَ أَنْعَمُ أَمْ يَوْمٌ ظَلَلْتُ بِهِ
يَشْوِي لَنَا الشَّيْخُ سُورِينَ دَوَاجِنَهُ
نُسْقَى شَرَاباً لِعِمْرَانَ يُعْتَقُّهُ
إِذَا ذَكَّرْنَا صَلَاةً بَعْدَ مَا فَرَطْتُ

يَعْنِي عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ :

كَأَنَّ أَرْجُلَنَا تُقْلَعْنَ مِنْ طِينِ
مَشْيِ الْإِوْزِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الصَّيْنِ

نَمْشِي إِلَيْهَا بِطَاءٍ لَا حَرَكَاءَ بِنَا
نَمْشِي وَأَرْجُلُنَا عُوجٌ مَطَارُحُهَا

(١) الجوى شدة الوجد من عشق أو حزن .

(٢) فأنفثي في في: قبليني في فمي على سبيل الرقية .

(٣) قسمة ضيزى: قسمة ظالمة، تفتقد إلى الإنصاف .

(٤) البراذين، الواحد برذون: البغال .

(٥) الخُرد، الواحدة خريدة: الفتاة الشابة التي لم تمس .

(٦) العين، بكسر العين: ذوات العيون الواسعة من النساء اللواتي يمتزْنَ بشدة سواد العيون وبياضها .

(٧) اللج: موضع .

أَوْ مَشْيَ عُمَيَّانٍ دَيْرٍ لَا دَلِيلَ لَهُمْ إِلَّا الْعِصِيَّ إِلَى عِيدِ السَّعَانِينَ
[البسيط]

وقال فيه أيضاً:

لَا بَنَ رَامِينَ خُرَّدَ كَمَهَا الرَّمْ لَ حَسَانٌ وَلَيْسَ لِي غَيْرَ بَعْلٍ^(١)
رَبٌّ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَلَوْ شِئْتُ فَضَّلْتَنِي عَلَيْهِ بِفَضْلِ
[الخفيف]

قال حماد: وأخبرني أبي قال: حدثني السكوني:

أن جعفر بن سليمان اشترى ربيعة بمائة ألف درهم، واشترى صالح بن علي
سعدة بتسعين ألف درهم، واشترى معن بن زائدة الزرقاء.

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا خطأ، الزرقاء اشتراها جعفر بن سليمان. ولعل
معناً اشترى غيرها.

أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني
علي بن الحسن الشيباني، عن عبد الملك بن ثوبان، قال:

قال إسماعيل بن عمار: كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريته الزرقاء
وسعدة، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء، فأعجبت بها، وعلمت ذلك مني، وكانت سعدة
كاتبة فكتبت إليها أشكو ما ألقى بها، فوعدتني فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم:

يَا رَبِّ إِنَّ ابْنَ رَامِينَ لَهُ بَقْرٌ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ الْبَرَادِينَ
[البسيط]

وذكر الأبيات الماضية. قال: فجاءني الخادم وقال: ما زالت تقرأ رقعتك
وتضحك من قولك:

فَإِنْ تَجُودِي بِذَاكَ الشَّيْءِ أَحْيَيْ بِهِ وَإِنْ بَخُلْتِ بِهِ عَسَنِّي فَزَنِّينِي
[البسيط]

وكتبت إلي: حاشاك من أن أزنينك ولكني أصير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك،
وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد، عن أبيه عن الحسين بن محمد الحُداني،
وأخبرني الجوهرى، عن علي بن محمد النوفلي، عن أبيه:

(١) البعل: الزوج ويُطلق أيضاً على الزوجة.

أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم، وسترها عن أبيه، وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور، وقد تحرّك في تلك الأيام عبدُ الله بن عليّ، فهجم عليهما يوماً سليمان بن عليّ، فخبَّأ العُود تحت السرير، ودخل فقال له: ويحك، نحن على هذه الحال نتوقع الصَّيْلَم^(١) وأنت تشتري جارية بثمانين ألف درهم! وأظهر له غضباً عليه وتَسَخُّطاً لما فعل، فغمر خادماً كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان، فأكبَّت على رأسه فقبلته ودعت له، وكانت عاقلة مقبولة متكلمة، فأعجبه ما رأى منها وقام عنهما فلم يعد لمعاتبه ابنه بعد ذلك. قال: ولما مضت لها مدة عند جعفر سأَلها يوماً: هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوةٍ أو قُبلة: فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون بلغه، فقالت: لا: واللَّهِ إِلَّا يَزِيدَ بن عون العبَّادي الصَّيرفي، فإنه قبلني قبلة وقذف في فيٍّ لؤلؤةٍ بثلاثين ألف درهم. فلم يزل جعفر يحتال له ويطلبه حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات.

قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: حدثني أبو عوف الدَّوسِّي عن عبد الرحمن بن مُقَرَّن، قال: كتبتُ إلى ابن رامين أستاذنه في إتيانه فكتب إليّ: قد سبقك روح بن حاتم، فإن كنتَ لا تحتشم^(٢) منه فَرُحْ. فَرُحْتُ، فكنا كأننا فرسا رهان، والتقينا فعانقني، وقال لي: أين تريد؟ قلت حيث: أرذت، قال: فالحمدُ لله، فدخلنا فخرجتِ الزرقاء في إزار ورداء قُوهيَّين^(٣) مُوردين كأن الشمس طالعة من بين رأسها وكتفيها، فغننتنا ساعة ثم جاء الخادم الذي يأذن لها، وكان الإذن عليها دون مولاهما، فقام دون الباب وهي تغني، حتى إذا قطعت نظرت إليه، فقالت: من؟ فقال: يزيد بن عون العبَّادي الصَّيرفي الملقَّبُ بالماجن على الباب. فقالت: أدخله، فلما استقبلها كَفَّرَ^(٤) ثم ألقى^(٥) بين يديها. قال: فوجدتُ^(٦) واللَّهِ به، ورأيتُ أثر ذلك، وتَنَوَّقْتُ تَنَوَّقاً^(٧) خلاف ما كانتُ تفعل بنا. فأدخل يده في ثوبه فأخرج

(١) الصيْلَم: المصيبة والداهية.

(٢) احتشم: خجل، استحي.

(٣) إزار ورداء قُوهيَّين: دالان على صاحبة العيش الرفيع.

(٤) كَفَّرَ: عبَّر عن دهشته لما رأى لذا وضع يده على صدره، مطأطأ رأسه. بادية عليه علائم الإكبار والتعظيم.

(٥) ألقى: جلس على إسته.

(٦) وجدت به: تعلَّقت به وأحبَّته.

(٧) تنَوَّقْتُ: جادت وتأنَّقت وترقَّفت.

لؤلؤتين، وقال: انظري يا زرقاء، جُعِلْتُ فِدَاكِ، ثم حلف أنه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألفَ درهم، فقالت: فما أصنع بذلك؟ قال: أردتُ أن تعلمي. فغَنَّتْ صوتاً ثم قالت: يا ماجن هَبْهُمَا لي ويحك، قال: إن شئتِ واللَّهِ فعلتُ، قالت: قد شئتُ، قال: واليمينُ التي حلفتُ بها لازمةٌ لي إِنْ أَخَذْتِهُمَا إِلَّا بِشَفْتَيْكَ من شفتي. قال: فذهب رَوْحٌ يتسرعُ إليه، فقلتُ له: أَلَكِ في بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. فقلت: إنما يتكسَّبون مما ترى. وقام ابنُ رامين، فقال: ضع لي يا غلامُ ماءً، ثم خرج عنا، فقالت: هاتهما. فمشى على ركبتيه وكَفَّيْهِ وهما بين شفتيه، فقال: هَاكِ. فلَمَّا ذهبَتْ بِشَفْتَيْهَا جعل يَصُدُّ عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها. فغمزَتْ جارية على رأسها فخرجت كأنها تريد حاجة ثم عطفتُ عليه، فلما دنا منها وذهب ليروغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذتِ الزرقاء اللؤلؤتين بِشَفْتَيْهَا من فمه، ورشح جبينها حياءً مئاً، ثم تجلَّدت علينا، فأقبلت عليه، فقالت له: المغبون في إِسْتِهِ عُوْد، فقال: أما أنا فما أبالي، لا يزال طيبُ هذه الرائحة في أنفي وفمي أبداً ما حييت.

قال هارون: وحدثني ابنُ النَّطَّاح، عن المدائني، عن عليّ بن أبي سليمان عن أبي عبد الله القرشي، عن أبي زاهر بن أبي الصَّبَّاح، قال:

أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش، فأخرجَ الزرقاء وسعدة، فقام القرشي ليبول وترك مِطْرَفَهُ، فلبسته سعدة وخرجت، فرجع القرشي وعليها المِطْرَفُ قد خاطته فصار دُرْعاً، فقالت: رأيتم أسرع من هذا؟ صار المطرف درعاً، فقال: القرشي هو لك. قال: وعليّ طيلسانٌ مَشْنِيٌّ فأردتُ أن أبول فلففته وقمت، فقالت سعدة: دع طيلسانك، فقلت: لا أدعه، أخاف أن يتحول مِطْرَفاً.

وحدثني قبيصة بن معاوية، قال: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

أُشْرِبْتُ زرقاء ابن رامين دواءً، فأهدى إليها ابن المقفع ألفَ دُرَاجَةٍ^(١) على جَمَلٍ قُرَاسِيٍّ^(٢).

قال هارون: وحدثني حماد، عن أبيه:

أن محمد بن جميل كان يتعشَّقُ الزرقاء، وكان أبوه جميلٌ يغدو كلَّ يوم يسأل من يَقدِّم عن ابنه محمد، إلى أن مرَّ به صديق له يكنى أبا ياسر، فسأله عنه فقال له أبو ياسر: تركته أعظم الناس قَدْرًا، يعامل الخليفة في كلِّ يوم في خراجِه فيحتاج إليه ولده

(١) الدُرَاجَة: ضرب من الطيور.

(٢) الجمل القراسي: القوي المتين.

وصاحبُ شرطته وصاحب حرسه وخدمه، فقال له: يا أخي فكيف بهذه الجارية التي قد شهِرَ بها: فقال له الرجل: لا تهتمَّ بها، قد مازحه أميرُ المؤمنين فيها وخاطبه بشعر قيل فيه. قال: وما هو؟ قال:

وابن جميل فاعلموا عاجلاً لا بدّ موقوف على مَسْطَبِهِ^(١)
يُوقِفُ فِي زَرْقَاءِ مَشْهُورَةٍ تُجِيدُ ضَرْبَ الْعُودِ وَالْعَرْطَبَةِ^(٢)
[السريع]

فقال جميل: واللّه ما بي من هذا الأمر إلا أنني أتخوّف أن يكون قد شهر بها هذه الشهرة ولم ينكها.

قال هارون: وأحسب هذه القصة لزرقاء الزرّادة لا زرقاء ابن رامين.

قال هارون: وحدثني أبو أيوب، قال: حدثني محمد بن سلام، قال:

اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفّع، فلما تغنّت الزرقاء وسعدت بعث معن إليها بذرّة فُصِّبَتْ بين يديها، فبعث روح إليها أخرى فُصِّبَتْ بين يديها ولم يكن عند ابن المقفّع دراهم، فبعث فجاء بصكّ ضيعته وقال: هذه عُهْدَةُ ضيعتي خُذِهَا، فأما الدراهم فما عندي منها شيء.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا فضل اليزيدي، قال: حدثني إسحاق الموصلي، قال:

قال سليمان الخشاب: دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته وهي وصيفة حين شال^(٣) نهودها ثوبها عن صدرها، لها شارب كأنه خُطٌّ بمسك، يلحظه الطّرف^(٤) ويَقْصُرُ عنه الوصف، وابنُ الأشعث الكوفيّ يلقي عليها والغناء له:

أَيُّهُ حَالِ يَا ابْنَ رَامِينَ حَالُ الْمُحِبِّينَ الْمَسَاكِينَ
تَرْكَتَهُمْ مَوْتَى وَمَا مُوْتُوَا قَدْ جُرَّعُوا مِنْكَ الْأَمْرَيْنِ
وَسَرَّتْ فِي رَكْبٍ عَلَى طِيَّةٍ رَكْبٍ تَهَامُ وَيَمَانِينَ
يَا رَاعِيَ الدَّوْدَ لَقَدْ رُعْتَنَا وَيْلَكَ مِنْ رَوْعِ الْمُحِبِّينِ

(١) المسطبة: مكان ممهد مرتفع قليلاً يجلس عليه الناس.

(٢) العرطبة: من آلات الموسيقى، قد يكون العود، الطنبور، الطبل.

(٣) شال نهودها: نهدت وتكعبت.

(٤) الطّرف، بسكون الراء: النظر.

فَرَّقَتْ جَمْعاً لَا يُرَى مِثْلُهُمْ فَجَعَتْهُمْ بِالرَّبِّ الْعَيْنِ
[السريع]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني هارون بن محمد بن الزيات، قال: قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل:

كان ابن رامين مولى الزرقاء أجلّ مُقَيَّن بالكوفة وأكبرهم، ورامين أبوه مولى بشر بن مروان.

قال هارون: فحدثني سليمان المدني، قال حماد بن إسحاق: قال أبي: قال مُعَاذ بن الطبيب:

أتيت ابن رامين وعنده جواريه الزرقاء وصواحباتها، وعندهن فتى حسن الوجه نظيف الثياب عَطِرُ الريح يُلقِي عليهن، فسألت عنه فقبل لي: هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزهري، فمضيت به إلى منزلي وسألته المقام ففعل، وأتيته بطعام وشراب وغنيته أصواتاً من غناء أهل الحجاز، فسألني أن أَلْقِيها عليه فقلت: نعم وكرامةً وَحُبّاً، على أن تُلقِي عليّ أصواتاً من صنعتك أَلْتَدُّ بها وأقطع طريقي بروايتها أُطْرِفُ أهل بلدي بها، ففعلتُ وفعل، فكان ما أخذته عنه من صنعته.

صوت

صَاحَ أَنَّى عَاذِلِي^(١) مَا ذَهَبَا
أَذْكُرْتَنِي الشَّوْقَ سَلَامَةً أُنْ
وَإِذَا مَا لَامَ فِيهَا لَائِمٌ
مَنْ ذَوَاتِ الدَّلِّ لَوْدَبٌ عَلَى
مَنْ هَوَىٰ هَاجَ لِقَلْبِي طَرَبَا
لَمْ أَكُنْ قَضَيْتُ مِنْهَا أَرْبَا
زَادَ فِي قَلْبِي لِحَبِيٍّ عَجَبَا
جَلَدَهَا الدَّرُّ لِأُبْدَى نَدَبَا^(٢)
[الرمل]

الغناء لمحمد بن الأشعث ثقیل أول عن الهشامي، وفيه ليونس خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر أحمد بن عبيد أن فيه لحناً من الثقیل الثاني لا يدري لمن هو، قال: ومنها:

(١) العاذل: اللائم.

(٢) الندب: أثر الجرح بعد شفائه.

صوت

لذِكْرِ الحَبِيبِ النَّازِحِ المَتَعَتِّبِ طَرَبْتُ وَمَنْ يَعْزِضُ لَهُ الشَّوْقُ يَطْرِبُ
لحنه رمل، قال: ومنها:

صوت

خَلِيلِي عُوجَا^(١) سَاعَةً ثُمَّ سَلَمًا عَلَى زَيْنَبٍ سَقِيَا وَرَعِيَا لَزِينَبِ
لحنه رمل قال: ومنها:

صوت

رَحُبَتْ بِلَادُكَ يَا أَمَامَهُ وَسَلِمَتِ مَا سَجَعْتُ^(٢) حَمَامَهُ
وَسَقَى دِيَارَكَ - كُلَّمَا حَنَّتْ إِلَى السُّقْيَا - غَمَامَهُ
إِنِّي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي سَفَهَا أَحَبُّ لَكَ الْكَرَامَهُ
وَأَرَى أَمُورَكَ طَاعَةً مَفْرُوضَةً حَتَّى الْقِيَامَهُ
لحنه خفيف رمل قال: ومنها:

صوت

مَا بِالمَغَانِي^(٣) مِنْ أَحَدٍ إِلَّا حَمَامَاتٌ فُرْدُ
أَضَحَتْ خَلَاءَ دُرْسَا^(٤) لِلرَّيْحِ فِيهَا مُطَرْدُ
عَهْدِي بِهَا فِيمَا مَضَى يَنْتَابُهَا^(٥) بِيضُ خُرْدُ^(٦)
فَاسْتَبَدَلْتُ وَحْشًا بِهِمْ وَالْوُزُقُ^(٧) تَدْعُو وَالصُّرْدُ^(٨)
لحنه خفيف رمل قال: ومنها:

(١) عوجا: عرجا، ميلا.

(٢) سَجَعْتُ: غَنَّتْ.

(٣) المغاني، الواحد مغنى: المنزل، الربع.

(٤) دُرْسَا: ممحوة المعالم.

(٥) ينتابها: يتردد عليها.

(٦) الخُرْد، الواحدة خريدة: الفتاة الشابة التي لم تمس.

(٧) الورق، الواحدة ورقاء: ضرب من الحمام، لون ريشه أخضر.

(٨) الصرد من الطيور: لون بطنه أبيض.

لحنه هزج قال: ومنها:

صوت

لَيْتَ مَنْ طَيَّرَ نَوْمِي رَدَّ فِي عَيْنِي الْمَنَامَا
أَوْ شَفَى جِسْمًا سَقِيمًا زَادَهُ الْهَجْرُ سَقَامَا
نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً هَاجَتْ غَرَامَا
تَرَكَتْ قَلْبِي حَزِينًا بِهَوَاهَا مَسْتَهَامَا

[مجزوء الرمل]

لحنه رمل، قال ابن الطبيب: وأخذت منه مع هذه أصواتاً كثيرة، ورأيت الناس بعد ذلك ينسبونها إلى قدماء المغنين.

قال هارون: وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن سليمان:

أن الزرقاء صاحبة ابن رامين صارت إلى أبيه، وكان يقال لها أم عثمان وأن ربيعة جارية ابن رايمن صارت إلى محمد بن سليمان، وكانت حظيئة عنده، قال إسماعيل: فأتى سليمان بن علي ابنه جعفر فأخرج إليه الزرقاء، فقال لها سليمان: غيبي، قالت: أي شيء تحب؟ قال غيبي:

إِذَا مَا أُمُّ عَبْدِ اللَّـ لَمْ تَحْلُلْ بِوَادِيهِ
وَلَمْ تَشْفِ سَقِيمًا هِيَّ جَ الْحَزْنَ دَوَاعِيهِ

[الهزج]

فقالت: فديتك قد ترك الناس هذا منذ زمان، ثم غنته إياه، قال إسماعيل: قد مات سليمان منذ ثلاث وسبعين سنة، وينبغي أن يكون رأي الزرقاء قبل موته بسنتين أو ثلاث، قال: وقالت هي: قد ترك الناس هذا منذ زمان. فهذا من أقدم ما يكون من الغناء.

قال هارون: وقال شُرَاعَةُ بْنُ الزُّنْدَبُودَ:

قَالُوا: شُرَاعَةُ عَيْنٍ^(١) فَقُلْتُ لَهُمْ: أَلَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عَيْنٍ
فَإِنْ أَبَيْتُمْ وَقُلْتُمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَأَفْحِمُونِي فِي دَارِ ابْنِ رَامِينَ

(١) عَيْنٌ بكسر العين: من لا يقدر على المجامعة من الرجال.

ثم انظروا كيف طَعَنِي عند مُعْتَرَكِي في حِرٍّ^(١) مَنْ كُنْتُ أَرْمِيهَا وَتَرْمِينِي [البسيط]

قال هارون: وحدثني أبو أيوب المديني، عن أحمد بن إبراهيم، قال:

قال بعض المَدِينِيِّين: أَتَيْتُ مَنْزَلَ ابْنِ رَامِينَ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ جَارِيَةً قَدْ رَفَعَ ثَدْيَهَا قَمِيصَهَا، لَهَا شَارِبٌ أَخْضَرٌ مَمْتَدٌّ عَلَى شَفَتَيْهَا امْتِدَادُ الطَّرَازِ، كَأَنَّمَا خُطَّتْ طُرَّتُهَا وَحَاجَبَاهَا بِقَلَمٍ، لَا يَلْحَقُهَا فِي ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ حُسْنِهَا وَصَفٌ وَاصِفٍ، فَسَأَلْتُ عَنْ اسْمِهَا فَقِيلَ: هَذِهِ الزَّرْقَاءُ.

نسبة الصوت الذي في الخبر

صوت

إِذَا مَا أُمُّ عَبْدِ اللَّـ	ه لَمْ تَحْلُلْ بِوَادِيهِ
وَلَمْ تَشْفِ سَقِيمًا هِيَّ	حَجَّ الْحُزْنَ دَوَاعِيهِ
غَزَالَ رَبِّهِ ^(٢) الْقَنَّا	صُ تَحْمِيهِ صَيَاصِيهِ ^(٣)
عَرَفْتُ الرَّبْعَ بِالْإِكْلِي	ل ^(٤) عَقَّتْهُ ^(٥) سَوَافِيهِ ^(٦)
بِجَوْنَاعِمِ الْحَوْذَا	نِ ^(٧) مُلْتَفَّ رَوَابِيهِ
وَمَا ذِكْرِي حَبِيبًا وَ	قَلِيلًا مَا أَوَاتِيهِ
كَذِي الْخَمْرِ تَمَنَّاها	وَقَدْ أَسْرَفَ سَاقِيهِ

[الهمزج]

ذكر الزبير بن بكار أن الشعر لعدي بن نوفل، وقيل: إنه للنعمان بن بشير الأنصاري وذلك أصح وقد أخرجت أخبار النعمان فيه مفردة في موضع آخر، وذكرت القصيدة بأسرها، ورواها ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني للنعمان، ولم يذكر أنها لعدي غير الزبير بن بكار، والغناء فيما ذكر عمرو بن بانه لمعبد خفيف رمل بالوسطى، وذكر إسحاق أن فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر يمان وفيه للغريض ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي في الأول والثاني والرابع والخامس.

(١) الحِرّ: بظر المرأة. (٢) رابه: حملة على الشك والخوف.

(٣) الصياصي، الواحدة صيصية: الحصون وكل ما يحتمي به الإنسان.

(٤) الإكليل: موضع. (٥) عَقَّتْهُ: درسته، غَطَّتْهُ.

(٦) السّوافي: الرياح العاتية التي تحمل الرمال وتغيّر معالم الطبيعة.

(٧) الحوذان من النباتات: ينبت في السهول حلو الطعم.

ذكر نسب عدي بن نوفل وخبره

هو عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وأمه آمنة بنت جابر بن سفيان أخت تابط شراً، وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمله أو عثمان بن عفان رضي الله عنه - فيما أخبرنا به الطوسي عن الزبير بن بكار - على حصر موت، قال الزبير: ودار عدي بن نوفل بين المسجد والسوق معروفة وفيها يقول إسماعيل بن يسار النسائي:

إِنَّ مَمْشَاكَ نَحْوَ دَارِ عَدِيٍّ كَانَ لِلْقَلْبِ شِقْوَةً وَفُتُونَا
إِذْ تَرَاءَتْ عَلَى الْبَلَاطِ فَلَمَّا وَاجَهْتُنَا كَالشَّمْسِ تُعْشِي الْعَيُونَا
قَالَ هَارُونَ: قِفْ فَيَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ طَاوَعْتُ سَاعَةَ هَارُونَا
[الخفيف]

وقد قيل: إن هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة. قال الزبير: كانت تحت عدي بن نوفل أم عبد الله بنت أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، فغاب مدة وكتب إليها أن تشخص إليه فلم تفعل فكتب إليها يقول:

إِذَا مَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ تَحْلُلْ بِوَادِيهِ
[الهزج]

وذكر البيهقي فقط، فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري - وهما لأب وأم، أمهما عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى -: قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك فأشخصني إليك.

صوت

أَعَيْنِي جُوداً وَلَا تَجُمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرَى الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
[المقارب]

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد ترثي أخاها صخرًا، والغناء لإبراهيم الموصلي ثقیل أول مطلق في مجرى البصر عن إسحاق، وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وحَبَش.

نسب الخنساء وخبرها ومقتل أخويها صخر ومعاوية

هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يَظْظَةَ بنِ عُصَيَّة بنِ خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثَةَ بن سُلَيم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان بن مُضَر .

واسمها ثُمَاضِر، والخنساء لقبٌ وقع عليها، وفيها يقول دُرَيد بن الصَّمَّة وكان خطبها فردته وكان رآها تَهْتَأُ بعيراً:

حَيُّوا ثُمَاضِرَ وَازْبَعُوا^(١) صحبي
أَخْنَسُ قَدْ هَامَ الْفَوَازُ بِكُمْ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ
مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ
وَقِفُوا فَإِنْ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي^(٢)
وَأَصَابَهُ تَبَلُّ^(٣) مَنِ الْحُبِّ
كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنُقِ جُرْبِ
يَضَعُ الْهِنَاءَ^(٤) مَوَاضِعَ النَّقْبِ^(٥)

[الكامل]

قال أبو عُبَيْدَةَ ومحمد بن سلام: لما خطبها دريد بعثت خادمة لها، وقالت: انظري إليه إذا بال، فإن كان بولُه يَخْرِقُ الْأَرْضَ وَيَخْذُ فِيهَا ففِيهِ بَقِيَّةٌ، وإن كان بولُه يَسِيحُ عَلَى وَجْهِهَا فَلَا بَقِيَّةَ فِيهِ، فرجعت إليها وأخبرتها، فقالت: لا بَقِيَّةَ فِي هَذَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ: مَا كُنْتُ لِأَدْعَ بَنِي عَمِي وَهُمْ مِثْلُ عَوَالِي الرَّمَاحِ^(٦) وَأَتَزَوَّجُ شَيْخاً، فقال:

وَقَالَ اللَّهُ يَا ابْنَةَ آلِ عَمْرِو
وَقَالَتْ: إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ
فَلَا تَلْدِي وَلَا يَنْكِحُكَ مِثْلِي
مَنْ الْفَتَيَانِ أَشْبَاهِي وَنَفْسِي
وَمَا نَبَّأْتُهَا أَنِّي ابْنُ أُمِّسٍ
إِذَا مَا لَيْلَةٌ طَرَفْتُ بِنَحْسٍ

(١) أربعوا: قفوا وانظروا.

(٢) حسبي: يكفيني.

(٣) التبل: السقم.

(٤) الهناء، بكسر الهاء: القطران.

(٥) النقب: الجرب.

(٦) عوالي الرماح: أسننها.

تُرِيدُ شَرَنْبُثَ الْقَدَمَيْنِ^(١) شَنْنًا^(٢) يُبَاشِرُ بِالْعَشِيَّةِ كُلِّ كِرْسٍ^(٣)

[الطويل]

فَقَالَتْ الْخَنَسَاءُ تُجِيبُهُ :

مَعَاذَ اللَّهِ يَنْكِحْنِي حَبْرُكَ^(٤) يُقَالُ أَبُوهُ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ

وَلَوْ أَصْبَحْتُ فِي جُشَمٍ هَدِيًّا^(٥) إِذَا أَصْبَحْتُ فِي دَنْسٍ^(٦) وَفَقْرٍ

[الوافر]

وهذا الشعر ترثي به أخاها صخرًا وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل^(٧).

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ، عن أَبِي حَاتِمٍ، عن أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَضَفَتْ إِلَيْهِ رَوَاةَ الْأَثَرِمْ، عن أَبِي عُبَيْدَةَ، قال :

غزا صخر بن عمرو وأنس بن عباس الرُّعْلِيُّ في بني سُلَيْمِ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ - قال أبو عبيدة: وزعم السُّلَمِيُّ أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويوم ذي الأثل - في بني عوف وبني خُفَافٍ وكانا متساندين، وعلى بني خُفَافٍ صخر بن عمرو الشريدي، وعلى بني عوف أنس بن عباس، قال: فأصابوا في بني أسد بن خُزَيْمَةَ غَنَائِمَ وَسَيًّا، وأخذ صخر يومئذ بُدَيْلَةَ امرأته، قال: وأصاب صخرًا يومئذ طعنةً، طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور، ويكنى أبا ثور، فأدخل جوفه حلقًا من الدرع فاندمل عنه حتى شقَّ عليه بعد سنين، وكان ذلك سببَ موته، قاله أبو عبيدة.

وقال غيره: بل ورد هو وبُلْعَاءُ بْنُ قَيْسِ الْكِنَانِيِّ، قال: وكانا أجمل رجلين في العرب، قال: فشربا عند يهودي خَمَّارٍ كان بالمدينة، قال: فحسدهما لما رأى من جمالهما وهيتتهما، وقال: إني لأحسدُ العربَ أن يكون فيهم مثل هذين، فسقاها شَرْبَةً جَوِيًّا^(٨) منها، قال: فمرَّ بصخر طبيبٍ بعد ما طال مرضه فأراه ما به فقال: أَشَقُّ عَنْكَ فَتْفِيقٌ، قال: فَعَمَدَ إِلَى شِفَارٍ فَجَعَلَ يُحْمِيهَا ثُمَّ يَشْقُ بِهَا عَنْهُ فَلَمْ يَنْشَبْ^(٩) أَنْ مَاتَ.

(١) شَرَنْبُثُ الْقَدَمَيْنِ: أَخْسَنُهُمَا.

(٢) الشَّنُّ: الْغَلِيظُ.

(٣) الْكِرَاسُ: أَبْوَالٌ وَأَبْعَارُ الْأَغْنَامِ الَّتِي تَتَلَبَّدُ وَتَتَّحِدُ مَعَ بَعْضِهَا.

(٤) الْحَبْرُكَ مِنَ الرِّجَالِ: مَنْ كَانَ طَوِيلًا قَصِيرَ الرِّجْلَيْنِ.

(٥) الْهَدْيُ: الْعُرُوسُ.

(٦) الدَّنْسُ: الرَّجْسُ.

(٧) يَوْمُ ذِي الْإِثْلِ: مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ.

(٨) جَوِيًّا مِنْهَا: أَصَابَهُمَا مِنْهَا حَرَقَةٌ وَشِدَّةٌ.

(٩) لَمْ يَنْشَبْ أَنْ مَاتَ: لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَاتَتْهُ الْمَنِيَةُ.

قال أبو عبيدة: وأما أبو بلال بن سهم، فإنه، قال:

إكتسح صخرُ أموال بني أسد وسبى نساءهم، فأتاهم الصَّريخُ فتبعوه فتلاحقوا
بذات الأثل فاقتتلوا قتالاً شديداً، فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرًا في جنبه وفات
القوم فلم يُقَعَصْ^(١)، وجوي منها ومرض قريباً من حول حتى مله أهله، قال: فسمع
صخرُ امرأةً وهي تسأل سلمى امرأة صخر: كيف بعلك؟ فقالت سلمى: لا حيٌّ فُيرجى
ولا ميتٌ فيُنعى، لقينا منه الأمرين، قال: وزعم آخر أن التي قالت هذه المقالة بُديلة
الأسدية التي كان سبها من بني أسد فاتخذها لنفسه فأنشد هذا البيت:

ألا تِلْكُمُ عِرْسِي بُدِيلَةُ أَوْجِسْتُ فِرَاقِي وَمَلَّتْ مَضْجَعِي وَمَكَانِي
[الطويل]

وأما أبو بلال بن سهم فزعم أن صخرًا حين سمع مقالة سلمى امرأته قال:

أرى أمَّ صخرٍ لا تملَّ عيادتي^(٢) ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك، ومَن يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ؟
أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه وقد حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ^(٣) وَالنَّزَوَانِ^(٤)
لعمري لقد نبهت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان
ولموت خير من حياة كائنها مَحَلَّةٌ يَعْسُوبُ^(٥) بِرَأْسِ سِنَانِ
وأي امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا في شقا وهوان
[الطويل]

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل الكبد في جنبه في موضع الطعنة قالوا
له: لو قطعتها لرجوت أن تبرأ، فقال: شأنكم، فأشفق^(٦) عليه بعضهم فنهاهم، فأبى
وقال: الموت أهون علي مما أنا فيه. فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه،
قال: وسمع صخرُ أخته الخنساء تقول: كيف كان صبره؟ فقال صخر في ذلك:

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخُطُوبَ^(٧) تَنْوُبُ عَلَى النَّاسِ كُلِّ الْمَخْطُئِينَ تُصِيبُ

(١) لم يقعص: لم يقتل بدلاً عنه.

(٢) عيادتي: زيارتي أثناء مرضي.

(٣) العير - بفتح العين: الحمار الأهلي أو الوحشي وقد غلب على الوحشي.

(٤) النزوان: التزاوج، النكاح.

(٥) اليعسوب من الحشرات: ذكر النحل.

(٦) أشفق عليه: خاف عليه.

(٧) الخطوب، الواحد خطب: المصائب والويلات.

فَإِنْ تَسْأَلِينِي هَلْ صَبَرْتُ فَإِنِّي
كَأَنِّي وَقَدْ أَذْنَوُا إِلَيَّ شِفَارَهُمْ
أَجَارَتَنَا لَسْتُ الْعُدَاةَ بِظَاعِنٍ^(٣)
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ^(١)
مَنْ الصَّبْرُ دَامِيَ الصَّفْحَتَيْنِ رَكُوبٌ^(٢)
وَلَكِنْ مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبٌ

[الطويل]

عن أبي عبيدة، عسيب: جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة، فقبْره هناك مُعَلَّم، وقال أبو عبيدة: فمات فدفن هناك، فقبْره قريب من عسيب، فقالت الخنساء ترثيه:

أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أُمٌّ مَالَهَا
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيرِ
فَلِإِنْ تَكُ مُرَّةٌ أَوْدَتْ بِهِ
سَاحِمِلِ نَفْسِي عَلَى خُطَّةٍ
فَلِإِنْ تَصْبِرِ النَّفْسُ تَلْقَى السَّرُورَ
لَقَدْ أَخْصَلَ الدَّمْعُ سِرَّ بَالِهَا
دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
فَقَدْ كَانَ يُكْثِرُ تَقْتَالَهَا
فَإِمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا
وَإِنْ تَجْزَعُ^(٤) النَّفْسُ أَشْقَى لَهَا
[المتقارب]

غنى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر، قال السُّلَمِيُّ: ليست هذه في صخر وإنما رَتَّتْ بها معاويةَ أخاها وبنو مُرَّةَ قتلته، ولكنها قالت في صخر:

قَذَى^(٥) بَعَيْنِكَ أُمٌّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ
تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ ذَرَفَتْ
لَا بُدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا^(٦) غَيْرٌ
يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَرَهُ
مَشْيَ السَّبَبَتَى^(٧) إِلَى هَيْجَاءٍ مُعْضِلَةٍ
فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوٍّ^(٨) تُطِيفُ بِهِ

(١) صليب: قوي.

(٣) الظاعن: المرتحلة من النساء في هودجها.

(٤) تجزع: تخاف.

(٥) القذى: ما يقع في العين أو في الشراب من تبنة ونحوها.

(٦) صرفها غير: تبدل حالها من مصيبة إلى أخرى.

(٧) السَّبَبَتَى من الرجال: المقدام الذي لا يهاب شيئاً.

(٨) البو: ولد الناقة، جلد الحوار أي ولد الناقة يُحشى تبناً فيقرَّب أم الفصيل فتخدع وتعطف عليه فتدرّ لبنها.

(٢) الركوب من الإبل: التي تُركب.

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا اذْكَرْتَ
لَا تَسْمُنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رَتَعْتَ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي
فَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدُنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ^(٢) الْهُدَاةَ بِهِ
فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارُ^(١)
صَخْرٌ وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ
وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
[البسيط]

غنى في هذين البيتين وفي الأولين ابن سريج من رواية يونس :

لَمْ تَرَاهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
وَلَا تَرَاهُ وَمَا فِي الْبَيْتِ يَأْكُلُهُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفُدْ شَيْبَتُهُ
فِي جَوْفِ رَمْسٍ مَقِيمٌ قَدْ تَضَمَّنَهُ
طَلَّقَ الْيَدَيْنِ لِفَعْلِ الْخَيْرِ ذَوْ فَجَرٍ
فِي رُفْقَةٍ حَارٍ حَادِيهِمْ بِمَهْلَكَةٍ
لِرَبِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّخْنِ مِهْمَارُ^(٣)
كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبُرْدِ أُسْوَارُ
فِي رَمْسِهِ مُقْمِطَرَاتٌ وَأَحْجَارُ
ضَحْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَارُ
كَأَن ظَلَمَتَهَا فِي الطُّخْيَةِ الْقَارُ
[البسيط]

عروضه ثان من البسيط .

الْعَوَّارُ والعائر: وَجَع وهو مثل الرمد، وذرفت: قطرت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سيلاً، والعبرى يقال: امرأة عبرى وعابر، والعبرة: سُخْنَةُ العين. والولّه: ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد، حول وأطوار أي تحوّل وتقلّب وتصرف. قد تناذره أي أُنذِر بعضهم بعضاً هَوْلَهُ وصُعوبته. ويروى: تُبَادِرُهُ. وقولها: ما في ورده عار، أرادت ما في تَرْك ورده عار أي لا يُعَيَّر أحدٌ إن عجز عنه من صعوبة ورده. العجول: الشكول، والبؤ: أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيُحشَى ويُدْنَى من أمه فترأَمَهُ. إحلاء وإمرار يقال: ما أحلى ولا أمر أي ما أتى بحلوة ولا مرّة، والمعنى: أن الدهر يأتي بالمشقّة والمحنة. كأنه علم في رأسه نار أي أنه مشهور، والعلم الجبل وجمعه أعلام. كأنه تحت طَيِّ الْبُرْدِ أُسْوَارُ أي من لطافة بطنه وهيفه شبيه أسوار من ذهب، والرُّدَيْنِيُّ: الرمح، منسوب إلى رُدَيْنَةَ امرأة كانت تُقَوِّمُ الرماح، أي هو

(١) التسجار من الناقة ونحوها: أن تمدّ حنيتها.

(٢) تأتم: تهتدي به وتأتمر بأمره.

(٣) المهمار: المكثّر يكثّر الأضياف من القرى.

مَعْصُوبٌ^(١) الْبَدَنَ لَيْسَ بِمُهَبَّجٍ^(٢) مُثَحَّلٌ وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ انْتِفَاخِ الْجِلْدِ وَالسَّمَنِ
وَالِاسْتِرْخَاءِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: مَقْمَطَرَاتٌ: صَخُورٌ عِظَامٌ وَأَحْجَارٌ صَغَارٌ، وَفَجْرٌ:
يَتَفَجَّرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالِدَّسِيعَةُ: الْعِطَاءُ. الطَّخِيَةُ مِنَ الطَّخَاءِ: وَهُوَ الْغَيْمُ الرَّقِيقُ الَّذِي
يُوَارِي النُّجُومَ فَيَتَحَيَّرُ الْهَادِي.

وَقَالَتِ الْخَنْسَاءُ أَيْضاً تَرْتِي صَخْراً:

بَكَتْ عَيْنِي وَعَاوَدَهَا قَدَاهَا^(٣) بَعُورٍ فَمَا تَقْضِي كَرَاهَا^(٤)
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ فَتًى كَصَخْرٍ إِذَا مَا النَّابُ^(٥) لَمْ تَرَأَمْ^(٦) طَلَاهَا؟
الطَّلَا: الْوَلَدُ، أَيُّ لَمْ تَعْطِفَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَذْبِ:

فَتَى الْفَتِيَانِ مَا بَلَغُوا مَدَاهُ وَلَا يُكْدَى^(٧) إِذَا بَلَغَتْ كُدَاهَا^(٨)
لَنْ جَزَعْتُ^(٩) بَنُو عَمْرٍو عَلَيْهِ لَقَدْ رَزَّتْ^(١٠) بَنُو عَمْرٍو فَتَاهَا
[الخفيف]

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ابْنُ جَامِعٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى،
وَذَكَرَ حَبَشَ أَنْ لَهُ أَيْضاً فِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ:

تَرَى السُّمَّ الْجَحَاحِجَ^(١١) مِنْ سُلَيْمٍ وَقَدْ بَلَّتْ مَدَامِعُهَا لِحَاهَا
[الخفيف]

إِذَا وُصِفَ السَّيِّدُ بِالسُّمِّ فَإِنَّهُ لَا يَدْنُو الدَّنَاءَ وَلَا يَضَعُ لَهَا أُنْفَهُ:

وَخَيْلٍ قَدْ كَفَفَتْ بِجَوْلٍ خَيْلٍ فَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشِيهَا^(١٢) رَحَاهَا^(١٣)
[الخفيف]

(١) معصوب البدن: المشدود بقوة وتجانس.

(٢) المبهج: المنتفخ.

(٣) القذى: ما يقع في العين أو في الشراب من تبنة ونحوها.

(٤) الكرى: النعاس، النوم.

(٥) الناب من الإبل: التي هرمت.

(٦) لم ترأَمْ: لم تحنْ على صغيرها.

(٧) لا يُكْدَى: لا يبخل عند المسألة.

(٨) الكدى، الواحدة كدية: كل ما صلب من طين وأحجار وأرض غليظة.

(٩) جزعت: خافت.

(١٠) رزئت: نزلت بها مصيبة عظيمة.

(١١) الجحاحج، الواحد جحجج: السيد المسارع إلى المكارم.

(١٢) الكبش: من معانيه سيد القوم وزعيمهم.

(١٣) رحي الحرب: طاحونته.

جَوُّلٌ خَيْلٍ: جولان. ويقال قطعة خيل تجول أي تذهب وتجيء:

تُرَفِّعُ فَضْلَ سَابِغَةٍ^(١) دِلَاصٍ^(٢) عَلَى خَيْفَانَةٍ^(٣) خَفِقِ حَشَاهَا^(٤)
وَتَسْعَى حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي^(٥) بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاعَةً مُصْطَلَاها^(٦)
مَحَافِظَةً وَمَحْمِيَةً إِذَا مَا فَتَرَكْهَا إِذَا اشْتَجَرَتْ بَطْعُنٍ
[هَنَالِكَ لَوْ نَزَلَتْ بِآلِ صَخِرٍ فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شَمَالٌ
وَأَلْجَأَ بَرْدُهَا الْأَشْوَالَ^(١٠) حُدْبًا أَمْطَعِمَكُمْ وَحَامِلَكُمْ تَرَكْتُمْ
لِيَبْكُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لِلْمَعَالِي وَقَدْ قَرَّرْتَ طَلْقَهُ^(١٣) فَاسْتَرَا حَتَّ
قَرَى^(٨) الْأَضْيَافِ سُخْنًا مِنْ دُرَاهَا مُزْعَزَعَةً^(٩) يُجَاوِبُهَا صَدَاهَا
إِلَى الْحُجُرَاتِ^(١١) بَارِدَةً كُلاها^(٧) لَدَى غَبْرَاءٍ مُنْهَدِمٍ رَجَاهَا^(١٢)
وَلِلْهِجَاءِ إِنَّكَ مَا فَتَاهَا فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارِسُهَا يَرَاهَا
[الخفيف]

وقال خُفَافٌ بْنُ عُمَيْرٍ يَرِثِي صَخْرًا وَمَعَاوِيَةَ ابْنَيْ عَمْرِو وَرَجُلًا مِنْهُمْ أُصِيبُوا:

تَطَاوَلَ هُمُهُ بِبِرَاقٍ^(١٤) سِيعَرٍ^(١٥) لَذَكَرَاهُمْ وَأَيُّ أَوَانٍ ذُكِرَ

(١) السابغة من الدروع: الفضفاضة.

(٢) الدلاص من الدروع: اللينة الملساء.

(٣) الخيفانة من الأفراس: الخفيفة السريعة.

(٤) خفق حشاها: اضطرب.

(٥) تشتجر العوالي: تشتبك الرماح في صراعها.

(٦) مصطلاها: اشتعالها.

(٧) الكلى، الواحدة كلية: والكليتان هما غدتان يُمنى ويُسرى لاصقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين

وغايتهما إفراز البول من الدم.

(٨) القرى: الضيافة.

(٩) مزعزعة: مضطربة.

(١٠) الأشوال، الواحدة شول من الإبل: التي مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر.

(١١) الحجرات، الواحدة حجرة: أي حظيرة الإبل.

(١٢) الرجا: ناحية البئر.

(١٣) طلقة: مندفعة بقوة.

(١٤) البراق، بكسر الباء: الحجارة والرمل المختلط.

(١٥) سيعر: اسم جبل.

وَتَدْخُلُ بَعْدَ نَوْمِ النَّاسِ صَدْرِي
عَلَى نَابٍ^(١) سَرَيْتُ بِهَا وَبَكَّرِ
وَأَصْبِرْ عَنْهُمْ مِنْ آلِ عَمْرِو
رُزْتُ^(٢) مُبْرَأً بِقِصَاصٍ وَثَرِ^(٣)
وَأَهْلٍ حِبَاءٍ^(٤) أَضْيَافٍ وَنَحْرِ
بَذْرُوةٍ^(٥)، أَوْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
كَصْخَرٍ أَوْ كَعَمْرِو أَوْ كِبْشَرِ
فَقَدْ أَخَذُوا وَرَبَّ أَبْيَكِ صَبْرِي
أَقَامُوا بَيْنَ قَاصِيَةِ^(٦) وَحَجَرِ^(٧)
وَأَمَرَ مِنْهُمْ فِيهَا بِصَبْرِ
وَأَحْمَدِ شِيْمَةٍ وَنَشِيلٍ^(٨) قَدَرِ
وَلَمْ يُقْصِرْ لَهَا بِصَرٍّ بِسْتَرِ
تَجِيءُ بِعَبْقَرِيٍّ الْوَدْقِ^(٩) سُمْرِ
يَلْحَنَ كَأَنَّهُنَّ نَجُومَ فَجَرِ
مَوَاضِي كُلِّهَا تَفْرِي بِبَثَرِ

كَأَنَّ النَّارَ تُخْرِجُهَا ثِيَابِي
لَبَاتَتْ تَضْرِبُ الْأُمُثَالَ عِنْدِي
وَتَنْسَى مِنْ أَفَارِقُ غَيْرَ قَالَ^(١٠)
وَهَلْ تَذَرِينَ إِمَارُتَ خِرْقِ^(١١)
أَخِي ثَقَّةٍ إِذَا الضَّرَاءُ نَابَتْ
كَصْخَرٍ لِلْسَّرِيَّةِ غَادِرِهِ
وَمَيَّتِ بِالْجَنَابِ^(١٢) أَثْلَ عَرْشِي^(١٣)
وَأَخْرَبَ النَّوَاصِفَ^(١٤) مِنْ هَدَامِ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ حَيًّا لِقَاحًا
أَشَدَّ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ إِذَا^(١٥)
وَأَكْرَمَ حِينَ ضَنَّ النَّاسُ^(١٦) خِيْمًا^(١٧)
إِذَا الْخَنْسَاءُ لَمْ تَرْحُضْ يَدَيْهَا^(١٨)
قَرَوْا^(١٩) أَضْيَافَهُمْ رَبْحًا^(٢٠) بَيْحِ^(٢١)
رِمَاحٍ مُثَقَّفٍ^(٢٢) حَمَلَتْ نِصَالًا^(٢٣)
جَلَاهَا الصَّيْقُلُونَ^(٢٤) فَأَخْلَصُوهَا

(٢) القالي: التارك، المبعد والمبغض.

(٤) رزئت: نُكبت مصيبة.

(٦) الحباء، بكسر الحاء: العطاء.

(٨) الجناب: موضع.

(١٠) النواصف: موضع.

(١٢) الحجَر، بسكون الجيم: نقا الرمل.

(١٤) ضَنَّ الناس: بخلوا.

(١٦) لم ترحض يديها: لم تغسلهما.

(١٨) الربح، بالفتح: الفصيل من الإبل.

(٢١) الودق: المطر الدافق.

(١) الناب من الإبل: المسنة.

(٣) الخرق من الرجال: الكريم الجواد.

(٥) الوتر: المطالب بأخذ الثأر.

(٧) ذروة الجبل: قمته.

(٩) أثْلَ عَرْشِي: هدم ملكي.

(١١) القاصية: البعيدة.

(١٣) الإْد: الداهية.

(١٥) الخيم، بكسر الخاء: حسن الخلق، المزية.

(١٦) النشيل: اللحم.

(١٨) قروا أضيافهم: قاموا بضيافتهم خير قيام.

(٢٠) البَح: قذاح الميسر.

(٢٢) المثقف: المصلح للرماح.

(٢٣) النصال، الواحدة نصلة: سنان الرمح.

(٢٤) الصيقلون: هم الذين يشحذون الأسنة.

هُمُ الْإَيْسَارُ إِنْ قَحَطَتْ جُمَادَى^(١) بَكلِ صَبِيرٍ^(٢) سَارِيَةٍ وَقَطُرٍ^(٣)
يَصُدُّونَ الْمُغِيرَةَ عَنْ هَوَاهَا بَطْعِنِ يَفْلِقِ الْهَامَاتِ شَزْرٍ^(٤)
تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرّاً^(٥) لَوْلَدَانِ - غِدَاةَ الرِّيحِ - غُبْرٍ
وَأَرْمَلَةٍ وَمُعْتَرٍّ^(٦) مُسِيفٍ^(٧) عَدِيمِ الْمَالِ عُجْزَةً^(٨) أُمِّ صَخْرٍ
[الخفيف]

ومما رثت به الخنساء صخرأ وغنّي فيه :

صوت

أَعَيْنِي جُوداً وَلَا تَجْمُداً أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيءَ الْجَمِيلَ
أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا طَوِيلَ النَّجَادِ^(٩) رَفِيعَ الْعِمَا
دِ سَادِ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا^(١٠) إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ
إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
مَنْ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُصْعِدَا يُحَمِّلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالِهِمْ^(١١)
وإن كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا تَرَى الْمَجْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ
يَرَى أَفْضَلَ الْمَجْدِ أَنْ يُحْمَدَا وَإِنْ ذَكَرَ الْمَجْدُ أَلْفِيَّتَهُ^(١٢)
تَأَزَّرَ^(١٣) بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى [المقارب]

ونذكر الآن هاهنا خبر مقتل معاوية بن عمرو وأخيهما، إذ كانت أخبارهما وأخبارها تدعو بعضها إلى بعض .

- (١) قحطت جمادى : أجذب شهر جمادى ولم تمطر السماء .
(٢) الصبير : الشديد .
(٣) القطر : المطر المنهمر .
(٤) الشزر : أي الطعن عن اليمين وعن الشمال .
(٥) طرّاً : جميعاً .
(٦) المعتز : الفقير المحتاج .
(٧) المسيف : هو من نفذ ماله .
(٨) العجزة من الأولاد : آخر أولاد المرء .
(٩) طويل النجاد : طويل محمل السيف ، كناية عن طول المرء .
(١٠) الأمرد من الفتيان : هو من لم ينبت شعر ذقنه .
(١١) عالهم : ما أهمهم من أمور الدنيا .
(١٢) ألفيته : وجدته .
(١٣) تأزّر بالمجد : إستمسك به وتشبّث .

قال أبو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي أَبُو بِلَالٍ بْنُ سَهْمٍ بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ مِرْدَاسٍ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَبْسٍ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُهْتَنَةَ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ مَنْصُورٍ، قَالَ:

غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو أَخُو خُنَسَاءَ بَنِي مُرَّةَ بْنِ سَعْدٍ بْنِ ذُبْيَانَ وَبَنِي فَزَارَةَ، وَمَعَهُ خُفَّافُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ الْحَارِثِ - وَأُمُّهُ نَدْبَةُ سُودَاءَ وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ - فَاعْتَوَرَهُ هَاشِمٌ وَدُرَيْدٌ ابْنَا حَرْمَلَةَ الْمُزَبَّانِ - قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: وَحَرْمَلَةُ بْنُ الْأَسْعَرِ بْنِ إِيَّاسٍ بْنِ مُرَيْطَةَ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ صِرْمَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدٍ بْنِ ذُبْيَانَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ - فَاسْتَطْرَدَ لَهُ أَحَدُهُمَا ثُمَّ وَقَفَ وَشَدَّ عَلَيْهِ الْآخِرَ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا تَنَادَوْا: قُتِلَ مُعَاوِيَةُ قَالَ خُفَّافُ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ رِمْتُ حَتَّى أَثَارَ بِهِ، فَشَدَّ عَلَى مَالِكِ بْنِ حِمَارٍ الشَّمْخِيِّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي شَمْخٍ بْنِ فَزَارَةَ فَقَتَلَهُ قَالَ: وَهُوَ مَالِكُ بْنُ حِمَارٍ بْنِ حَزْنٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَابِرٍ بْنِ عَقِيلٍ بْنِ هَالَالٍ بْنِ مَازَنِ بْنِ فَزَارَةَ، فَقَالَ خُفَّافُ فِي ذَلِكَ:

وَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أَصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيْمَمْتُ^(١) مَالِكَا
[الطويل]

يعني مَالِكُ بْنُ حِمَارٍ الشَّمْخِيِّ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَأَجْمَلَ أَبُو بِلَالٍ الْحَدِيثَ، قَالَ:

وَأَمَّا غَيْرُهُ فَذَكَرَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَافَى عُكَازَ فِي مَوْسَمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ، فَبَيْنَا هُوَ يَمْشِي بِسُوقِ عَكَازَ إِذْ لَقِيَ أَسْمَاءَ الْمُرَيَّةِ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً وَزَعَمَ أَنَّهَا كَانَتْ بَغِيًّا، فَدَعَاها إِلَى نَفْسِهِ فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي عِنْدَ سَيِّدِ الْعَرَبِ هَاشِمٍ بْنِ حَرْمَلَةَ؛ فَأَحْفَظْتُهُ^(٢)، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لِأَفَارِعَتِهِ^(٣) عَنكَ، قَالَتْ: شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ، فَارْجَعْتَ إِلَى هَاشِمٍ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ مُعَاوِيَةَ وَمَا قَالَتْ لَهُ، فَقَالَ هَاشِمٌ: فَلَعَمْرِي لَا يَرِيمُ^(٤) أَيْبَاتُنَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْدِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَتَرَاجَعَ النَّاسُ عَنْ عَكَازَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو غَازِيًّا يُرِيدُ بَنِي مُرَّةَ وَبَنِي فَزَارَةَ فِي فَرَسَانِ أَصْحَابِهِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْحَوْزَةَ أَوْ الْجَوْزَةَ - وَالشُّكُّ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ - دَوَّمَتْ^(٥) عَلَيْهِ طَيْرٌ وَسَنَحٌ^(٦) لَهُ ظَبْيٌ فَتَطَيَّرَ مِنْهُمَا وَرَجَعَ فِي أَصْحَابِهِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَقَالَ: مَا مَنَعَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ إِلَّا الْجُبْنُ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الْمُقْبِلَةُ غَزَاهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ سَنَحٌ لَهُ ظَبْيٌ وَغَرَابٌ فَتَطَيَّرَ فَرَجَعَ، وَمَضَى أَصْحَابُهُ وَتَخَلَّفَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ فَارِسًا مِنْهُمْ لَا يَرِيدُونَ قِتَالًا إِنَّمَا تَخَلَّفَ عَنْ عُظْمِ الْجَيْشِ رَاجِعًا إِلَى بِلَادِهِ فَوَرَدُوا مَاءً، وَإِذَا عَلَيْهِ بَيْتٌ شَعْرٌ، فَصَاحُوا بِأَهْلِهِ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ فَقَالُوا: مِمَّنْ

(١) تيممت: توجهت. (٢) أحفظته: أثرت حفيظته وغضبه.

(٣) لأفَارِعَتَهُ عَنكَ: لأَقَاتَلَهُ. (٤) لَا يَرِيمُ: لَا يَنْفَكُ.

(٥) دَوَّمَتْ عَلَيْهِ طَيْرٌ: حَلَقَتْ فِي الْهَوَاءِ. (٦) سَنَحٌ: بَدَأَ، ظَهَرَ.

أنت؟ قالت: امرأة من جُهينة أخلاف لبني سهم بن مُرّة بن غطفان فوردوا الماء يسقون، فأنسلت فأت هاشم بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيد وعرفته عدتهم وقالت: لا أراه إلا معاوية في القوم. فقال: يا لكاع^(١) أمعاوية في تسعة عشر رجلاً؟ شَبَّهت أو أبطلت. قالت: بل قلت الحق وإن شئت لأصفنهم لك رجلاً رجلاً، قال: هاتي، قالت: رأيت فيهم شاباً عظيم الجمة^(٢)، جبهته قد خرجت من تحت معفره، صبيح الوجه، عظيم البطن، على فرس غراء. قال: نعم هذه صفته يعني معاوية وفرسه السماء. قالت: ورأيت رجلاً شديد الأدمة^(٣) شاعراً يُشدهم، قال: ذلك خُفاف بن عُمير، قالت: ورأيت رجلاً ليس يبرح وسطهم إذا نادوه رفعوا أصواتهم، قال: ذاك عباس الأصم، قالت: ورأيت رجلاً طويلاً يُكنونه أبا حبيب ورأيتهم أشد شيء له توقيراً، قال: ذاك نُبَيْشَة بن حبيب، قالت: ورأيت شاباً جميلاً له وفرة حسنة. قال: ذاك العباس بن مرداس السلمي، قالت: ورأيت شيخاً له ضفيرتان فسمعتة يقول لمعاوية: بأبي أنت أطلت الوقوف، قال: ذاك عبد العزى زوج الخساء أخت معاوية. قال فنادى هاشم في قومه وخرج - وزعم أن المري لم يخرج إليهم إلا في مثل عدتهم من بني مُرّة - قال: فلم يشعر السلميون حتى طلوعوا عليهم فثاروا إليهم فلقوهم، فقال لهم خُفاف: لا تنازلوهم رجلاً رجلاً فإن خيلهم تثبت للطراد وتحمل ثقل السلاح، وخيلكم قد نهكها الغزو وأصابها الحفا، قال: فاقتتلوا ساعة وانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة المريان لمعاوية، فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية وشغله، واغتره^(٤) الآخر فطعنه فقتله، واختلفوا أيهما استطرد له وأيهما قتله، وكانت بالذي استطرد له طعنة، طعنه إياها معاوية ويقال: هو هاشم، وقال: آخرون: بل دريد أخوه، ثم قال: وشد خُفاف بن عُمير بن الحارث بن الشريد على مالك بن حمار سيد بني شمع بن فزارة فقتله، وقال خُفاف في ذلك - وهو ابن نذبة وهي أمة سوداء كان سبها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خُفافاً. ويقال في نذبة: إنها ابنة الشيطان بن بنان من بني الحارث بن كعب:

أقول له والرُمح ياطر مثنه^(٥) تأمل خُفافاً إنني أناذلكا
وقفت له علوى^(٦) وقد خام^(٧) صُحبتني لأبني مجدأ أو لأثار هالكا

(٢) الجمة: فروة رأس المرء.

(٤) اغتره الآخر: انتهاز فرصة غفلته.

(٦) علوى: اسم فرسه.

(١) اللكاع: اللئيم، الأحمق.

(٣) شديد الأدمة: شديد السمرة.

(٥) المتن: الظهر.

(٧) خام: نكص على عقبيه.

لَدُنْ دَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حِينَ رَأَيْتَهُمْ
فَلَمَّا رَأَيْتِ الْقَوْمَ لَأَوْدَ بَيْنَهُمْ
تِيَمَّمْتُ كَبْشَ الْقَوْمِ حَتَّى عَرَفْتُهُ
فَجَادَتْ لَهُ يُمْنِي يَدَيَّ بِطُعْنَةٍ
أَنَا الْفَارَسُ الْحَامِي الْحَقِيقَةِ وَالَّذِي
فَلِإِنْ يَنْجُ مِنْهَا هَاشِمٌ فَبَطْعَنَةٍ
سِرَاعاً عَلَى خَيْلٍ تَوْثُمُ الْمَسَالِكَا
شَرِيجِينَ^(١) شَتَّى طَالِباً وَمُوَاشِكَا^(٢)
وَجَانِبَتْ شُبَّانَ الرِّجَالِ الصَّعَالِكَا
كَسْتُ مَتْنَهُ مِنْ أَسْوَدِ اللَّوْنِ حَالِكَا
بِهِ أَدْرَكَ الْأَبْطَالُ قَدَمًا كَذَلِكَ
كَسْتُهُ نَجِيعًا^(٣) مِنْ دَمِ الْجَوْفِ صَائِكَا^(٤)
[الطويل]

فحقق خُفَافٌ فِي شَعْرِهِ أَنَّ الَّذِي طَعَنَ مُعَاوِيَةَ هُوَ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ .

وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا مُعَاوِيَةَ :

أَلَا لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَ مُعَاوِيَةَ
بِدَاهِيَةٍ يُضْغِي الْكِلَابَ حَسِيسُهَا^(٥)
أَلَا لَا أَرَى كَالْفَارَسِ الْوَرْدِ فَارِسًا
وَكَانَ لِرِزَازٍ^(٦) الْحَرْبِ عِنْدَ شُبُوبِهَا^(٧)
وَقَوَادِ خَيْلٍ نَحْوِ أُخْرَى كَأَنَّهَا
بَلِينَا وَمَا تَبْلَى تَعَارُ وَمَا تُرَى
فَأَقْسَمْتُ لَا يَنْفَكُ دَمْعِي وَعَوْلَتِي
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِدَاهِيَةٍ^(٨)
وَتَخْرُجُ مِنْ سِرِّ النَّجِيِّ عِلَانِيَةٍ
إِذَا مَا عَلَتْهُ جُرْأَةٌ وَغِلَابِيَةٍ
إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا وَهِيَ ذَاكِيَةٍ
سَعَالٍ وَعَقْبَانٌ عَلَيْهَا زَبَانِيَةٍ
عَلَى حَدَثِ الْأَيَّامِ إِلَّا كَمَا هِيَ
عَلَيْكَ بِحَزْنٍ مَا دَعَا اللَّهَ دَاعِيَةٍ
[الطويل]

وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي كَلِمَةٍ أُخْرَى تَرْتِيهِ أَيْضًا :

أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أَمَ مَا لَهَا
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيرِ
وَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى هَالِكٍ
لِتَأْتِ الْمَنْزِيَّةُ - بَعْدَ الْفَتَى
سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ
لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَ لَهَا
دَحَلْتُ بِهِ الْأَرْضَ أَثْقَالَهَا
وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا
الْمَغَادِرِ بِالْمَخَوِ - أَذْأَلَهَا
فَأَمَّا عَلَيْهَا وَإِمَالَهَا

(١) شريجين : مثلين متشابهين .

(٢) الموشك : الدم القاني .

(٣) النجيع : المصيبة ، الكارثة العظيمة .

(٤) الموشك : السريع الخطو في مشيه .

(٥) الصائك : الجامد الملتصق .

(٦) الحسيس : الصوت الخفي ، الحركة .

(٧) لزاز الحرب : ملازم وملاصق لها .

(٨) شبوبها : اشتعالها .

هممتُ بنفسي كُلَّ الهُمومِ
وَحَيْلُ تَكْدَسُ^(١) مَشْيِي الوعو
نَهَيْنُ النفوسَ وهَوْنُ النفو
ورجراجة^(٢) فوقها بَيْضُها
ككرفئة^(٤) الغَيْثِ ذاتِ الصَّبِي
وقافية^(٥) مثلِ حَدِّ السَّنا
نطقتُ ابنَ عمرو فسَهَّلْتُها
فإِنْ تَكُ مُرَّةً أودَتْ بِهِ
فزالَ الكَوَاكِبُ من فَقدِهِ
وداهية^(٦) جَرَّها جارِمٌ^(٧)
كفاهما ابنُ عمرو ولم يَسْتَعِنْ
وليس بأوْلَى ولكِنَّهُ
بمَعْتَرِكِ^(١١) ضَيِّقٍ، بَيْنَهُ
وبِيضٍ^(١٢) منَعَتْ غداةَ الصِّيا
ومُعْمَلَةٍ^(١٣) سُقَّتْها قاعداً
وناجيةً لِانْتِيابِ الثُّمِي
إِلَى مَلِكٍ لا إِلَى سُوقَةٍ
وَتَمْنَحُ خَيْلَكَ أَرْضَ العَدُوِّ

فأوْلَى لِنَفْسِي أوْلَى لَهَا
لِ نازِلَتِ بالسَّيْفِ أَبْطالُها
سِ يومِ الكَرِيهَةِ أَبْقَى لَهَا
عَلَيْها المَضَاعَفُ زَفْناً^(٣) لَهَا
رِ ترمي السَّحابَ وَيَرْمِي لَهَا
ن تَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ قالَها
ولم يَنْطِقِ النَّاسُ أَمْثالُها
فقد كان يُكْثِرُ تَقْتالُها
وَجُلَّتِ الشَّمْسُ أَجْلالُها
تُبِيلُ^(٨) الحَوَاصِنَ^(٩) أَحْمالُها
ولو كان غَيْرُكَ أَدْنَى لَهَا
سَيَكْفِي العَشِيرَةَ ما عَالَها^(١٠)
تَجُرُّ المَنْيَةَ أَذْيالُها
ح تَكْشِفُ لَلرُّوعِ أَذْيالُها
فَأَعْلَمْتَ بالسَّيْفِ أَغْفالُها^(١٤)
لِ غادَرْتَ بِالْحَلِّ أَوْصالُها
وذلك ما كانِ إِغْمالُها
وتَنْبِذُ^(١٥) بِالْعَزْوِ أَطْفالُها

(١) تكدس: أي تتكدس: تتلاصق وتلتحم.

(٣) الزفن: المظلة يتخذونها فوق السطوح.

(٥) القافية: القصيدة.

(٧) الجارم: القاطع.

(٨) تبيل: تسبب لها كثرة البول، والمقصود أنهم يطرحن ما يحملن من أجنة.

(٩) الحواصن، الواحد محصنة: العفيفة من النساء المتزوجات.

(١٠) عالها: أمدھا بما يُعيلھا.

(١٢) البيض: السيوف.

(١٣) المعملة من الجنود: هم الذين يستعملون الرماح فيقطعون بها أعداءهم.

(١٤) الأغفال من الرجال: هم من لم يجربوا هول الحروب.

(١٥) تنبذ: تتخلى وترك أطفالهم لمصيرهم المشؤوم.

(٢) الرجراجة: الجماعة الكثيرة في الحرب.

(٤) الكرفنة: السحاب المرتفع.

(٦) الداهية: المصيبة.

(١١) المعترك: ميدان المعركة.

وَنُوحٍ بَعَثَتْ كَمِثْلَ الْإِرَا خِ آنَسَتْ الْعَيْنُ أَسْبَالَهَا

[المقارب]

التفسير عن أبي عبيدة. نوله: حَلَّتْ به الأرض قال بعضهم: حَلَّتْ من الحِلَّةِ، زَيَّنَتْ به الأرض موتاها حين دُفِنَ بها، وقال بعضهم: حَلَّتْ من حَلَلْتُ الشيء. والمعنى: أَلْقَتْ مراسيها كأنه كان ثِقَلًا عليها، قال: اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خَبَرٌ كما قال جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا^(١) وَأَنْدَى^(٢) الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ

[المقارب]

قال: جوابُ «أَبْعَدَ» في «آسَى» أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائحة مالها؟

وقال أبو عبيدة: هذا البيت لميَّة بنتِ ضرار بن عمرو الضَّبِّيَّة ترثي أخاها قال أبو الحسن الأثرم: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: أمور الناس جارية على أدلالها أي على مسالكها واحدها ذل. آلة: حالة. تقول: فإما أن أموت وإما أن أنجو، ولو قالت آلة لم تَنجُ، لأنَّ الآلة هي الحربة. هممت بنفسي قال أبو عبيدة: هذا تَوَعَّدُ، قال الأصمعي: كلُّ الهموم، قال الأثرم: كأنها أرادت أن تقتل نفسها. أبو عبيدة: التَّكْدُسُ: التتابع، يتبع بعضها بعضاً، أي يغزو ويجاهد في الغزو كما تَتَوَقَّلُ^(٣) الوعول في الجبال، عن أبي عبيدة. قال الأصمعي: التكدس أن تُحْرَكْ مناكبها إذا مشت وكأنها تنصبُّ إلى بين يديها، وإنما وصفتها بهذا، تقول: لا تُسرِعِ إلى الحرب ولكن تمشي إليها رويداً وهذا أثبت له من أن يلقاها، وهو يركض، ويقال: جاء فلان يتكدس، وهي مشية من مشى الغلاظ القصار، وقال أبو زياد الكلابي: الكُدَّاسُ عَطَّاسُ الضَّانِ قال السلمي: التكدس تكدُّس الأوعال، وهو التَّفَحُّمُ، والتكدس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه. يهين النفوس، تريد غداة الكريهة، وقولها: أبقى لها، لأنها إذا تَذَامَرَتْ^(٤) وَعَشِيت القتال كان أسلم لها من الانهزام كقول بشر بن أبي خازم:

وَلَا يُنْجِي مِنَ الْعَمَرَاتِ إِلَّا بَرَكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارُ

[الوافر]

وقال بعضهم: أبقى لها في الذِّكْر وحُسن القول. والرجاجة: التي تتمخض من كثرتها. وقال الأصمعي: الكِرْفَةُ، وجمعها كرافئ، قِطْعٌ من السحاب بعضها فوق

(٢) أندى العالمين: أجود الناس وأكرمهم.

(٤) تذامرت على القتال: تحاثت على القتال.

(١) المطايا، الواحدة مطية: الجمال.

(٣) تتوقَّل: تصعد.

بعض، وقولها: ترمي السحاب: تنضم إليه وتتصل به. ويرمي لها: أي ينضم إليها السحاب حتى يستوي، مثل حد السنان لأنها ماضية. سهلتها: جئت بها سهلة. وجللت الشمس أي كسفت الشمس وصار عليها مثل الجلل، تبيل الحواصن، تقول: تلقى الحواصن وهي الحوامل من النساء أولادها من شدة الفزع وقولها: وليس بأولى أي ما كان وليها ولا أدنى إليها، ولكنه يكفي القريب والبعيد. ما عالها، قال أبو عمرو: عالها: غلبها، وقال أبو عبيدة: يقال: إنه ليعولني ما عالك أي يعمّني ما عمّك، ويقال: أفعّل كذا وكذا ولا يعلّك أن تأتي غيره أي لا يعجزك، ويقال: قد يعول لك أن تفعل كذا أي قد دنا لك أن تفعل ذاك، وأنشد:

ضربا كما تكدّس الوعولُ يعول أن أنبطها يعولُ
[الرجز]

أي قد دنا ذلك، ويقال عال كذا وكذا منك أي دنا منك، ويروى: «وليس بأدنى ولكنه» وقولها: معمة: إبل، وقولها «قاعداً» أي على فرسك، قال النابغة:

فُعُوداً على آل الوجيه ولاحق

والأغفال: ما لا سمة عليها، واحدها غفل. الثميل: بقية الماء في الصخرة والخل: الطريق في الرمل تقول: أعيت فتركتها هنالك، ويروى:

غادرت بالئخل أوصالها

قال الأصمعي: ناجية: سريعة، ويروى «إلى ملك وإلى شاني» تقول: تقود خيلك إلى ملك أو عدو ويروى «إكلالها». الإراخ: بقر الوحش، تقول: خرجت من بيوتهن كما خرجت البقر من كُسيها فرحاً بالمطر، ومثله في الفرح بالمطر لابن الأحمر قوله:

مارية^(١) لؤلؤان اللون أوردتها طلّ وبئس^(٢) عنها فرقد^(٣) خصر^(٤)
[البسيط]

أي قوى أنفسها المطر لما رآته، ومثله:

ألا هلك امرؤ قامت عليه بخيف^(٥) عنيزة البقر الهجون^(٦)
[الخفيف]

(٢) بئس عنها: تأخر.

(٤) خصر: الدقيق الخصر.

(١) المارية: البقرة الوحشية.

(٣) فرقد: ولد البقرة الوحشية.

(٥) خيف عنيزة: موضع.

(٦) البقر الهجون: المقيم منها.

أَي لَمْ يَقْرَن فِي الْبُيُوتِ فَتَسْتَرْهَنَ الْبُيُوتُ، بَلْ هُنَّ ظَوَاهِرُ، وَإِنَّمَا شَبَّهَ اجْتِمَاعَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ بِاجْتِمَاعِ الْعَيْنِ^(١) وَخُرُوجَهُنَّ لِلْمَطَرِ قَالَ: وَبَقَرِ الْوَحْشَ تَفْرَحُ بِالْمَطَرِ.
وَقَالَ دَرِيدٌ يَرِثِي مَعَاوِيَةَ أَخَا الْخَنْسَاءِ لَمَّا قَتَلَتْهُ بَنُو مَرَّةَ:

أَلَا بَكَرْتُ تَلُومُ بِغَيْرِ قَدَرٍ فَقَدْ أَحْفَيْتَنِي^(٢) وَدَخَلْتَ سِتْرِي
فَإِنْ لَمْ تَتْرَكِي عَذْلِي^(٣) سَفَاهَا^(٤) تَلُمُكَ عَلَيَّ نَفْسُكَ أَيَّ عَضْرِ
أَسْرَكُ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ سَدَى عَلَيَّ بِشْرَهُ يَغْدُو وَيَسْرِي؟!
وَأَلَّا تُزَرِّئِي^(٥) نَفْسًا وَمَالًا يَضْرُكُ هُلُكُهُ فِي طُولِ عُمَرِي
فَقَدْ كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ فَكَذْبِهَا فَإِنْ جَزَعُ وَإِنْ إِجْمَالُ صَبْرِ
وَإِنْ الرُّزَاءُ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
رَأَيْتُ مَكَانَهُ فَعَرَضْتُ بَدَأَ وَأَيُّ مَقِيلِ رُزْءٍ يَا ابْنَ بَكْرِ
إِلَى إِرَمٍ وَأَحْجَارٍ وَصِيرٍ وَأَغْصَانِ مِنَ السَّلَامَاتِ^(٦) سُمِرِ
[الخفيف]

صِير، الواحدة: صيرة، وهي حظيرة الغنم، وقوله: «وَأَغْصَانِ مِنَ السَّلَامَاتِ» أَي أَلْقَيْتَ عَلَى قَبْرِهِ:

وَبَنِيَانُ الْقُبُورِ أَتَى عَلَيْهَا طَوَالَ الدَّهْرِ مِنْ سَنَةٍ وَشَهْرٍ
وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَسَرَى حَثِيثًا سَرِيعَ السَّعْيِ أَوْ لَأَتَاكَ يَجْرِي
بِشَكَّةٍ^(٧) حَازِمٍ لَا عَيْبَ فِيهِ إِذَا لَبِسَ الْكُمَاءُ^(٨) جُلُودُ نَمْرٍ
[الخفيف]

أَي كَانَ أَلْوَانُهُم أَلْوَانَ النَّمُورِ، سَوَادٌ وَبَيَاضٌ مِنَ السَّلَاحِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ:
فَإِمَّا تُمَسُّ فِي جَدَثٍ^(٩) - مُقِيمًا بِمَسْهَكَةٍ^(١٠) مِنَ الْأُرُوحِ - قَفَرٍ^(١١)

(١) الْعَيْنُ: ذَوَاتُ الْعَيْنَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ مَعَ اسْوَدَادِهَا وَشِدَّةِ ابْيَاضِهَا.

(٢) أَحْفَيْتَنِي: بَالِغَتْ وَأَظْهَرَتْ الْفَرْحَ بِي. (٣) عَذْلِي: لُومِي.

(٤) السَّفَاهُ: الْجَهْلُ وَالشُّتْمُ. (٥) زَرَّئِي: أُصِيبَ بِنَقْصِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ.

(٦) السَّلَامَاتُ، الْوَاحِدَةُ سَلَمَةٌ: جَنْسٌ مِنَ الشَّجَرِ شَائِكَةٌ مِنْ فَصِيلَةِ الْقَطْنِيَّاتِ.

(٧) الشَّكَّةُ: السَّلَاحُ. (٨) الْكُمَاءُ: الْوَاحِدُ كُمِي: الْبَطْلُ الْمُدْجَجُ بِالسَّلَاحِ.

(٩) الْجَدَثُ: الْقَبْرِ.

(١٠) الْمَسْهَكَةُ: الْعَاصِفَةُ الشَّدِيدَةُ الْهَبُوبِ.

(١١) الْقَفَرُ: الْمَغَارَةُ الْمَوْحِشَةُ لَا أُنَيْسَ فِيهَا وَلَا مَاءَ.

فَعَزَّ عَلَيَّ هُلُكُكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو وَمَالِي عَنْكَ مِنْ عَزْمٍ وَصَبْرٍ
[الخفيف]

قال أبو الحسن الأثرم: فلما دخل الشهر الحرام - فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بلال بن سهم - من السنة المقبلة خرج صخر بن عمرو حتى أتى بني مُرَّة بن عوف بن سعد بن دُبَيَّان، فوقف على ابني حرملة، فإذا أحدهما به طعنة في عَضُدِهِ - قال لم يُسمِّه أبو بلال بن سهم، فأما خُفَّاف بن عُمَيْرٍ فرعم في كلمته تلك أن المطعون هاشم - فقال: أيكما قتل أخي معاوية؟ فسكتا فلم يخبراه شيئاً قال: فقال الصحيح للجريح: مالك لا تجيبه؟ فقال: وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشدَّ أخي عليه فقتله، فأينما قتلت أدركت ثأرك إلا أنا لم نسلُب أخاك. قال: فما فعلت فرسه الشَّماء؟ قال: هاهي تلك خذها فردَّها عليه فأخذها ورجع، فلما أتى صخر قومه قالوا له: اهْجُهم قال: إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَدْع، ولو لم أكفف نفسي إلا رغبةً عن الخنا^(١) لفعلت وكففت، وقال صخر في ذلك:

وعاذلة هبَّت بليلٍ تلومني ألا تلوميني كفى اللوم ما بيا
[الطويل]

قال: أراد: تُباركه باللوم، ولم يرد الليل نفسه، إنما أراد عجلتها عليه باللوم كما قال النمر بن تَوَلَّب العكلي:

بَكَرْتُ بِاللُّومِ تَلْحَانَا^(٢)

وقال غيره: تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم والأضياف والنظر في الحِمالات وأمور قومه لأنه قد رأسهم:

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي إذا أهجوهم ثم مالي
أبي الشَّتم أني قد أصابوا كريمتي وأن ليس إهداء الخنا من شمالي
[الطويل]

أي من شمائي، ويروى: من فعاليا.

إذا ذُكر الإخوان رُقِرَتْ عبرةً وحيثُ رَمَساً^(٣) عند لِيَّة^(٤) ثاويًا^(٥)

(١) الخنا: الفاحشة قولاً وعملاً.

(٢) تلحانا: تلومنا.

(٣) الرمس: القبر مستويًا لا يعلو عن وجه الأرض.

(٤) لِيَّة: موضع من نواحي الطائف.

(٥) ثاويًا: مقيمًا، ماكثًا.

إِذَا مَا امْرُؤٌ أَهْدَى لَمَيَّتَ تَحِيَّةً فحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِي مُعَاوِيَا
وَهَوَّوْنَ وَجَدِي أَتْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذِبْتَ وَلَمْ أَبْخُلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا
فَنِعَمَ الْفَتَى أَدَى ابْنُ صِرْمَةَ بَرَّهَ إِذَا الْفَحْلُ أَضْحَى أَحَدَبَ الظَّهْرِ عَارِيَا
[الطويل]

قال أبو عبيدة: ثم زاد فيها بيتاً بعد أن أوقع بهم، فقال:

وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتُ أَقْرَانَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرْكُونِي وَاحِداً لَا أَخَالِيَا
[الطويل]

قال أبو عبيدة: فلما كان في العام المقبل غزاهم وهو على فرسه السماء، فقال:
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَعْرِفُونِي وَيَعْرِفُوا غُرَّةَ السَّمَاءِ فَيَتَأَهَّبُوا، قال: فحَمَمَ غُرَّتَهَا، قال: فلما
أَشْرَفْتُ عَلَى أَدْنَى الْحَيِّ رَأَوْهَا فَقَالَتْ فَتَاةٌ مِنْهُمْ: هَذِهِ وَاللَّهِ السَّمَاءُ، فنظروا فقالوا:
السَّمَاءُ غَرَاءَ وَهَذِهِ بِهِيمٌ، فلم يُشْعَرْ إِلَّا وَالْخَيْلُ دَوَائِسَ، فاقتتلوا. فقتلَ صَخْرٌ دُرَيْداً
وَأَصَابَ بَنِي مُرَّةٍ، فقال:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُنَاءً وَمَوْحِداً وَتَرَكْتُ مُرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُدْبِرِ
[الكامل]

قال الأثرم: مثني وثناء لا ينونان، قال ابنُ عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ:

يَبَاعُونَ بِالْبُعْرَانِ مِثْنِي وَمَوْحِداً

لا ينونان لأنهما مما صُرِفَ عن جهته، والوجه أن يقول: اثنين اثنين وكذلك
ثلاث ورُبَاع، وقال صخر:

مَنْتُ لَكَ أَنْ تُثْلِقِيَنِي الْمَنَايَا أَحَادُ أَحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَالِ
[الوافر]

قال، ولا تجاوز العرب الرُّبَاعَ غيرَ أَنْ الكَمِيت، قال:

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ تَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالاً عُشَارَا
[المتقارب]

وَلَقَدْ دَفَعْتُ إِلَى دُرَيْدٍ طَعْنَةً نَجَلَاءَ تُزْغِلَ مِثْلَ عَطٍّ^(١) الْمَنْحَرِ
[الوافر]

(١) العَطُّ: الشَّقُّ من غير بينونة.

تُزْغِلُ : تُخْرِجُ الدَّمَّ قِطْعاً قِطْعاً ، قَالَ وَالزُّغْلَةُ : الدَّفْعَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الدَّمِّ وَالْبَوْلُ ، قَالَ :

فَأَزْغَلْتُ فِي الْحَلْقِ إِزْغَالَةً

وَقَالَ صَخْرٌ أَيْضاً فَيَمْنٌ قَتَلَ مِنْ بَنِي مِرَّةَ :

قَتَلْتُ الْخَالِدِينَ بِهِ وَبِشَرٍّ وَعَمراً يَوْمَ حَوْزَةَ وَابْنَ بَشَرٍ
وَمِنْ شَمْخٍ قَتَلْتُ رَجَالَ صِدْقٍ وَمَنْ بَذَرَ فَقَدْ أَوْفَيْتُ نَذْرِي
وَمِرَّةٌ قَدْ صَبَحْنَاهَا الْمَنِيَا فَرَوَيْنَا الْأَسِنَّةَ غَيْرَ فَخْرٍ
وَمِنْ أَفْنَاءَ^(١) ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ قَتَلْتُ وَمَا أَبْيَئُهُمْ^(٢) بِوِثْرِ^(٣)
وَلَكِنَّا نُرِيدُ هَلَاكَ قَوْمٍ فَنَقْتُلُهُمْ وَنَشْرِيهِمْ بِكَسْرِ
[الوافر]

وَقَالَ صَخْرٌ أَيْضاً :

أَلَا لَا أَرَى مُسْتَعْتَبَ الدَّهْرِ مُعْتَبَاً وَلَا آخِذاً مِنْهُ الرِّضَا إِنْ تَغَضَّبَا
وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتَ أَقْرَانِ^(٤) بَيْنَهُمْ إِذَا مَا النُّفُوسُ صِرْنَ حَسْرَى وَلُغْبَاً^(٥)
أَقُولُ لِرُمْسٍ بَيْنَ أَجْرَاعِ بَيْشَةَ^(٦) سَقَاكَ الْغَوَادِي الْوَابِلَ الْمُتَحَلِّبَا^(٧)
لَنَعْمِ الْفَتَى أَدَى ابْنِ صِرْمَةَ بَزَهَ إِذَا الْفَحْلُ أَمْسَ عَارِي الظَّهْرِ أَحْدَبَا
[الطويل]

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : ثُمَّ إِنَّ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ خَرَجَ غَازِيَا فَلَمَّا كَانَ بِبِلَادِ جُشَمَ بْنَ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ نَزَلَ مَنْزِلًا ، وَأَخَذَ صَفْنَتَهُ^(٨) وَخَلَا لِحَاجَتِهِ بَيْنَ شَجَرٍ ، وَرَأَى غَفْلَتَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَصْوَارِ الْجَشْمِيَّ ، فَتَبِعَهُ ، وَقَالَ : هَذَا قَاتِلُ مَعَاوِيَةَ لَا وَالَّتِ نَفْسِي إِنْ وَالَّ^(٩) . فَلَمَّا قَعَدَ عَلَى حَاجَتِهِ تَقَتَّرَ^(١٠) لَهُ بَيْنَ الشَّجَرِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ خَلْفَهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِعْبَلَةً^(١١) فَقَتَلَهُ ، فَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي ذَلِكَ - قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ، وَهِيَ الْخَنَسَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الشَّرِيدِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ عُصَيَّةَ بْنِ خُفَافِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ بُهْتَنَةَ بْنِ سُلَيْمٍ :

(١) أَفْنَاءُ ، الْوَاحِدُ فِتْنُو : أَيُّ لَا يُعْلَمُ مِمَّنْ هُوَ . (٢) أَبْيَئُهُمْ : أَقْتَلَ الْقَاتِلَ بِالْقَتِيلِ .

(٣) الْوِثْرُ : الثَّأْرُ . (٤) الْأَقْرَانُ : الْأَصْحَابُ .

(٥) اللَّغْبُ : الْمُتَعَبُونَ مِنْ شِدَّةِ الْإِعْيَاءِ . (٦) بَيْشَةُ : مَوْضِعٌ .

(٧) الْوَابِلُ الْمُتَحَلِّبُ : الْمَطَرُ الْمُنْهَمِرُ . (٨) الصَّفْنَةُ : خَرِيطَةُ الرَّاعِي يَضَعُ فِيهَا حَاجِيَاتِهِ .

(٩) وَالَّ مِنْ الشَّيْءِ : طَلَبَ الْخُلَاصَ مِنْهُ نَاجِيًا بِنَفْسِهِ .

(١٠) تَقَتَّرَ : غَضِبَ وَتَهَيَّأَ لِلْقِتَالِ . (١١) الْمِعْبَلَةُ : النِّصْلُ الطَّوِيلُ الْعَرِضُ .

فَدَى لِلْفَارِسِ الْجُشَمِيَّ نَفْسِي وَأَفْدِيهِ بِمَنْ لِي مِنْ حَمِيمٍ
أَفْدِيهِ بِكُلِّ بَنِي سُلَيْمٍ بظاعنهم^(١) وبالأئسِّ المقيم
كَمَا مِنْ هَاشِمٍ أَقْرَرْتُ عَيْنِي وَكَانَتْ لَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ^(٢)

[الوافر]

قال أبو عبيدة: وكان هاشم بن حرملة بن صرمة بن مرة أسود العرب وأشدَّهم
وله يقول الشاعر:

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمٌ بَنُ حَرْمَلِهِ يَوْمَ الْهَبَاتَيْنِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ^(٣)
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِذَا الْمَلُوكُ حَوْلَهُ مُعْرِبِلُهُ^(٤)
وسيفه للوالدات مشكَّله

[الرجز]

حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون
قال: حدثنا الكسروي:

عن الأصمعي، قال:

مررتُ بأعرابيٍّ، وهو يخضدُ^(٥) شجرةً وقد أعجبته سماحتها وهو يرتجز ويقول:
لَوْ كُنْتُ إِنْسَانًا لَكُنْتُ حَاتِمًا أَوْ الْغَلَامَ الْجُشَمِيَّ هَاشِمًا
[الرجز]

قلت: من هاشم هذا؟ قال: أولاً تعرفه؟ قلت: لا، قال: هو الذي يقول:

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلُومُنِي كَأَنِّي إِذَا أَنْفَقْتُ مَالِي أَضِيمُهَا^(٦)
دَعِينِي فَإِنَّ الْجُودَ لَنْ يُتْلِفَ الْفَتَى وَلَنْ يُخْلِدَ النَّفْسَ اللَّئِيمَةَ لُومُهَا
وَتَذَكَّرُ أَخْلَاقَ الْفَتَى، وَعِظَامُهُ مُفَرِّقَةٌ فِي الْقَبْرِ بِإِدْرَمِيْمُهَا
سَلِي كُلِّ قَيْسٍ هَلْ أَبَانِي خِيَارُهَا وَيُعْرِضُ عَنِّي وَغَدُهَا وَلِئِيمُهَا
وَتَذَكَّرُ قَيْسٍ مِئَّتِي وَتَكْرُمِي إِذَا ذَمَّنِي فَتِيَانُهَا وَكَرِيمُهَا
[الطويل]

(١) الظاعن: المرتحلة في هودجها من النساء.

(٢) في هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروي ما لم تسكن القافية.

(٣) الهبتان واليعملة: موضعان، وقعت فيهما معارك بين العرب.

(٤) مغربلة: قتلى منكّل بهم.

(٥) يخضد شجرة: يكسرها.

(٦) أضيمها: أظلمها.

قلت: لا أعرفه، قال: لا عرفت، هو الذي يقول فيه الشاعر:
 أحياء أباه هاشم بن حرملة يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له
 ترى الملوكة حوله مغرلة^(١)

[الرجز]

مضى الحديث

(١) مغرلة: قتلى منكّل بهم.

الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم

صوت

تَأَبَّدَ الرَّبْعُ مِنْ سَلْمَى بِأَجْفَارٍ وَأَقْفَرْتُ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةً^(١) الدَّارِ
وَقَدْ تَحُلُّ بِهَا سَلْمَى تُحَدِّثُنِي تَسَاقُطُ الْحَلْيَ حَاجَاتِي وَأَسْرَارِي
[البسيط]

الشعر للأخطل، والغناء لِعُمَرَ الوادي هزج بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيهما رمل بالنصر، ويقال: إنه لابن جامع، ويقال: إنه لغيره، وفيهما خفيف رمل بالوسطى ذكر الهشامي أنه لحكم، وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقیل أول بالوسطى. ومما يُغنى فيه من هذه القصيدة:

وشاربٍ مُزْبِحٍ بِالكأسِ نَادِمْنِي لَا بِالْحَصُورِ^(٢) وَلَا فِيهَا بَسَّارِ^(٣)
نَازَعْتُهُ طَيْبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ^(٤) وَقَدْ صَاحَ الدِّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي^(٥)
لَمَّا أَتَوْهَا بِمَصْبَاحٍ وَمَبْزَلِهِمْ^(٦) سَمَتْ إِلَيْهِمْ سُمُو الْأَبْجَلِ^(٧) الضَّارِي^(٨)
[البسيط]

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالنصر عن الهشامي، وذكر غيره أنها للدلال، ومنها:

فَرَزْدْتُ عَنْ يَدَيْهِ ذِبَّانَ الرِّيَاضِ كَمَا عَنَى الْعَوَاةُ بِصَنْجٍ^(٩) عِنْدَ إِسْوَارِ^(١٠)

(١) الدمنة: آثار الدار . (٢) الحصور: البخل .

(٣) السَّار: هو من يترك بقية في قعر إناء يشرب منه .

(٤) الشمول: من أسماء الخمرة . (٥) الساري: الذي يمشي في الليل .

(٦) المبزل: آلة تستعمل لتصفية الشراب . (٧) الأبجل: عرق غليظ .

(٨) الضاري: الدم السائل في العرق . (٩) الصنج: من آلات الطرب الموسيقية .

(١٠) الإسوار: القائد من الفرس .

كَأَنَّهُ مِنْ نَدَى الْقُرَاصِ^(١) مُعْتَرِضٌ بِالْوَرَسِ^(٢) أَوْ خَارِجٌ مِنْ بَيْتِ عَطَّارٍ
[البسيط]

غناه ابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في
مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانه أنه لمعبد، وذكر الهشامي أن لمالك
فيه ثقيلًا أولًا، ووافقه يونس في نسبته إلى مالك، ولحكم في قوله:

فَرَدُّ تُغْنِيهِ ذِيَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا

وبعده قوله:

صَهْبَاءُ^(٣) قَدْ عَنَسَتْ^(٤) مِنْ طَوْلِ مَا حُسِتْ فِي مَخْدَعٍ بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ
[البسيط]

خفيف ثقيل بالنصر، ومنها:

لَأَسْكَنْتَنِي قُرَيْشٌ فِي ظِلَالِهِمْ وَمَوَّلَتَنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ^(٥)
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ عَنِ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ
[البسيط]

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يُجَنِّسه، وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيد بن
معاوية لما منع من قطع لسانه حين هجا الأنصار، وكان يزيد هو الذي أمره بهجائهم،
فقيل: إن السبب في ذلك كان تشبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية،
وقيل: بل حمي لعبد الرحمن بن الحكم.

أخبرني الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أبو يحيى الزُّهري
قال: حدثني ابن أبي زريق، قال:

شَبَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ بَرْمَلَةَ بِنْتَ مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ:

رَمَلْ هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ غَزَالٍ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنِّي
إِذْ تَقُولِينَ عَمْرُكَ اللَّهُ هَلْ شَيْءٌ وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسْلِيكَ عَنِّي
أَمْ هَلِ أَطْمِعْتُ مِنْكُمْ يَا ابْنَ حَسَا نَ كَمَا قَدْ أَرَاكَ أَطْمِعْتَ مِنِّي
[الخفيف]

(١) القُرَاص: ضرب من النباتات.

(٢) الورس: ضرب من النباتات، لونه أصفر.

(٣) الصهباء من الخمور: ما كان يخالط بياضها حمرة.

(٤) عنست: لم تزوج رغم قدمها.

(٥) الإقتار: ضيق العيش والفقير.

قال: فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب، فدخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى هذا العِلج^(١) من أهل يثرب يتهكم بأعراضنا ويتشَبَّب بنسائنا؟ قال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان، وأنشده ما قال، فقال: يا يزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوي القُدرة، ولكن أمهل حتى يقدّم وفد الأنصار ثم ذكّرني. قال: فلما قدموا ذكّره به، فلما دخلوا عليه، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك تُشَبَّب برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى ولو علمت أن أحداً أُشرف به شعري أُشرف منها لذكرته. قال: وأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختاً يقال لها هند؟ قال: نعم، قال: وإنما أراد معاوية أن يُشَبَّب بهما جميعاً فيكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك أن يُشَبَّب بهما جميعاً فأرسل إلى كعب بن جعيل، فقال: اهْجُ الأنصار. فقال: أفرق^(٢) من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر، قال: ومن هو؟ قال: الأخطل. قال: فدعا به فقال: اهْجُ الأنصار، فقال: أفرق من أمير المؤمنين، فقال: لا تخف شيئاً، أنا لك بذلك، قال: فهجاهم فقال:

وإذا نسبت ابنَ الفُرَيْعةِ خَلَّتَه
لَعَنَ الإلهُ مِنَ اليَهُودِ عِصَابَةً
قَوْمٌ إِذَا هَدَرَ العَصِيرُ^(٤) رَأَيْتَهُمْ
خَلُّوا المَكَارِمَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا
إِنِ الفَوَارِسُ يَعْلَمُونَ ظُهُورَكُمْ
ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالمَكَارِمِ والعُلَا
كَالجَحْشِ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارٍ
بِالْجَزَعِ بَيْنَ صُلَيْصِلٍ وَصِرَارٍ^(٣)
حُمَرَاءُ عِيُونُهُمْ مِنَ المُسْطَارِ
وَخَذُوا مَسَاحِيكُمْ^(٥) بَنِي النَّجَارِ
أَوْلَادُ كُلِّ مُقَبِّحٍ أَكْكَارٍ^(٦)
وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَائِمِ الأنْصَارِ
[الكامل]

فبلغ ذلك الثُّعْمَانُ بنَ بَشِيرٍ فدخل على معاوية فحسر^(٧) عن رأسه عمامته، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: لا بل أرى كرماً وخيراً، ما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمامتنا، قال: أو فعل؟ قال: نعم، قال: لك لسانه، قال: وكتب فيه أن يؤتى به، فلما أُتِيَ به سأل الرسول لِيُدْخِلْهُ إِلَى يَزِيدَ أَوَّلًا، فأدخله عليه

(١) العِلج، بكسر العين: الرجل الضخم القوي، ويطلق على كفار العجم.

(٢) أفرق: أخاف.

(٣) الجزع وصليصل وصرار: مواضع.

(٤) العَصِير: المعصور.

(٥) المساحي، الواحدة مسحة: آلة يستعملها النجارون لقشر الأخشاب.

(٦) الأكّار: الحزّاث.

(٧) حسر: كشف.

فقال: هذا الذي كنتُ أخاف. قال: لا تخف شيئاً، ودخل على معاوية فقال: علامَ أُرْسِلَ إلى هذا الرجل، وهو يرُمي من وراء جَمْرَتَيْنَا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ. قال: لا يُقبلُ قولُه عليه، وهو يدَّعي لنفسه ولكن تدَّعوه بالبيئَة، فإن أثبت شيئاً أخذته به له، فدعاه بالبيئَة فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وَإِنِّي غَدَاةٌ اسْتَعْبَرْتُ أُمَّ مَالِكٍ لِرَاضٍ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَتَهَدَّدَا
وَلَوْلَا يَزِيدُ ابْنُ الْمَلُوكِ وَسَعْيُهُ تَجَلَّلْتُ حِذْبَاراً^(١) مِنَ الشَّرِّ أَنْكَدَا
فَكَمْ أَنْقَذْتَنِي مِنْ خُطُوبِ حِبَالِهِ وَخَرَسَاءَ لَوْ يُرْمَى بِهَا الْفِيلُ بَلَدَا
وَدَافَعَ عَنِّي يَوْمَ جَلَّقَ^(٢) غَمْرَةً وَهَمَّا يُنْسِينِي السُّلَافَ^(٣) الْمُبْرَدَا
وَبَاتَ نَجِيّاً فِي دَمَشَقٍ لِحَيَّةٍ إِذَا هُمْ لَمْ يُنِمِ^(٤) السَّلِيمُ^(٥) فَأَقْصَدَا^(٦)
يُخَافُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى مِنْ الْوَجْهِ إِقْبَالاً أَلَحَّ وَأَجْهَدَا
وَأَطْفَأَتْ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَ مَا أَعَدَّ لِأَمْرِ فَاجِرٍ وَتَجَرَّدَا
وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ طَوَى الْكَشْحَ^(٧) إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعْنِي وَعَرَّدَا^(٨)

[الطويل]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، قال: حدثنا المدائني، عن أبي عبد الرحمن بن المبارك، قال:

شَبَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ بِأَخْتِ مُعَاوِيَةَ، فَغَضِبَ يَزِيدُ فَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَانَ. قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: شَبَّبَ بَعْمَتِي. قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: قَالَ:

طَالَ لَيْلِي وَبْتُ كَالْمَحْزُونِ وَمَلِلْتُ الثَّوَاءَ^(٩) فِي جَيْرُونِ^(١٠)

[الخفيف]

قال معاوية: يا بني وما علينا من طول ليله وحزنه أبعده الله؟ قال: إنه يقول:

(١) الحَذْبَارُ مِنَ النِّبَاقِ: هِيَ الَّتِي ذَهَبَ سَنَامُهَا وَعَرِيتْ عَظَامُهَا.

(٢) جَلَّقَ: مَوْضِعٌ. (٣) السُّلَافُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْخُمَرَةِ.

(٤) لَمْ يُنِمِ: لَمْ يَنُج. (٥) السَّلِيمُ: الْمَلْدُوحُ، سَمِّيَ بِذَلِكَ عَلَى أَمَلِ شَفَائِهِ.

(٦) أَقْصَدَ: لَدَغَ فَمَاتَ. (٧) طَوَى الْكَشْحَ: ضَمَرَتْ خَاصِرَتَهُ.

(٨) عَرَّدَ: بَالِغٌ فِي فِرَارِهِ. (٩) الثَّوَاءُ: الْبَقَاءُ.

(١٠) جَيْرُونُ: مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ مَدِينَةِ دَمَشَقَ.

فلذاكَ اغترَبْتُ بِالسَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ
[الخفيف]

قال: يا بني، وما علينا من ظنِّ أهله؟ قال: إنه يقول:

هي زهراءٌ مثلُ لؤلؤةِ الغَوَا صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرِ مَكْنُونِ
[الخفيف]

قال: صدق يا بني، قال: إنه يقول:

وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
[الخفيف]

قال: صدق يا بني هي هكذا. قال: إنه يقول:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضِ رَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ
[الخفيف]

خاصرتها: أَخَذْتُ بِخَصْرِهَا وَأَخَذْتُ بِخَصْرِي.

قال: وَلَا كُلُّ هَذَا يَا بَنِي، ثُمَّ ضَحِكَ وَقَالَ: أَنْشِدْنِي مَا قَالَ أَيْضًا. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاكِجٍ^(١) نَصَبُوهَا عِنْدَ حَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ^(٢)
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتَ مِنَ الْبَا بٍ وَإِنْ كُنْتَ خَارِجًا فَيَمِينِي
تَجْعَلُ النَّدَّ وَالْأَلْوَةَ^(٣) وَالْعُو دِصْلَاءَ^(٤) لَهَا عَلَى الْكَانُونِ
وَقِبَابٍ قَدْ أُشْرِجَتْ^(٥) وَبِوِوتِ نُطِقَتْ^(٦) بِالرِّيحَانِ وَالزَّرَجُونِ^(٧)
[الخفيف]

قال: يا بني ليس يجب القتل في هذا، والعقوبة دون القتل، ولكننا نكفُّه بالصلة

والتجاوز.

نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء

صوت

هي زهراءٌ مثلُ لؤلؤةِ الغَوَا صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرِ مَكْنُونِ

(١) المراجل، الواحد مرجل: القدر.

(٢) قيطون: موضع.

(٣) الألوة: ما يتبخَّر به.

(٤) الصلاء: الشعلة.

(٥) أشرجت: شَدَّتْ وجمعت عراها إلى بعضها البعض.

(٦) نطقت: شَدَّ وسطها بالنطاق.

(٧) الريحان والزرجون: من النباتات العطرية.

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ
[الخفيف]

نسخت من كتاب ابن النطاح، وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب، قال: حدثنا
شُعيب بن صفوان.

إن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يُشَبَّبُ بابنة معاوية ويذكرها في شعره،
فقال الناس لمعاوية: لو جعلته نكالا^(١)، فقال: لا، ولكن أدأويه بغير ذلك، فلما وفد
عليه، وكان يدخل في أخريات الناس أجلسه على سريرته معه، وأقبل عليه بوجهه
وحديثه، ثم قال: إن ابنتي الأخرى عاتبة عليك. قال: في أي شيء؟ قال في مِدْحَتِكَ
أُخْتَهَا وتركِكَ إِيَّاهَا. قال: فلها العتبي وكرامة، أنا ذاكرها وممتدحها، فلما فعل وبلغ
الناس قالوا: قد كنا نرى أن تشبب ابن حسان بابنة معاوية لشيء فإذا هو على رأي
معاوية وأمره، وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنت أخرى أنه إنما خدعه ليشبب بها
ولا أصل لها فتعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية.

وقد قيل في حمل يزيد بن معاوية الأخطل على هجاء الأنصار: إنه فعل ذلك
تعصبا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية أخي مروان بن الحكم في مهاجاته
عبد الرحمن، وغضباً له لما استعلاه ابن حسان في الهجاء.

* * *

(١) النكال: جعل المرء عبرة لسواه لسوء فعله.

ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، قال: حدثنا أبو غسان دِمَاضٌ، عن أبي عُبَيْدَةَ، قال: أخبرني أبو الخطاب الأنصاري قال:

كان عبد الرحمن بن حسان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي مخالطاً له، فقليل له: إن ابن حسان يَخْلُفُكَ في أهلِكَ، فراسل امرأة ابن حسان، فأخبرت بذلك زوجها وقالت: أرسل إليّ: إني أحبُّك حبّاً أَرَاهُ قَاتِلِي، فأرسل ابن حسان إلى امرأة ابن الحكم، وكانت تواصله، وقال للرسول: اذهب إليها وقل لها: إن امرأتي تزور أهلها اليومَ فزوريني حتى نخلو، فزارته، فقعد معها ساعة ثم قال لها: قد والله جاءت امرأتي، فأدخلها بيتاً إلى جنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم: إنك ذكرت حبك إياي، وقد وقع ذلك في قلبي، وإن ابن حسان قد خرج اليومَ إلى ضيعته فهلَمْ^(١)؛ فتهيأاً ثم أقبل، فإنه لقاعد معها إذ قالت له: لقد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لا يشعُر بك، فأدخلته البيت الذي فيه امرأته، فلما رآها أيقن بالسَّوْءَةِ، ووقع الشرّ بينهما، وهجا كل واحد منهما صاحبه.

قال أبو عُبَيْدَةَ: هذه رواية أبي الخطاب الأنصاري.

وأما قريش فإنهم يزعمون أن امرأة ابن حسان كانت تحب عبد الرحمن وتدعوه إلى نفسها، فيأبى ذلك حفظاً لما بينه وبين زوجها، وبلغ ذلك ابن حسان فراسل امرأة ابن الحكم حتى فضحها، وبلغ ذلك ابن الحكم، وقيل له: إنك إذا أتيت ضيعتك أرسلت إلى ابن حسان فكان معها، فأمر ابن الحكم أهله فقال: عالجوا لي سُفْرة حتى أطلع ما لي بمكان كذا وكذا، فخرج وبعثت امرأته إلى ابن حسان فجاء كما كان يفعل، ورجع ابن الحكم حين ظن أن ابن حسان قد صار عندها، فاستفتح، فقالت: ابن الحكم والله، وخبأته خلفها في بيت، ودخل عبد الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان: إنه قد وقعت لك في قلبي مَقَّةٌ^(٢) فأقبلي إليّ الساعة، فتهيأت وأقبلت حتى

(١) هلم: اسم فعل أمر بمعنى أقدم وأسرع.

(٢) المقة: الحب، تحاب الطرفين لبعضهما.

دخلت عليه، فوضعت ثيابها وزوجها ينظر، فقال لها: قد كنت أكثرت الإرسال إليّ فما شأنك؟ قالت: إني والله هالكة من حبك، قال: وزوجها يسمع، وإنما أراد أن يُعلمه أنها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها - وزعم أنها هي التي قالت لابن الحكم: إن ابن حسان يخلّفك في أهلك - فلما فرغ من كلامه وأسمعه زوجها، قال لها: قد جاءت امرأتي، وأدخلها البيت الذي فيه ابن حسان، فلما جمعهما في مكان واحد خرج عنهما، فخرجا وطلّق امرأته.

أخبرني ابن دريد، قال: أخبرنا الرياشي، قال: حدثنا ابن بكير عن هشام بن الكلبي، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال:

رأيت مروان بن الحكم يطوف بالبيت ويقول: اللهم أذهب عني الشعر وأخوه عبد الرحمن يقول: اللهم إني أسألك ما استعاذ منه. فذهب الشعر عن مروان وقاله عبد الرحمن.

وأما هشام بن الكلبي فإنه حدّث عن خالد وإسحاق ابني سعيد بن العاصي: أن سبب التهاجي بينهما كان أنهما خرّجا إلى الصيد بأكلب لهما في إمارة مروان، فقال ابن الحكم لابن حسان:

أزجر كلابك إنها قَلْطِيَّة^(١) بُقِعَ ومثل كلابكم لم تضطد
[الكامل]

فرد عليه ابن حسان:

من كان يأكل من فريسة صيده
إنّا أناس ريقون^(٢) وإنّكم
حزناكم للضبّ تحترشونه
فالتّمر يُغنينا عن المتصيّد
ككلابكم في الولغ^(٣) والمتزرد^(٤)
والريّف يمنعكم بكلّ مُهنّد
[الكامل]

قال: ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان^(٥)، فقال عبد الرحمن بن الحكم في قصيدة:

ومثل أمك أمّ العبد قد ضربت
عندي ولي بفنائ^(٦) مزهر حرم

(١) القلطية: التي في غاية القصر. (٢) ريقون: أفاضل.

(٣) الولغ: لعق الكلب الماء. (٤) المتزرد: هو من يسرع في بلع ما يأكله.

(٥) يتقارضان: يتبادلان شعر الهجاء. (٦) فناء الدار: متسع من الأرض خارج البناء، ساحة الدار.

وَأَنْتَ عِنْدَ ذُنَابَاهَا تُعَاوِئُهَا عَلَى الْقُدُورِ تَحَسَّى^(١) خَاثِرَ^(٢) الْبُرْمِ
[البسيط]

فنفقضا عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التي يقول فيها:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي^(٣) مَطِيَّتَهُ إِذَا عَرَضْتَ فَسَائِلُ عَنْ بَنِي الْحَكَمِ
أَلْقَائِلِينَ إِذَا لَاقُوا عَدُوَّهُمْ فَرُّوا فَكِرَّوْا عَلَى النَّسْوَانِ وَالنَّعَمِ
كَمْ مِنْ أَمِينٍ نَصِيحِ الْجَيْبِ قَالَ لَكُمْ أَلَّا نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ يَا بَنِي الْحَكَمِ
عَنْ رَجُلٍ لَا بَغِيضَ فِي عَشِيرَتِهِ وَلَا ذَلِيلٍ قَصِيرِ الْبَاعِ مُعْتَصِمِ
[البسيط]

وقال ابن حسان:

صَارَ الذَّلِيلُ عَزِيزًا، وَالْعَزِيزُ بِهِ ذُلٌّ وَصَارَ فُرُوعُ النَّاسِ أَذْنَابًا
إِنِّي لَمُلْتِمَسٌ^(٤) حَتَّى يَبِينَ لَكُمْ فَيْكُم مَتَى كُنْتُمْ لِلنَّاسِ أَرْبَابًا
فَارْقُوا عَلَى ظِلْعِكُمْ^(٥) ثُمَّ انْظُرُوا وَسَلُّوا عَنَّا وَعَنْكُمْ قَدِيمَ الْعِلْمِ نَسَابًا
فَكَيْفَ يَضْحَكُ أَوْ تَعْتَادُهُ ذِكْرُ يَا بَوْسَ لِلدَّهْرِ لِلْإِنْسَانِ رِيَابًا
[البسيط]

ولهما نقائض كثيرة لا معنى لذكر جميعها هاهنا.

قال دِمَاز: وحدثني أَبُو عُبَيْدَةَ. عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ، قَالَ:

لَمَّا كَثَرَ التَّهَاجِي بَيْنَهُمَا وَأَفْحَشَا كَتَبَ مَعَاوِيَةُ يَوْمئِذٍ - وَهُوَ الْخَلِيفَةُ - إِلَى سَعِيدِ بْنِ
الْعَاصِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ أَنْ يَجْلُدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ سَوْطٍ، قَالَ: وَكَانَ ابْنُ حَسَانَ
صَدِيقًا لِسَعِيدٍ وَمَا مَدَحَ أَحَدًا قَطُّ غَيْرَهُ، فَكَرِهَ أَنْ يَضْرِبَهُ أَوْ يَضْرِبَ ابْنَ عَمِّهِ فَأَمْسَكَ عَنْهُمَا، ثُمَّ
وَلِيَ مِرْوَانَ، فَلَمَّا قَدَّمَ أَخَذَ ابْنُ حَسَانَ فَضْرِبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ وَلَمْ يَضْرِبْ أَخَاهُ، فَكَتَبَ ابْنُ حَسَانَ
إِلَى الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَهُوَ بِالشَّامِ وَكَانَ كَبِيرًا مَكِينًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ:

لَيْتَ شَعْرِي أَغَائِبٌ لَيْسَ بِالشَّامِ م خَلِيلِي أَمْ رَاقِدٌ نَعْمَانُ
أَيَّةٌ مَا يَكُنْ فَقَدْ يَرْجِعُ الْغَايَةُ يَوْمًا وَيُوقِظُ الْوَسْنَانَ^(٦)

(١) تحسَّى المرق: شربه شيئاً بعد شيء.

(٢) الخاثر من الألبان: ما اشتد وثخن، والبرم، الواحدة بُرمة: القدر من الحجر.

(٣) المزجي مطيته: هو سائقها.

(٤) الملتمس الشيء: طالبه.

(٥) الظلع: غمز البعير في مشيه.

(٦) الوسنان: النعسان.

إِنَّ عَمْرَأً وَعَامراً أَبَوَيْنَا
 إِنَّهُمْ مَانِعُوكَ أَمْ قِلَّةُ الْكُتَّةِ
 يَوْمَ أَنْبِئْتَ أَنَّ سَاقِي رُضَّتْ
 ثُمَّ قَالُوا إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ يُلْوِي
 فَتَيْطُ^(١) الْأَرْحَامُ وَالْوَدَّ وَالصَّحْـ
 إِنَّمَا الرَّمْحُ فَاعْلَمَنَّ قَنَاءُ
 وَحَرَاماً قِذْماً عَلَى الْعَهْدِ كَانُوا
 أَبِ أُمِّ امْرِئٍ بِهِ عَلَيْكَ هَوَانُ
 وَأَتَاكُمْ بِذَلِكَ الرُّكْبَانُ
 مِنْ أُمُورٍ أَتَى بِهَا الْحَدَثَانُ
 بَةً فِيمَا أَتَى بِهِ الْحَدَثَانُ
 أَوْ كَبَعْضِ الْعِيدَانِ لَوْلَا السَّنَانُ

[الخفيف]

وهي قصيدة طويلة، فدخل النعمان على معاوية، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة، فلم يفعل، ثم ولّيت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه. قال: فتريد ماذا؟ قال: أن تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سعيد، فكتب معاوية يَعْزِمُ عليه أن يضرب أخاه مائة، وبعث إلى ابن حسان بحُلَّة^(٢)، فلما قدم الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان إنني مُخَرِّجُكَ^(٣)، وإنما أنا مثل والدك، وما كان ما كان مني إليك إلا على سبيل التأديب لك. واعتذر إليه فقال ابن حسان: ما بدا له في هذا إلا لشيء قد جاءه، وأبى أن يقبل منه، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجّه إليه بالحُلَّة، فرمى بها في الحُش^(٤) فقيل له: حُلَّة أمير المؤمنين وترمي بها في الحُش؟ قال: نعم، وما أصنع بها؟ وجاءه قومه فأخبروه الخبر، فقال: قد علمت أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث، فقال الرسول لمروان: ما تصنع بهذا؟ قد أبى أن يعفو فهلّم أخاك، فبعث مروان إلى الأنصار، وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين فإنه ضعيف، فطلبوا إليه فأجابهم، فأخرجه فضربه خمسين، فلقي ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك، فقال له: أضربك مائة ويضربه خمسين، بئس ما صنعت إذ وهبتها له، قال: إنه عبد وإنما ضربه ما يُضْرَبُ العبدُ نصف ما يُضْرَبُ الحرُّ، فحُمِلَ هذا الكلام حتى شاع بالمدينة، وبلغ ابن الحكم فشقّ عليه فأتى أخاه مروان فخبّره الخبر وقال: فضحتني، لا حاجة لي فيما تركت. فبعث مروان إلى ابن حسان، فقال له: لا حاجة لنا فيما تركت، فهلّم فاقصص، فضرب ابن الحكم خمسين أخرى، فقال عبد الرحمن يهجو ابن الحكم:

دُعْ ذَا وَعَدٍ قَرِيضَ شِعْرِكَ فِي امْرِئٍ
 يَهْذِي وَيُنْشِدُ شِعْرَهُ كَالْفَاخِرِ

(١) تَطُّ الْأَرْحَامُ: تصوّت.

(٢) الحُلَّة، بضم الحاء: الثوب.

(٣) مخرجك: معلمك حسن الخلق.

(٤) الحُش: المرحاض.

عثمانَ عُمُكُمُ ولستمِ مثله
وبنو أبيه سخيْفَةٌ أحلامُهم
أحياءُهم عارٌّ على أمواتهم
هم ينظرون إذا مددت إليهم
خُزَرَ العيونِ^(٢) مُنْكَسي أذقانهم
وبنو أُمَيَّةَ منكم كالأمرِ
فُحْشَ النفوسِ لدى الجليس الزائرِ
والمَيِّتُونَ مَسْبَةٌ للغابرِ
نَظَرَ الثُّيُوسِ إلى شِفَارِ الجازِرِ^(١)
نَظَرَ الذَّلِيلِ إلى العزيزِ القاهرِ
[الكامل]

فقال ابن الحكم:

لقد أبقي بنو مروان خُزِيًّا
أطاف به صَبِيحٌ في مَشِيدٍ
لقد أسمعَتْ لو ناديت حيًّا
مُبيناً عارُهُ لبني سَوادٍ
ونادى دَعْوَةً يابُنِي سَعَادٍ
ولكن لا حياة لمن تُنادي
[الوافر]

قال أبو عُبَيْدَةَ، فاعْتَنَ^(٣) أَبُو واسعٍ أَحَدُ بني الأَسْعَرِ من بني أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ لابنِ
حسانِ دُونَ ابنِ الحَكَمِ فهجَاهُ وعَيَّرَهُ ضَرَبَ ابنُ المُعَطَّلِ أَبَاهُ حسانَ على رأسِهِ وعَيَّرَهُم
أَكَلَ الحُصَى فقال:

إن ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ
عمدت إلى الحُصَى^(٥) فأكلت منها
وما للجارِ حينَ يحلُّ فيكم
يظلُّ الجارُ مفترشاً يديه
وينظرُ نظرةً في مَذْرُوبِهِ^(٧)
أَذَلَّ قِيادَ رَأْسِكَ بِالْخِطَامِ^(٤)
لقد أخطأت فاكهة الطَّعامِ
لديكم يا بني النَّجَّارِ حامٍ
مَخافتُكُمْ لدى مَلَثِ الظَّلامِ^(٦)
وأخرى في اسْتِهِ والطَّرْفِ سامٍ^(٨)
[الوافر]

قال: فلما عمَّ بني النجار بالهجاء ولا ذنب لهم دعوا الله عز وجل عليه، فخرج
من المدينة يريد أهله فعرض له الأسد فقَضَّضَهُ^(٩) فقال ابنُ حسان في ذلك:

- (١) الجازر: الذابح.
(٢) خُزَرَ العيون: صغارها مع ضيق فيها.
(٣) اعتَنَ: اعترض.
(٤) الخِطَام: بكسر الخاء: رسن قياد الدابة.
(٥) الحُصَى، بضم الخاء: عضو من الجسم يُعرف بالبيضة.
(٦) ملث الظلام: دخول عتمة الليل الأولى.
(٧) المذروان: طرفا الأليتين.
(٨) الطرف سام: النظر شامخ، كناية عن التكبر الفارغ.
(٩) قَضَّضَهُ: كسر عظمه ومزق جسده.

أَبْلَغُ بَنِي الْأَسْعَرِ إِنْ جِئْتَهُمْ مَا بَالُ أَبْنَاءِ بَنِي وَاسِعٍ؟!
وَاللَّيْثُ يَعْلُوهُ بِأَنْيَابِهِ مُعْتَفِرًا فِي دَمِهِ النَّاقِعِ
إِذْ تَرَكُوهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ بِالنَّسَبِ الدَّانِي وَبِالشَّاسِعِ
لَا يَرْفَعُ الرَّحْمَنُ مَضْرُوعَكُمْ وَلَا يُوْهِي^(١) قُوَّةَ الصَّارِعِ
[السريع]

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا دَعَا أَحَدٌ قَبْلَكَ لِلْأَسَدِ بِخَيْرٍ قَطًّا. قَالَ: وَلَا نَصْرَ أَحَدًا كَمَا
نَصَرْنِي؟

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: كَانَ الْأَخْطَلُ وَمُسْكِينُ الدَّارِمِيِّ صَدِيقَيْنِ لَابْنِ الْحَكَمِ،
فَاسْتَعَانَ بِهِمَا عَلَى ابْنِ حَسَانَ، فَهَجَاهُ الْأَخْطَلُ، وَقَالَ لَهُ مُسْكِينٌ: مَا كُنْتَ لِأَهْجَوْ أَحَدًا
أَوْ أُعْذِرَ^(٢) إِلَيْهِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُسْكِينٌ بِقَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَفَاخِرَةِ وَالْمَنَافَرَةِ فَقَالَ
فِي أَوَّلِهَا:

أَلَا إِنْ الشَّبَابُ ثِيَابُ لُبْسٍ وَمَا الْأَمْوَالُ إِلَّا كَالظُّلَالِ
فَإِنْ يَبْلُ الشَّبَابُ فَكُلُّ شَيْءٍ سَمِعَتْ بِهِ سَوَى الرَّحْمَنِ بِالِ
[الوافر]

وَهِيَ طَوِيلَةٌ جَدًّا يَفْخَرُ فِيهَا بِمَآثِرِ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَجَابَهُ ابْنُ حَسَانَ فَقَالَ:

أَتَانِي عَنْكَ يَا مُسْكِينُ قَوْلٌ بِذَلَّتِ التُّصْفَ^(٣) فِيهِ غَيْرَ آلِي^(٤)
دَعَوْتُ إِلَى التَّنَاضُلِ غَيْرَ قَحْمٍ^(٥) وَلَا غُمَرٍ^(٦) يَطِيرُ لَدَى النَّضَالِ
[الوافر]

وَهِيَ أَطْوَلُ مِنْ قَصِيدَةِ مُسْكِينٍ، ثُمَّ انْقَطَعَ التَّنَاضُلُ بَيْنَهُمَا.

قَالَ دِمَازِدٌ: فَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّةَ التُّمَيْرِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي الْفَرَزْدَقُ، قَالَ: كُنَّا فِي ضِيَاغَةٍ مَعَاوِيَةَ وَمَعَنَا كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ التَّغْلَبِيُّ
فَحَدَّثَنِي أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ حَسَانَ قَدْ فَضَحَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ
وَعَلْبَهُ وَفَضَحَنَا فَاهُجُّ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَرَادَيْ أَنْتَ فِي الشَّرْكِ؟ أَهْجُو قَوْمًا
نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَآلَهُ وَآوَوْهُ؟ وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى غَلَامٍ مَنَا نَصْرَانِي لَا يُبَالِي أَنْ

(١) يُوْهِي: يُضْعَفُ. (٢) أعذر إليه: أجعل له موضع عذر.

(٣) التُّصْفُ، بضم النون: الإنصاف، العدل. (٤) غير آلِي: لم يقصّر.

(٥) القحْم من الرجال: الضعيف، الشديد الهزال.

(٦) الغمر من الفتیان: من لم يجزب الأمور.

يهجوه كَأَن لِّسانه لسانُ ثَوْرٍ، قال: من هو؟ قلتُ: الأخطل، فدعاه وأمره بهجائهم، فقال: على أَن تمنعني، قال: نعم:

قال أبو عُبيدة: إِن معاويةَ دَسَّ إلى كعب وأمره بهجائهم فدلَّه على الأخطل فقال الأخطل قصيدته التي هجا فيها الأنصار، وقد مضت ومضى خبرها وخبر النعمان بن بشير، وزاد أبو عُبيدة عن رويناه ذلك عنه أَن النعمان بن بشير ردَّ على الأخطل، فقال:

أبلغ قبائلَ تغلبِ ابنةَ وائلٍ مَنْ بالفراتِ وجانبِ الثَّرثارِ^(١)
فاللؤم بين أنوفِ تغلبِ بيِّنٍ كالرَّقمِ فوق ذراعِ كلِّ حِمَارٍ
[الكامل]

قال: فخافه الأخطل أَن يهجوه فقال فيه:

عذرتُ بني الفُرَيْعةَ أَن هَجَوْنِي فما بالي وبألِّ بني بَشِيرٍ؟!
أُفِيحِجُ^(٢) من بني النجارِ شَثْنُ^(٣) شديدُ القُصْرَيْنِ^(٤) من السُّحُورِ^(٥)
[الوافر]

ولم يزد على هذين البيتين شيئاً في ذكره.

قال أبو عُبيدة في خبره أيضاً: إِن الأنصار لما استعدوا عليهم معاويةَ قال لهم: لكم لسانه إلا أَن يكون ابني يزيد قد أجاره. ودسَّ إلى يزيد من وقته: إِني قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأجره، فأجاره فقال يزيدُ بن معاويةَ في إجارته إياه:

دعا الأخطلُ الملهوفُ بالشرِّ دعوةً فأَيَّ مجيبٍ كنتُ لَمَّا دعانيَا
ففرَّجَ عنه مَشهدَ القومِ مَشهدي وأَلْسِنَةَ الواشينَ عنه لسانِيَا
[الطويل]

صوت

كان لي يا سُقَيْرُ حُبُّكَ حَيْنًا^(٦) كاد يقضي عليَّ لَمَّا التَقَيْنَا

(١) الثَّرثار: وادٍ عظيم اختص بأكثره بنو تغلب.

(٢) الأفيحج، تصغير الأفح: هو من تدانت صدور قدميه المتباعدتي العقبين.

(٣) الشثن: الغليظ الخشن.

(٤) القصريان: ضلعان يليان الترقوتين.

(٥) السُّحُور، الواحدة سحر: الرثة.

(٦) الحين: الموت، الهلاك.

يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ لَوْنَأَيْتُمْ أَوْ قَرُبْتُمْ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْنَا
[الخفيف]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولحنها ثاني ثقیل بالوسطى وجعلت مكان يا سقيير يا يزيد، وفي هذا الشعر للهذلي خفيف ثقیل أول مطلق بالوسطى، وزعم عمرو بن بانه أنه للأبجر، وقال الهشامي: لحن الأبجر ثقیل أول بالبنصر، وفيه للدارمي وابن فرّوج خفيف ثقیل، ولحن الدارمي فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار حبابة

كانت حَبَابَةُ مَوْلَدَةً من مَوْلَدَاتِ المدينة، لرجل من أهلها يُعرف بابن رُمَّانة، وقيل ابن مينا وهو خَرَجَها وأَدَبَها، وقيل: بل كانت لآلٍ لاجِحِ المَكِّيَّين، وكانت حلوةً جميلةً الوجهَ ظريفةً حسنةً الغناء طيبةً الصوت ضاربةً بالعود، وأخذت الغناء عن ابن سُرَيْج وابن مُحرز ومالكٍ ومَعْبَدٍ وعن جَمِيلَةَ وعَزَّةَ المَيْلَاءِ، وكانت تسمى العالِيَةَ فسمَّاهَا يزيد لما اشتراها حَبَابَةَ، وقيل: إنها كانت لرجل يعرف بابن مينا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال:

كانت حَبَابَةُ لرجل يدعى ابن مينا فأدخلت على يزيد بن عبد الملك في إزار له ذَبَانٍ ويدها دُفٌّ ترمي به وتتلقاه وتتغنى:

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكَه والـ بَاتِ^(١) إِذْ زَانَهَا تَرَائِبُهَا^(٢)
يا ليتني ليلةً إِذَا هَجَعَ^(٣) النـ اس ونام الكلابُ صَاحِبُهَا
في ليلة لا يُرى بها أَحَدٌ يسعى علينا إِلا كواكِبُهَا
[المنسرح]

ثم خرج بها مولاهَا إلى إفريقية، فلما كان بعد ما ولي يزيدُ اشتراها.

وروى حمادٌ، عن أبيه، عن المدائني، عن جرير المديني، ورواه الزبير بن بكار:

عن إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه قال: قال لي يزيد بن عبد الملك: ما تَقَرُّ عيني بما أُوتيت من الخلافة حتى أَشْتري سَلَامَةً جارية مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهري وحَبَابَةَ جارية لاجِحِ المَكِّيَّة، فَأَرْسَل فاشْتَرَيْتَا له، فلما اجتمعنا عنده قال: أنا الآن كما قال القائل:

(١) اللَّبَات، الواحدة لَبَّة: موضع القلادة من الصدر.

(٢) التَّرَائِب، الواحدة تَرِيبة: أعلى الصدر، العظمة من الصدر.

(٣) هَجَعَ: نام.

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النُّوَى^(١) كَمَا قَرَّرَ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ
[الطويل]

قال إسحاق: وحدثني أبو أيوب بن عباية، قال:

كانت حباة لآل رُمَّانة ومنهم ابنتعت ليزيد.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات،
قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافة:

عن شيخ من أهل ذي خُشْب^(٢) قال: خرجنا نريد ذا خُشْبٍ ونحن مشاة فإذا قُبَّة
فيها جارية وإذا هي تغني:

سَلَكُوا بَطْنَ مَحِيصٍ^(٣) ثُمَّ وَلَّوْا رَاجِعِينَ
أَوْرَثُونِي حِينَ وَلَّوْا طُولَ حُزْنٍ وَأَنِينَا

[مجزوء الرمل]

قال: فسرنا حتى أتينا ذا خُشْبٍ فخرج رجل معها فسألناه، وإذا هي حباة جارية
يزيد، فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا، فكتب إلى والي المدينة أن يُعطي كل واحد
منا ألف درهم ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني
إسحاق، عن المدائني، وروى هذا الخبر حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني،
وخبره أتم.

أَنَّ حَبَاةَ كَانَتْ تُسَمَّى الْعَالِيَةِ، وَكَانَتْ لِرَجُلٍ مِنَ الْمَوَالِي بِالْمَدِينَةِ، فَقَدِمَ يَزِيدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ فِي خِلَافَةِ سَلِيمَانَ، فَتَزَوَّجَ سَعْدَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ
عَفَانَ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَرُبَيْحَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَى
مِثْلِ ذَلِكَ، وَاشْتَرَى الْعَالِيَةَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلِيمَانَ فَقَالَ: لِأَحْجَرَنَّ عَلَيْهِ، فَبَلَغَ
يَزِيدَ قَوْلُ سَلِيمَانَ فَاسْتَقَالَ مَوْلَى حَبَاةَ، ثُمَّ اشْتَرَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ،
فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ اشْتَرَتْهَا سَعْدَةُ امْرَأَتُهُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَا بَدَّ طَالِبَهَا وَمُشْتَرِيَهَا، فَلَمَّا حَصَلَتْ
عِنْدَهَا، قَالَتْ لَهُ: هَلْ بَقِيَ عَلَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ لَمْ تَنْلَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، الْعَالِيَةُ،
فَقَالَتْ: هَذِهِ هِيَ، وَهِيَ لَكَ، فَسَمَاهَا حَبَاةَ، وَعَظُمَ قَدْرُ سَعْدَةَ عِنْدَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا

(١) النوى: هنا بمعنى الدار أو الإقامة.

(٢) ذو خُشْب: وادٍ كان قديماً على مسيرة ليلة من المدينة المنورة.

(٣) بطن محيص: موضع في المدينة المنورة.

أخذت عليها قبل أن تهبها له أن تُوطئ لابنها عنده في ولاية العهد، وتحضرها ما تحب، وقيل: إن أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له وأخذت عليها ذلك فوفت لها بذلك هكذا ذكر الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن علي، عن هارون بن محمد، عنه عن عمه، قال: ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ.

قال المدائني. ثم خطب يزيد إلى أخيها خالد بنت أخ له، فقال: أما يكفيه أن سعدة عنده حتى يخطب إلي بنات أخي؟ وبلغ يزيد فغضب، فقدم عليه خالد يسترضيه، فبينما هو في فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة في خدمها، فقالت له: أم داود تقرأ عليك السلام وتقول لك: قد كلمت أمير المؤمنين فرضي عنك، فالتفت فقال: من أم داود؟ فأخبره من معها أنها حبابة، وذكر له قدرها ومكانها من يزيد، فرفع رأسه إلى الجارية، فقال: قولي لها: إن الرضا عني بسبب لست به، فشكت ذاك إلى يزيد فغضب وأرسل إلى خالد، فلم يعلم بشيء حتى أتاه رسول حبابة فيمن معه من الأعوان، فاقتلعوا فسطاطه، وقلعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى أصحابه، فقال: ويلكم، ما هذا؟ قالوا: رُسِل حبابة، هذا ما صنعنا بنفسك، فقال: ما لها أخزاها الله ما أشبه رضاها بغضبها:

قال إسحاق: وحدثني محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب:

أن يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة - وكان اسمها العالية - بأربعة آلاف دينار، فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها:

ظعن ^(١) الأمير بأحسن الخلق	وعَدُوا بِلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
مرّت على قرنٍ يُقَادُ بها	تَعْدُوا أَمَامَ بَرَاذِنِ زُرْقٍ
فظِلِلْتُ كَالْمَقْمُورِ مُهَجَّتُهُ	هذا الجنونُ وليس بالعشَقِ
يا ظبية عبق العبير بها	عَبَقَ الدَّهَانِ بِجَانِبِ الْحُقِّ

[الكامل]

وغنّت حبابة في الشعر وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته فقال لها: غنّيني به، فغنّته فأجادت وأطربت، فقال إسحاق: لعمرى إنه من جيّد غنائها.

قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا غلط ممن رواه في أبيات الحارث بن خالد لأنه قالها في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مُصْعَبُ بن الزُّبَيْر، وخرج بها، وفي أبياته يقول:

(١) ظعن: ارتحل.

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل الثقى والبر والصّدق
[الكامل]

وقد شرح ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة.

قال إسحاق: وأخبرني الزُّبيريُّ أن يزيدَ اشتراها وهو أمير فلما أراد الخروج بها
قال الحارث بن خالد فيها:

قد سُلَّ جسمي وقد أودى به سقمٌ^(١) من أجل حيّ جلّوا عن بلدة الحَرَمِ
يَحِنُّ قلبي إليها حين أذكرُها وما تذكّرتُ شوقاً أب من أمم
إلا حنيناً إليها إنها رَشاً^(٢) كالشمس رُوْدُ^(٣) ثَقَالُ^(٤) سهلة الشِّيمِ^(٥)
فضّلها الله ربّ الناس إذ خلقت على النساء من أهل الحزم والكرم
[البسيط]

وقال فيها الشعراء فأكثرُوا وغنّوا في أشعارهم المغنون من أهل مكة والمدينة،
وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعهُ، فقال: هذا قبلَ رحلتنا وقد هممنا، فكيف لو ارتحلنا وتذكر
القوم شدة الفراق؟ وبلغه أيضاً أن سليمان قد تكلم في ذلك فردّها ولم تزل في قلبه
حتى ملك فاشتريتها سعدةً امرأته العُثمانية ووهبتها له.

أخبرني ابن عمّار، قال: حدثنا عمرُ بنُ شبة، قال: حدثني إسحاق، قال:
حدثني أبو ذُفافة المِنْهالُ بنُ عبد الملك، عن مَرْوان بنِ بَشْر بنِ أَبِي سارة مولى
الوليد بن يزيد، قال:

أول ما ارتفعت به منزلةُ حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه،
فقام من وراء السّتر، فسمعها تترنم وتغنّي وتقول:

كان لي يا يزيدُ حُبُّكَ حِيناً^(٦) كاد يقضي عليّ لَمّا التقينا
[الخفيف]

والشعر كان: يا سُقَيْر، فرفع السّتر فوجدها مضطجعة مُقبلة على الجدار، فعلم
أنها لم تعلم به ولم يكن ذاك لمكانه، فألقى نفسه عليها وحركت منه.

(١) السقم: المرض. (٢) الرشاء: الظبي: قوي ومشى مع أمه.

(٣) الرُّود: الشابة الحسنة شبهت بالغصن الرُّود المتمايل.

(٤) الثقال من النساء: التي اكتمل شكل جسدها.

(٥) سهلة الشيم: ذات أخلاق رفيعة.

(٦) الحين: الموت، الهلاك.

قال المدائني: غلبت حبابة على يزيد وتبني^(١) بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء، وحسد ناس من بني أمية مسلمة بن عبد الملك على ولايته، وقدحوا فيه عند يزيد، وقالوا: إن مسلمة إن اقتطع الخراج لم يحسن يا أمير المؤمنين أن يعينه وأن يستكشف عن شيء لسنه وخفته، وقد علمت أن أمير المؤمنين لم يدخل أحداً من أهل بيته في الخراج، فوقر^(٢) ذلك في قلب يزيد وعزم على عزله، وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة، فعملت في ذلك، وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوة، وكانا يتنازعان ويتحاسدان، ف قيل للقعقاع: لقد نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلة، إنه لصاحب العراق غداً، فقال: ومن يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار، مع أنه وإن بلغ فإنه رجل من بني سكين، فلم تزل حبابة تعمل له في العراق حتى وليها.

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهری، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث فحفظته ولم أحفظ إسناده، وحدثنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب الزبيري، عن مصعب بن عثمان، وقد جمعت روايتيهما قالاً:

أراد يزيد بن عبد الملك أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز، وقال: بماذا صار عمر أرجى لربه جل وعز مني؟ فشق ذلك على حبابة، فأرسلت إلى الأحوص، هكذا في رواية وكيع؛ وأما عمر بن شبة، فإنه ذكر أن مسلمة أقبل على يزيد يلومُه في الإلحاح على الغناء والشرب، وقال له: إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في الأمور، والوفود ببابك، وأصحاب الظلامات يصيحون، وأنت غافل عنهم، فقال: صدقت والله وأعتبه^(٣)، وهم بترك الشرب، ولم يدخل على حبابة أياماً، فدرست حبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك، وقالت له: إن ردذته عن رأيه فلك ألف دينار، فدخل الأحوص إلى يزيد فاستأذنه في الإنشاد فأذن له، قال إسحاق في خبره: فقال الأحوص:

صوت

أَلَا لَا تَلُمُّهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فَقَدْ غُلِبَ الْمَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا^(٤)

(١) تبني بها: ركن إليها واعتمد عليها.

(٢) وقر: استقر، ثبت.

(٣) أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

(٤) يتجلد: يصبر.

بكيت الصِّبا جُهدي فمن شاء لأمني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدًا
وإني وإن فُئِدْتُ في طَلَبِ الصِّبا لأعلم أنني لستُ في الحُبِّ أوحدًا
إذا أنتَ لم تعشَقْ ولم تدرِ ما الهوى فكن حَجراً من يابس الصخر جُلُمدًا
فما العيشُ إلَّا ما تَلَدُّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشَّنَّانِ^(١) وفَنَّدًا^(٢)
[الطويل]

الغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالبصر، وفيه رمل للغريض ويقال إنه لحبابة.
قال: ومكث جُمعة لا يَرى حَبَابَةً ولا يدعو بها، فلما كان يوم الجمعة قالت
لبعض جواريتها: إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني، فلما أراد الخروج
أعلمتها فتلقته والعود في يدها فغنت البيت الأول. فغطى وجهه، وقال: مه، لا
تفعلي، ثم غنت:

وما العيشُ إلَّا ما تَلَدُّ وتشتهي
فعدل إليها وقال: صدقتِ واللَّه فقبَّحَ الله من لأمني فيك، يا غلامُ مُرْ مسلَمَةً أَنْ
يصلِّي بالناس: وأقام معها يشرب وتغنيه وعاد إلى حاله.
وقال عمرُ بنُ شَبَّة في حديثه: فقال يزيد: صدقتِ واللَّه فعلى مسلَمَةً لعنةُ الله،
وعاود ما كان فيه، ثم قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص، فقال: عليَّ
به، فأتى به فأنشده هذا الشعر، ثم أنشده قصيدة مدحه فيها أولها قوله:
يا مُوقِدَ النَّارِ بالعلياء من إضمٍ أوقِدْ فقد هجَّتْ شوقاً غير منصرم^(٣)
[البسيط]

وهي طويلة، فقال له يزيد: ارفع حوائجك، فكتب إليه في نحو من أربعين ألف
درهم من دينٍ وغيره، فأمر له بها.

وقال مصعب في خبره: بل استأذن الأحوص على يزيد فأذن له، فاستأذن في
الإنشاد، فقال: ليس هذا وَقَّتْكَ، فلم يزل به حتى أذن له فأنشده هذه الأبيات، فلما
سمعها وثب حتى دخل على حَبَابَةٍ، وهو يتمثل:

وما العيشُ إلَّا ما تَلَدُّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشَّنَّانِ وفَنَّدًا
[الطويل]

(١) الشنان، بتخفيف الهمزة من الشنان: البغض، الكراهية.

(٢) فَنَّد: كَذَب.

(٣) المنصرم: المنقطع.

فقالت: ما رَدَّكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال: أَبَيَاتُ أَنْشَدْنِيهَا الْأَحْوَصُ، فَسَلِّي مَا شِئْتُ، قالت: أَلْفَ دِينَارٍ تَعْطِيهَا الْأَحْوَصُ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

يا موقد النار بالعلياء من إضَمَّ أَوْقَدَ فَقَدْ هَجَّتْ شَوْقًا غَيْرَ مَنْصَرَمٍ
يا موقد النار أَوْقَدَهَا فَإِنَّ لَهَا شَبَا^(١) يَهِيْجُ فِرَادَ الْعَاشِقِ السَّدَمِ^(٢)

[البسيط]

الشعر للأحوص، والغناء لَمَعْبَدٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلٍ بِالْوَسْطَى، عن يونس وإسحاق وعمرو، وذكر حَبَشُ أَنَّ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخَرُ لَابْنِ جَامِعٍ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ:

لَمَّا غَلَبَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ، وَأَبَى أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمْ كَلَمًا مَوْلَى لَهُ خُرَّاسَانِيًّا ذَا قَدْرٍ عِنْدَهُمْ وَبَلَاءٍ وَكَانَتْ فِيهِ لُكْنَةٌ، فَأَقْبَلَ عَلَى يَزِيدَ يَعْظُهُ وَيَنْهَاهُ عَمَّا قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاعِ لِلْغِنَاءِ وَالشَّرَابِ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: فَإِنِّي أَحْضَرْتُكَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَنْهَى عَنْهُ، فَإِن نَهَيْتَنِي بَعْدَ مَا تَبْلُوهُ وَتَحْضُرُهُ انْتِهَيْتُ، وَإِنِّي مُخْبِرٌ جَوَارِيَّ أَنَّكَ عَمٌّ مِنْ عَمُومَتِي، فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فَيَعْلَمَنَّ أَنِّي كَاذِبٌ وَأَنْكَ لَسْتُ بَعَمِي، ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِنَ فَغَنِينَ وَالشَّيْخَ يَسْمَعُ وَلَا يَقُولُ شَيْئًا حَتَّى غَتَيْنَ:

وَقَدْ كُنْتُ آتِيَكُمْ بَعْلَةً غَيْرَكُمْ فَأَفْنَيْتُ عِلَاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ
[الطويل]

فَطَرَبَ الشَّيْخُ، وَقَالَ: لَا قَيْفَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، يَرِيدُ لَا كَيْفَ، فَعَلِمَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ عَمَّهُ وَقَمَنَّ إِلَيْهِ بَعِيدَانَهُنَّ لِيَضْرِبَنَّهُ بِهَا حَتَّى حَجَزَهُنَّ يَزِيدُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ مَا انْقَضَى أَمْرُهُنَّ: مَا تَقُولُ الْآنَ؟ أَدْعُ هَذَا أَمْ لَا؟ قَالَ: لَا تَدْعُهُ.

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَحْرِ الْخُرَاعِيِّ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَادِ الرَّائِزِيِّ، قَالَ:

كَانَتْ حَبَابَةُ فَائِزَةً فِي الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ، وَكَانَ يَزِيدُ لَهَا عَاشِقًا، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا:

(١) الشبا، الواحدة شبة: الحد، الجانب.

(٢) السدم: المغتاض الذي نزلت به الهموم.

قد استخلفتك على ما ورد عليّ ونصبتُ لذلك مولاي فلاناً، فاستخلفيه لأقيم معك أياماً وأستمع بك. قالت: فإني قد عزلته، فغضب عليها، وقال: قد استعملته وتعزليته! وخرج من عندها مُغضباً، فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خَصِيّاً له وقال: انطلق فانظر أَيَّ شيء تصنعُ حَبَابَةُ، فانطلق الخادم ثم أتاه فقال رأيتها [مؤتررة] بإزار خُلُوقي قد جعلت له ذَنَبين وهي تلعب بلُعْبها، فقال: ويحك، احتل لها حتى تمر بها عليّ، فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة ثم استلب لُعبة من لُعْبها وخرج، فجعلت تُحْضِر^(١) في أثره، فمرت بيزيد فوثب وهو يقول: قد عزلته، وهي تقول: قد استعملته، فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري، فمكث معها خالياً أياماً حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه، وقال: ضيَّعتَ حوائج الناس واحتجبتَ عنهم، أترى هذا مستقيماً لك؟ وهي تسمع مقالته، فغنت لما خرج:

ألا تلمه اليوم أن يتبلداً

فذكرت الأبيات فطرب، وقال: قاتلك الله، أبيت إلا أن تردني إليك. وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني إسماعيل، قال: حدثني عمي، قال: حدثني إسحاق قال: حدثني الهيثم بن عديّ، عن صالح بن حسان قال:

قال مسلمة ليزيد: تركت الظهور وشهود الجمعة الجامعة، وقعدت في منزلك مع هذه الإماء. وبلغ ذلك حبابة وسلامة، فقالتا للأحوص: قل في ذلك شعراً، فقال:

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشَّنانِ وفئداً
بكيت الصِّبا جهدي فمن شاء لأمني ومن شاء آسى في البكاء وأسعداً
وإني وإن أغرقت في طلب الصِّبا لأعلم أنني لست في الحبِّ أوحداً
إذا كنت عزهاة^(٢) عن اللهو والصِّبا فكن حجراً من يابس الصخر جليداً^(٣)

[الطويل]

قال: فغنتا يزيد فيه، فلما فرغنا ضرب بخيزرانتة الأرض، وقال: صدقتما، صدقتما، فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به، قال: وطرب يزيد، فقال: هاتيا، فغنتاه من هذه القصيدة:

(١) تُحْضِر في أثره: تعدو خلفه مسرعة.

(٢) العِزْهَاء: هو من عزف عن كلِّ مسرةٍ ولهو ولم يهتم بالنساء.

(٣) الجليد: الصخر القاسي.

وعهدي بها صفراء^(١) رُوْدُ^(٢) كأنما
 مهفهة^(٥) الأعلى وأسفل خلقها
 من المدمجات^(٧) اللحم جدلى كأنها
 كأن ذكي المسك منها وقد بدت
 نضا^(٣) عرق منها على اللون مجسدا^(٤)
 جرى لحمه ما دون أن يتخذدا^(٦)
 عنان صناع مدمج الفتل محصدا^(٨)
 وريح خزامى طلة تنفخ الندى
 [الطويل]

فطرب يزيد وأخذ فيه من الشراب قدره الذي كان يطرب منه ويسره ولم تره
 أظهر شيئا مما كان يفعله عند طربه، فغنته :

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
 نظرت رجاء بالموقر أن أرى
 فأوفيت في نشر^(١١) من الأرض يافع
 فقد غلب المحزون أن يتجلدا
 أكاريس^(٩) يحتلون خاخا فمئشدا^(١٠)
 وقد ينفع الإيقاع من كان مقصدا
 [الطويل]

فلما غنته بهذا طرب طربه الذي تعهده وجعل يدور ويصيح : الدخن^(١٢)
 بالنوى^(١٣) والسمك في بيطار جنان، وشق حلته وقال لها : أتأذنين أن أطير؟ قالت :
 وإلى من تدع الناس؟ قال : إليك . قال وغنته سلامة من هذه القصيدة :

فقلت ألا يا ليت أسماء أضقبت^(١٤) وهل قول ليت جامع ما تبددا^(١٥)

(١) الصفراء : من أسماء الخمرة وألوانها .

(٢) الرود : الشابة الحسنة تشبيها لها بالغصن الرطب الرخص .

(٣) نضا : كشف ، أظهر .

(٤) المجسد ، بفتح الجيم : المصبوغ بالزعفران .

(٥) المهفهة : الضامرة البطن ، الدقيقة الخصر .

(٦) يتخذد : تبدو في الوجه الخدود المستطيلة من علائم الشيخوخة .

(٧) المدمجات اللحم : اللحم المشدود إلى بعضه بعضاً .

(٨) المحصد : المفتول .

(٩) الأكارس ، الواحد كرس : الجماعة من كل شيء .

(١٠) الموقر وخاخ ومنشد : مواضع .

(١١) النشر من الأرض : المرتفع عن الأرض .

(١٢) الدخن ، بضم الدال ، الواحدة دُخنة : نبات من فصيلة النجيليات حبه صغير يقدم طعاماً للطيور والدجاج .

(١٣) النوى : مفردها نواة وهي هنا «عجوة» أو بزره الدخن .

(١٤) أضقبت : دنت ، قربت .

(١٥) تبدد : تفرق .

وإني لأهواها وأهوى لقاءها
علاقة حُبٍّ لَجَّ في سَنَنِ الصَّبَا
سُهوبٌ وأعلام تخالُ سَرَابِهَا
قال: وغتته حبابة منها أيضاً:

كريمٌ قريش حين يُنسبُ والذي
وليس عطاءً كان منه بمانع
أهان تلاد المال^(٤) في الحمد إنه
تردَّى بمجد من أبيه وأمه
أقرت له بالملك كهلاً وأمرداً
وإنَّ جلَّ - من أضعافٍ أضعافه غداً
إمامٌ هُدَى يجري على ما تَعَوَّداً
وقد أورثا بنيان مجد مُشَيِّداً
[الطويل]

فقال لها يزيد: ويحك يا حبابة، ومن من قريش هذا؟ قالت: أنت، قال: ومن
يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يا أمير المؤمنين، وقالت سلامة: فليسمع أميرُ
المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها، ثم اندفعت تغتيه:

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مخلِداً
فأقسم لا أنفك ما عشتُ شاكراً
من الناس إنساناً لُكُنتُ المخلِداً
لنعماك ما طار الحمامُ وغرَّداً
[الطويل]

أخبرني إسماعيلُ. قال: حدثنا عُمر بنُ شبة، قال: حدثني عليُّ بن الجعد، قال
حدثني أبو يعقوبَ الخُرَيْمِيُّ عن أبي بكر بن عيَّاش:
أن حبابة وسلامةً اختلفتا في صوت معبد:

ألا حيَّ الديارِ بسُعدٍ إني
أحبُّ لحُبِّ فاطمة الديارِ
[الخفيف]

فبعث يزيد إلى معبد فأتى به، فسأل: لم بُعث إليه؟ فأخبر فقال: لأيتهما المنزلة عند
أمير المؤمنين؟ فقل: لحبابة، فلما عرضتا عليه الصوتَ قَضَى لحبابة، فقالت سلامة: واللَّهِ
ما قضى إلا للمنزلة، وإنه ليعلم أن الصواب ما غنَّيتُ، ولكن ائذَّن لي يا أمير المؤمنين في
صِلته لأنَّ له عليَّ حقاً، قال: قد أذنت، فكان ما وصلته به أكثر من حبابة.

(١) الصادي: العطشان. (٢) القيظ: شدة الحر في الصيف.

(٣) الملاء: الريغة ذات لفقين، ثوب يلبس على الفخذين.

(٤) تلاد المال: المال الموروث القديم.

نسبة هذا الصوت

أَلَا حَيِّ الدِيَارَ بِسُغْدَإِنِي أَحِبَّ لِحَبِّ فَاطِمَةَ الدِيَارَا
إِذَا مَا حَلَّ أَهْلُكَ يَا سُلَيْمَى بِدَارَةِ صُلُصِلٍ^(١) شَحَطُوا^(٢) الْمَزَارَا
[الخفيف]

الشعر لجريز، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرِيُّ، قال: حدثنا عمرُ بنُ شُبَّة، قال:

نزل الفرزدق على الأحوص حين قَدِمَ المدينة، فقال له الأحوص: ما تشتهي
قال: شِوَاءٌ وَطِلَاءٌ^(٣) وَغِنَاءٌ. قال ذلك لك: ومضى به إلى قَيْئَةٍ بالمدينة فغَتَّتَه:

أَلَا حَيِّ الدِيَارَ بِسُغْدَإِنِي أَحِبَّ لِحَبِّ فَاطِمَةَ الدِيَارَا
أَرَادَ الظَّاعِنُونَ^(٤) لِيَحْزُنُونِي فَهَاجُوا صَدْعَ^(٥) قَلْبِي فَاسْتَطَارَا
[الخفيف]

فقال الفرزدق: ما أَرَقَّ أشعاركم يا أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَمْلَحَهَا. قال: أَوْ ما تدري
لمن هذا الشعر؟ فقال: لا والله، قال: هو لجريز يهجوكم به. فقال: ويلُ ابن
الْمَرَاغَةِ. ما كان أَحْوَجَهُ مَعَ عَفَافِهِ إِلَى صِلَابَةِ شِعْرِي وَأَحْوَجَنِي مَعَ شَهَوَاتِي إِلَى رَقَّة
شعره.

وقد روى صالح بن حسان: أَنَّ الصَّوْتِ الَّذِي اخْتَلَفَتْ فِيهِ حَبَابَةُ وَسَلَامَةُ هُوَ:

وَتَرَى لَهَا ذَلَالًا^(٦) إِذَا نَطَقْتَ بِهِ تَرَكْتُ بَنَاتِ فَوَادِهِ صُغْرًا^(٧)
[الكامل]

ذكر ذلك حمادٌ عن أبيه عن الهيثم بن عدي، أنهما اختلفتا في هذه الصوت بين
يدي يزيد، فقال لهما: من أين جاء اختلافكما والصوت لمَعْبُدٍ ومنه أخذتما؟ فقالت
هذه: هكذا أخذته. وقالت الأخرى: هكذا أخذته، فقال يزيد: قد اختلفتما ومَعْبُدٌ
حَيٌّ بَعْدُ، فكتب إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه، ثم ذكر باقي الخبر مثل ما ذكره
أبو بكر بن عياش، قال صالح بن حسان: فلما دخل معبد إليه لم يسأله عن الصوت،
ولكنه أمره أَنْ يُغَنِّيَ فغَنَّاهُ فقال:

- (١) دارة صلصل: موضع.
(٢) شحطوا المزار: بعدوا.
(٣) الطلاء، بكسر الطاء: من أسماء الخمرة.
(٤) الظاعنون: الراحلون عن الديار.
(٥) صدع القلب: شقّه.
(٦) الدلّ: الغنج، الرقة النسائية.
(٧) الصُّعْر، بضم الصاد، الواحد أصعر: أي مائل.

فيا عَزَّ إِنِّ واشٍ وشَى بيَ عندكمُ فلا تُكرميهِ أن تقولي له أهلاً
[الطويل]

فاستحسنه وطرب ثم قال: إن هاتين اختلفتا في صوت لك فاقض بينهما، فقال
لحبابة: غَنِّي، فغَنَّت، وقال لسلامة: غَنِّي، فغَنَّت، وقال: الصواب ما قالت حبابة.
فقال سلامة: واللَّه يابنُ الفاعلة، إنك لتعلم أن الصواب ما قلتَ ولكنك سألتَ:
أَيَّتُهُما آثَرُ عند أمير المؤمنين؟ فقل لك: حبابة، فاتبعت هواه ورضاه، فضحك يزيدُ
وطرب، وأخذ وسادةً فصَيَّرَها على رأسه وقام يدور في الدار ويرقص ويصيح: السمك
الطَّري، أربعة أرتال عند بيطار جنان، حتى دار الدار كلها، ثم رجع فجلس في
مجلسه وقال شعراً وأمرَ مَعْبِداً أن يغني فيه، فغَنَّى فيه وهو:

أبلغ حبابة أَسْقَى رَبْعَها المَطَرُ ما للنفود سوى ذكراكم وطُرُ
إن سار صُحْبِي لم أَمْلِكُ تذكركم أو عَرَّسُوا^(١) فهموم النفس والسَّهَرُ
[البسيط]

فاستحسنه وطرب.

هكذا ذكر إسحاق في الخبر، وغيره يذكر أن الصنعة فيه لحبابة، ويزعم ابنُ
خُرْداذبة أن الصنعة فيه ليزيد، وليس كما ذكر وإنما أراد أن يوالي بين الخلفاء في
الصنعة فذكره على غير تحصيل، والصحيح أنه لمبعد.

قال معبد: فسُرَّ يزيدُ لما غَنَّيته في هذين البيتين وكساني ووصلني، ثم لما انصرم
مجلسه انصرفت إلى منزلي الذي أنزلته، فإذا أَلطاف سلامة قد سبقت أَلطاف حبابة،
وبعثت إلي: إني قد عذرتك فيما فعلت، ولكن كان الحق أولى بك، فلم أزل في
أَلطافهما جميعاً حتى أذن لي يزيدُ فرجعت إلى المدينة.

نسبة الصوت الذي غناه معبد الذي أوله

فيا عَزَّ إِنِّ واشٍ وشَى بيَ عندكمُ

صوت

ألم يَأْنِ لي يا قلبُ أن أتركَ الجهلاً وأن يُحدِثَ الشيبُ المُلِمُ لي العَقْلا
على حينَ صارَ الرأسُ مني كأنما علتُ فوقَه ندافةُ العُطْبِ^(٢) العَزْلا

(١) عَرَّسُوا: نزل القوم من السفر للاستراحة ثم ارتحلوا.

(٢) العُطْب، بضم: القطن.

فيا عَزَّ إِنِ واشٍ وشى بيَ عندكم فلا تُكرميهِ أن تقولي له : أهلاً
 كما لو وشى واشٍ بوذك عندنا لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلاً
 فأهلاً وسهلاً بالذي شدّ وصلنا ولا مرحباً بالقائل اصرم لها حبلاً
 [الطويل]

الشعر لكثير والغناء لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق،
 وذكر ابن المكي وعمرؤ والهشامي أنه لمعبد، وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج
 وليس بصحيح .

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء، قال : حدّثني الزبيرُ قال : حدّثني ظبيةُ قالت :
 أنشدت حبابةَ يوماً يزيدَ بنَ عبد الملك :

لعمركُ إنني لأحبُّ سَلْعاً لرؤيتها ومن بجُنبِ سَلْعِ
 [الوافر]

ثم تنفست تنفساً شديداً، فقال لها : ما لك أنت في ذمة أبي لئن شئت لأنقلنه
 إليك حجرأ حجرأ، قالت : وما أصنع به؟ ليس إياه أردت، إنما أردت صاحبه، وربما
 قالت : ساكنه .

نسبة هذا الصوت

لعمركُ إنني لأحبُّ سَلْعاً^(١) لرؤيتها ومن بجُنبِ سَلْعِ
 تَقَرُّ بقربها عيني وإنني لأخشى أن تكون تُريد فُجْعِي
 حلفتُ برَبِّ مكةَ والهدايا وأيدي السابحات^(٢) غداةَ جَمْعِ
 لأنتِ على التنائي^(٣) - فاعلميهِ - أحبُّ إليَّ من بصري وسمعي
 [الوافر]

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى مما لا يشك فيه من غنائه .

قال الزبير : وحدّثني ظبيةُ أن يزيدَ قال لحبابةَ وسلامة : أيتكما غنتني ما في
 نفسي فلها حُكْمُها، فغنت سلامة فلم تصب ما في نفسه، وغنت حبابة :

حَلَقٌ من بني كِنانةَ حُولي بِفِلَسطينَ يُسرِعون الرُّكُوبا
 [الخفيف]

(٢) السابحات : الخيول التي تسبح في جريها .

(١) سلع : موضع .

(٣) التنائي : البعد .

فأصابت ما في نفسه، فقال: احتكمي، فقالت: سلامٌ تهبها لي ومالها، قال: اطلبي غيرها، فأبت، فقال: أنت أولى بها ومالها، فلقيت سلاماً من ذلك أمراً عظيماً، فقالت لها حباة: لا ترين إلا خيراً، فجاءها يزيدُ فسألها أن تبيعه إياها بحكمها، فقالت أشهدك أنها حرة، واخطبها إليّ الآن حتى أزوّجك مولاتي:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني إسحاق، عن المدائني بنحو هذه القصة، وقال فيها: فجزعت سلاماً. فقالت لها: لا تجزعي فإنما ألاعبه.

نسبة هذا الصوت

حَلَقُ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرُّكُوبَا
هَزَيْتُ أَنْ رَأْتُ مَشِيْبِي عَرْسِي^(١) لَا تَلُومِي ذَوَائِبِي أَنْ تَشِيْبَا
[الخفيف]

الشعر لابن قيس الرقيّات، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

قال حماد بن إسحاق: حدّثني أبي، عن المدائني وأيوب بن عباة، قالا: كانت سلاماً المتقدمةً منهما في الغناء، وكانت حباة تنظر إليها بتلك العين، فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها، فقالت لها سلامة: ويحك، أين تأديبُ الغناء وحقُّ التعليم؟ أنسيّت قول جَمِيلَةٍ لك: خذي إحكام ما أطارحك إياه من سلامة، فلن تزالي بخير ما بقيت لك وكان أمرُكما مؤتلفاً؟ قالت: صدقت يا خليلتي، واللّه لا عدتُ إلى شيءٍ تكرهينه، فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروهه، وماتت حباة وعاشت سلامة بعدها دهرًا.

قال المدائني: فرأى يزيد يوماً حباة جالسةً، فقال: ما لك؟ فقالت: أنتظر سلامة. قال: أتحيين أن أهبها لك؟ قالت: لا واللّه ما أحبُّ أن تهب لي أختي.

قال المدائني: وكانت حباة إذا غنت وطرب يزيدُ قال لها: أطير؟ فتقول له: فإلى من تدع الناس؟ فيقول: إليك.

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أيوب بن عباة.

(١) عرسي: زوجتي.

إِنَّ الْبَيْدَقَ الْأَنْصَارِيَّ الْقَارِيَّ كَانَ يَعْرِفُ حَبَابَةَ وَيَدْخُلُ عَلَيْهَا بِالْحِجَازِ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَارْتَفَعَ أَمْرُهَا عِنْدَهُ خَرَجَ إِلَيْهَا يَتَعَرَّضُ لِمَعْرِفَتِهَا وَيَسْتَمِيعُهَا، فَذَكَرَتْهُ لِيَزِيدَ وَأَخْبَرَتْهُ بِحَسَنِ صَوْتِهِ، قَالَ: فَدَعَانِي يَزِيدُ لَيْلَةً فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ عَلَى فُرْشٍ مُشْرِفَةٍ قَدْ ذَهَبَ فِيهَا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ تَدْيِيهِ وَإِذَا حَبَابَةُ عَلَى فُرْشٍ آخَرَ مُرْتَفَعَةٍ، وَهِيَ دُونَهُ، فَسَلَّمَتْ فَرَدَّ السَّلَامَ وَقَالَتْ حَبَابَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَبِي، وَأَشَارَتْ إِلَيَّ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ، وَقَالَتْ لِي حَبَابَةُ: اقْرَأْ يَا أَبَتِ. فَقَرَأْتُ فَظَنَرْتُ إِلَى دُمُوعِهِ تَنْحَدِرُ، ثُمَّ قَالَتْ: إِلَيْهِ يَا أَبَتِ حَدَّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشَارَتْ إِلَيَّ أَنْ عَنَّهُ، فَاَنْدَفَعْتُ فِي صَوْتِ ابْنِ سَرِيحٍ.

مَنْ لَصَبَّ مُصَيِّدٍ هَائِمِ الْقَلْبِ مُقْصِدٍ

[مجزوء الخفيف]

فَطَرِبَ وَاللَّهُ يَزِيدُ، فَحَذَفَنِي بِمُدْهَنٍ فِيهِ فُصُوصٌ مِنْ يَاقُوتٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضْرَبَ بِهِ صَدْرِي، فَأَشَارَتْ إِلَيَّ حَبَابَةُ أَنْ خُذْهُ، فَأَخَذَتْهُ فَأَدْخَلَتْهُ كُمِّي، فَقَالَتْ: يَا حَبَابَةُ أَلَا تَرِينَ مَا صَنَعَ بَنَا أَبُوكِ؟ أَخَذَ مُدْهَنَنَا فَأَدْخَلَهُ فِي كَمِهِ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَحْوَجَهُ وَاللَّهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ دِينَارٍ.

نسبة هذا الصوت

مَنْ لَصَبَّ مُصَيِّدٍ هَائِمِ الْقَلْبِ مُقْصِدٍ
أَنْتِ زَوْدَتِهِ الضَّئِي (١)
وَلَوْ أَنِّي لَا أُرْتَجِي—
ثَاوِيًا تَحْتَ تُرْبَةٍ
غَيْرَ أَنِّي أُعْلَلُ (٤) النَّ—
هَائِمِ الْقَلْبِ مُقْصِدٍ
بِئْسَ زَاؤُ الْمُزَوِّدِ
إِ لَقَدْ خَفَّ عُودِي
رَهْنَ رَمْسٍ (٢) بِقَدْفٍ (٣)
فَسْ بِالْيَوْمِ أَوْ غَدٍ

[مجزوء الخفيف]

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان، وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير والغناء لابن سريج خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

أطرب من يزيد:

وقال حماد: حدثني أبي عن مَخْلَدِ بْنِ خِدَاشٍ وَغَيْرِهِ.
أَنْ حَبَابَةُ غَنَتْ يَزِيدَ صَوْتًا لَابِنِ سَرِيحٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

(١) الضنى: الحزن، المرض.

(٢) الرمس: القبر.

(٣) القدف: الفلاة الموحشة، لا أنيس فيها ولا ماء.

(٤) أعلل النفس: أمنيها بتحقيق ما أحب من الأحلام.

مَا أَحْسَنَ الْجَيْدَ مِنْ مُلِيكَةٍ وَالْـ لَبَّاتِ^(١) إِذْ زَانَهَا تَرَائِبُهَا^(٢)

[المنسرح]

فطرب يزيد وقال: هل رأيت أحداً أطرب مني؟ قالت: نعم ابن الطَّيَّار معاوية بن عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضَّحَّاك فحمل إليه، فلما قَدِمَ أرسلت إليه حَبَابَةً: إِنَّمَا بَعَثَ إِلَيْكَ لَكَذَا وَكَذَا، وَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَتَغَنَيْتَ فَلَا تُظْهِرَنَّ طَرِباً حَتَّى أَغْنِيَهُ الصَّوْتُ الَّذِي غَنَيْتَهُ، فَقَالَ: سَوَاءٌ عَلَى كَبِيرٍ سَنِي؛ فَدَعَا بِهِ يَزِيدُ، وَهُوَ عَلَى طِنْفِسَةٍ^(٣) خَزَّ وَوَضَعَ لِمَعَاوِيَةَ مِثْلَهَا، وَجَاؤُوا بِجَامِينَ^(٤) فِيهِمَا مِسْكٌ فَوُضِعَتْ إِحْدَاهُمَا بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ وَالْأُخْرَى بَيْنَ يَدَيِ مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ: فَلَمْ أَذَرِ كَيْفَ أَصْنَعُ فَقُلْتُ: أَنْظُرْ كَيْفَ يَصْنَعُ فَأَصْنَعُ مِثْلَهُ، فَكَانَ يَقْلِبُهُ فِيْفُوحٍ رِيحُهُ وَأَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَدَعَا بِحَبَابَةٍ فَغَنَّتْ فَلَمَّا غَنَتْ ذَلِكَ الصَّوْتُ أَخَذَ مَعَاوِيَةُ الْوَسَادَةَ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ وَقَامَ يَدُورٌ وَيُنَادِي الدُّخْنَ^(٥) بِالنَّوَى^(٦)، يَعْنِي اللَّوْبِيَا، قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ بِصِلَاتٍ عِدَّةٍ دَفَعَاتٍ إِلَى أَنْ خَرَجَ، فَكَانَ مَبْلَغُهَا ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِينَارٍ.

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ ظُبَيْةَ، أَنَّ حَبَابَةَ غَنَتْ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ فَطَرِبَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: هَلْ رَأَيْتِ قَطُّ أَطْرِبُ مِنْي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، مَوْلَايَ الَّذِي بَاعَنِي، فغَاظَهُ ذَلِكَ فَكَتَبَ فِي حَمَلِهِ مُقَيِّدًا. فَلَمَّا عَرَفَ خَبْرَهُ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ، فَأَدْخَلَ يَرْسَفَ^(٧) فِي قَيْدِهِ، وَأَمَرَهَا فَغَنَّتْ بَغْتَةً:

تَشْطُ^(٨) غَدَا دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلْدَارُ بَعْدَ غَدِ أَبْعَدُ

[البسيط]

فوثب حتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وجعل يصيح: الحريقُ يا أولادَ الزنا، فضحك يزيدُ، وقال: لعمري إن هذا لأطربُ الناسَ، فأمر بحلَّ قيوده ووصله بألف دينار، ووصلته حَبَابَةً، وَرَدَّه إِلَى الْمَدِينَةِ.

(١) اللبات، الواحدة لبّة: موضع القلادة من الصدر.

(٢) الترائب، الواحدة تريبة: أعلى الصدر، العظمة من الصدر.

(٣) الطنفسة، بكسر الطاء: البساط، الحصيرة. الثوب: فارسي معرب.

(٤) الجام: الكأس. فارسي معرب.

(٥) الدخن، بضم الدال، الواحدة دُخنة: نبات من فصيلة النجيليات حبّه صغير يقدم طعاماً للطيور والدجاج.

(٦) النوى: مفردها نواة، وهي هنا «عجوة» أو بزرّة الدّخن.

(٧) يرسف في قيده: يمشي مشية المقيّد.

(٨) تَشْطُ: تَبْعِدُ.

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: قال إسحاق: كان يزيد بن عبد الملك قبل أن تُفْضِيَ إليه الخلافة تختلف إليه مغنية طاعنة في السن تُدعى أُمَّ عَوْفٍ وكانت محسنة فكان يختار عليها:

مَتَى أَجِرْ خَائِفًا تَسْرَحْ مَطِيَّتَهُ وَإِنْ أُخِفْ آمَنَّا تُغْلَقْ بِهِ الدَّارُ
سِيرُوا إِلَيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَعْنَتِكُمْ إِنِّي لَكُلِّ امْرِئٍ مِنْ وَثَرِهِ جَارُ
[البسيط]

فذكرها يزيد يوماً لحبابة وقد كانت أخذت عنها فلم تقدر أن تَطْعُنَ عليها إلا بالسِّن فقالت:

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَوْفٍ وَحُبَّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يُفَنِّدِ
[الطويل]

فضحك، وقال: لمن هذا الغناء؟ فقالت: لمالك، فكان إذا جلس معها للشرب يقول: غنيني صوت مالك في أُمَّ عَوْفٍ.

موت حبابة ويزيد:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي، قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: حدثني أبو غانم الأزدي قال:

نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام ومعه حبابة، فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد عيشه يوماً إلى الليل إلا يكدره شيء عليه، وسأجرب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً فلا تُخبروني بشيء ولا تأتونني بكتاب، وخلا هو وحبابة، فأتيا بما يأكلان فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تَغَيَّرَتْ وَأَنْتَنَتْ وهو يَشْمُهَا وَيَرشُفُهَا، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك، حتى أذن لهم في غسلها ودفنها، وأمر فأخرجت في نِطْعٍ^(١) وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دُفِنَتْ قال: أَصَبَحْتُ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ كَثِيرٌ:

فَإِنْ يَسْأَلُ عَنْكَ الْقَلْبُ أَوْ يَدَعِ الصَّبَا فَبِالْيَأْسِ يَسْلُو^(٢) عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ^(٣)

(٢) يسلو: ينسى.

(١) النطع: الجلد.

(٣) التجلد: التصبر.

وكل خليل رآني فهو قائل من أجلك : هذا هامة اليوم أو غد [الطويل]

فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دُفن إلى جنبها .

أخبرني أحمد، قال : حدّثني عمر، قال : حدّثني إسحاق الموصلي، قال : حدّثني الفضل بن الربيع، عن أبيه، عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة، عن أبيه . أن مسلمة بن عبد الملك، قال : ماتت حبة فجزع عليها يزيد، فجعلت أوسيه وأعزيه وهو ضارب بدقنه على صدره ما يكلمني حتى رجع، فلما بلغ إلى بابه التفت إليّ فقال :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصّبا فبالياس تسلو عنك لا بالتجلّد [الطويل]

ثم دخل بيته فمكث أربعين يوماً ثم هلك .

قال : وجزع عليها في بعض أيامه، فقال : انبشوها حتى أنظر إليها، فقيل : تصير حديثاً، فرجع فلم ينبشها .

وقد روى المدائني أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها، فقال : لا بدّ من أن تُنبش، فنبشت وكُشف له عن وجهها وقد تغيّر تغيراً قبيحاً، فقيل له : يا أمير المؤمنين اتّق الله، ألا ترى كيف صارت؟ فقال : ما رأيته قط أحسن منها اليوم، أخرجوها، فجاءه مسلمة ووجوه أهله فلم يزلوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها، وانصرف فكمد كمداً شديداً حتى مات فدفن إلى جانبها .

قال : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الشّغاني عن العباس بن محمد :

أن يزيد بن عبد الملك أراد الصلاة على حبة، فكلمه مسلمة في أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاة عليها فتخلّف يزيد ومضى مسلمة، حتى إذا مضى الناس انصرف مسلمة وأمر من صلّى عليها .

وروى الزبير، عن مصعب بن عثمان :

عن عبد الله بن عروة بن الزبير، قال : خرجت مع أبي إلى الشام في زمن يزيد بن عبد الملك، فلما ماتت حبة وأُخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجزع، ولا المشي فحمل على منبر على رقاب الرجال، فلما دفنت قال : لم أصل عليها، انبشوا عنها، فقال له مسلمة : نشدتك الله يا أمير المؤمنين، إنما هي أمة من الإماء، وقد واراها الثرى، فلم يأذن للناس بعد حبة إلا مرة واحدة، قال : فوالله ما استتم

دخول الناس حتى قال الحاجب: أجزوا رحمكم الله، ولم ينشب^(١) يزيد أن مات كمدأ.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إسحاق قال: حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي، قال:

لما ماتت حبابة جزع عليها يزيد جزعاً شديداً، فضمَّ جويرية لها - كانت تخدمها - إليه، فكانت تحدّثه وتؤنسه، فبينما هو يوماً يدور في قصره إذ قال لها: هذا الموضع الذي كنا فيه، فتمثلت:

كَفَى حَزْناً لِلِهَائِمِ الصَّبِّ^(٢) أَنْ يَرَى مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى مُعْطَلَةً^(٣) قَفْراً^(٤)

[الطويل]

فبكى حتى كاد يموت، ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات.

صوت

أيدعونني شيخاً وقد عشتُ حَقْبَةً وَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
وما شاب رأسي من سنين تتابعَت عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْهُ الْوَقَائِعُ

[الطويل]

الشعر لأبي الطفيل صاحب رسول الله ﷺ، والغناء لإبراهيم خفيف ثقیل أول بالوسطى عن عمرو وغيره.

(١) لم ينشب: لم يلبث.
(٢) الصب: العاشق المتيّم.
(٣) معطلة: لا حياة فيها.
(٤) قفراء: لا حياة فيها، خالية من ساكنيها.

أخبار أبي الطفيل ونسبه

هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن حميس بن جري بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار: وله صحبة برسول الله ﷺ، ورواية عنه، وعمر بعده عمراً طويلاً، وكان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وروى عنه أيضاً، وكان من وجوه شيعة، وله منه محل خاص يستغنى بشهرته عن ذكره، ثم خرج طالباً بدم الحسين بن علي عليهما السلام مع المختار بن أبي عبيد، وكان معه حتى قتل، وأفلت هو وعمر أيضاً بعد ذلك.

حدثني أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحي بمكة قال: حدثنا يزيد بن أبي حكيم، قال: حدثني جدي يزيد بن مليل: عن أبي الطفيل أنه رأى النبي ﷺ في حجة الوداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ويستلم الركن بمحجنه^(١).

أخبرناه محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا أبو عاصم عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل بمثله، وزاد فيه: ثم يُقبل المحجن. حدثني أبو عبيد الصيرفي، قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصري، قال: حدثنا أبو نعيم، عن بسام الصيرفي:

عن أبي الطفيل، قال: سمعت علياً عليه السلام يخطب، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه ابن الكواء، فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال: الرياح، قال: فالجاريات يسراً، قال: السفن. قال: فالحاملات وقرأ، قال: السحاب، قال: فالمقسمات أمراً، قال: الملائكة، قال: فمن الذين بدّلوا نعمة الله كفراً؟ قال: الأفجران من قريش: بنو أمية وبنو مخزوم. قال: فما كان ذو القرنين؟ أنبيأ أم ملكاً؟ قال: كان عبداً مؤمناً - أو قال صالحاً - أحب الله وأحبه. ضرب ضربة على قرنه الأيمن فمات، ثم بُعث وضرب ضربة على قرنه الأيسر فمات، وفيكم مثله، وكتب

(١) المحجن: العصا المنعطفة الرأس.

إِلَيَّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْيَ الكوفي يذكر أن أبا نُعَيْمٍ حَدَّثَهُ بِذَلِكَ عَنْ بَسَّامٍ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ .

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال :

بلغني أن بشر بن مروان حين كان على العراق، قال لأنس بن زُئيم: أنشدني أفضل شعر قالته كِنَانَةُ، فأنشده قصيدة أبي الطفيل :

أَيْدَعُونَنِي شَيْخاً وَقَدْ عَشْتُ بُرْهَةً وَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
[الطويل]

فقال له بشر: صدقت، هذا أشعر شعرائكم، قال: وقال له الحجاج أيضاً: أنشدني قول شاعركم:

أَيْدَعُونَنِي شَيْخاً

فأنشده فقال: قاتله الله مُنَافِقاً ما أشعره .

حدثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي المعروف بابن أبي موسى قال: حدثني الحسين بن نصر بن مزاحم، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: سمعت ابن حذيم التاجي يقول:

لما استقام لمعاوية أمره لم يكن شيء أحب إليه من لقاء أبي الطفيل عامر بن واثلة، فلم يزل يُكَاتِبُهُ وَيَلْطُفُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ جَعَلَ يُسَائِلُهُ عَنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَنَفَرٌ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُمْ مَعَاوِيَةُ: أَمَا تَعْرِفُونَ هَذَا؟ هَذَا خَلِيلُ أَبِي الْحَسَنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، مَا بَلَغَ مِنْ حَبْكٍ لِعَلِيٍّ؟ قَالَ: حُبٌّ أَمْ مُوسَى لِمُوسَى، قَالَ: فَمَا بَلَغَ مِنْ بَكَائِكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: بَكَاءُ الْعَجُوزِ الشَّكْلِيِّ وَالشَّيْخِ الرَّقُوبِ^(١) وَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو التَّقْصِيرَ، قَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنْ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ لَوْ كَانُوا سُئِلُوا عَنِّي مَا قَالُوا فِيَّ مَا قُلْتَ فِي صَاحِبِكَ، قَالُوا: إِذَنْ وَاللَّهِ لَا نَقُولُ الْبَاطِلَ، قَالَ لَهُمْ مَعَاوِيَةُ: لَا وَاللَّهِ وَلَا الْحَقَّ تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ مَعَاوِيَةُ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ:

إِلَى رَجَبِ السَّبْعِينَ تَعْتَرِفُونَنِي مَعَ السِّيفِ فِي حَوَاءٍ^(٢) جَمَّ عَدِيدُهَا^(٣)
رَجُوفٍ كَمَتْنٍ^(٤) الطُّودُ^(٥) فِيهَا مَعَاشِرُ كَغُلْبِ السَّبَاعِ نُمْرُهَا وَأَسْوَدُهَا

(١) الشيخ الرقوب: هو من لا يقدر على الكسب ولا معيل له لشدة فقره، أو من فقد ولده.

(٢) الحوَاء: المقصود بذلك الجيش العظيم الذي اختلطت ألوان جنوده ما بين الأسود والأخضر.

(٣) جم عديدها: كثيرة العدد.

(٤) المتن: الظهر.

(٥) الطود: الجبل الشاهق.

كُھولٌ وشُبَّانٌ وساداتٌ معشر
 كأنَّ شُعاعَ الشمسِ تحتَ لوائِها
 يَمُورون^(١) مَوْرَ الرِّيحِ إمَّا ذَهَلْتُمْ
 شعارَهُمْ سِما النبيِّ ورايةً
 تَخْطُفُهُمْ إِيَّاكُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
 على الخيلِ فُرْسَانٌ قليلٌ صُدُوذُها
 إذا طُلعتْ أَعشى العيونَ حديدُها
 وزَلَّتْ بِأَكْفال^(٢) الرِّحالِ لُبُوذُها
 بها انتقمَ الرحمنُ ممن يَكِيدُها
 كَخَطْفِ ضَواري^(٣) الطيرِ صَيْداً تَصِيدُها

[الطويل]

فقال معاوية لجلسائه: أعرفتموه؟ قالوا: نعم، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأمُ جليسٍ،
 فقال معاوية: يا أبا الطفيل، أتعرفهم؟ فقال: ما أعرفهم لخير ولا أبعدهم من شرٍّ،
 قال: وقام خُزَيْمةُ الأَسديّ فأجابه، فقال:

إلى رجبٍ أو غرّةِ الشهرِ بعدَه
 ثمانون ألفاً دينُ عثمانَ دينُهم
 فمَن عاشَ منكم عاشَ عبداً ومَن يَمُتْ
 تُصَبِّحُكم حمُرُ المَنايا وسودُها
 كَتائبُ فيها جَبْرئيلُ يقودُها
 ففي النارِ سُقياهُ هناكَ صَدِيدُها^(٤)

[الطويل]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال:
 حدثنا المدائني، عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال:

لما رجع محمد بن الحَنَفِيَّةُ مِنَ الشَّامِ حبسه ابنُ الزُّبَيْرِ في سجنِ عارِمٍ، فخرج
 إليه جيشٌ مِنَ الكوفةِ عليهم أبو الطفيل عامر بن واثلة حتى أتوا سجنَ عارِمٍ فكسروه
 وأخرجوه، فكتب ابنُ الزُّبَيْرِ إلى أخيه مصعب أن يُسَيِّرَ نساءَ كلِّ مَن خرجَ لذلك،
 فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهن أُمُّ الطُّفَيْلِ امرأةَ أبي الطفيل، وابناً له صغيراً يقال
 له يحيى، فقال أبو الطفيل في ذلك:

إِنَّ يَكْ سَيَّرَها مَصْعَبُ
 أَقودَ الكَتِيبَةِ مُسْتَلِّمًا^(٥)
 عَلَيَّ دِلَاصُ^(٦) تَخَيَّرْتُها
 فلَإِنِّي إلى مَصْعَبٍ مُذْنِبُ
 كَأَنِّي أَخو عُرَّةٍ أَجْرَبُ^(٦)
 وفي الكَفِّ ذو رَوْثٍ مِقْضَبُ^(٨)

[المقارب]

(١) يمورون: يتحركون بعنف ولا يستكينون. (٢) الأكفال، الواحد كفل.

(٣) ضواري الطير: الجوارح منها. (٤) الصديد: القيح.

(٥) مستلماً: متدرعاً بدرع حديدية. (٦) العرة: الأجرب.

(٧) الدلاص، بكسر الدال، من الدروع: اللينة الملساء.

(٨) المقضب: السيف البتار القاطع.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا سلمة بن الفضل: عن فطر بن خليفة، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: لم يبق من الشيعة غيري ثم تمثل:

وخلّيت سهماً في الكنانة واحداً سيُرمى به أو يكسر السهم كاسره
[الطويل]
أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أبو عاصم قال: حدثني شيخ من بني تميم اللات، قال: كان أبو الطفيل مع المختار في القصر فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ، وقال:

ولمّا رأيت الباب قد حيلَ دونه تكسّرت باسم الله فيمن تكسّراً
[الطويل]
أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن شداد الشّابي قال: حدثني المفضل بن غسان، قال: حدثني عيسى بن واضح، عن سليم بن مسلم المكي، عن ابن جريج عن عطاء، قال: دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير وهو يومئذ بمكة فقال: أصبحت كما قال الشاعر:

فإنّ تُصَبِّك من الأيام جائحة^(١) لا أبك منك على دُنْيا ولا دين
[البيط]

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذا عبد الله بن عباس يُفَقِّه الناس، وعبيد الله أخوه يُطْعِم الناس، فما بقيا لك؟ فأخفظه^(٢) ذلك فأرسل صاحب شُرطته عبد الله بن مطيع، فقال له: انطلق إلى ابني عباس فقلّ لهما: أعمدتما إلى راية تُرابيّة^(٣)، قد وضعها الله فنصبتماها؟ بدداً^(٤) عني جمعكما ومن ضوى^(٥) إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فعلتُ وفعلت. فقال ابن عباس: قل لابن الزبير: يقول لك ابن عباس. ثكلتك^(٦) أمك، والله ما يأتينا من الناس غير

(١) الجائحة: المصيبة التي لا تبقي ولا تذر.

(٢) أخفظه: أثار حفيظته وغضبه.

(٣) الراية الترابية: المنسوبة إلى أبي تراب، وهو سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه.

(٤) بدد: فرق. (٥) ضوى إليكما: انضم تحت لوائكما.

(٦) ثكلتك أمك: دعاء بمعنى فقدتك وبكت لأجل موتك.

رجلين: طالب فقهٍ أو طالب فضل، فأَيُّ هذينِ نمنع؟ فأنشأ أبو الطفيل عامر بن وائلة يقول:

لا دَرَّ دَرُّ اللَّيَالِي كَيْفَ تُضْحِكُنَا
ومثلُ ما تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ مِنْ غَيْرِ^(٢)
كنا نجيء ابنَ عَبَّاسٍ فَيُقَبِّسُنَا^(٣)
ولا يزالُ عُبَيْدُ اللَّهِ مُتْرَعَةً^(٤)
فالبرَّ والدين والدنيا بدارِهما
إن النبيَّ هو النور الذي كُشِفَتْ
ورْهُطُهُ عِصْمَةٌ فِي دِينِنَا وَلَهُمْ
ولستَ - فاعْلَمُهُ - أُولَى مِنْهُمْ رَحِمًا
ففيمَ تمنعُهم مِنَّا وتمنعُنا
لن يُؤْتِيَ اللَّهَ مَنْ أَجْرَى بِبُغْضِهِمْ
منها خُطوبُ^(١) أعاجيبُ وتُبَكِّينَا
يا ابنَ الزبير عن الدنيا تُسَلِّينَا
عِلْمًا وَيُكْسِبُنَا أَجْرًا وَيَهْدِينَا
جِفَانُهُ^(٥) مُطْعِمًا ضِيفًا وَمِسْكِينَا
ننالُ منها الذي نَبْغِي إِذَا شِينَا
به عَمَايَاتُ بَاقِينَا وَمَاضِينَا
فضلُ علينا وحقُّ واجبِ فِينَا
يا ابنَ الزبير ولا أُولَى بِهِ دِينَا
منهم وتؤذِيهِمْ فِينَا وتؤذِينَا؟!
في الدينِ عِزًّا ولا في الأرضِ تَمَكِينَا
[البسيط]

وفاة أبي الطفيل:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني بعض أصحابنا: أن أبا الطفيل عامر بن وائلة دُعي في مأدبة فغنت فيها قِيَنَةً قوله يرثي ابنه: خَلَى طُفَيْلٌ عَلَيَّ الْهَمَّ وَأَنْشَعَبَا
وهذا ذلك رُكْنِي هَذَّةً عَجَبَا
[البسيط]
فبكى حتى كاد يموت.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي، عن طلحة بن عبد الله الطَّلحي، عن أحمد بن إبراهيم:

أن أبا الطفيل دُعي إلى وليمة فغنت قِيَنَةً عندهم:

(١) الخطوب، الواحد خطب: المصائب والويلات.

(٢) الغير: المصائب والأحزان.

(٣) يُقَبِّسُنَا: يُقَدِّمُ لَنَا عِلْمًا يُضِيءُ لَنَا سُبُلَ الْمَعْرِفَةِ.

(٤) مترعة: ملائنة.

(٥) الجفان: الواحدة جفنة: القدور العظام.

خَلَّى طِفِيلٌ عَلَيَّ الْهَمَّ وَانْشَعَبَا وَهَذَا ذَلِكَ رَكْنِي هَذَّةٌ عَجَبَا
وَأَبْنِي سُمَيَّةَ لَا أَنْسَاهُمَا أَبَدًا فِيمَنْ نَسِيتَ وَكُلَّ كَانَ لِي وَصَبَا^(١)

[البسيط]

فجعل يَنشَجُ^(٢) ويقول: هاه هاه، طفيل، ويبيكي حتى سقط على وجهه ميتاً.

أخبرني محمد بن مَزَيْد، قال: حدثنا حماد، عن أبيه، بخبر أبي الطفيل هذا فذكر مثل ما مضى وزاد في الأبيات:

فأَمْلِكْ عَزَاءَكَ إِنْ رُزْتُ بُلَيْتَ بِهِ فَلَنْ يَرُدَّ بَكَاءُ الْمَرْءِ مَا ذَهَبَا
وَلَيْسَ يَشْفِي حَزِينًا مَنْ تَذَكَّرَهُ إِلَّا الْبَكَاءُ إِذَا مَا نَاحَ وَأَنْتَحَبَا
فَإِذْ سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا وَلَا مُحَالَةً أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي كُتِبَا
فَمَا لَفَظْتُكَ مَنْ رِيٍّ وَلَا شَبَعَ وَلَا ظَلِلْتُ بِمَا فِي الْعَيْشِ مُرْتَغِبَا

[البسيط]

وقال حماد بن إسحاق: حدثني أبي، قال: حدثني أبو عبد الله الجُمَحِيُّ، عن أبيه، قال:

بينا فتية من قريش ببطن مُحَسَّر^(٣) يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طُوَيْسٌ وعليه قميص قُوْهِيٍّ وَحَبْرَةٌ^(٤) قد ارتدى بها وهو يَخْطُرُ في مِشْيَتِهِ فَسَلَّمَ ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد المنعم لو غَنَيْتَنَا، قال: نعم وكرامةً، أَغْنِيَكُمْ بشعر شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب رأيته أدرك الجاهلية والإسلام وكان سيِّد قومه وشاعرهم، قالوا: ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتك أنفسنا؟ قال: ذلك أبو الطفيل عامر بن واثلة ثم اندفع يُغْنِي:

أَيَدْعُونَنِي شَيْخًا وَقَدْ عِشْتُ حِقْبَةً وَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ

[الطويل]

فطرب القوم وقالوا: ما سمعنا قط غناءً أحسن من هذا.

وهذا الخبر يدل على أنَّ فيه لحناً قديماً ولكنه ليس بمعروف.

(١) الوَصْب: المرض.

(٢) ينشج: يبكي وينوح.

(٣) بطن مُحَسَّر: وادٍ في مكة المكرمة.

(٤) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

صوت

لَمَنِ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعَانٍ^(١) بَيْنَ شَاطِئِي الْيَرْمُوكِ^(٢) فَالْصَّمَانِ^(٣)
 فَالْقُرَيَّاتِ مِنْ بَلَّاسٍ^(٤) فَدَارِيَّآ^(٥) فَسَكَّاءَ فَالْقَصُورِ الدَّوَانِي^(٦)
 ذَاكَ مَعْنَى لَّآلِ جَفْنَةٍ فِي الدَّارِ رِوَحًا تَصْرُفُ الْأَزْمَانَ
 صَلَوَاتُ الْمَسِيحِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رِدْعَاءُ الْقِسْيسِ وَالرُّهْبَانِ
 [الخفيف]

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لحنين بن بلوع خفيف ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وهذا الصوت من صدور الأغاني ومختارها وكان إسحاق يقدمه ويفضله. ووجدت في بعض كتبه بخطه، قال: الصيحة التي في لحن حنين:

لَمَنِ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعَانٍ

أُخْرِجَتْ مِنَ الصَّدْرِ، ثُمَّ مِنَ الْحَلْقِ، ثُمَّ مِنَ الْأَنْفِ ثُمَّ الْجَبْهَةِ، ثُمَّ تُبْرَثُ^(٧)
 فَأُخْرِجَتْ مِنَ الْقِحْفِ^(٨)، ثُمَّ تُؤْتَى مَرْدُودَةً إِلَى الْأَنْفِ، ثُمَّ قُطِعَتْ.

وفي هذه الأبيات وأبيات غيرها من القصيدة أَلْحَانٌ لجماعة اشتركوا فيها، واختلف أيضاً مؤلفو الأغاني في ترتيبها ونسبة بعضها مع بعض إلى صاحبها الذي صنعها، فذكرت هاهنا على ذلك، وشرح ما قالوه فيها، فمنها:

صوت

قَدْ عَفَا جَاسِمٌ إِلَى بَيْتِ رَاسٍ فَالْجَوَابِي فَجَانِبِ الْجَوْلَانِ^(٩)

(١) معان: مدينة كانت في طرف بلاد الشام.

(٢) اليرموك: وادٍ حيث جرت المعركة العظيمة بين المسلمين والروم، وانتهت بهزيمة الروم وانتصار المسلمين.

(٣) الصمان: من نواحي الشام بظاهر البلقاء.

(٤) القرى: هي دومة وسكاكة والقارة، وبلاس بلدة قريبة من دمشق.

(٥) داريا: قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة.

(٦) القصور الدواني: القريّة.

(٧) بُرِثَتْ: رُدَّتْ أو حُبِسَتْ.

(٨) القِحْفُ، بكسر القاف: العظم فوق الدماغ.

(٩) جاسم وبیت راس والجوابي والجولان: مواضع وبلاد.

فَحِمَى جَاسِمٍ فَأَبْنِيَةَ الصُّفِّ رِ مَغْنَى^(١) قَنَابِلِ^(٢) وَهَجَانِ^(٣)
 فَالْقُرَيَّاتُ مِّنْ بَلَّاسٍ فَدَارِيَّافَ فَسَكَّاءُ فَالْقُصُورُ الدَّوَانِي
 قَد دَنَا الْفِصْحُ^(٤) فَالْوَلَانْدُ يَنْظُمُ نَ سَرَاعاً أَكَلَّةَ الْمَرْجَانِ
 يَتَبَارِئْنَ فِي الدَّعَاءِ إِلَى اللَّ هِ وَكُلُّ الدَّعَاءِ لِلشَّيْطَانِ
 ذَاكَ مَغْنَى لَّآلِ جَفْنَةٍ فِي الدِّي رِ وَحَقُّ تَصَرُّفِ الْأَزْمَانِ
 صَلَوَاتُ الْمَسِيحِ فِي ذَلِكَ الدِّي رِ دُعَاءُ الْقَسَّيْسِ وَالرُّهْبَانِ
 قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ حَقُّ مَكِينٍ عِنْدَ ذِي التَّجَاجِ مَقْعَدِي وَمَكَانِي
 [الخفيف]

ذكر عمرو بن بانه أن لابن محرز في الأول من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل
 أول بالبنصر . وذكر علي بن يحيى لابن سريج في الرابع والخامس رملاً بالوسطى وأن
 لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيف ثقيل ، ولمحمد بن إسحاق بن بزيع ثقيل
 أول من الرابع والثامن ، وذكر الهشامي أن في الأول لمالك خفيف ثقيل . ووافقه
 حبش ، وذكر حبش أن لمعبد في الأول والثاني والثالث والرابع ثقيلًا ولا بالبنصر .

(١) المغنى: البيت .

(٢) القنابل: الجماعة من الناس والخيول .

(٣) الهجان، من الإبل: البيض الكرام .

(٤) الفصح: من أعياد النصارى في الربيع يتلو صيامهم .

أخبار حسان وجبله بن الأيهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المَهلبی قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني هارون بن عبد الله الزُّهری، قال: حدثني يوسف بن الماجشون عن أبيه، قال:

قال حسان بن ثابت: أتيت جبلة بن الأيهم الغساني، وقد مدحته، فأذن لي فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفيران، وعن يساره رجل لا أعرفه فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أما هذا فأعرفه، وهو النابغة، وأما هذا فلا أعرفه، قال: فهو علقمة بن عبدة فإن شئت استنشدتكما وسمعت منهما ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدت وإن شئت أن تسكت سكت، قلت: فذاك، قال فأنشده النابغة:

كَلِّينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاعِبِ
[الطويل]

قال: فذهب نصفني، ثم قال لعلقمة: أنشد فأنشد:

طحا^(١) بك قلب في الحسان طرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
[الطويل]

فذهب نصفني الآخر فقال لي: أنت أعلم الآن، إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت، فتشددت ثم قلت: لا بل أنشد، قال: هات فأنشدته:

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهَا يَوْمًا بِجَلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضِلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ كَأَسَا يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
يُغْشَوْنَ^(٢) حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ^(٣) لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

(١) طحا: بُعد.

(٢) يُغشَوْنَ: يزَارُونَ ويُقصدُونَ.

(٣) تَهَرُّ كَلَابُهُمْ: تنبح للفت أسماع طراق الليل.

بِیْضُ الْوُجُوهِ كَرِیْمَةً أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْفِ مِنْ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
[الكامل]

فقال لي: اذنه اذنه. لعمري ما أنت بدونهما، ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصه لها جيب واحد، وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

وقد ذكر أبو عمرو الشيباني هذه القصة لحسان ووصفها، وقال: إنما فضله عمرو بن الحارث الأعرج ومدحه بالقصيدة اللامية، وأتى بالقصة أتم من هذه الرواية.

قال أبو عمرو: وقال حسان بن ثابت: قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص^(١) الوصول عليّ إليه، فقلت للحاجب بعد مدة إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلّها ثم انقلبت عنكم، فأذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة، وهو جالس عن يمينه، وعلقمة بن عبدة، وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك^(٢) ونسبك في غسان فارجع فإني باعث إليك بصيلة سنيّة ولا أحتاج إلى الشعر فإني أخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحك، وفضيحتك فضيحتي، وأنت والله لا تحسن أن تقول:

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ^(٣) يُحَيُّونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِ^(٤)
[الكامل]

فأبيت وقلت: لا بدّ منه، فقال: ذاك إلى عمّيك، فقلت لهما: بحق المَلِكِ إلا قدّمْتُمَا عليكما، فقالا: قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة، فأنشأت:

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبَصِيعِ فَحَوْمَلِ^(٥)
[الكامل]

فقال: فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل^(٦) عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول: هذا وأبيك الشعر لا ما يُعلِّلاني به منذُ اليوم، هذه والله البتّة^(٧) التي قد

(١) إعتاص الأمر عليه: إشتدّ وامتنع.

(٢) العيص: الأصل.

(٣) الحُجْزَات، الواحدة حُجْزة: حيث يثنى طرف الإزار.

(٤) يوم السباسب: أحد الشعانين عند النصارى.

(٥) الجوابي والبصيع وحومل: أمكنة.

(٦) يزحل: يتحوّل عن موضعه وينتحي.

(٧) البتّة: القاطعة.

بترت المدائح، أحسنت يا ابن الفريعة، هاتِ له يا غلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار عشرة دنانير، فأعطيت ذلك ثم قال: لك عليّ في كل سنة مثلها، ثم أقبل على النابغة، فقال: قم يا زياد فهات الشئ المسجوع فقام النابغة فقال: ألا انعم صباحاً أيُّها الملك المبارك، السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك^(١)، ووالداي فداؤك. والعرب وقاؤك، والعجم جماؤك، والحكماء جلساؤك، والمدارِه سُمّاؤك، والمقاوِل إخوانك، والعقل شِعْعارك، والحلم دِثّارك^(٢)، والسكينة مهّادك، والوقار غشاؤك، والبرّ وسادك، والصدق رداؤك، واليُمن جذّاءك، والسخاء ظهارتك، والحمية بطانتك، والعلاء علايتك^(٣)، وأكرم الأحياء أحياءك، وأشرف الأجداد أجدادك، وخير الآباء آباؤك، وأفضل الأعمام أعمامك، وأسرى الأخوال أخوالك، وأعفُ النساء حلائلك، وأفخر الشبان أبناؤك، وأطهر الأمّهات أمّهاتك، وأعلى البنيان بنيانك، وأعذب المياها أمواهك، وأفصح^(٤) الدّارات داراتك، وأنزه الحداثق حدائقك، وأرفع اللباس لباسك، قد حالف الإضرِيج^(٥) عاتقيك، ولألم المسك مسكك، وجاور العنبر ترائبك^(٦)، وصاحب النعيم جسّدك، العسجد^(٧) أنيتك، واللجين^(٨) صحافك، والعصب^(٩) مناديلك. والحوار^(١٠) طعامك، والشهد إدامك^(١١)، واللذات غذاؤك، والخرطوم شرابك، والأبكار مُستراحك، والأشراف مناصفك، والخير بفنائك، والشر بساحة أعدائك، والنصر منوط بلوائك، والخذلان مع ألوية حسّادك، والبرّ فعلك، قد طحطح^(١٢) عدوك غضبك، وهزم مقانبيهم^(١٣) مشهّدك، وسار في الناس عدلّك، وشسع^(١٤) بالنصر ذكرك، وسكّن قوارع الأعداء ظفرك، الذهب عطاؤك، والدّواب رمزك، والأوراق لحظك وإطراقك، وألف دينار مرجوحة إيماؤك، أيفاخرك المنذر اللخميّ؟ فوالله لقفاك خيرٌ من وجهه، ولشمالك خيرٌ من يمينه، ولأخمصك^(١٥) خير

- (١) وِطاؤك: مِداسك. (٢) دِثّارك: غِطاؤك.
 (٣) علايتك: شرفك ونبلك. (٤) أفصح الدارات: أوسعها.
 (٥) الإضرِيج: الفرس الشديد العدو.
 (٦) الترائب، الواحدة تريبة: أعلى الصدر، العظمة من الصدر.
 (٧) العسجد: الذهب. (٨) اللجين: الفضة.
 (٩) العصب: ضرب من البرود سُمّي بذلك لأنه غزله يُعصب أي يجمع ويشدّ.
 (١٠) الحوار: ولد الناقة. (١١) الإدام: ما يؤتد به من طعام.
 (١٢) طحطح: كسر القوم وأهلكهم وبّد شملهم.
 (١٣) المقانب، الواحد مقنب: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.
 (١٤) شسع: زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.
 (١٥) أخمص القدم: ما لا يصيب الأرض من باطنها، وربما يراد بها القدم كلها.

من رأسه. ولخطوك خير من صوابه، ولصمّتك خير من كلامه، ولأُمّك خير من أبيه، ولخدمك خير من قومه، فهب لي أسارى قومي، واسترهنّ بذلك شكري فإنك من أشرف قحطان وأنا من سرّوات^(١) عدنان.

فرجع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه، وقال: بمثل هذا فليُثنَ على الملوك، ومثل ابن الفريعة فليمحدهم. وأُطلق له أسرى قومه.

وذكر ابن الكلبيّ هذه القصّة نحو هذا، وقال: فقال له عمرو: اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعراً فإنه أسير، فقال:

وُئِبْتُ أَنْ أَبَا مُنْذِرٍ	يساميك للحدّث الأكبر
قَدَالِكَ ^(٢) أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ	وأُمّك خير من المنذر
وَيُسْرَاكَ أَجُودُ مِنْ كَفِّهِ	يمين فقلّولا له أخير

[المقارب]

وقد ذكر المدائني أن هذه الأبيات والسجع الذي قبلها لحسان وهذا أصح.

قال أبو عمرو الشيباني: لما أسلم جبله بن الأيهم الغساني، وكان من ملوك آل جفنة، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له عمر فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته من عكّ وغسان، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه، فسُرَّ عمر رضوان الله عليه، وأمر الناس باستقباله وبعث إليه بأنزال، وأمر جبله مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحريز، وركبوا الخيول معقودة أذنابها، وألبسوها قلائد الذهب والفضة، ولبس جبله تاجه وفيه قُرْطاً^(٣) مارية وهي جدّته، ودخل المدينة فلم يبق بها بكراً ولا عانساً إلا تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه، فلما انتهى إلى عمر رحّب به وألطفه وأدنى مجلسه، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبله، فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة فانحلّ، فرفع جبله يده فهشم^(٤) أنف الفزاري، فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه، فبعث إلى جبله فأتاه، فقال: ما هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إنه تعمّد حلّ إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال له عمر: قد أقررت. فلما أن رَضِيَ الرجل، وإنما أن أقيده منك. قال جبله: ماذا تصنع بي؟ قال: أمر بهشم

(١) السروات، السادات النبلاء.

(٢) القذال: ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس.

(٣) القرط: حلية تضعها المرأة في أذنها.

(٤) هشم: حطّم، كسر.

أَنفَكَ كما فعلت، قال: وكيف ذاك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وهو سُوقَةٌ وأنا ملك؟ قال: إنَّ الإسلامَ جمعك وإياه فليس تَفْضُلُهُ بشيءٍ إِلَّا بِالتَّقَى والعافية، قال جبلة: قد ظننت يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي أَكُونُ فِي الإسلامِ أَعَزَّ مِنِّي فِي الجاهلية، قال عمر: دُعُ عَنْكَ هَذَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُرْضِ الرَّجُلَ أَقْدَتَهُ مِنْكَ، قال: إِذَا أَتَنَصَّرَ، قال: إِنْ تَنَصَّرْتَ ضَرَبْتُ عَنْقَكَ لِأَنَّكَ قَدْ أَسْلَمْتَ فَإِنْ ارْتَدَدْتَ قَتَلْتُكَ، فلما رَأَى جبلةُ الصَّدُقَ مِنْ عَمْرٍ، قال: أَنَا نَاطِرٌ فِي هَذَا لَيْلَتِي هَذِهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ بِيَابِ عَمْرٍ مِنْ حَيٍّ هَذَا وَحَيٍّ هَذَا خَلَقْتُ كَثِيرَ حَتَّى كَادَتْ تَكُونُ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ، فلما أَمْسَوْا أَذِنَ لَهُ عَمْرٌ فِي الانصراف، حَتَّى إِذَا نَامَ النَّاسُ وَهَدَّوْا تَحَمَّلَ جبلةُ بِخِيْلَهُ وَرَوَّاحِلَهُ إِلَى الشَّامِ، فَأَصْبَحَتْ مَكَّةُ وَهِيَ مِنْهُمْ بِبَلَّاقٍ^(١)، فلما انْتَهَى إِلَى الشَّامِ تَحَمَّلَ فِي خَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَتَى القُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَدَخَلَ إِلَى هِرْقَلٍ فَتَنَصَّرَ هُوَ وَقَوْمُهُ فَسَرَّ هِرْقَلٌ بِذَلِكَ جَدًّا، وَظَنَّ أَنَّهُ فَتَحَ مِنَ الْفَتْوحِ عَظِيمًا، وَأَقْطَعَهُ حَيْثُ شَاءَ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ مِنَ الثُّزْلِ مَا شَاءَ، وَجَعَلَهُ مِنْ مُحَدِّثِيهِ وَسُمَّارِهِ، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو.

وذكر ابن الكلبي أن الفزاري لما وَطِئَ إِزَارَ جبلة لطمه جبلةً، فلطم جبلةً كما لطمه، فوثبت غسان فهشموا أَنفَهُ، وَأَتَوْا بِهِ عَمْرًا، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ نَحْوَ مَا ذَكَرْنَاهُ. وذكر الزبير بن بكار فيما أَخْبَرَنَا بِهِ الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْهُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الضَّحَّاكِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ:

أَنَّ جبلةَ قَدِيمَ عَلَى عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَأَسْلَمَ، قَالَ: وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَلَامٌ، فَسَبَّ الْمَدِينِيَّ فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَلَطَمَهُ جبلةُ فَلَطَمَهُ الْمَدِينِيَّ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ حَتَّى أَسْأَلَ صَاحِبَهُ وَأَنْظُرَ مَا عِنْدَهُ، فَجَاءَ إِلَى عَمْرٍ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّكَ فَعَلْتَ بِهِ فِعْلًا فَفَعَلَ بِكَ مِثْلَهُ، قَالَ: أَوَلَيْسَ عِنْدَكَ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا، فَمَا الْأَمْرُ عِنْدَكَ يَا جبلة؟ قَالَ: مَنْ سَبَّنَا ضَرَبْنَاهُ، وَمَنْ ضَرَبْنَا قَتَلْنَاهُ. قَالَ: إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِالْقَصَاصِ، فَغَضِبَ وَخَرَجَ بِمَنْ مَعَهُ وَدَخَلَ أَرْضَ الرُّومِ فَتَنَصَّرَ ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ:

تَنَصَّرْتُ الْأَشْرَافَ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ

وذكر الأبيات وزاد فيها بعد:

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ أجالس قومي ذاهبَ السمع والبصرُ

(١) بلاق: خالية، خاوية.

أَدِينُ بِمَا دَانُوا بِهِ مِنْ شَرِيعَةٍ وَقَدْ يُحْبَسُ الْعَوْدُ^(١) الضَّجُورُ عَلَى الدَّبَرِ^(٢)
[الطويل]

وذكر باقي خبره فيما وجه به إلى حسان مثله، وزاد فيه: أن معاوية لما ولي بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ووعدته إقطاع الغوطة بأسرها، فأبى ولم يقبل.

ثم إن عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، ووجه إليه رجلاً من أصحابه وهو جثامة بن مساحق الكناني، فلما انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام، فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل: هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟ قال: لا، قال: فآلقه، قال الرجل: فتوجهت إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر بباب هرقل مثله، فلما أدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سرير من قواريب، قوائمه أربعة أسد من ذهب وإذا هو رجل أصهب ذو سبال^(٣) وعثنون^(٤)، وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح، فما رأيت أحسن منه، فلما سلمت رد السلام ورحب بي وألطفني ولأمني على تركي النزول عنده، ثم أفعدني على شيء لم أثبتته فإذا هو كرسي من ذهب، فأنحدرت عنه، فقال: مالك؟ فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا، فقال جبله أيضاً مثل قولني في النبي ﷺ حين ذكرته وصلى عليه ثم قال: يا هذا إنك إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه، ثم سألتني عن الناس وألحف^(٥) في السؤال عن عمر، ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجهه، فقلت: ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟ قال: أبعد الذي قد كان؟ قلت: قد ارتد الأشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الإسلام، فتحدثنا ملياً ثم أوماً إلى غلام على رأسه فولى يحضر فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت الأخونة^(٦) يحملها الرجال، فوضعت وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي، فاستعفيت منه فوضع أمامي خوان خلنج^(٧) وجامات^(٨) قواريب،

(١) العود من الإبل: المسنة.

(٢) الدبر، بالفتح: القرحة التي تحدث بسبب الرحل.

(٣) السبال، بكسر السين، الواحدة سبله: شعر يعلو الشارب.

(٤) العثنون: اللحية.

(٥) ألحف في السؤال: ألح.

(٦) الأخونة، الواحد خوان: الموائد عليها الطعام.

(٧) الخلنج: ضرب من الشجر، تتخذ من خشبه الأواني.

(٨) الجامات، الواحد جام: مكيال.

وأديرَت الخمر فاستعفيت منها، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب فيه خمساً عدداً ثم أوماً إلى غلام فولّى يُخضر، فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسّرن في الحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائي، فإذا أنا بعشر أفضل من الأول عليهن الوشي والحلي، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله، وأقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة مُؤدّب، وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خلطا، وأنعم سحقهما، وفي اليسرى جام فيه ماء ورد فألقت الطائر في ماء الورد فتمعك^(١) بين جناحيه وظهره وبطنه، ثم أخرجته فألقته في جام المسك والعنبر فتمعك فيها، فلم يدع فيها شيئاً، ثم نقرته فطار فسقط على تاج جبلة، ثم رفرِف ونفض ريشه، فما بقي عليه شيء إلا سقط على رأس جبلة ثم قال للجواري: أطرِبيني فخفقن بعيدانهن يغنين:

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
بيضُ الوجوه كريمة أحسابهم ثم الأنوف من الطراز الأول
يُغشون^(٢) حتى ما تهرّ كلابهم^(٣) لا يسألون عن السواد المُقبل
[الكامل]

فاستهل واستبشر وطرب ثم قال: زدّني، فاندفعن يغنين:

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصّمان^(٤)
فجمي جاسم^(٥) فأبنيّة الصّف ر مغنى^(٦) قنابل^(٧) وهجان^(٨)
فالقريّات من بلاس فداريّاً فسكّاء^(٩) فالقصور الدواني
ذاك مغنى لآل جفنة في الدار وحقّ تعثّب الأزمان
قد دنا الفصح^(١٠) فالولائد ينظّم ن سراعاً أكّلة المَرجان
لم يعلّن بالمغافير والصّم غ^(١١) ولا نقف^(١٢) حنظل الشريان

(١) تمعك: تمرغ. (٢) يغشون: يُتردّد عليهم.

(٣) تهرّ كلابهم: تنبح للفت أسماع الطارقين ليلاً.

(٤) معان واليرموك والصمان: مواضع. (٥) جاسم: موضع.

(٦) المغنى: المنزل. (٧) القنابل: الجماعة من الناس ومن الخيول.

(٨) الهجان من الإبل: البيض الكرام. (٩) القريّات وبلاس وداريّاً وسكّاء: مواضع.

(١٠) الفصح: من أعياد النصارى، وهو أحد الشعانين.

(١١) يعلّن بالمغافير: يُضحن بالصمغ الذي يسيل من بعض الشجر.

(١٢) نقف الحنظل: شقه عن حبه.

قد أراني هناك حقاً مكيناً عند ذي التاج مقعدي ومكاني [الخفيف]

فقال: أتعرف هذه المنازل؟ قلت: لا، قال: هذه منازلنا في مُلْكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابن الفُريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، قلت: أما إنه مَضْرُورُ البصر كبير السن. قال: يا جارية هاتي، فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج، فقال: ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام، ثم راودني على مثلها فأبيت، فبكى ثم قال لجواريه: أَبْكِينِي، فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن قوله:

تَنْصَرَّتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارٍ لَطْمَةٍ	وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررٌ
تَكَنَّفَنِي فِيهَا لَجَاجٌ وَنُخْوَةٌ	وبعثُ بها العينَ الصحيحةَ بالِعُورِ
فِيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي	رجعتُ إلى القول الذي قال لي عمرُ
وَيَا لَيْتَنِي أَرَعَى الْمَخَاضَ ^(١) بِدِمْنَةٍ ^(٢)	وكنْتُ أَسِيرًا فِي رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍ
وَيَا لَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ	أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

[الطويل]

ثم بكى وبكى معه حتى رأيت دموعه تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ، ثم سلمت عليه وانصرفت، فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبله، فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها، فقال: أَوَ رَأَيْتَ جَبْلَةَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قلت: نعم، قال: أبعد الله، تعجل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارتها، فهل سرح معك شيئاً؟ قلت: سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج، فقال: هاتها وبعث إلى حسان فأقبل يقودُه قائده حتى دنا فسلم وقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لِأَجِدُ أَرْوَاحَ آلِ جَفْنَةَ، فقال عمر رضي الله عنه: قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه، وأتاك بمعونته، فانصرف عنه، وهو يقول:

إِنْ ابْنَ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةٍ مَعْشِرٍ	لَمْ يَغْذِهِمْ آبَاؤُهُمْ بِاللُّومِ
لَمْ يَنْسَنِي بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رُبُّهَا	كَلًّا وَلَا مُتَنَصِّرًا بِالرُّومِ
يُعْطِي الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ	إِلَّا كَبْعُضِ عَطِيَّةِ الْمَذْمُومِ
وَأَتَيْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي	وَسَقَى فَرَوَانِي مِنَ الْخُرْطُومِ

[الكامل]

(١) المخاض من الإبل: التي دنت ولادتها.

(٢) الدمنة: آثار الدار، أو ما اختلط من البعر والطين عند الحوض فتلبد.

فقال له رجل كان في مجلس عمر: أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم؟ فقال: ممّن الرجل؟ قال مُزَنِي، قال: أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله ﷺ لطوقتك طوق الحمامة، وقال: ما كان خليلي ليُخَلّ بي فما قال لك؟ قال: قال: إن وجدته حيّاً فادفعها إليه، وإن وجدته ميتاً فاطرح الثياب على قبره وابتع بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره فقال حسان: ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزُّبيري:

قال الرسول الذي بُعث به إلى جبلة - ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجمّين والطائر الذي تمعك^(١) فيهما. وذكر قول حسان:

إِنْ ابْنَ جَفْنَةٍ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ

ولم يذكر غير ذلك - هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر، وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهرّي قال: حدثنا عمر بن شبة، قال:

قال عبد الله بن مسعدة الفزاري: وجّهني معاوية إلى ملك الروم فدخلت عليه فإذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلسه، فكلمني بالعربية، فقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا رجل غلب عليه الشقاء، أنا جبلة بن الأيهم، إذا صرت إلى منزلي فالقني، فلما انصرف أتيت في داره، فألفيته على شرابه وعنده قينتان تغنيانه بشعر حسان بن ثابت:

قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأس فالجوابي فجانِبَ الجَوْلانِ^(٢)
[الخفيف]

وذكر الأبيات، فلما فرغت من غنائهما أقبل عليّ ثم قال: ما فعل حسان بن ثابت؟

قلت: شيخ كبير قد عمي، فدعا بألف دينار فدفعها إليّ وأمرني أن أدفعها إليه ثم قال: أترى صاحبك يفي لي إن خرّجته إليه؟ قال: قلت: قل ما شئت أعرضه عليه قال: يعطيني الثنية فإنها كانت منازلنا وعشرين قرية من العوطة منها دارياً وسكّاء ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا. قال: قلت: أبلغه، فلما قدمت على معاوية، قال: وددت أنك أجبتّه إلى ما سألت فأجزّته له، وكتب إليه معاوية يعطيه ذلك فوجده

(١) تمعك: تمرغ.

(٢) جاسم وبيت رأس والجوابي والجولان: مواضع.

قد مات، قال: وقدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله ﷺ فلقيت حسان، فقلت: يا أبا الوليد، صديقك جبله يقرأ عليك السلام، فقال: هات ما معك، قلت: وما علمك أن معي شيئاً؟ قال: ما أرسل إليّ بالسلام قط إلا ومعه شيء، قال: فدفعت إليه المال.

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، عن أهل المدينة، قالوا: بعث جبله إلى حسان بخمسمائة دينار وكُساء، وقال للرسول: إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره، فجاء فوجده حيّاً فأخبره، فقال: لوددت أنك وجدتني ميتاً.

نسبة ما في الأخبار من الأغاني

صوت

تنصرت الأشراف من عارٍ لطمه وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
[الطويل]
الآبيات الخمسة، الشعر لجبله بن الأيهم والغناء لعريب نصّب^(١) خفيف وبسيط
رمل بالوسطى منها.

صوت

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آبؤهم باللوم
[الكامل]
الآبيات الأربعة، الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعريب هزج بالبنصر.

حسان والحارث الغساني:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمي يوسف بن محمد، قال: حدثني عمي إسماعيل بن أبي محمد، قال: قال الواقدي: حدثني محمد بن صالح قال:

كان حسان بن ثابت يغدو على جبله بن الأيهم سنة، ويُقيم سنة في أهله فقال:

(١) النصب من الغناء: يُشبهه الحداء يمتاز برقته عنه.

لو وَقَدْتُ على الحارث بن أَبِي شِمْر العَسَّانِي فَإِنَّ له قرابة وَرَجْماً بصاحبي، وهو أَبْذُلُ الناس للمعروف، وقد يئس مني أَنْ أَفِدَّ عليه لِمَا يعرف من انقطاعي إلى جبله، قال: فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى قَدِمْتُ على الحارث، وقد هَيَّأْتُ له مديحاً، فقال لي حاجبه، وكان لي ناصحاً: إِنَّ الملك قد سُرَّ بقُدومك عليه، وهو لَا يدعك حتى تذكر جبله، فَإِيَّاكَ أَنْ تقع فيه، فإنه إِنَّمَا يختبرك، وَإِنْ رَأَيْتَ قد وقعت فيه زهد فيك، وَإِنْ رَأَيْتَ تذكر محاسنه ثقل عليه، فلا تبتدئ بذكره وَإِنْ سَأَلَكَ عنه فلا تُطْنَبْ^(١) في الثناء عليه ولا تعب، امسح ذكره مسحاً وجاوزه إلى غيره، فَإِنْ صاحبك - يعني جبله - أَشَدُّ إغضاءً عن هذا أَي أَشَدُّ تغافلاً وأقلُّ حَفَلاً به، وذلك أَنَّ صاحبك أعقل من هذا وأبِين وليس لهذا بيان، فإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام، وهو رجل يثقل عليه أَنْ يُؤْكَلَ طعامه ولا يُبَالِي الدرهم والدينار، ويثقل عليه أَنْ يُشْرَبَ شرابه أيضاً، فإذا وضع طعامه فلا تضع يدك حتى يدعوك، وإذا دعاكَ فأصَبْ من طعامه بعض الإصابة، قال: فشكرت لحاجبه ما أمرني به، قال: ثم دخلت عليه فسألني عن البلاد وعن الناس وعن عيشنا بالحجاز وعن رجال يهود وكيف بيننا من تلك الحروب، فكل ذلك أخبره حتى انتهى إلى ذكر جبله، فقال: كيف تَجِدُ جبله فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت: إِنَّمَا جبله منك وأنت منه، فلم أَجِرْ إلى مدح ولا عيب وجاز ذلك إلى غيره، ثم قال: الغداء، فأتني بالغداء ووَضَعَ الطعام فَوَضَعَ يده فأكل أَكْلاً شديداً، وإذا رجل جَبَّار، فقال بعد ساعة: اذُنْ فأصَبْ من هذا فدنوت فخططت^(٢) تخطيطاً خفيفاً وأتني بطعام كثير ثم رَفَعَ الطعام وجاء وُصفاء كثير عددهم، معهم الأباريق فيها ألوان الأشربة ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا، ودعا أصحاب بَرَابِط^(٣) من الروم فأجلسهم وشرب فألهوه، وقام الساقى على رأسي، فقال: اشرب، فأبيت حتى، قال هو: اشرب، فشربت، فلما أَخَذَ فينا الشراب أنشدته شعراً فأعجبه وَلَذَّ به، فأقمت عنده أياماً، فقال لي حاجبه: إِنْ له صديقاً هو أَخَفُّ الناس عليه، وهو جاء، فإذا هو جاء جَفَاكَ وَخَلَصَ به، وقد ذَكَرَ قدومه فاستأذنه قبل أَنْ يَقْدَمَ عليه فإنه قبيح أَنْ يجفوك بعد الإكرام، والاذْنُ اليومَ أحسن، قلت: ومن هو؟ قال: نابغة بني ذبيان. فقلت للحارث: إِنْ رَأَى الملك أَنْ يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فعَلْ، قال: قد أذنت لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسا وَحُمْلَان^(٤) فقبضتها، وقدم نابغة وخرجت إلى أهلي.

(١) تطنب في الثناء: تتردد في المدح.

(٢) خططت في الطعام: أكلت أَكْلاً خفيفاً.

(٣) البرابط، الواحد بربط: آلات موسيقية، كالزاهر والأعواد. فارسي معرب.

(٤) حُمْلَان: ما يُحْمَل من المتاع هدية.

صوت

أَلَا إِن لَّيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أَصْبَحَتْ
وَمَا ذَاكَ مِنْ شَيْءٍ أَكُونُ اجْتَرَمْتَهُ^(١)
وَلَكِنْ إِنْسَانًا إِذَا مَلَّ صَاحِبًا
وَمَا زَالَ بِي مَا يُحَدِّثُ النَّأْيُ وَالَّذِي
وَمَا زَالَ بِي الْكِتْمَانُ حَتَّى كَأَنَّنِي
لَأَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ وَتَسْلَمِي

عَلَى النَّأْيِ مِنْ ذَنْبٍ غَيْرِي تَنْقُمُ
إِلَيْهَا فَتَجْزِينِي بِهِ حَيْثُ أَعْلَمُ
وَحَاوِلُ صُرْمًا^(٢) لَمْ يَزَلْ يَتَجَرَّمُ
أُعَالِجُ حَتَّى كِدْتُ بِالْعَيْشِ أَبْرَمُ
بِرَجْعِ جَوَابِ السَّائِلِي عَنْكَ أَعْجَمُ
سَلِمْتُ وَهَلْ حَيٍّ مِنَ النَّاسِ يَسْلَمُ؟!

[الطويل]

عروضه من الطويل، الشعر لنصيب، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبيات الأول
للمجنون، والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله، في الأبيات الأول
منها ثاني ثقليل بالوسطى عن الهشامي وحش، وذكره حماد بن إسحاق ولم يُجَنِّسْهُ،
وفيه لابن سريج هَزَجٌ خَفِيفٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين وفيه
لمبعد في البيتين الأولين خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) اجترمته: إقترفته من جرم.

(٢) الصُّرم: القطيعة.

خبر بديح في هذا الصوت وغيره

بديحٌ مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديحٌ المليح، وله صنعة يسيرة، وإنما كان يُغني أغاني غيره مثل سائب خاثرٍ ونَشِيطٍ وطُويسٍ وهذه الطبقة، وقد روى بديحٌ الحديث من عبد الله بن جعفر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري، قال: حدثنا عاصم النبيل، عن جويرية بن أسماء عن عيسى بن عمر بن موسى، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر، قال:

لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل إليه عبد الله بن جعفر في جماعة، فقال له يحيى: جئتني بأوباش من أوباش خبيثة، فقال عبد الله: سماها رسول الله ﷺ طيبة وتسميها أنت خبيثة؟!

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: قال داود بن جميل: حدثني من سمع هذا الحديث من ابن العثبي يذكره عن أبيه، قال:

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، وهو يتأوه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار! قال: لست صاحب هزل، والجِدِّ معَ علتي أحجى بي، قال: وما علَّتُك يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النساء في ليلتي هذه فبلغ مني، قال: فإن بديحاً مولاي أرقى الناس منه. فوجه إليه عبد الملك، فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر، وقال: كذبة قبيحة عند خليفة، فما كان بأسرع من أن طلع بديح فقال: كيف رُقيتُك من عرق النساء؟ قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين، قال: فسُرِّي عن عبد الله، لأن بديحاً كان صاحب فُكاهة يُعرف بها، فمدَّ رجله فتفل عليها ورَقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت خفّاً، يا غلام اذعُ فلانة حتى تكتب الرُقبة فإننا لا نأمن هيجها بالليل فلا ندعُر بديحاً، فلما جاءت الجارية، قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كتبتها حتى تُعجل جبايتي^(١)، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه، قال وامرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي، فأمر به فحمل

(١) جبايتي: عطيتي.

إلى منزله، فلما أحرزه^(١)، قال: يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت على النأي^(٢) مني ذنب غيري تنقم
[الطويل]

وذكر الأبيات وزاد فيها:

وما زلت أستصفي لك الودّ أبتغي مُحاسنة حتى كأني مجرم
[الطويل]

قال: ويلك، ما تقول؟ قال: امرأته طالق إن كان رقاك إلا بما قال، قال: فاکتمها عليّ، قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر؟ فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص^(٣) برجليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثني الأصمعي عن المُتَّعِجِ البَّهَّانِيِّ عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله وزاد في الشعر:

فلا تصرميني حين لا لي مرجع ورائي ولا لي عنكم متقدم
[الطويل]

وقال فيه: فسكن ما كان يجده عبد الملك وأمر لبديح بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبديح: ما سمعت هذا الغناء منك منذ ملكتك، فقال: هذا من نطف سائب خاثر.

أخبرني إسماعيل، قال: حدثنا عمر، قال: حدثني القاسم بن محمد بن عبّاد، عن الأصمعي، عن ابن أبي الزناد، عن نافع - أراه نافع الخير مولى ابن جعفر - بهذا الخبر مثله وزاد فيه أن بديحاً رفع صوته يُغني به لما قال له أن يكتب الرقية، وزاد فيه: فجعل عبد الملك يقول: مهلاً يا بديح، فقال: إنما رقيتك كما علّمت يا أمير المؤمنين.

أخبرني إسماعيل، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثني أبو سلمة الغفاري، عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قال:

كان ابن جعفر يُحب أن يسمع عبد الملك غناء بديح، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبد الملك ركبته، فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين إن لي مولى كانت أمه بربرية

(١) أحرزه: أحتواه، حصل عليه.

(٢) النأي: البعد.

(٣) يفحص برجليه: يخط دالة على الاستحسان.

وكانت تَرْقِي من هذه الْعِلَّة، وقد أخذ ذلك عنها، قال: فادْعُ به، فدُعِيَ بديح فجعل يتنفل على رُكبة عبد الملك ويُهَمِّمُهم ثم قال: قم يا أمير المؤمنين، مولاك لا بد له من صلة، قال: حتى نكتب رُقِيَّتَه، ثم أمر جارية له فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم، قال: كيف يكون ويلك رقيةً ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: فهو ذلك، قال: فاكتبيها على ما فيها، فأملى عليها قوله:

دِيَارَ سُلَيْمَى بَيْنَ عَبَقَّةَ فَاْلْمُهْدِي^(١) سُقِيَتْ وَإِنْ لَمْ تَنْطُقِي سَبَلَ الرَّعْدِ^(٢)

[الطويل]

ثم قال له ابن جعفر: لو سمعته منه، قال: أو يُجيد؟ قال: نعم، قال: هات، فما برح والله حتى أفرغها في مسامعه.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، قال:

حدثني سليمان بن أبي شيخ، قال: كنا عند أبي نعيم الفضل بن دكين فجاه رجل فقال: يا أبا نعيم إن الناس يزعمون أنك رافضي، قال: فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، وهو يبكي، وقال: يا هذا أصبحت فيكم كما قال نصيب:

وما زال بي الكتمان حتى كائنني
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي
برجع جواب السائلي عنك أعجم
سلمت وهل حي من الناس يسلم؟

[الطويل]

صوت

يا غرابَ البين أَسْمَعْتَ فَقُلْ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلْشَرِّ مَدَى
كُلُّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
وَالْعَطِيَّاتُ خَسَاسٌ^(٣) بَيْنَهُمْ
إِنَّمَا تَنْطُقُ شَيْئاً قَدْ فَعِلْ
لَكَلَا ذِينِكَ وَقْتُ وَأَجَلْ
وَبِنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُثَرٍّ وَمَقْلٌ

[الرملي]

الشعر لعبد الله بن الزبعرى السهمي يقوله في غزاة أحد، وهو يومئذ مشرك، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل أول بالنصر عن عمرو، على مذهب إسحاق، وفيه لحن لابن مسجح من رواية حماد عن أبيه في كتاب ابن مسجح.

(٢) سبل الرعد: ما ينتج عن الرعد من أمطار.

(١) عبقة والمهدي: موضعان.

(٣) خساس: قليلة القيمة.

نسب ابن الزبيري وأخباره وقصة غزوة أحد

هو عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وهو أحد شعراء قريش المعدودين، وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش في شعره، ثم أسلم بعد ذلك فقبِل النبي ﷺ إسلامه وأمنه يوم الفتح، وهذه الأبيات يقولها ابن الزبيري في غزوة أحد:

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حيّان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدّث ببعض هذا الحديث، فقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سُقّت من الحديث عن يوم أحد قالوا:

لما أصيبت قريش - أو من قاله منهم: يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب^(١) - فرجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش ممن أصيب آبؤهم وأبنائهم وإخوانهم ببدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كان لهم في تلك العير من قريش تجارة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم^(٢) وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرّك ثأراً بمن أصيب منا، ففعلوا، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكل أولئك قد استعصموا على حرب رسول الله ﷺ، وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمحي قد منّ عليه

(١) القليب: البئر.

(٢) وتركم: أصاب مقاتلكم بحيث يتوجب عليكم الثأر منه.

رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان في الأسارى، فقال: يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن عليّ صلى الله عليك، فمنّ عليه رسول الله ﷺ، فقال صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأعنا بلسانك، فقال: إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال: بلى، فأعنا بنفسك، ولك الله إن رجعت أن أعينك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر، فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له يقال له وحشي، وكان حبشياً يقذف بحربة له قذف الحبشة قلماً يخطئ بها، فقال: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمي طعيمة بن عديّ فأنت عتيق، وخرجت قريش بحدها وأحايشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن^(١) التماس الحفيظة^(٢) ولئلا يفروا، وخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد الناس - معه هند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأُم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة - وقيل: ببرة، من قول أبي جعفر - بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية، وهي أُم عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العباس بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أُم عبد الله بن عمرو بن العاص، وخرج طلحة بن أبي طلحة - وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار - بسلافة بنت سعيد بن سهم، وهي أُم بني طلحة مسافع والجلال وكلاب، قتلوا يومئذ وأبوه، وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزة بن عمير وهي أُم مصعب بن عمير وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة. وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّت بوحشي أو مرّ بها قالت: إيه أبا دُسمّة اشف واشتف وكان وحشي يكنى أبا دُسمّة فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: إني قد رأيت بقرأ تدبج فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، وهي المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا فيها قاتلناهم.

(١) الظعن، الواحدة ظعينة: المرحلة في هودجها.

(٢) الحفيظة: الغضب وشدة الانفعال.

ونزلت قريش منزلها من أحد يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة، وراح رسول الله ﷺ حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد، فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يرى رأيه في ذلك أن لا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله جل ثناؤه بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرونا جبنًا عنهم وضعفنا. فقال عبد الله بن أبي بن سلول، يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا يدخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا.

فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُب لقاء العدو حتى دخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته^(١)، وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بني النجار، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس، وقالوا: إستكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا، فخرج رسول الله ﷺ عليهم فقالوا: يا رسول الله إستكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال عليه السلام: ما ينبغي للنبي إذا ليس لأمته أن يضعها حتى يقاتل.

فخرج رسول الله ﷺ في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط^(٢) بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس وقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق والريب وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بني سلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أنه يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عز وجل عنكم.

وقال محمد بن عمر الواقدي: إنخزل عبد الله بن أبي عن رسول الله ﷺ من الشيخين بثلاثمائة، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة، وكان المشركون في ثلاثة

(١) اللأمة: السلاح من درع وما يُمكن للمحارب الاحتماء به من طعن عدوه.

(٢) الشوط: موضع.

آلاف، والخييل مائتا فارس، والطُّعْنُ خمسَ عشرةَ امرأةً، قال: وكان في المشركين سَبْعُمائةٍ دارع، وكان في المسلمين مائةَ دارع، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان فرسٍ لرسول الله ﷺ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي، فأذْلَجَ^(١) رسول الله ﷺ من الشَّيْخَيْنِ حتى طلع الحمراء وهما أُطْمان^(٢) كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان فلذلك سُمِّيَا الشَّيْخَيْنِ، وهو في طرف المدينة، قال: وعرض رسول الله ﷺ المُقاتِلَةَ بالشَّيْخَيْنِ بعد المغرب، فأجاز من أجاز وردَّ من ردَّ، قال: وكان فيمن ردَّ زيد بن ثابت وابن عمر، وأسيْدُ بن ظهير، والبراء بن عازب، وعَرَّابَةُ بن أَوْس، قال: وهو عَرَّابَةُ الذي قال فيه الشَّمَاخ:

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لَمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَّابُهُ بِالْيَمِينِ
[الوافر]

قال: وردَّ أبا سعيد الخُدْري وأجاز سَمُرَةَ بن جُنْدَب، ورافع بن خَدِيج وكان رسول الله ﷺ قد استصغر رافعاً فقام على خُفَيْنِ له فيهما رِقَاعٌ، وتناول على أطراف أصابعه، فلما رآه رسول الله ﷺ أجازه.

قال محمد بن جرير: فحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا ابن عمر، قال:

كانت أم سُمرة تحت مُرَيِّ بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد الخُدْري وكان ربيبه، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، وعرض أصحابه فردَّ من استصغر، ردَّ سَمُرَةَ بن جُنْدَب، وأجاز رافع بن خَدِيج، فقال سَمُرَةُ لربيهِ مُرَيِّ بن سنان: يا أبت أجاز رافعاً وردَّني وأنا أضْرعُه، فقال مُرَيِّ بن سنان يا رسول الله ردَّدْتَ ابني وأجزت رافع بن خَدِيج وابني يضرعه، فقال النبي ﷺ لرافع وسَمُرَةَ: اضْطَرِّعا، فصرع سَمُرَةَ رافعاً، فأجازه رسول الله ﷺ فشَهدَها مع المسلمين. وكان دليل النبي ﷺ أبو حَثْمَةَ الحارثي.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حَرَّةِ بني حارثة فذَبَّ^(٣) فرسٌ بذنبه فأصاب كُلاب سيفه فاستلَّه، فقال رسول الله ﷺ - وكان يحب الفأل ولا يَعْتَف -

(١) أدلج: مشى ليلاً.

(٢) الأطم: الحصن.

(٣) ذب: دفع عنه، منع وحامى.

لصاحب السيف: شِم^(١) سيفك فإني أرى السيوف ستُسْتَلُّ اليوم، ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: من يخرج بنا على القوم من كَثَبٍ^(٢) من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو حَثَمَةَ أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فقدّمه فنقذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال المَرْبَع بن قَيْظِي وكان رجلاً منافقاً ضريب البصر، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يَحْثِي التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله فلا أُحِلُّ لك أن تدخل حائطي، وقد ذُكِر لي أنه أخذ حَفَنَةً من تراب في يده ثم قال: لو أني أعلم أني لا أُصِيبُ بها غَيْرَكَ لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعلوا فهذا الأعمى البصر الأعمى القلب»، وقد بَدَر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسول الله ﷺ عنه فضربه بالقوس في رأسه فشجّه، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل الشَّعْب من أحد في عُذوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ أَحَدًا حتى نأمره بالقتال. وقد سَرَحَتْ قريشُ الظُّهْر^(٣) والكُراع^(٤) في زروع كانت بالصَّمَّة من قناة للمسلمين، فقال رجل من المسلمين حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أترعى زروع بني قَيْلَةَ ولَمَّا نُضارب؟

وتعبى رسول الله ﷺ، وهو في سبعمائة رجل، وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فارس قد جَنَّبُوا^(٥) خيولهم فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وأمر رسول الله ﷺ على الرماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذٍ مُعَلَّمٌ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً، وقال: انْضَحْ^(٦) عنا الخيل بالنَّبَل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فائتبت بمكانك لا نُؤْتِيَنَّ من قبلك، وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين.

قال محمد بن جرير: فحدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مصعب بن المقدام قال: حدثنا أبو إسحاق عن البراء، قال: لما كان يوم أحد ولقي رسول الله ﷺ المشركين أجلس رسول الله ﷺ رجلاً بإزاء

(١) شِم سيفك: أغمدته في غمده.

(٢) الكَثَب: القرب.

(٣) الظهر: الرّكاب التي تحمل الأثقال.

(٤) الكُراع: يقصد بذلك الدواب، كالخيل والبغال والحمير.

(٥) جنّبوا خيولهم: جعلوها في جانب على جدة.

(٦) انضح عن الخيل: أي ارمها بالنبال لتبتعد.

الرُّماة، وأمر عليهم عبد الله بن جُبَيْر، وقال لهم: لا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ وإن رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ وإن رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فلا تُعِينُونَا، فلما لَقِيَ الْقَوْمَ هَزَمَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى رَأَيْتِ النِّسَاءَ قَدْ رَفَعْنَ عَنِ سُوقِهِنَّ وَبَدَتْ خَلَاخِيلَهُنَّ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيْمَةُ الْغَنِيْمَةُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَهَلًا أَمَا عَلِمْتُمْ مَا عَهْدُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَأَبَوْا فَاَنْطَلَقُوا، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صَرَفَ اللَّهُ وَجُوهُهُمْ فَأَصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلًا.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال:

أَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ خَلُونَ مِنْ شَوَّالٍ حَتَّى نَزَلَ أُحُدًا، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ فَاجْتَمَعُوا، وَأَمَرَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْخَيْلِ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ الْمُقْدَادُ الْكِنْدِيُّ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَخَرَجَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجَيْشِ، وَبَعَثَ حَمْزَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ وَمَعَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرَ، وَقَالَ: «اسْتَقْبِلْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَكُنْ بِإِزَائِهِ حَتَّى أَوْذَنْكَ»، وَأَمَرَ بِخَيْلٍ أُخْرَى فَكَانُوا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَقَالَ: «لَا تَبْرَحَنَّ حَتَّى أَوْذَنْكُمْ».

وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ يَحْمِلُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الزُّبَيْرِ أَنْ يَحْمِلَ، فَحَمَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَهَزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ مَعِهِ. فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾^(١) [آل عمران: ١٥٢]. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ النِّصْرَ وَإِنَّهُمْ مَعَهُمْ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ نَاسًا مِنَ النَّاسِ فَكَانُوا مِنْ وَرَائِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُونُوا هَاهُنَا»، فَرَدُّوا وَجْهَ مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ وَكَوْنُوا حَرَسًا لَنَا مِنْ قَبْلِ ظَهْرِنَا وَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَزَمَ الْقَوْمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَالَ الَّذِينَ كَانُوا جُعِلُوا مِنْ وَرَائِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَرَأَوُا النِّسَاءَ مُصْعِدَاتٍ فِي الْجَبَلِ وَرَأَوُا الْغَنَائِمَ: أَنْطَلِقُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَذْرِكُوا الْغَنَائِمَ قَبْلَ أَنْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهَا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: بَلْ نَطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَنَبَّتَ مَكَانَنَا، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المُفَضَّل: حدثنا أسباط بن السُّدِّي، قال:

لَمَّا بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَحَدٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ أَمَرَ الرُّمَةَ فَاقَامُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ فِي

(١) تَحُسُّونَهُمْ: تَرْدُونَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ.

وجوه خيل المشركين وقال لهم: «لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمناهم فإننا لا نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم» وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير، ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معاشر أصحاب محمد، إنكم ترعمون أن الله عز وجل تعجلنا بسيوفكم إلى النار وتعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه عليّ فقطع رجله، فبدت عورته فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم، فتركه فكبر رسول الله ﷺ، وقال لعليّ أصحابه: «ما منعك أن تجهز عليه؟» قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه، ثم شدّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد، وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقطع، فلما نظر الرماة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله ﷺ، وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة، وحمل على أصحاب النبي ﷺ، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله ﷺ: «من يأخذ لهذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سمالك بن خرسة أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به في العدو حتى ينحني»، فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم على رأسه بعصاية له حمراء علم الناس أنه سيقاقل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخذ عصابته تلك فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفيين.

قال محمد بن إسحاق: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رجل من الأنصار من بني سلمة، قال:

قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن.

وقد أرسل أبو سفيان رسولا فقال: يا معشر الأوس والخزرج خلّوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم فإنه لا حاجة بنا إلى قتالكم. فردّوه بما يكره.

وعن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة:

أن أبا عامر عمرو بن صيفي بن الثعمان بن مالك بن أمية أحد بني ضبيعة، وقد كان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس منهم عثمان بن حنيف وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر، فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنأدى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق وكان أبو عامر يُسمى في الجاهلية الراهب، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق، فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم^(١) بالحجارة.

وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فسنكفيكموه، فهّموا به وتوعّدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع، وذلك الذي أراد أبو سفيان، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضن، فقالت هند فيما تقول:

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرِشِ النَّمَارِقِ^(٢)
أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقِ^(٣)

[الرجز]

وتقول:

إِيهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ إِيهَا حَمَاءَ الْأَذْبَارِ
ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارِ

[مجزوء الرجز]

(١) راضخهم بالحجارة: رامهم بالحجارة.

(٢) النمارق، الواحدة نمركة: الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.

(٣) الوامق: المحجب.

واقْتَتَلَ الناسَ حتى حَمِيَّتِ الحربُ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حتى أَمْعَنَ فِي الناسِ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي رِجَالِ مَنْ الْمُسْلِمِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَصَدَقَهُمْ وَعَدَهُ، فَحَسُّوهُمْ^(١) بِالسَّيْفِ حتى كَشَفُوهُمْ وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا.

وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدّه، قال:

قال الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرَ إِلَى هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مُشْمَرَاتٍ هَوَارِبَ مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِذْ مَالَتِ الرُّمَاءُ إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يُرِيدُونَ النَّهْبَ، وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ، فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا، وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاِنْكَفَأْنَا^(٢) وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللَّوَاءِ حتى مَا يَدْنُو إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ الْقَوْمِ.

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عَمْرَةُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةِ فَرَفَعَتْهُ لِقَرِيشٍ فَلَاذُوا بِهَا، وَكَانَ اللَّوَاءُ مَعَ صَوَابٍ غُلَامٍ لِبَنِي أَبِي طَلْحَةَ حَبَشِيٍّ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ، فَقَاتَلَ حتى قُطِعَتْ يَدَاهُ، فَبَرَكَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِصَدْرِهِ وَعَنْقِهِ حتى قَتَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قَدْ أَعْذَرْتُ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قَطْعِ يَدِ صَوَابٍ حِينَ تَقَاذَفُوا بِالشَّعْرِ:

فَحَزَرْتُمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ	لَوَاءٌ حِينَ رَدَّ إِلَى صَوَابٍ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لِعَبْدٍ	مِنْ الْأَمِّ مَنْ وَطِي عَفْرَ التَّارِبِ
ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيءُ لَهُ ظُنُونٌ	وَمَا إِنَّ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
بِأَنَّ جِلَادَنَا ^(٣) يَوْمَ التَّقِينَا	بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمَرَ الْعِيَابِ ^(٤)
أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ	وَمَا إِنَّ يُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابٍ ^(٥)

[الوافر]

قال محمد بن جرير: وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ:

(١) حَسُّوهُمْ بِالسَّيْفِ: رَدُّوهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ بِسُيُوفِهِمْ حَتَّى أَجْلَوْهُمْ.

(٢) إِنْكَفَأَ: تَقَهَّقَ، تَرَجَعَ.

(٣) الْجِلَادُ، بِكَسْرِ الْجِيمِ: الْمَقَارَعَةُ، الْمَقَاتَلَةُ.

(٤) الْعِيَابُ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ: الصَّدُورُ وَالْقُلُوبُ تَشْبِيهَا بِعِيَابِ الثَّوبِ، وَالْعِيَابُ: الزَّنَابِيلُ.

(٥) الْخِضَابُ: اسْتِعْمَالُ الْحِثَاءِ لَصَبْغِ الشَّعْرِ عَادَةً.

حدثنا حَبَّان بن عليّ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه، قال:

لما قُتِل أصحاب الألوية يومَ أحد قتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أَبْصَرَ رسولُ الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ: احمِلْ عليهم، فحمل عليّ ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحيّ، ثم أَبْصَرَ جماعة من مُشركي قريش، فقال لعليّ: احمِلْ، فحمل عليّ ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لُؤي، فقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله: إن هذه لَلْمُؤاساةُ، فقال رسول الله ﷺ: «هو مني وأنا منه»، فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكم، قال: فسمعوا صوتاً:

لا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَا رِ وَلَا فَتًى إِلَّا عَلِيّ
[مجزوء الكامل]

فلما أُتِيَ المسلمون من خلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لَمَّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أَثْلَاثاً: ثلثٌ قَتِيل، وثلثٌ جريح، وثلثٌ منهزم وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع، وأُصِيبَت رِبَاعِيَّةُ رسول الله ﷺ السُّفلى، وَشَقَّتْ شَفَتَهُ وَكَلِمَ^(١) في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قميّة بالسيف على شِقِّهِ الأيمن، وكان الذي أصابه عتبه بن أبي وقاص.

قال محمد بن جرير: وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابنُ أبي عديّ، عن حُميد، عن أنس بن مالك، قال:

لما كان يوم أحد كُسِرَت رِبَاعِيَّةُ رسول الله ﷺ وَشَجَّ فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: كيف يُفْلَح قوم خَضَبُوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله تعالى؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقد قال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: «مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لِي نَفْسَهُ؟».

قال محمد: فحدثني ابن حُميد، قال: حدثنا سَلَمَةُ، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ، عن محمود، عن عمرو بن يزيد بن السَّكَن قال:

فقام زياد بن السَّكَن في نفرٍ خمسةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وبعض الناس يقول: إنما هو

(١) كَلِمَ: جُرَح.

عمارة بن زياد بن السَّكَن، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة بن زياد بن السَّكَن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم^(١) عنه، فقال رسول الله ﷺ: «أذنوه مني»، فأذنوه منه فوسَّده قَدَمه، فمات وخَّذَه على قدم رسول الله ﷺ، وترَّس من دون النبي ﷺ أبو دُجَانَة بنفسه يَقَعُ النَّبْلُ في ظهره وهو مُنَحْنٍ عليه حتى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبْلُ، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يُناولني ويقول: ارمِ فداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نَصْلٌ فيقول: ارم به.

وعن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندَقَّتْ سَيْتُهَا، فأخذها قَتَادَةُ بن النُّعْمَان، فكانت عنده، وأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ حتى وقعت على وَجَّتِهِ.

عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ رَدَّهَا بيده فكانت أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا وَقَاتِلَ مُصْعَبِ بن عُمَيْرِ دون رسول الله ﷺ ومعه لَوَاؤُهُ حتى قُتِلَ، وكان الذي أصابه ابن قميئة اللَّيْثِيُّ وهو يَظُنُّ أَنَّهُ رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال: قد قتلت محمداً، فلما قُتِلَ مُصْعَبُ بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللِّوَاءَ عَلَيَّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى قَتَلَ أَرطَاةَ بن شَرَحْبِيلَ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللِّوَاءَ، ثم مرَّ به سِبَاعُ بن عبد العُزَّى العُشْبَانِي، وكان يَكْنَى أبا نِيَارٍ فقال له حمزة: هَلُمَّ إِلَيَّ يا ابن مُقَطَّعَةِ البُظُورِ، وكانت أمه أم أنمار ختانه بمكة، مولاة شَرِيقِ بن عمرو بن وهب الثَّقَفِيِّ، فلما التقيا ضربه حمزة عليه السلام فقتله، فقال وحشي غلام جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ: إني لأنظر إلى حمزة يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ ما يُلِيقُ شَيْئاً يَمُرُّ به^(٢) مثل الجَمَلِ الأورق، إذ تقدمني إليه سِبَاعُ بن عبد العُزَّى فقال له حمزة: هَلُمَّ إِلَيَّ يا ابن مُقَطَّعَةِ البُظُورِ فضربه فكان ما أخطأ رأسه، وهزرتُ حربتي حتى إذا ما رَضِيتُ دفعْتُها عليه، فوقعت في لَبَّتِهِ^(٣) حتى خرجت من بين رجله، وأقبل نحوي فغلب فوقع، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لي شيء حاجةً غيره.

(١) أجهضوهم عنه: أبعدهم وحالوا بينهم وبينه ﷺ.

(٢) ما يُلِيقُ به: ما يمرُّ به ويواجهه.

(٣) اللَّبَّةُ: موضع القلادة من الصدر.

وقد قتل عاصمُ بنُ ثابت بن أبي الأفلح أحد بني عمرو بن عوفٍ مُسافِعَ بن طلحة، وأخاه كلاب بن طلحة، كلاهما يُشعره^(١) سَهْمًا فيأتي أمه سُلَافَة، فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً يقول حين رمانني: خُذْهَا إِلَيْكَ وأنا ابن الأفلح، فتقول: أَفْلَحِي، فنذرت لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله عز وجل أن لا يمسّ مُشركاً ولا يمسسه.

عن ابن إسحاق، قال: حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عَدِيّ بن النَجَّار، قال:

انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ قالوا: قُتِلَ رسول الله ﷺ، قال: «فما تصنعون بالحياة بعده؟» قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل. وبه سُمِّي أنس بن مالك.

عن ابن إسحاق، قال: حدثني حُمَيْدُ الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربةً وطعنةً فما عرفته إلا أخته، عرفته بحُسن بَنَانِهِ.

عن ابن إسحاق، قال: كان أول من عرف رسول الله ﷺ - بعد الهزيمة وقول الناس: قُتِلَ رسول الله ﷺ - كما حدثني ابن شهاب الزهري، قال - كعب بن مالك أخو بني سلمة، قال: عرفت عينيه تزهران^(٢) تحت المغفر، فنادت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ عليه السلام أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض نحو الشعب معه أبو بكر بن أبي قُحافة وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: يا محمد لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله أعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة - قال: يقول بعض الناس فيما ذكر لي - فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير

(١) يُشعره سهماً: يصبّبه إليه فيصيب مقتله.

(٢) تزهران: تشعان نوراً.

الشَّعْرَاءُ^(١) عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأداً بها^(٢) عن فرسه مراراً، وكان أبي بن خلف - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن صالح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف - يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إن عندي العود^(٣) أعلفه كل يوم فرقاً^(٤) من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى»، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في حلقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد، قالوا: ذهب والله فؤادك، والله ما بك بأس، قال: إنه كان بمكة قال لي: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف^(٥)، وهم قافلون^(٦) به إلى مكة.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته^(٧) من المهراس^(٨)، ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فشرب منه وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه، وهو يقول: اشتد غضب الله عز وجل على من دمي وجه نبيه.

قال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان، عمن حدثه.

عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبعضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله ﷺ».

قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثني صالح بن كيسان، قال:

خرجت هند والنسوة اللواتي معها تمتاز^(٩) القتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يَجْدَعْنَ^(١٠) الآذان والأنف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(١١)

(١) الشعراء، بسكون العين: ضرب من الذباب الأزرق يضايق الإبل والحمير.

(٢) تدأداً بها: جعلته يتمايل من شدة الألم.

(٣) العود من الإبل: المسن.

(٤) الفرق، بكسر الفاء وسكون الراء: مكيا المدينة.

(٥) سرف: موضع.

(٦) قافلون: راجعون، عائدون.

(٧) الدركة: الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب.

(٨) المهراس: الهاون، حجر منقور مستطيل ثقيل يدق فيه.

(٩) تمتاز: تفتش وتختار.

(١٠) يجدعن الآذان: يقطعن.

(١١) الخدم، بالفتح، الواحد خدمة: الخليل.

وقلائد، وأعطت خَدَمَهَا وقلائدها وفُرْطَهَا^(١) وَحْشِيًّا غلامَ جُبَيْر بن مُطْعِم، وبَقَرَتْ عن بطن حمزة عليه السلام فأخرجت كبده فلاكتها فلم تستطع أن تُسِيغَهَا فلفظتها ثم عَلَتْ على صخرة مُشْرِفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال: حدثني صالح بن كيسان أنه حَدَّثَ:

أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان: يا ابن الفريعة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها^(٢) قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة، قال له حسان: والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وإني على رأس فارع يعني أطمه^(٣)، فقلت: والله إن هذه لسلح ما هي بسلاح العرب وكأنها إنما تهوي إلى حمزة، ولا أدري، أسمعني بعض قولها أكفكموها: قال: فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان يهجو هنداً:

أَشْرَتْ لَكَاع^(٤) وكان عَادَتْهَا
لعن الإله وزوجها معها
أَخْرَجْتَ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ
بَكَرٍ ثِفَال^(٥) لا حراك به
وعَصَاكِ إِسْتُك^(٦) تَقْقِينَ بِهَا
قَرَحَتْ^(٧) عَجِيزَتُهَا^(٨) ومَشْرَجُهَا^(٩)
لَوْ مَا إِذَا أَشْرَتْ مِنَ الْكُفْرِ
هند الهنود طويلة البَطْرِ^(١٠)
في القوم مُقْتَبَةً^(١١) على بَكَرٍ
لا عن مُعَاتَبَةٍ ولا زَجَرٍ
دُقِيَ عِجَانُكَ مِنْكَ بِالْفَهْرِ^(١٢)
من دَابِّهَا^(١٣) نَصًّا^(١٤) على الْقُتْرِ^(١٥)

(١) القُرط: ضرب من الحلبي تضعه النسوة بأذانهن.

(٢) الأشر: البطر والمرح.

(٣) الأطم: الحصن.

(٤) لكاع، بالبناء على الكسر: اللثيمة؛ وتكاد لا تستعمل إلا في النداء.

(٥) البطر: حر المرأة.

(٦) المُقْتَبَةُ: الضيقة الخلق السريعة الغضب.

(٧) الإست: العجان.

(٨) الفهر: بكسر الفاء: الحجر.

(٩) قرحت: أصابها القرع أي الجرح، فالشاعر يدعو عليها.

(١٠) عجيزتها: مؤخرتها، دبرها.

(١١) مشرجها: هو الشرج أي العصبة التي بين فرجها ودبرها.

(١٢) الدأب: العادة.

(١٣) النص، جعل المتاع بعضه فوق بعض.

(١٤) القُتر، الواحدة قُترَة: ضيق العيش.

ظَلَّتْ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتُهَا
أَخْرَجَتْ ثَائِرَةً مُبَادِرَةً
وَبَعَمَّكَ الْمُسْتَوِهِ^(١) فِي وَدَعٍ^(٢)
وَنَسِيتَ فَاخْشَةَ أَتَيْتَ بِهَا
فَرَجَعْتَ صَاغِرَةً بِلَا تَرَةٍ^(٦)
زَعَمَ الْوَلَاءُ أَنَّهَا وَلَدَتْ

بِالْمَاءِ تَنْضَحُهُ وَبِالسِّدْرِ
بِأَبِيكَ وَابْنِكَ يَوْمَ ذِي بَدْرٍ
وَأَخِيكَ مُنْعَقِرِينَ^(٣) فِي الْجَفْرِ^(٤)
يَا هِنْدُ وَيَحَاكِ سَيِّئَةً^(٥) الذَّكْرُ
مِنَّا ظَفَرَتْ بِهَا وَلَا نَضْرُ
وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عُهْرِ

[الكامل]

قال محمد بن جرير: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم - فيما حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مُصْعَبُ بن المِقْدَامِ، قال: حدثنا إسرائيل. وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن إسرائيل: قال حدثنا ابن إسحاق عن البراء، قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا - فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تُجيبوه. مرتين» ثم قال: «أفي القوم ابن أبي قحافة؟» ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ: «لا تُجيبوه» ثم التفت إلى أصحابه، فقال: «أما هؤلاء فقد قتلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا». فلم يملك عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، قد أبقى الله لك ما يُخزيك، فقال: اغْلُ هُبْلُ اغْلُ هُبْلُ، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال^(٧)، أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً^(٨) لم أمر بها ولم تسؤني، قال ابن إسحاق في حديثه: لما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان، قال أبو سفيان هلم يا عمر، فقال رسول الله ﷺ: «أنته فانظر ما شأنه»، فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر - لقول ابن قميئة لهم: إني قتلت محمداً - ثم نادى أبو سفيان، فقال: إنه قد كان مثلاً والله ما رضيت ولا سخطت ولا أمرت ولا نهيت.

(١) المستوه: أي المضروب إسته أي عجزه. (٢) الودع: الخرز الأبيض المثقوب في بطنه.

(٣) المنعقر: المقطوع الرأس والأطراف. (٤) الجفر: البئر الواسعة.

(٥) سيئة الذكر: مخففة من سيئة الصيت. (٦) الترة، بكسر التاء: الثأر.

(٧) الحرب سجال: هي الحرب التي يتداول ركنها النصر والهزيمة.

(٨) المثل، بضم الميم: التنكيل بالقتلى شفاءً لقلوب أعدائهم.

وقد كان الحُلَيْسُ بْنُ زَبَّانٍ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنْاةٍ، وهو يَوْمئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ قَدْ مَرَّ بِأَبِي سَفِيَّانَ بْنِ حَرْبٍ وهو يضرب في شِذْقِ حَمْزَةِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْجُ بِالرَّمْحِ، وهو يقول: ذُقْ عُقُقُ^(١)، فقال: الحُلَيْسُ: يَا بَنِي كِنَانَةَ هَذَا سَيِّدُ قَرِيشٍ يَصْنَعُ بَابِنَ عَمِّهِ - كَمَا تَرُونَ - لِحَاً^(٢) فقال: اكْتُمُهَا عَلَيَّ فَإِنَّهَا كَانَتْ رَلَّةً، قال: فلما انصرف أَبُو سَفِيَّانَ وَمِنْ مَعِهِ، نادى: إِنْ مَوْعِدْكُمْ بِدُرٍّ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل: نعم هي بيننا وبينك موعد».

ثم بعث رسول الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ فَإِنْ كَانُوا قَدْ اجْتَنَبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكَبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنْ أَرَادُوهَا لِأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ ثُمَّ لَأَنَاجِزَنَّهُمْ^(٣)، قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ما يصنعون، فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة، وكان رسول الله ﷺ قال لي: «أَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَأَخْفِهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي»، قال علي: فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح، ما أستطيع أن أكتُمَ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَا بِي مِنَ الْفَرَحِ إِذْ رَأَيْتَهُمْ انصرفوا إلى مكة عن المدينة. وفرغ الناس لقتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «- كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ -، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن أخي صعصعة المازني أخي بني النجار أن رسول الله ﷺ قال: «- مِنْ رَجُلٍ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ - وَسَعْدُ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ - أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟» فقال رجل من الأنصار: أَنَا أَنْظُرُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلَ: فَظَنَرُ فَوْجَهُ جَرِيحاً فِي الْقَتْلِ بِهِ رَمَقٌ، قال: فقلت له: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ لَهُ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قال: «فَأَنَا فِي الْأَمْوَاتِ»، أَبْلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً مَا جَزَى نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلَغَ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامُ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا عَذَرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ إِنَّ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ، وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ.

وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغني يلتمس حمزةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به فجُدِعَ أَنْفُهُ^(٤) وأذناه. وعن ابن

(١) ذق عقق: أي ذق مرارة الهزيمة والموت يعاقق قومه.

(٢) لحاً: هو من التحق بنسب ما وقراة. (٣) ناجز: قاتل وناضل.

(٤) جدع أنفه: قطعه.

إِسْحَاقُ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ، حِينَ رَأَى بِحُمَزَةَ مَا رَأَى: لَوْلَا أَنَّ تَحَزَنَ صَفِيَّةٌ أَوْ تَكُونَ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتَهُ حَتَّى يَكُونَ فِي أَجَوَافِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَلَئِنْ أَنَا أَظْهَرْتُ اللَّهَ عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغِيظَهُ عَلَى مَا فَعَلَ بَعْمَهُ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَنْ أَظْهَرَنَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مِثْلَهُ لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ ابْنُ حَمِيدٍ: قَالَ سَلَمَةُ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عَتِيبَةَ عَنْ مِقْسَمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمُثْلَةِ^(١)،

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا بَلَغَنِي: خَرَجْتُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَتَنْظُرَ إِلَى حُمَزَةَ وَكَانَ أَحَايَاهَا لِأُمِّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِهَا الزَّبِيرِ: الْقَهَا فَارْجِعْهَا لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا، فَلَقِيَهَا الزَّبِيرُ، فَقَالَ: يَا أُمُّهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي، فَقَالَتْ: وَلِمَ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُثَّلٌ بِأَخِي، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ قَلِيلٌ، فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ، لِأَحْتِسِبَنَّ وَلَا أَصْبِرَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَمَّا جَاءَ الزَّبِيرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ: خَلِّ سَبِيلَهَا، فَاتَتْهُ فَظَنَرَتْ إِلَيْهِ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِ فَدُفِنَ.

قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَحَدٍ رَجَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ - وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ - وَثَابِتُ بْنُ وَقَّشٍ بْنُ زَعُورَاءَ فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ، وَالصَّبِيَّانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَهُمَا شَيْخَانُ كَبِيرَانِ: لَا أَبَا لَكَ مَا تَنْتَظِرُ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ بَقِيَ لَوَاحِدٌ مِّنَّا مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا ظَمُّهُ حِمَارٌ^(٢) إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ^(٣) الْيَوْمَ أَوْ غَدًا، أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا ثُمَّ نَلْحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَهُ؟ فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا ثُمَّ خَرَجَا

(١) المثلّة: التمثيل بالقتلى تعبيراً عن حقد كامن في القلوب.

(٢) ظمء حمار: عطشه، قصد بذلك قصر المدة.

(٣) الهامة: الرأس، قصد بأن البشر ميتون وإن طال أعمارهم.

حتى دخلا في الناس ولم يُعْلَمَ بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حُسَيْلُ بْنُ جَابِرِ الْيَمَانِ فاختلَفَتْ عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه، فقال حذيفة: أبي، وقالوا: والله إن عرفناه. وصدقوا، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق حذيفةُ بِدِيَّتِهِ على المسلمين، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً.

قال حدثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال:

كان فينا رجل أتى^(١) لا يدري من أين هو؟ يقال له قُرْمان، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكره: إنه لمن أهل النار، فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس: فأثبته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون: والله لقد أبلت القوم يا قُرْمان فابشر، قال: بم أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا على أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كِنَانَتِهِ فقطع رواهش^(٢) فنزفه الدم^(٣) فمات، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: إني رسول الله حقاً.

وعن محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة، قال:

كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا إلا من حضر يؤمننا بالأمس، فكلّمه جابر بن عبد الله بن حزم الأنصاري، فقال: يا رسول الله إن أباي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة بلا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه.

وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرْهباً للعدو أنهم قد خرجوا في طلبهم فيظنون أن بهم قوة وأن الذي أصابهم لم يؤهّنهم^(٤) عن عدوهم.

قال محمد بن إسحاق: فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان:

(١) الأتي من الرجال: الغريب.

(٢) الرواهش، الواحدة راهشة: عروق في ظاهر الكف.

(٣) نزفه الدم: خرج دمه بكثرة فأدى إلى موته. (٤) لم يؤهّنهم: لم يضعفهم.

أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً قال: فشهدت مع رسول الله ﷺ أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي وقال لي: أنفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً منه، فكنت إذا غلب عليه حملته عقيبته حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً: الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: عن عبيد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إنه مرّ برسول الله ﷺ مَعْبُدُ الْخُزَاعِيِّ، وكانت خُزَاعَةُ مُسْلِمُهُمْ وَمَشْرُكُهُمْ عَيْبَةً^(١) رسول الله ﷺ بتهامة، صَفَقْتُهُمْ مَعَهُ لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئاً كَانَ بِهَِا، وَمَعْبُدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ؛ فقال: أما والله يا محمد لقد عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ اللَّهَ كَانَ قَدْ أَغْفَاكَ مِنْهُمْ، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب بالروحاء وَمَنْ مَعَهُ وَقَدْ أَجْمَعُوا الرِّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا: أصبنا أشد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم^(٢) لَنَكُرَّنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ فَلَنَقْرُغَنَّ مِنْهُمْ، فلما رأى أبو سفيان مَعْبُدًا، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لِنَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ^(٣)، قال: فإني أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر، قال: وماذا قلت؟ قال: قلت:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَارَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ^(٤)
تَرْدِي بِأَسَدٍ كَرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ^(٥) عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ^(٦) مَعَاذِيلِ^(٧)

(١) عيبة رسول الله ﷺ: موضع سره.

(٢) نستأصلهم: نقضي عليهم فلا نبقي أحداً منهم.

(٣) نستأصل شأفتهم: نزيلهم من أصولهم.

(٤) الجرد الأبابل: الجياد المتتابعة المتجمعة.

(٥) التنايلة: الضعاف.

(٦) الخرق، الواحد أخرق: الحمقى.

(٧) المعازيل: العزال من السلاح.

فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوُا بِرئيسٍ غَيْرِ مَخْذُولٍ
فَقُلْتُ: وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمَطَ^(١) الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ السَّيْلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ^(٢) مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشَ^(٣) تَنَابِلَةٌ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ
[البسيط]

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فلم؟ قالوا: نريد الميرة، قال: فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم، قال: فإذا جئتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل شأفتهم، فمرّ الركب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان. فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل:

صوت

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ^(٤) يُؤَزِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
بَرَانِي حُبٌّ مَنْ لَا أَسْتَطِيعُ وَمَنْ هُوَ لِلذِّي أَهْوَى مَنُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
[الخفيف]

الشعر لعمر بن معد يكرب الزبيدي، والغناء للهذلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وفيه ثقيل الأول على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه.

(١) تغطمطت البطحاء: اضطربت ومارت بمن فيها.

(٢) الإربة: المكر والخداع والحيلة.

(٣) الوحش: الرديء.

(٤) السميع: هو من لا يسمع.

ذكر عمرو بن معد يكرب وأخباره

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عضم بن عمرو بن زبيد، وهو مُنبّه، هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه، وذكر عمر بن شبة عن أبي عبيدة، أنه عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عضم بن عمرو بن زبيد بن مُنبّه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبّه بن صعب بن سعد العَشيرة بن مَذحج بن مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويكنى أبا ثور، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جزم فيما ذكر، وهي معدودة من المُنجبات.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال:

عمرو بن معد يكرب فارسُ اليمَن، وهو مُقدّم على زيد الخيل في الشدة والبأس.

وروى علي بن محمد المدائني عن زيد بن قحيف الكلابي، قال: سمعت أشياخنا يزعمون:

أن عمرو بن معد يكرب كان يقال له مائق^(١) بني زبيد، فبلغهم أن خثعم تريدهم، فتأهبوا لهم، وجمع معد يكرب بني زبيد، فدخل عمرو على أخيه، فقال: أشبعيني إني غداً لكاتب، قال: فجاء معد يكرب فأخبرته ابنته، فقال: هذا المائق يقول ذلك؟ قالت: نعم، قال: فسله ما يشبعه؟ فسأله، فقال: فرق من ذرة وعنز رباعية. قال: وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع، فصنع له ذلك وذبح العنز وهيئ له الطعام. قال: فجلس عليه فسأله جميعاً، وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه؛ ثم رفع رأسه فإذا لواء أبيه قائم، فوضع رأسه فإذا لواء أبيه قد زال، فقام كأنه سرحة مُحرق^(٢) فتلقى أباه وقد انهزموا فقال: انزل عنها فاليوم ظلم، فقال له: إليك يا

(١) المائق: السريع إلى الشر والانتقام.

(٢) السرحة: ضرب من الشجر يمتاز بطول أغصانه وارتفاعه.

مائق، فقال له بنو زُبَيْد: خَلَّهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ وما يُريد، فَإِنْ قُتِلَ كُفِّتَ مَوْنَتَهُ وَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ لَكَ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ سِلَاحَهُ، فَرَكِبَ ثُمَّ رَمَى خَشَعَمَ بِنَفْسِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ وَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَاراً، وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو زُبَيْدَ فَانْهَزَمَتْ خَشَعَمَ وَفُهِرُوا، فَقِيلَ لَهُ يَوْمَئِذٍ: فَارِسَ زُبَيْدَ.

قال أَبُو عمرو الشيباني: كَانَ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُبَيْدَ بْنِ مُنَبِّهٍ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مَازَنَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مُنَبِّهٍ بْنِ صَعْبٍ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ مَذْحِجٌ بْنُ أَدَدَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ عَرِيبَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ أَنَّهُ قَالَ لَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ - وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ عَمْرٍو - حِينَ انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا قَيْسُ إِنَّكَ سَيِّدُ قَوْمِكَ وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَرِيشٍ يَقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ بِالْحِجَازِ يُقَالُ لَهُ نَبِيٌّ، فَاَنْطَلِقْ بِنَا حَتَّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ، وَبَادِرْ فَرَوْةَ لَا يَغْلِبُكَ عَلَى الْأَمْرِ، فَأَبَى قَيْسٌ ذَلِكَ وَسَفَّهَ رَأْيَهُ وَعَصَاهُ، فَرَكِبَ عَمْرٍو مُتَوَجِّهًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: خَالَفْتَنِي يَا قَيْسُ، وَقَالَ عَمْرٍو فِي ذَلِكَ:

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَاءَ أَمْرًا بَيْنَنَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ تَأْتِيهِ وَتَتَّعِدُهُ
فَكُنْتَ كَذِي الْحُمَيْرِ غَرَّهُ مِنْ غَيْرِهِ وَتَدُهُ

[مجزوء الوافر]

قال أَبُو عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ مَذْحِجٍ، قَالُوا:

قَدِمَ عَلَيْنَا عَمْرٍو فِي وَفْدٍ مَذْحِجٍ مَعَ فَرَوْةَ بْنِ مُسِيكٍ الْمُرَادِيِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْلَمُوا، وَبَعَثَ فَرَوْةَ عَلَى صَدَقَاتٍ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، وَقَالَ لَهُ: ادْعُ النَّاسَ وَتَأَلَّفْهُمْ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْغَفْلَةَ فَاهْتَبِلْهَا^(١) وَاغْزُ. قَالَ أَبُو عمرو الشيباني: وَإِنَّمَا رَحَلَ فَرَوْةَ مَفَارِقًا لِمَلُوكِ كِنْدَةَ مَبَاعِدًا لَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بَيْنَ مُرَادٍ وَهَمْدَانَ وَقَعَةٌ أَصَابَتْ فِيهَا هَمْدَانٌ مِنْ مُرَادٍ حَتَّى أَثَخَنُوهُمْ فِي يَوْمٍ يَقَالُ لَهُ يَوْمُ الرِّزْمِ^(٢)، وَكَانَ الَّذِي قَادَ هَمْدَانَ إِلَى مُرَادٍ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ حَرِيمٍ الشَّاعِرِ الْهَمْدَانِيِّ بْنِ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ فَفَضَحَهُمْ يَوْمَئِذٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ فَرَوْةَ بْنُ مُسِيكٍ الْمُرَادِيُّ:

فَإِنْ نَغْلِبَ فَنَغْلِبُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُهْزَمَ فَغَيْرُ مُهْزَمِينَا

[الوافر]

(١) اهتبلها: انتهبها فرصة.

(٢) يوم الرزم: موضع جرت فيه موقعة في بلاد مراد، وقد صادف وقوعها يوم غزوة بدر.

فلما توجه فروة إلى النبي ﷺ أنشأ يقول:

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَاهَا
يَمَّمْتُ رَاحِلَتِي أَمَامَ مُحَمَّدٍ أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ سُراها
[الكامل]

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له فيما بلغنا: هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم؟ قال: يا رسول الله، من ذا الذي يُصيب قومَه مثل الذي أصاب قومي ولا يسوؤه؟ فقال له: أما إنَّ ذلك لم يَرِدْ قومَكَ في الإسلام إلا خيراً، واستعمله على مُرادٍ ورُيِّد ومذحج كلها، قال أبو عبيدة فلم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام، فقال حين ارتد:

وَجَدْنَا مُلْكَ فُرُوءَ شَرِّ مُلْكٍ حِمَارٌ سَافَ^(١) مَنُخَرَهُ بِقَدْرٍ^(٢)
وَإِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ أَبَا عَمَيْرٍ مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرِ وَخْتَرٍ^(٣)
[الوافر]

قال أبو عبيدة: فلما ارتد عمرو مع من ارتد عن الإسلام من مذحج استجاش^(٤) فروة النبي ﷺ، فوجه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلي بن أبي طالب أميركم، وهو على الناس، ووجه علياً عليه السلام، فاجتمعوا بكسر^(٥) من أرض اليمن، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض، فلم تزل جعفر ورُيِّد وأد بنو سعد العشيرة بعدها قليلة، وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة إلى آل سعيد، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معد يكرب سبيت يومئذ، ففداها خالد، وأثابه عمرو الصمصامة، فصار إلى أخيه سعيد، فوجد سعيد جريحاً يوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حُصر وقد ذهب السيف والغمد، ثم وُجد الغمد، فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفي، فجحد الأعرابي مقالته، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه^(٦) فبعث معاوية إلى الغمد فأتي به من منزل سعيد، فإذا هو عليه، فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار، فأخذه سعيد منه وأثابه، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدي من البصرة، فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه، فقال: إنه للسبيل،

(١) ساف: شم.

(٢) القدر من الأشياء: ما يستقدر لرائحته.

(٣) الختر: الخداع.

(٤) استجاش: حث وأثار.

(٥) الكسر: جمع من قرى بحضرموت سكنتها كندة.

(٦) الكفاف: المساوي والمثيل.

فقال: خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه.

وذكر ابن النطاح أن المدائني حكى عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء، قال:

أقبل النبي ﷺ من غزوة تبوك يريد المدينة فأدركه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في رجال من بني زُبَيْد، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله ﷺ فأمسك عنه حتى أُوذِنَ به، فلما تقدم ورسول الله ﷺ يسير قال: «حَيْثَاكَ اللَّهُ إِلَهُكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ»، فقال رسول الله ﷺ: «إن لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فأمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر». فقال عمرو بن معد يكرب: وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله ﷺ: «إنه فزع ليس كما يُحَسَّبُ ويُظَنُّ، إنه يُصَاحُّ بالناس صيحة لا يبقى حيٍّ إلَّا مات إلَّا ما شاء الله من ذلك، ثم يُصَاحُّ بالناس صيحة لا يبقى ميتٌ إلَّا نُشِرَ ثم تَلَجُ»^(١) تلك الأرض بدوي تنهدُ منه الأرض وتخرُ منه الجبال وتنشقُ السماء انشقاق القبطية^(٢) الجديد ما شاء الله في ذلك، ثم تبرز النار فيُنظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان في السماء، ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار، فلا يبقى ذو روح إلَّا انخلع قلبه وذكر ذنبه، أين أنت يا عمرو؟ قال: إني أسمع أمراً عظيماً، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو أسلم، فأسلم وبائع لقومه على الإسلام»، وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله ﷺ من غزوة تبوك وكانت في رجب من سنة تسع.

وقال أبو هارون السكسكي البصري: حدثني أبو عمرو المدائني:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نظر إلى عمرو، قال: الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً، تعجباً من عظم خلقه.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبَّه، عن خالد بن خدّاش، عن أبي نميلة، قال:

أخبرني رُمَيْح، عن أبيه، قال: رأيت عمرو بن معد يكرب في خلافة معاوية شيخاً عظيماً أعظم ما يكون من الرجال أجش الصوت، إذا التفت التفت بجميع جسده.

وهذا خطأ من الرواية، والصحيح أنه مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه

(١) تلج: تدخل.

(٢) القبطية: ثياب من كتان كانت تصنع في مصر وتنسب إلى القبط.

وُدْفَنَ بِرُودَةَ بَيْنَ قُمٍّ وَالرِّيِّ^(١)، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ: إِنَّهُ قَتَلَ فِي وَقْعَةٍ نَهَاوْنَدَ وَإِنْ قَبْرَهُ فِي ظَاهِرِهَا فِي مَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِقَيْدِ يَشْخَانَ وَإِنَّهُ دَفَنَ هُنَاكَ يَوْمَئِذٍ هُوَ وَالنَّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّنَ. وَرُؤْيٍ أَيْضاً مِنْ وَجْهِ لَيْسَ بِالْمَوْثُوقِ بِهِ أَنَّهُ أَدْرَكَ خِلَافَةَ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَوَى ذَلِكَ ابْنُ النُّطَّاحِ، عَنْ مِرْوَانَ بْنِ ضِرَارٍ، عَنْ أَبِي إِيَّاسٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ الْهُذَلِيِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، قَالَ:

رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَأَنَا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الرِّيِّ كَأَنَّهُ بَعِيرٌ مَهْنُوءٌ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: حَدَّثَنِي أَسْعَرُ، عَنْ عَمْرُو بْنِ جَرِيرِ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ قَطَنِ، يَقُولُ:

خَرَجَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الرِّيِّ وَدَسَنَبَى فَضْرِبَهُ فَالَجَ فِي طَرِيقِهِ فَمَاتَ بِرُودَةَ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ.

أَنَّ عَمْرُ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَرَضَ لِعَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبَ الْفَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلْفَ هَاهُنَا وَأَوْماً إِلَى شِقِّ بَطْنِهِ الْأَيْمَنِ، وَأَلْفَ هَاهُنَا وَأَوْماً إِلَى شِقِّ بَطْنِهِ الْأَيْسَرِ، فَمَا يَكُونُ هَاهُنَا؟ وَأَوْماً إِلَى وَسْطِ بَطْنِهِ، فَضَحِكَ عَمْرُ رَضِوانَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَزَادَهُ حَمْسَمَائَةً.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: قَالَ أَبُو الْيَقْطَانِ:

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ: لَوْ سَرْتُ بِظُعِينَةٍ^(٣) وَحَدَيْ عَلَى مِيَاهِ مَعْدٍ كُلِّهَا مَا خَفْتُ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهَا مَا لَمْ يَلْقَنِي حُرَّاهَا أَوْ عَبْدَاهَا، فَأَمَّا الْحُرَّانُ فَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَعُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ، وَأَمَّا الْعَبْدَانُ فَأَسُودُ بْنُ عَبْسٍ يَعْنِي عَنْتَرَةَ، وَالسُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ، وَكُلُّهُمْ قَدْ لَقِيتُ؛ فَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَسَرِيعُ الطَّعْنِ عَلَى الصَّوْتِ، وَأَمَّا عَتَيْبَةُ فَأَوَّلُ الْخَيْلِ إِذَا أَغَارَتْ وَآخِرُهَا إِذَا أَبَتْ؛ وَأَمَّا عَنْتَرَةُ فَقَلِيلُ الْكِبْوَةِ^(٤) شَدِيدُ الْجَلْبِ^(٥)، وَأَمَّا السُّلَيْكُ فَبَعِيدُ الْغَارَةِ كَاللَيْثِ الضَّارِي. قَالُوا: فَمَا تَقُولُ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ؟ قَالَ: أَقُولُ فِيهِ مَا قَالَ فِي:

(٢) مهنوء بالقار: مدهون بالقطران.

(٤) الكبوة: العثرة.

(١) رودة وقم والري: من مدن فارس.

(٣) الظعينة: الراحلة في هودجها.

(٥) الجلب: السلب لأنه يقتل كل خصم.

إِذَا مَاتَ عَمْرُو قُلْتُ لِلْخَيْلِ أَوْطِئُوا زُبَيْدًا فَقَدْ أَوْدَى بِنَجْدِيهَا^(١) عَمْرُو

[الطويل]

وقام مغضباً وعلم أنَّهم أرادوا توبيخه بالعباس . قال عليّ: وقال أبو اليقظان:
أَحْسَبُ فِي اللَّفْظِ غَلْطاً وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ: هَجَيْنَا مُضَرَ، لَأَنَّ عُنْتَرَةَ اسْتَرْقَّ وَالْعَبَّاسُ لَمْ
يُسْتَرْقَ قَطَّ .

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ، حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ
قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حُبَابٍ، عَنْ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ .

أَنَّ عَمْرَ بْنَ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ: إِنِّي قَدْ أَمَدَدْتُكَ بِالْفَيْ
رَجُلِ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَطُلَيْحَةَ بْنَ خُوَيْلِدٍ - وَهُوَ طُلَيْحَةُ الْأَسَدِيِّ - فَشَاوَرَهُمَا فِي
الْحَرْبِ وَلَا تَوَلَّيْهُمَا شَيْئاً .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
حُبَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ .

عَنْ قَيْسٍ قَالَ: شَهِدْتُ الْقَادِسِيَّةَ وَكَانَ سَعْدٌ عَلَى النَّاسِ، فَجَاءَ رُسْتَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ
بِنَا وَعَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ الزُّبَيْدِيَّ يَمُرُّ عَلَى الصَّفُوفِ يَحْضُرُ النَّاسَ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ كُونُوا أَسَدًا أَغْنَى شَأْنَهُ فَإِنَّمَا الْفَارِسِيُّ تَيْسٌ بَعْدَ أَنْ يُلْقِيَ نَيْزَكَهُ^(٢)، قَالَ:
وَكَانَ مَعَ رُسْتَمِ إِسْوَارُ^(٣) لَا تَسْقُطُ لَهُ نَشَابَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ثَوْرٍ اتَّقِ ذَلِكَ، فَإِنَّا لَنَقُولُ
لَهُ ذَلِكَ إِذْ رَمَاهُ رَمْيَةً فَأَصَابَ فَرْسَهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو فَاعْتَنَقَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ وَسَلَبَهُ سِوَارِيَّ
ذَهَبٍ كَانَا عَلَيْهِ وَقَبَاءَ دِيبَاجٍ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ عَمْرًا حَمَلَ يَوْمَئِذٍ عَلَى
رَجُلٍ فَقَتَلَهُ ثُمَّ صَاحَ: يَا مَعْشَرَ بَنِي زُبَيْدٍ دُونَكُمْ فَإِنَّ الْقَوْمَ يَمُوتُونَ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ: وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ وَعَبْدُ رَبِّ بْنِ نَافِعٍ،
عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ:

حَضَرَ عَمْرُو النَّاسَ وَهُمْ يِقَاتِلُونَ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْفُرسِ بِنُشَابَةٍ فَوَقَعَتْ فِي
كَتِفِهِ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ دَرَعٌ حَصِينَةٌ فَلَمْ تَنْفُذْ، وَحَمَلَ عَلَى الْعِلْجِ فَعَانَقَهُ فَسَقَطَا إِلَى
الْأَرْضِ، فَقَتَلَهُ عَمْرُو وَسَلَبَهُ وَرَجَعَ بِسَلَبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا أَبُو ثَوْرٍ وَسَيْفِي ذُو النُّونِ أَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ غَلَامٍ مَجْنُونٍ
يَا لَ زُبَيْدٍ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ

[الرجز]

(٢) نيزكه: الرمح القصير .

(١) النجد: ما ارتفع في الأرض .

(٣) الإسوار: هو من يرمي بالسهم .

قال أبو عبيدة: وقال في ذلك عمرو بن معد يكرب:

صوت

أَلَمِّمْ^(١) بسلمى قبل أن تظعننا إن لنا من حُبِّها دَيْدَنَا^(٢)
 قد علمت سلمى وجاراتها ما قَطَّرَ الفارس^(٣) إلا أنا
 شَكَّكَتْ بالرُّمَحِ حَيَازِيمَهُ^(٤) والخيلُ تعدُّ زِيماً^(٥) بيننا
 [السريع]

غنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر، وفيه رمل بالبنصر يقال: إنه لمَعْبَدٌ، ويقال إنه من منحول يحيى المكي.

قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بن شبة:

شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين. وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر. قال: ولما قتل العليج عبر نهر القادسية هو وقيس بن مكشوح المرادي ومالك بن الحارث الأشر، قال: فحدثني يونس: أن عمرو بن معد يكرب كان آخرهم، وكانت فرسه ضعيفة، فطلب غيرها فأتي بفرس فأخذ بعُكُوة ذنبه وأخذ به إلى الأرض فأقعى^(٦) الفرس فرده، وأتى بأخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع، فقال: هذا على كل حال أقوى من تلك، وقال لأصحابه: إني حامل وعابر الجسر، فإن أسرعتم بمقدار جَزَرِ الجُزُور وجدتموني وسيقي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عَقِرَ^(٧) بي القوم وأنا بينهم وقد قَتَلْتُ وجَرَدْتُ، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قَتَلْتُ وجَرَدْتُ. ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم: يا بني زُبيد علام تدعون صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركوه حياً، فحملوا فانتهاوا إليه وقد صُرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها، وإن الفارس ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده، فلما غشيناها رمى الأعجمي بنفسه وخلق فرسه، فركبه عمرو وقال: أنا

(١) ألمم بالقوم: أي اتهم وأنزل بهم.

(٢) الديدن: العادة.

(٣) قَطَّرَ الفارس: ألقاه على أحد قطريه أي شقّه وجانبه.

(٤) الحيازيم، الواحد حيزوم: وسط الصدر.

(٥) تعدو زيماً: تهاجم جماعات جماعات متفرقة.

(٦) أقعى الفرس: رده القهقري.

(٧) عقر بي القوم: ارتبكوا فلم يعرفوا ما يفعلون فتسمروا في أمكنتهم.

أبو ثور، كِدْتُمْ وَاللَّهِ تَفْقِدُونَنِي، قالوا: أين فرسك؟ قال رُمِي بِشُشَابَةٍ فَشَبَّ فصرعني وَعَارَ^(١).

وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي، عن أبي سَبْرَةَ عن أبي عيسى الخياط، ورواه عليُّ بنُ محمد أيضاً، عن مرة، عن أبي إسماعيل الهمداني عن طلحة بن مُصَرِّف، فذكروا مثل هذا، قال الواقدي: وحدثني أسامة بن زيد، عن أبان بن صالح، قال:

قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية: أَلَزِمُوا خِرَاطِيمَ الْفِيلَةِ السُّيُوفَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهَا مَقْتَلٌ إِلَّا خِرَاطِيمَهَا، ثم شَدَّ عَلَى رِسْتَمٍ وَهُوَ عَلَى فِيلٍ فَضَرَبَ فِيْلَهُ فَجَذَمَ^(٢) عُرْقُوبِيَّهَ فَسَقَطَ، وَحُمِلَ رِسْتَمٌ عَلَى فَرَسٍ وَسَقَطَ مِنْ تَحْتِهِ خُرْجٌ فِيهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَحَازَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَسَقَطَ رِسْتَمٌ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ فَرَسِهِ فَقَتَلَهُ.

قال علي بن محمد المدائني: حدثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق، قال: لما ضَرَبَ عَمْرُو الْفِيلَ وَسَقَطَ رِسْتَمٌ سَقَطَ عَلَى رِسْتَمٍ خُرْجٌ كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ فِيهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَمَاتَ رِسْتَمٌ مِنْ ذَلِكَ وَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سَبْرَةَ، عن موسى بن عقبة، عن أبي حَبِيبَةَ مَوْلَى آلِ الزَّبِيرِ قَالَ: حَدَّثَنَا نَيْارُ بْنُ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ:

شهدت القادسية فرأيت يوماً اشتدَّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس، ورأيت رجلاً يفعل يومئذٍ بِالْعَدُوِّ أَفَاعِيلَ، يُقَاتِلُ فَارِساً ثُمَّ يَقْتَحِمُ عَنْ فَرَسِهِ وَيَرْبِطُ مِقْوَدَهُ فِي حَقْوِهِ فَيُقَاتِلُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا؟ قالوا: هَذَا عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن خالد بن سعيد، عن أبي محمد المُرْهَبِيِّ، قال:

كان شيخ يجالس عبد الملك بن عُمَيْرٍ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْكُوفَةِ فَأَقَامَ بِهَا أَيَّاماً ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا لِي بِأَبِي ثَوْرٍ عَهْدٌ مِنْذُ قَدِمْنَا هَذَا الْغَائِطَ^(٣)، يعني عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ، أَسْرَجَ لِي يَا غُلَامُ، فَأَسْرَجَ لَهُ فَرَساً أَتْنَى مِنْ خَيْلِهِ، فَلَمَّا قَرَّبَهَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ أَرَأَيْتَنِي رَكِبْتُ أَتْنَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَرْكَبُهَا فِي الْإِسْلَامِ، فَأَسْرَجَ لَهُ حَصَاناً فَرَكِبَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مَحَلَّةِ بَنِي زُبَيْدٍ، فَسَأَلَ عَنْ مَحَلَّةِ عَمْرُو فَارْشَدَ إِلَيْهَا، فَوَقَفَ

(١) عار: شرد لا يلوي على شيء.

(٢) جذم: قطع.

(٣) الغائط: يقصد بذلك المنخفض من الأرض الواسع.

ببابه ونادى: أَيُّ أبا ثور اخْرُجْ إلينا. فخرج إليه مؤنزراً كأنما كُسِرَ وجِبِرَ فقال: أَنْعِم صباحاً أبا مالك، فقال: أَوَلَيْسَ قَدْ أَبَدَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِهَذَا، السَّلامَ عَلَيْكُمْ؟ قال: دَعْنَا مِمَّا لَا نَعْرِفُ، انْزِلْ فَإِنْ عِنْدِي كِبْشاً سَاحاً^(١) فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ثم كشف عنه وَعَضَّاهُ^(٢) وألقاه في قِدْرِ جِماع^(٣) وطبخه، حتى إذا أدرك جاء بِجَفْنَةٍ^(٤) عظيمة فَتَرَدَّ فيها وأكفأ القِدْرَ عليها فقعدا فأكلاه، ثم قال له: أَيُّ الشَّرابِ أَحَبُّ إِلَيْكَ اللَّبَنُ أَمْ ما كُنَّا نَتَنَادِمُ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قال: أَوَلَيْسَ قَدْ حَرَّمَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَيْنَا فِي الْإِسْلَامِ؟ قال: أَنْتَ أَكْبَرُ سِتْناً أَمْ أَنَا؟ قال: أَنْتَ. قال: فَأَنْتَ أَقْدَمُ إِسْلَاماً أَمْ أَنَا؟ قال: أَنْتَ عَرِيضَةُ أَضْلَاعِ الصَّدْرِ، ومنها الرُّحْبَى أَيُّ أَعْرَضَ ضَلَعٌ فِي الصَّدْرِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، وهما رُحَيَّانِ تَلِيانِ الْإِبْطِينَ فِي أَعْلَى الْأَضْلَاعِ، قال: فَإِنِّي قَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ دَقَّتِي الْمَصْحَفِ فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ لَهَا تَحْرِيماً إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقلنا: لَا، فسكت وسكتنا. فقال له: أَنْتَ أَكْبَرُ سِتْناً وَأَقْدَمُ إِسْلَاماً، فجاء بها فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أَمْسِيَا، فلما أَرَادَ عَيْنَةُ الانْصِرَافَ، قال عمرو: لئن انصرف أبو مالك بغير حِباءٍ^(٥) إِنَّهُ لَوْصَمَةٌ عَلَيَّ، فَأَمَرَ بِنَاقَةٍ لَهُ أَرْحَبِيَّةٍ^(٦) كَانَتْهَا جَبِيرَةُ لَجَيْنٍ فَارْتَحَلَهَا وَحَمَلَهُ عَلَيْهَا، ثم قال: يَا غَلَامُ هَاتِ الْمِزْوَدَ^(٧). فجاءه بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فقال: أَمَّا الْمَالُ فَوَاللَّهِ لَا قَبْلَتَهُ. قال: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَنْ حَبَاءَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يقبله عُيَيْنَةُ وانصرف، وهو يقول:

جُزِيتَ أَبَا ثَوْرٍ جِزَاءَ كَرَامَةٍ
قَرِيتَ فَأَكْرَمْتَ الْقِرَى^(٨) وَأَفْدَتْنَا
وَقُلْتَ حَلَالٌ أَنْ نَدِيرَ مُدَامَةً^(٩)
وَقَدَّمْتَ فِيهَا حُجَّةً عَرَبِيَّةً
وَأَنْتَ لَنَا وَاللَّهِ ذِي الْعَرْشِ قُدُوءٌ
نَقُولُ: أَبَوْ ثَوْرٍ أَحَلَّ حَرَامَهَا

فَنِعْمَ الْفَتَى الْمُزْدَارُ وَالْمُتَضَيِّفُ
نَجِيثَةٌ^(٩) عِلْمٌ لَمْ تَكُنْ قَطُّ تُعْرِفُ
كُلُّونِ انْعِقَاقِ الْبَرْقِ وَاللَّيْلِ مُسَدِّفُ
تَرُدُّ إِلَى الْإِنْصَافِ مَنْ لَيْسَ يُنْصِفُ
إِذَا صَدَّنَا عَنْ شُرْبِهَا الْمُتَكَلِّفُ
وَقَوْلُ أَبِي ثَوْرٍ أَسَدٌ وَأَعْرِفُ

[الطويل]

- (١) كِبْشاً سَاحاً: هو في غاية السمن .
(٢) عَضَّاهُ: قطعه قطعاً .
(٣) قدر جِماع: عظيمة .
(٤) الجفنة: القصعة الكبيرة .
(٥) الحِباءُ؛ بكسر الحاء: العطاء .
(٦) ناقة أَرْحَبِيَّة: الضيافة .
(٧) المِزود: بكسر الميم: ما يوضع فيه الزاد .
(٨) القِرَى: الخمرة .
(٩) نجيثة: هو سرٌّ مخفي .
(١٠) المدامة: من أسماء الخمرة .

وقال علي بن محمد: حدثني عبد الله بن محمد الثقفي، عن أبيه والزهدي عن الشعبي، قال:

جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية، فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة: أما ترى أن هذه الزعانف تُزاد ولا نِزاد؟ انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه، فقال: هيهات، كلا والله لا ألقاه في هذا المعنى أبداً، فلقد لقيني في بعض فجاج مكة، فقال: يا طليحة، أقبَلتْ عِكاشة^(١). فتوَعَدني وعيداً ظننت أنه قاتلي ولا آمنه، قال عمرو: لكنني ألقاه. قال: أنت وذاك، فخرج إلى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يُعْذِي الناس وقد جَفَنَ لعشرة عشرة. فأقعد عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يَقْم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام فقال: يا أمير المؤمنين إنه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الإسلام، وقد صَرَرْتُ في بطني صُرَّتَيْن وتركت بينهما هواءً فَسَدَهُ، قال: عليك حجارة من حجارة الحرة فَسَدَهُ به، يا عمرو إنه بلغني أنك تقول: إن لي سيفاً يقال له الصمصامة، وعندي سيف أسمىه المصمم، وإني إن وضعته بين أذنك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك.

وذكر ابن النطاح، ومحمد بن كُناشة أن جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب لقي عمرو بن معد يكرب وهو يسوق طُعناً^(٢) له، فقال عمرو لأصحابه: قِفُوا حتى آتيكم بهذه الطُعْن، فَقَرَّبَ نحوه حتى إذا دنا منه، قال: خلّ سبيل الطعن. قال: فليَم إذا وَلَدَنِي؟ ثم شَدَّ على عمرو فطعنه فأذراه^(٣) عن فرسه، وأخذ فرسه، فرجع إلى أصحابه، فقالوا: ما وراءك؟ قال: كأني رأيت مَنِيَّتِي في سِنانه. وبنو كِنانة يذكرون أن ربيعة بن مُكْدَم الفِرَاسِيّ طَعَن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه، وأنه لقيه مرة أخرى فضربه فوقعت الضربة في قَرْبُوس السَّرْج ففقطعه حتى عَضَّ السيفُ بِكَائِبَةٍ^(٤) الفَرَس، فسالمه عمرو وانصرف.

قال المدائني: حدثني مسلمة بن مُحارب، عن دُوَادَ بن أَبِي هِنْدٍ، قال:

حمل عمرو بن معد يكرب حَمَالَةً فَأَتَى مُجَاشِعَ بنَ مسعود يسأله فيها - وقال خالد بن خِدَاش: حَدَّثَنِي أَبُو عَوَانَةَ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن، قال: بلغني أن عمراً أتي مجاشع بن مسعود - فقال له: أسألك حُمْلَان^(٥) مثلي وسِلَاحَ مثلي، قال:

(١) العكاشة: من معانيها العنكبوت.

(٢) الطعن، الواحدة طعينة: الراحلة في هودجها من النساء.

(٣) أذراه: طرحه أرضاً، أوقعه. (٤) كائبة الفرس: رأسه حيث تناله يد الفارس.

(٥) الحُمْلَان، بضم الحاء: ما يحمل عليه من الدواب في العطاء.

إِنْ شِئْتَ أُعْطَيْتَكَ ذَاكَ مِنْ مَالِي، ثُمَّ أَعْطَاهُ حُكْمَهُ. وَكَانَ الْأَحْنَفُ أَمْرَ لَهُ بَعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَفَرَسٍ جَوَادٍ عَتِيقٍ وَسَيْفٍ صَارِمٍ وَجَارِيَةٍ نَفِيسَةٍ، فَمَرَّ بِنِجْنٍ حَنْظَلَةً فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا ثَوْرٍ كَيْفَ رَأَيْتَ صَاحِبَكَ؟ فَقَالَ: لِلَّهِ بَنُو مَجَاشِعَ، مَا أَشَدَّ فِي الْحَرْبِ لِقَاءَهَا، وَأَجْزَلَ فِي اللَّزْبَاتِ^(١) عَطَاءَهَا، وَأَحْسَنَ فِي الْمَكْرَمَاتِ ثَنَاءَهَا، لَقَدْ قَاتَلْتُهَا فَمَا أَلْتُّهَا، وَسَأَلْتُهَا فَمَا أَبْخَلْتُهَا. وَهَاجَتِهَا فَمَا أَفْحَمْتُهَا.

وَقَالَ أَبُو الْمِنْهَالِ عَيْنُهُ بْنُ الْمِنْهَالِ: سَمِعْتُ أَبِي يَحْدُثُ، قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ وَعَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَاقِفٌ بِالْكُنَاسَةِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقَالَ: لَأَنْظُرَنَّ مَا بَقِيَ مِنْ قُوَّةِ أَبِي ثَوْرٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ سَاقِهِ وَبَيْنَ السَّرَجِ، وَفُطِنَ عَمْرُو فَضَمَّهَا عَلَيْهِ وَحَرَكَ فَرَسَهُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَعْدُو مَعَ الْفَرَسِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْزِعَ يَدَهُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْهُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا لَكَ، قَالَ: يَدِي تَحْتَ سَاقِكَ، فَخَلَّى عَنْهُ وَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ فِي عَمِكَ لَبَقِيَّةٌ بَعْدُ.

وَكَانَ عَمْرُو مَعَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَحَلِّهِ مَشْهُورًا بِالْكَذِبِ.

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ. وَذَكَرَ ابْنَ النَّطَّاحِ هَذَا الْخَبَرَ بَعِينَهُ عَنْ مُحَمَّدٍ سَلَامٍ، وَخَبَرَ الْمَبْرَدُ أَتَمَّ قَالَ:

كَانَتْ الْأَشْرَافُ بِالْكُوفَةِ يَخْرُجُونَ إِلَى ظَاهِرِهَا يَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ وَيَتَحَدَّثُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ أَيَّامَ النَّاسِ، فَوَقَفَ عَمْرُو إِلَى جَانِبِ خَالِدِ بْنِ الصَّقْعَبِ النَّهْدِيِّ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يُحَدِّثُهُ وَيَقُولُ: أَغْرَتْ عَلَى بَنِي نَهْدٍ فَخَرَجُوا إِلَيَّ مُسْتَرْعَفِينَ^(٢) بِخَالِدِ بْنِ الصَّقْعَبِ يَقْدُمُهُمْ، فَطَعَنَتْهُ طَعْنَةً فَوْقَ، وَضَرَبَتْهُ بِالصَّمْصَامَةِ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا ثَوْرٍ إِنْ مَقْتُولُكَ الَّذِي تَذْكُرُهُ هُوَ الَّذِي تَحَدِّثُهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، غَفْرًا، إِنَّمَا أَنْتَ مُحَدِّثٌ فَاسْمَعْ، إِنَّمَا نَتَحَدَّثُ بِمِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ لِنُرْهِبَ هَذِهِ الْمَعْدِيَّةَ^(٣).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ: وَقَالَ يُونُسُ: أَبَتِ الْعَرَبُ إِلَّا أَنْ عَمْرًا كَانَ يَكْذِبُ. قَالَ: وَقُلْتُ لَخَلْفِ الْأَحْمَرِ وَكَانَ مَوْلَى الْأَشْعَرِيِّينَ وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِلْيَمَانِيَةِ: أَكَانَ عَمْرُو يَكْذِبُ؟ قَالَ: كَانَ يَكْذِبُ بِاللِّسَانِ وَيَصْدُقُ بِالْفِعَالِ.

أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ:

أَنَّ سَعْدًا كَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ يُثْنِي عَلَى عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ، فَسَأَلَهُ

(١) اللَّزْبَاتُ، الْوَاحِدَةُ لَزْبَةٌ: الْجَدْبُ وَضِيقُ الْعِيشِ.

(٢) مُسْتَرْعَفِينَ: مُتَسَارِعِينَ.

(٣) الْمَعْدِيَّةُ: الْمُنْسَوْبِينَ إِلَى مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ.

عُمَرُ عن سعد، فقال: هُوَ لَنَا كَالْأَبِ، أَعْرَابِي فِي نَمِرَتِهِ^(١) أَسَدٌ فِي تَامُورَتِهِ^(٢) يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَيَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ وَيَنْفِرُ فِي السَّرِيَّةِ، وَيَنْقُلُ إِلَيْنَا حَقَّنًا كَمَا تَنْقُلُ الذَّرَّةُ^(٣). فقال عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ: لَشَدَّ مَا تَقَارَضْتُمَا الشَّهَادَةَ^(٤).

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، عَنِ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْهُ الْوَاقِدِيُّ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مَسْمَارٍ عَنْ زِيَادِ مَوْلَى سَعْدٍ، قَالَ:

سَمِعْتُ سَعْدًا يَقُولُ: وَبَلَغَهُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَقَعَ فِي الْخَمْرِ وَأَنَّهُ قَدْ ذُلُّهُ فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ لَهُ مَوْطِنٌ صَالِحٌ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَظِيمَ الْعَنَاءِ شَدِيدَ النِّكَايَةِ لِلْعَدُوِّ، فَقِيلَ لَهُ: فَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ، فَقَالَ: هَذَا أَبْذَلُ لِنَفْسِهِ مِنْ قَيْسٍ، وَإِنْ قَيْسًا لَشَجَاعٍ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ، وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ. وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ خَاصَّةً، حَدَّثَنِي أَسْعَرُ بْنُ عَمْرُو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ قَطَنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ مَوْتَ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ، وَالرِّوَايَةُ قَرِيبَةٌ وَحِكَايَةُ عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ وَابْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ أَنْفُسِهِمَا وَلَمْ يَتَجَاوَزَاهَا قَالُوا:

كَانَتْ مَغَازِي الْعَرَبِ إِذْ ذَاكَ الرَّيِّ وَدَسْتَبَى^(٥)، فَخَرَجَ عَمْرُو مَعَ شَبَابٍ مِنْ مَذْحِجٍ حَتَّى نَزَلَ الْخَانَ الَّذِي دُونَ رُوْدَةَ^(٦)، فَتَغَدَّى الْقَوْمَ ثُمَّ نَامُوا، وَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَكَانَ عَمْرُو إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يَدْعُوهُ وَإِنْ أَبْطَأَ، فَمَقَامُ النَّاسِ لِلرَّحِيلِ وَتَرَحَّلُوا إِلَّا مَنْ كَانَ فِي الْخَانِ الَّذِي فِيهِ عَمْرُو، فَلَمَّا أَبْطَأَ صَحْنًا بِهِ: يَا أَبَا ثَوْرٍ، فَلَمْ يُجِئْنَا وَسَمِعْنَا عِلْزًا^(٧) شَدِيدًا وَمِرَاسًا^(٨) فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي دَخَلَهُ، وَقَصْدُنَاهُ فِإِذَا بِهِ مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ مَائِلًا شِدْقُهُ مَقْلُوجًا، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَمَرْنَا غَلَامًا شَدِيدَ الذَّرَاعِ فَارْتَدَفَهُ^(٩) لِيَعْدِلَ مَيْلُهُ فَمَاتَ بِرُوْدَةَ. وَوَدَفَنَ عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ، فَقَالَتْ أُمَرَاتُهُ الْجُعْفِيَّةُ تَرْتِيهِ:

لَقَدْ غَادَرَ الرِّكْبَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا بِرُوْدَةَ شَخْصًا لَا ضَعِيفًا وَلَا عُْمَرًا^(١٠)
فَقُلْ لَزُبَيْدٍ بَلْ لَمَذْحِجٍ كُلُّهَا فَقَدْ تُمُّ أَبَا ثَوْرٍ سِنَانُكُمْ عُْمَرًا

(١) النمرة: شملة فيها خطوط.

(٢) الذرة: أصغر أنواع النمل.

(٣) الدستبي: الحيلة والخديعة.

(٤) تقارضتما الشهادة: تبادلتما المدح.

(٥) روضة: موضع.

(٦) العلز: الهلع.

(٧) الميراس: التضارب.

(٨) ارتدفه: ألحقه.

(٩) الغمر: من لا تجربة له في الحياة.

(١٠) تامورته: عرينه.

فَإِنْ تَجَزَّعُوا لَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنْكُمْ وَلَكِنْ سَلُّوا الرَّحْمَنَ يُعْقِبْكُمْ صَبْرًا
[الطويل]

والأبيات العينية التي فيها الغناء وبها افتتح ذكر عمرو يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لما سباهها الصَّمَّةُ بن الحارث بن بكر، وكان أغار على بني زُبَيْد في قيس فاستاق أموالهم وسبا ريحانة وانهزمت زُبَيْد بين يديه وتبعه عمرو وأخوه عبدُ الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبدُ الله واتبَّعه عمرو، فأخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام أن عمراً اتَّبَعَهُ يَنَاشِدُهُ أَنْ يُخْلِيَ عَنْهَا فَلَمْ يَفْعَلْ، فلما يئس منها ولَّى وهي تُناديه بأعلى صوتها: يا عمرو، فلم يَقْدِرْ على انتزاعها، وقال:

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّقْنِي ^(١) وَأَصْحَابِي هَجُوعُ ^(٢)
سَبَاهَا الصَّمَّةُ الْجُشْمِيُّ غَضَبًا كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهَا صَدِيعُ ^(٣)
وَحَالَتْ دُونَهَا فَرَسَانُ قَيْسٍ تَكْشَفُ عَنْ سَوَاعِدِهَا الدُّرُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
[الخفيف]

وزاد الناس في هذا الشعر وعُني فيه:

وَكَيْفَ أَحَبُّ مَنْ لَا أَسْتَطِيعُ وَمَنْ هُوَ الَّذِي أَهْوَى مَنُوعُ
وَمَنْ قَدْ لَامَنِي فِيهِ صَدِيقِي وَأَهْلِي ثُمَّ كَلَّا لَا أَطِيعُ
وَمَنْ لَوْ أَظْهَرَ الْبَغْضَاءَ نَحْوِي أَتَانِي قَابِضُ الْمَوْتِ السَّرِيعُ
فِدَى لَهُمْ مَعَا عَمِّي وَخَالِي وَشَرُّ شَبَابِهِمْ إِنْ لَمْ يُطِيعُوا
[الخفيف]

وقد أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي:

وَأَمَّا قِصَّةُ رِيحَانَةَ فَإِنَّ عَمْرُو بْنَ مَعْدٍ يَكْرِبُ تَزُوجَ امْرَأَةٍ مِنْ مَرَادٍ وَذَهَبَ مُغِيرًا
قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَلَمَّا قَدِمَ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِهَا وَضَحَّ، وَهُوَ دَاءٌ تَحَذَّرُهُ الْعَرَبُ،
فَطَلَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ آخَرُ مِنْ بَنِي مَازَنَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرًا وَأَنَّ الَّذِي قِيلَ
فِيهَا بَاطِلٌ، فَأَخَذَ يُشَبِّبُ بِهَا فَقَالَ قَصِيدَتَهُ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ:

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّقْنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعُ
[الخفيف]

(١) يُؤَرِّقْنِي: يُثْلِقْنِي فَلَا أَسْتَطِيعُ النَّوْمَ.

(٢) هَجُوعٌ: نِيَامٌ.

(٣) صَدِيعٌ: صَبَحٌ.

وكان عبد الله بن معد يكره أخو عمرو رئيس بني زُبَيْد، فجلس مع بني مازن في شَرْبٍ منهم فتغنى عنده حَبَشِيٌّ عَبْدٌ لِلْمُخَزَّمِ أَحَدِ بَنِي مَازَنٍ فِي تَشَبُّبِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ، فَلَطَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَالَ لَهُ: أَمَا كَفَاكَ أَنْ تَشْرَبَ مَعَنَا حَتَّى تُشَبِّبَ بِالنِّسَاءِ؟ فَنَادَى الْحَبَشِيُّ: يَا آلَ بَنِي مَازَنٍ، فَقَامُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَتَلُوهُ، وَكَانَ الْحَبَشِيُّ عَبْدًا لِلْمُخَزَّمِ، فَرُئِسَ عَمْرُو مَكَانَ أَخِيهِ، وَكَانَ عَمْرُو غَزَا هُوَ وَأَبِي الْمُرَادِي فَأَصَابُوا غَنَائِمَ، فَادَّعَى أَبِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ مُسَانِدًا، فَأَبَى عَمْرُو أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا. وَكَرِهَ أَبِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا شَرٌّ لِحَدَاثَةِ قَتْلِ أَبِيهِ فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَبَلَغَ عَمْرًا أَنَّهُ تَوَعَّدَهُ، فَقَالَ عَمْرُو فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً، أَوَّلُهَا:

صوت

وَكُلُّ مُقْلَصٍ ^(٣) سَلِسِ الْقِيَادِ
وَأَفْرَحَ عَاتِقِي ثَقُلَ النَّجَادِ ^(٤)
وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مَنِي وَدَادِي
تَكَشَّفَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
عَذِيرِكَ ^(٦) مِنْ خَلِيلِكَ ^(٧) مِنْ مُرَادِ
[الوافر]

أَعَاذِلْ ^(١) شِكَّتِي ^(٢) بَدَنِي وَرُمَحِي
أَعَاذِلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي
تَمَنَّانِي لِيَلْقَانِي أَبِي
وَلَوْ لَا قَيْتَنِي وَمَعِي سِلَاحِي
أُرِيدُ حِبَاءَهُ ^(٥) وَيُرِيدُ قَتْلِي

وتمام هذه الأبيات:

كَأَنْ فَتِيرَهَا ^(٩) حَدَقَ الْجَرَادِ
تَخَيَّرَهُ الْفَتَى مِنْ قَوْمِ عَادِ
سِنَانًا مِثْلَ مِقْبَاسِ الزِّنَادِ
أَمْرٌ ^(١١) سَرَاتُهَا ^(١٢) خُلِقَ الْحَيَادِ ^(١٣)

تَمَنَّانِي وَسَابِغَتِي دِلَاصٌ ^(٨)
وَسِيفِي كَانَ مُذْ عَهْدِ بَنِ صَدِّ
وَرُمَحِي الْعَنْبَرِيُّ تَخَالُ فِيهِ
وَعَجَلَزَةٌ ^(١٠) يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْهَا

(٢) الشكّة: السلاح.

(١) العاذل: اللائم.

(٣) المقلص من الجياد: الطويل العالي القوائم.

(٤) النجاد: حامل السيف، كناية عن طول الشاعر.

(٦) العذير: النصير.

(٥) الحباء، بكسر الحاء: العطاء.

(٨) سابغتي دلاص: درعي طويلة لينة.

(٧) الخليل: الصاحب، الصديق.

(١٠) العجلزة من الجياد والإبل: القوي الشديد.

(٩) القتيير: رؤوس المسامير في الدرع.

(١٢) السراة: الظهر، المتن.

(١١) أمر: أقوى.

(١٣) الحيادة: الطعام.

إِذَا ضُرِبَتْ سَمِعَتْ لَهَا أَزِيْرًا كَوَقَعَ الْقَطْرُ فِي الْأَدَمِ^(١) الْجِلَادِ^(٢)
 إِذَا لَوَجَدْتَ خَالَكَ غَيْرَ نِكْسٍ وَلَا مُتَعَلِّمًا قَبْلَ الْوَحَادِ
 يَقْلِبُ لِلْأُمُورِ شَرْنَبِيَّاتٍ^(٣) فَأَظْفَارَ مَغَارِزِهَا جِدَادِ
 [الوافر]

لابن سريج في الأول والثاني ثاني ثقيل بالبنصر، ولا بن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى وفي الرابع والخامس والسادس لحن للهذلي من رواية يونس، وهذا البيت الخامس كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا نظر إلى ابن ملجم تمثل به.

علي يتمثل بشعر عمرو:

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّهٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَيَّانُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ حَمْزَةَ الزِّيَاتِ، قَالَ:
 كَانَ عَلِيٌّ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذَا نَظَرَ إِلَى ابْنِ مَلْجَمٍ، قَالَ:

أُرِيدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ
 [الوافر]

حدثني العباس بن علي بن العباس، ومحمد بن خلف، وكيع، قالوا: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِي، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجم، قال:

أُرِيدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ
 [الوافر]

حدثني محمد بن الحسن الأشناني، قال: حدثنا علي بن المنذر الطريفي، قال: حدثنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا قَطَنُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ وَالْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قالوا:

قال علي عليه السلام: مَا يَحْسِبُ أَشْقَاهَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخْضَبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذَا.

(١) الأدم: الجلود.

(٢) الجِلَاد: الصلبة.

(٣) الشرنبيات: الأكف الغليظة.

قال أبو الطفيل: وجمع علي الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فردّه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه، ثم قال: ما يحبس أشقاها؟ فولذي نفسي بيده لتخضبنّ هذه من هذا، ثم تمثل بهذي البيت:

رِحَالُكَ شَدَّ لِلْمَوْتِ فَإِنِ الْمَوْتَ يَأْتِيكَ
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْقَتْلِ إِذَا حُلَّ بِوَادِيكَ

[مجزوء الوافر]

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

قال: وجاءت بنو مازن إلى عمرو، فقالوا: إن أخاك قتله رجل منّا سفيه، وهو سكران، ونحن يدك وعضدك، فنسألك الرّحم إلا ما أخذت الدية ما أحببت، فهمّ عمرو بذلك، وقال:

إِحدى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يُقال لها كبشة وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب فغضبت، فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً تُعَيِّرُ عمراً:

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دَمِي؟
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِلَّا^(١) وَأَبْكَرًا وَأُتْرِكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْلَمٍ^(٢)
وَدَغَ عَنْكَ عَمراً إِنْ عَمراً مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شَبِيرٍ لِمَطْعَمٍ؟
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَقْبَلُوا وَاتَّذَيْتُمْ فَمَشُّوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلَّمِ^(٣)
وَلَا تَرْتَدُوا إِلَّا فُضُولَ نِسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلَتْ أَعْقَابُهُنَّ مِنَ الدَّمِ
أَيَقْتُلُ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدَ قَوْمِهِ بَنُو مَازَنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْمَخَزَمِ؟

[الطويل]

فقال عمرو قصيدة له عند ذلك يقول: فيها:

صوت

أَرَقْتُ وَأَمْسَيْتُ لَا أَرْقُدُ وَسَاوَرَنِي الْمُوجِعُ الْأَسْوَدُ

(١) الإفال من الإبل: صغارها.

(٢) صعدة: مخلاف في اليمن.

(٣) المصلّم: المقطوعة.

وَبِئْتُ لِدِكْرِى بَنِي مَازَنْ كَأَتَيْ مُرْتَفِقُ أَرْمَدُ
فيه لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى نسبة يحيى المكي إلى ابن محرز،
وذكر الهشامي أنه منحول.

ثم أَكَبَّ على بني مازن وهم غارون^(١)، فقتلهم، وقال في ذلك شعراً:

خَذُوا حِقْقاً^(٢) مُخْطِئَةً^(٣) صَفَايَا^(٤) وَكَيْدِي يَأْمُحْزَمُ مَا أَكِيدُ
قَتَلْتُمْ سَادَتِي عَرَضاً^(٥) فَإِنِّي عَلَى أَكْتَاكُمُ عُتْ^(٦) حَدِيدُ^(٧)
فَمَنْ يَأْبَى مِنَ الْأَقْوَامِ نَصْراً وَيَتْرَكُنَا فَإِنَّا لَا نُرِيدُ
[المقارب]

وَأَرَادَتْ بَنُو مَازَنْ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِمُ الدِّيَّةَ لَمَّا آذَنَهُمْ بِحَرْبِ فَأَبَى عَمْرُو، وَكَانَتْ بَنُو
مَازَنْ مِنْ أَعْدَاءِ مَذْجَجٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَا كَبْشَةَ لِأَبِيهَا وَأُمُّهَا دُونَ عَمْرُو، وَكَانَ عَمْرُو
قَدْ هَمَّ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ حِينَ قَتَلَ مِنْ قَتْلِ مَنْهُمْ، فَكَبَتْ كَبْشَةُ فِي نِسَاءٍ مِنْ قَوْمِهَا وَرَثَتْ
أَخَاهَا وَعَيَّرَتْ عَمْرُوً فَأَحْمَتُهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِمْ أَيْضاً بِالْقَتْلِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ تَفَرَّقُوا،
فَلَحِقَتْ بَنُو مَازَنْ بِتَمِيمٍ وَلَحِقَتْ نَاشِرَةُ بِبَنِي أَسَدٍ، وَهُمْ رَهْطُ الصَّفْعَبِ بْنِ الصَّحْصَحِ.
وَلَحِقَتْ فَالَجُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ، وَفَالَجُ وَنَاشِرَةُ ابْنَا أَنْمَارِ بْنِ مَازَنْ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
مُتَّبَهُ بْنِ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، وَأُمُّهُمَا هَنْدُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ زَيْدٍ، فَقَالَ كَاسِبَةُ بْنُ
حَرْقُوسِ بْنِ مَازَنْ:

يَا لَيْلَتِي يَا لَيْلَتِي بِالْبُلْدَةِ رُدَّتْ عَلَيَّ نَجُومُهَا فَارْتَدَّتْ
هَلَا كُنَاشِرَةُ الَّذِي ضِيَعْتُ كَالْغُصْنِ فِي غُلُوءِهِ الْمَتَنَّبَتِ
[الكامل]

وقال عمرو في ذلك:

تَمَنَّتْ مَازَنْ جَهْلًا خِلَاطِي فَذَاقَتْ مَازَنْ طَعْمَ الْخِلَاطِ
أَطَلْتُ فِرَاطَكُمْ عَاماً فَعَاماً وَدَيْنُ الْمَذْجَجِيِّ إِلَى فِرَاطِ^(٨)

(١) غارون: ينزلون في الغار، وهم غافلون.

(٢) الحقيق من الإبل، الواحدة حق: التي أدركت السنة الرابعة من عمرها.

(٣) المخطمة من الإبل: التي وضع عليها الخطام.

(٤) الصفايا من الإبل: الغزيرة اللين. (٥) عرضاً: نحيلة، على حين غرة.

(٦) العت: ما يأكل الصوف. (٧) حديد: قوي.

(٨) الفِرَاط، بكسر الفاء: الإمهال، أعطاء الفرصة.

أَطَلْتُ فِرَاطَكُمْ حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتُ سَرَاتِكُمْ كَانَتْ قَطَاطٍ^(١)
 غَدَرْتُمْ غَدْرَةً وَغَدَرْتُ أُخْرَى فَمَا إِنْ بَيْنَنَا أَبَدًا تَعَاطِي
 بَطْعِنَ كَالْحَرِيقِ إِذَا التَّقِينَا وَضُرِبَ الْمَشْرِفِيَّةُ^(٢) فِي الْغُطَاطِ^(٣)
 [الوافر]

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد: قرأت على أبي: قال المدائني:
 حدثني رجل من قریش، قال: كنا عند فلان القرشي فجاءه رجل بجارية فغتنه:
 بِاللَّهِ يَا ظُبَيَّ بَنِي الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّائِثِ؟^(٤)
 [السريع]

وغتنه أيضاً بغناء ابن سريج:

يَا طَوَلَ لَيْلِي وَبِتُّ لَمْ أَنْمِ وَسَادِي الْهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِي
 [المنسرح]
 فَأَعْجَبْتَهُ وَاسْتَامَ^(٥) مَوْلَاهَا فَاشْتَطَّ^(٦) عَلَيْهِ فَأَبَى شَرَاءَهَا، وَأَعْجَبَتِ الْجَارِيَةُ بِالْفَتَى
 فَلَمَّا امْتَنَعَ مَوْلَاهَا مِنَ الْبَيْعِ إِلَّا بِشَطَطٍ، قَالَ الْقُرَشِيُّ: فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي جَارِيَتِكَ، فَلَمَّا
 قَامَتِ الْجَارِيَةُ لِلانصراف رفعت صوتها تغني وتقول:
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعِهِ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 [الوافر]

قال: فقال الفتى القرشي: أفأنا لا أستطيع شراءك؟ واللّه لأشترينك بما بلغت،
 قالت الجارية: فذاك أردت، قال القرشي: إذا لأجبتك، وابتاعها من ساعته. واللّه أعلم.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بِاللَّهِ يَا ظُبَيَّ بَنِي الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّائِثِ؟

(١) قَطَاطٍ: ما كفاني.

(٢) المشرفية من السيوف: المنسوبة إلى قرى من أرض العرب.

(٣) الغطاط: مع خيوط الفجر الأولى.

(٤) النائث: المخلف.

(٥) إستم مولاها: ساومه.

(٦) اشتط في الشعر: غالى.

لَا تَخْدَعَنِّي بِالْمُنَى بَاطِلًا وَأَنْتَ بِي تَلْعَبُ كَالْعَابِثِ

[السريع]

عروضه من السريع، الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، رمل بالبنصر وفيه لسياط خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه لإبراهيم الموصلي لحن من رواية بذل، ومنها:

صوت

يَا طَوَّلَ لَيْلِي وَبْتُ لَمْ أَنْمِ وَسَادِي الْهَمُّ مَبْطُنٌ سَقَمِي
إِذْ قَمْتُ لَيْلًا عَلَى الْبَلَاطِ فَأَبْ صرْتُ رَبِيبًا^(١) فَلَيْتَ لَمْ أَقْمِ
فَقُلْتُ عُوجِي تَخْبَرِي خَبْرًا وَأَنْتَ مِنْهُ كصاحب الحُلْمِ
قَالَتْ بَلْ أَخْشَى الْعَيُونَ إِذْ حَضَرَتْ حَوْلِي وَقَلْبِي مَبَاشِرُ الْأَلَمِ
[المنسرح]

عروضه من الخفيف والشعر والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق.

المأمون وظاهر بن الحسين:

وذكر محمد بن الفضل الهاشمي، قال: حدثنا أبي، قال:

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه فناظر يوماً بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جوثقا في الإمامة، فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر، فلجبت^(٢) المناظرة بينهما إلى أن نبط^(٣) محمد علياً فقال له علي: إنما تكلمت بلسان غيرك ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت، فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ونهض عن فرشه ونهض المجلساء فخرجوا، وأراد محمد الانصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلى، وهو إذ ذاك يحجب المأمون، وقال: أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت ثم تنصرف بغير إذن منه؟ اجلس حتى نعرف رأيك، وأمر بأن يُحبس، قال: ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره وأمر بالجلساء فزُدوا

(١) الريب: من أحسنت تربيته.

(٢) لجبت المناظرة بينهما: خرجت عن طبيعتها حتى كان الخصام.

(٣) نبط الحكم: استخرجه باجتهاده، فكان صائبا حسناً.

إليه، فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول محمد في الانصراف وما كان من منعه إياه، فقال: دعه ينصرف إلى لعنة الله فانصرف، وقال المأمون لجلسائه: أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت؟ قالوا: لا، قال: إنه لما كان أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة فدخلت إلى النساء فعايشتهن حتى سكن غضبي. قال: ومضى محمد عن وجهه، إلى طاهر فسأله الركوب إلى المأمون وأن يستوهبه جرمه فقال طاهر: ليس هذا من أوقاتي، وقد كتب إليّ خليفتي في الدار أنه قد دعا بالجلساء. فقال: أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين عليّ ساخط، فلم يزل به حتى ركب طاهر معه فأذن له ومُجِرَّ الخادم واقف على رأس المأمون، فلما بَصُرَ المأمون بطاهر أخذ مندبلاً كان بين يديه فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثاً إلى أن وصل إليه وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر، ثم دنا فسَلَّمَ فردَّ السلام وأمر بالجلوس فجلس في موضعه، فسأله عن مجيئه في غير وقته، فعرفه الخبر واستوهبه ذنب محمد فوهبه له وانصرف وعرف محمد ذلك، ثم دعا بهارون بن خُثُويَّه وكان شيخاً خراسانياً داهية ثقة عنده، فذكر له فعل المأمون، وقال له: ألقِ كاتبَ مُجِيرٍ وأطفِ له واطمن له عشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون، ففعل ذلك ولطف له، فعرفه أنه لما رأى طاهراً دمعَتْ عيناه وترحَّم على محمد الأمين ومسح دمعته بالمندبيل، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون وكلهم يركب إليه، فقال له: جئتُك لتولينني خراسان وتحتال لي فيها، وكان أحمد يتولى فضَّ الخرائط بين يدي المأمون، وغسان بن عباد يتولى إذ ذاك خراسان، فقال له أحمد: هلاً أقمت بمنزلك وبعثت إليّ حتى أصير إليك ولا يُشهر الخبر فيما تريده بما ليس من عادتك، لأن المأمون يعلم أنك لا تركب إلى أحد من أصحابه، وسيلبغه هذا فينكره، فأنصرف وأغض عن هذا الأمر وأمهلني مدة حتى أحتال لك. ولبت مدة وزور ابن أبي خالد كتاباً عن غسان بن عباد إلى المأمون يذكر فيه أنه عليل وأنه لا يأمن على نفسه ويسأل أن يستخلف غيره على خراسان. وجعله في خريطة وفضَّها^(١) بين يدي المأمون في خرائط وردت عليه، فلما قرأ على المأمون الكتاب اغتم به، وقال له: ما ترى؟ فقال: لعل هذه علة عارضة تزول وسيرد بعد هذا غيره، فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأيَه، ثم أمسك أياماً وكتب كتاباً آخر ودسّه في الخرائط يذكر فيه أنه تناهى في العلة إلى ما لا يرجو معه نفسه، فلما قرأه المأمون قلق، وقال: يا أحمد إنه لا مدفع لأمر خراسان فما ترى؟ فقال هذا رأي إن أشرت فيه

(١) فضَّ الخريطة: فتحها.

بما أرى فلم أُصِيبْ لم أَسْتَقْبِلْهُ وأمير المؤمنين أعلم بخدمه ومن يصلح بخراسان منهم . قال: فجعل المأمون يُسمِّي رجالاً ويطعن أحمد على واحد واحد منهم إلى أن قال: فما ترى في الأعور؟ قال: إن كان عند أحد قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده، فدعا به المأمون فَعَقَدَ له على خراسان وأمره أن يعسكر فعسكر بباب خراسان، ثم تعقَّبَ الرأي فعلم أنه قد أخطأ فتوقف عن إمضائه وخشي أن يُوحش طاهراً بنقضه فمضى شهر تام وطاهر مقيم بمعسكره؛ ثم إن المأمون في السحر ليلة أحد وثلاثين يوماً من عقده اللواء لطاهر أمر بإحضار مخارق المغني فأحضر وقد صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر، فقال: يا مخارق أتغني:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وكيف تريد أن تُدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى تبوع
[الوافر]

قال: نعم، قال: هاته فغناه، فقال: ما صنعت شيئاً فهل تعرف من يقوله أحسن مما تقول؟ قال: نعم علّويه الأعسر فأمر بإحضاره فكأنه كان وراء الستر، فأمره أن يُغنيه فغناه واحتفل، فقال: ما صنعت شيئاً أتعرف من يقوله أحسن مما تقول؟ فقال: نعم عمرو بن بانه شيخنا فأمر بإحضاره فدخل في مقدار دخول علّويه، فأمر بأن يُغنيه الصوت فغناه، فقال: أحسنت ما شئت، هكذا ينبغي أن يقال ثم قال: يا غلام اسقني رطلاً واسق صاحبيه رطلاً رطلاً، ثم دعا له بعشرة آلاف درهم وخِلعة ثلاثة أثواب، ثم أمره بإعادته فأعاده، فردّ القول الذي قاله وأمر له بمثل ما أمر حتى فعل ذلك عشراً، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً، ودخل المؤذن فأذنوه بالصلاة فنقد^(١) أصبعه الوسطى بإبهامه وقال: برّق يمان برق يمان، وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرف من بحضرته من الجلساء، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين قد أنعمت عليّ وأحسنّت إليّ فإن رأيت أن تأذن لي في مقاسمة أخويّ ما وصل إليّ فقد خَصَرَاهُ . فقال: ما أحسن ما استمَحَتَ لهما بل نُعْطِيهما نحن ولا نُلْحَقهما بك . وأمر لكل واحد بمثل نصف جائزة عمرو، وبكر إلى طاهر فرحّله، فلما ثنى عنان دابته منصرفاً دنا منه حميد الطوسي فقال: اطرّحْ على ذنبه تراباً . فقال: اخسأ يا كلب، ونقد طاهر لوجهه، وقدم غسان بن عبّاد فسأله عن علّته وسببها، فحلف له أنه لم يكن عليلًا ولا كتب بشيء من هذا، فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بابن أبي خالد، وأمسك على ذلك، فلما كان بعد مدة من مقدّم طاهر إلى خراسان قطع الدعاء للمأمون على المنبر

(١) نقد أصبعه: ضرب .

يوم الجمعة، فقال له عون بن مجاشع بن مسعدة صاحب البريد: لم تدع في هذه الجمعة لأمر المؤمنين، فقال: سهو وقع فلا تكتب به، وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية وقال لعون: لا تكتب به، وفعله في الجمعة الثالثة، فقال له عون، إن كتب التجار لا تنقطع من بغداد، وإن اتصل هذا الخبر بأمر المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي. فقال: اكتب بما أحببت، فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد، وقال: إنه لم يذهب عليّ احتيالك عليّ في أمر طاهر وتمويهك له، وأنا أعطي الله عهداً لئن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي وتصلح ما أفسدته عليّ من أمر ملكي لأبيد غصراءك^(١). وشخص أحمد وجعل يتلوم في الطريق ويقول لأصحاب البريد: اكتبوا بخبر علة أجدها. فلما وصل إلى الرّي لقيته الأخبار ووافاه رسل طلحة بن طاهر ب وفاة طاهر، فأغذ^(٢) السير حتى قدم خراسان فلقية طلحة على حين غفلة، فقال له أحمد: لا تكلمني ولا تُرني وجهك فإن أباك عرضني للعطب وزوال النعمة مع احتيالي له وسعيي - كان - في محبته. فقال له: أبي قد مضى لسبيله ولو أدركته لما خرج عن طاعتك، وأما أنا فأحلف لك بكل يمين تسكن إليها نفسك وأبذل كل ما عندي من مال وغيره، فاضمن له عني حسن الطاعة وضبط الناحية والإخلاص في النصيحة، فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون وأشار بتقليده، فأنفذ المأمون إليه اللواء والخلع والعهد، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام.

أخبرني وكيع، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

مدح ابن هرمة رجلاً من قريش فلم يُثبّه فقال له ابن عمّ له: لا تفعل فإنه شاعر مُفوّه، فلم يقبل منه، فقال فيه ابن هرمة:

فهلأ إذ عجزت عن المعالي وعمّا يفعل الرجل القرع^(٣)
أخذت برأي عمرو حين دكّي وشبّ لناره الشرف الرفيع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
[الوافر]

(١) الغصراء: الأرض المخصصة، ولأبيد غصراءك: أي أهلكن ذويك.

(٢) أغذ السير: أسرع الخطى.

(٣) القرع: المنتصر.

ومما قاله عمرو بن معد يكرب في ريحانة أخته وغني فيه قوله :

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا ما زلت أحبس يومَ البينِ راحلتي
إذ فارقتك وأمست دارها غربا حتى استمرّوا وأذرت دمعها سربا
مثل المهاة^(٢) - مرته^(٣) الريح فاضطربا والغانيات يُقتلن الرجال إذا
ضرجن^(٤) بالزعفران الرّيط^(٥) والنّقبا من كل أنسة لم يَغْذُها عَدَمٌ
ولا تشدّ لشيء صوّتها صَحبا إنّ الغواني قد أهلكني تعباً
وخلتْهنّ ضعيفات القوى كُذبا [السيط]

غنى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقیل من رواية حماد، وفيه رمل نسبة حبش إليه أيضاً، وقال الأصمعيّ: هذا الشعر لسهل بن الحنظليّة الغنويّ ثمّ الضبيّين ثمّ الجابريّ، وهو جابر بن ضبيّة.

سهل بن الحنظلية :

قال أبو الفرج الأصبهاني: وسهل بن الحنظليّة أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وقد روى عنه حديثاً كثيراً؛ فذكر الأصمعيّ أن السبب في قوله هذا الشعر أنه اجتمع ناس من العرب بعكاظ، منهم قرّة بن هبيرة القشيريّ، والمُخبّل، وهو في جوار قرّة بن هبيرة القشيري في سنين تابعت على الناس فتواعدوا وتواقفوا أن لا يتغاوروا حتّى يُخصّب الناس. ثم قالوا: ابعثوا إلى المنتشر بن وهب الباهليّ ثمّ الوائليّ فليشهد أمرنا ولندخله معنا، فأتاهم فأعلموه ما صنعوا، قال: فما يأكل قومي إلى ذاك؟ فقال له ابن جارم الضبيّ: إنك لهنالك يا أخا باهلة، قال: أما أنا فالغسل والنساء عليّ حرام حتى آكل من قَمْع^(٦) إبلك، فتفرقوا ولم يكن إلا ذلك، وقد قال ابن جارم للمنتشر - عند قوله -: إستكّ أضيق من ذاك. فأغار المنتشر على ابن جارم فلما رآه ابن جارم رمى بنفسه في وِجار ضِع^(٧) وأطرد المنتشر إبله ورعاءها فقال سهل في ذلك:

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا

(١) الحُزّان، بضم الحاء: الأرض الصلبة المرتفعة، الكثيرة الحجارة.

(٢) المهاة: البقرة الوحشية.

(٣) مرته الريح: أذرت.

(٤) ضرجن: لطخن.

(٥) الريط، الواحدة ريطرة: الملاعة كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً، كلّ ثوب يشبه الملحفة.

(٦) قمع الإبل: أعلى أسنمتها، ويقصد بذلك الشاعر أفضل ما لدى عدوه.

(٧) وِجار الضبع: بيته.

في قصيدة طويلة له حسنة، وقال في ذلك أعشى باهلة:

فَدَى لَكَ نَفْسِي إِذْ تَرَكْتُ ابْنَ جَارِمٍ أَجَبٌ^(١) السَّنامُ بَعْدَ مَا كَانَ مُضْعَبَا
[الطويل]

وقال المُخَبِّلُ في ذلك:

إِنَّ قَشِيرًا مِنْ لِقَاحِ ابْنِ جَارِمٍ كَغَاسِلَةِ حَيْضًا وَلَيْسَتْ بِطَاهِرٍ
وَأَنْبَأْتُ مَازِيَّ أَنَّ قُرَّةَ آمِنٍ قِتَالًا أَبَاهُ مِنْ مُجِيرٍ وَخَافِرٍ^(٢)
فَلَا تُوَكِّلُوهَا الْبَاهِلِيَّ وَتَقْعُدُوا لَدَى غَرَضٍ أَرْمِيكُمْ بِالنَّوَاقِرِ^(٣)
إِذَا هِيَ حَلَّتْ بِالذُّهَابِ وَذِي حُسَا^(٤) وَرَاحَتْ خِفَافَ الْوُطْءِ حُوشَ الْخَوَاطِرِ^(٥)
[الطويل]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَعْنَبُ بْنُ الْمُحَرِّزِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ، عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ، قَالَ:

أَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَقَدْ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ فَقَالَ عَمْرُو لِلْأَشْعَثِ: نَحْنُ قَتَلْنَا أَبَاكَ وَنَكُنَّا أُمُكَ، فَقَالَ سَعْدٌ: قُومًا أَفَّ لَكُمْ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ لِعَمْرُو: وَاللَّهِ لِأُضْرَطَّنَّكَ. فَقَالَ: كَلَّا إِنَّهَا عَزُورٌ مُوثَّقَةٌ^(٦) قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الْأَشْعَثِ فَنَثَرْتُهُ فَوْقَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِ عَمْرُو فَجَذَبْتُهُ فَمَا تَحَلَّحَلَّ وَاللَّهِ لَكُنَّا مَحَرَّكَتِ أُسْطُوَانَةِ الْقَصْرِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَدِمَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَالْأَجْلَحُ بْنُ وَقَّاصٍ الْفَهْمِيُّ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتِيَاهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَالٌ يَوْزَنُ، فَقَالَ: مَتَى قَدِمْتُمَا؟ قَالَا: يَوْمَ الْخَمِيسِ، قَالَ: فَمَا حَبَسَكُمَا عَنِي؟ قَالَا: شُغِلْنَا بِالْمَنْزِلِ يَوْمَ قَدِمْنَا ثُمَّ كَانَتْ الْجُمُعَةُ ثُمَّ غَدَوْنَا عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ وَزْنِ الْمَالِ نَحَاهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: هَيْهَ، فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْأَجْلَحُ بْنُ وَقَّاصٍ شَدِيدُ الْمِرَّةِ، بَعِيدُ الْفَرَّةِ،

(١) أَجَبُ السَّنامُ: مَقْطُوعُهُ. (٢) الْخَافِرُ: الْحَامِي.

(٣) النَّوَاقِرُ، الْوَاحِدَةُ نَاقِرَةٌ: الْمَصِيبَةُ الْمَهْلِكَةُ، يَقْصِدُ الشَّاعِرُ بِذَلِكَ السَّهَامَ الْقَاتِلَةَ الَّتِي لَا تَخْطِئُ أَهْدَافَهَا.

(٤) الذُّهَابُ، بَظْمُ الذَّالِ، وَذِي حُسَا: مَوْضِعِينَ.

(٥) حُوشُ الْخَوَاطِرِ: أَيُّ قُلُوبِهِمْ قَدَّتْ مِنْ حَدِيدٍ.

(٦) عَزُورٌ مُوثَّقَةٌ، وَالْعَزُورُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّيِّءُ الْأَخْلَاقِ: أَيُّ إِنَّهَا أَخْلَاقٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي صَاحِبِهَا رَغْمَ فَسَادِهَا.

وشيك الكَرَّة، واللَّه ما رأيت مثله من الرجال صارِعاً ومصروعاً، واللَّه لكانه لا يموت، فقال عمرُ للأجلح بن وقاص وأقبل عليه: هيه قال: وأنا أعرف الغضب في وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين، الناس صالحون، كثيرٌ نسلهم، دارَّةُ أرزاقهم، خضِبُ نباتهم، أجرياء على عدوهم، جبانٌ عدوهم عنهم، صالحون بصلاح إمامهم، واللَّه ما رأينا مثلك إلا مَنْ تَقَدَّمَكَ، فنستمتعُ اللَّه بك، فقال: ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك؟ قال: منعني ما رأيت في وجهك، قال: قد أصبت، أما لو قلت له مثل الذي قال لك لأوجعتكما عقوبةً، فإن تركتك لنفسك فسوف أتركه واللَّه لك، لوددت لو سلمت لكم حالكم هذه أبداً، أما إنه سيأتي عليك تَعَضُّه وينهشك، وتهرؤه وينبحك، ولست له يومئذٍ وليس لك، فإن لم يكن بعهدكم فما أقربه منكم.

قال أبو عبيدة: حدثنا يونس وأبو الخطاب، قالاً:

لما كان يومُ القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجاناً ومناطقَ ورقاباً فبلغت مالا عظيماً، فعزل سعدُ الخمسَ ثم فضَّ البقية فأصاب الفارسَ ستَّةَ آلاف والراجل ألفان، فبقي مالٌ دثر^(١)، فكتب إلى عمرَ رضي اللّهُ عنه بما فعل، فكتب إليه: أن رُدَّ على المسلمين الخمسَ وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الواقعة، ففعل، فأجراهم مجرى مَنْ شهد، وكتب إلى عمرَ بذلك، فكتب إليه: أن فضَّ ما بقي على حملة القرآن، فأتاه عمرو بن معد يكرب، فقال: ما معك من كتاب اللّهُ تعالى؟ فقال: إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن، قال: ما لك في هذا المال نصيب، قال وأتاه بشرُ بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانةٍ بشر، فقال: ما معك من كتاب اللّهُ؟ قال: بسم اللّهُ الرحمن الرحيم فضحك القوم منه ولم يُعْطه شيئاً. فقال عمرو في ذلك:

إذا قُتِلنا ولا يبكي لنا أحدٌ قالت قريش ألا تلك المقاديرُ
نُعْطى السَّوِيَّةَ من طَعْنٍ له نفدٌ ولا سَوِيَّةَ إذ تُعْطى الدنانيرُ
[البسيط]

وقال بشر بن ربيعة:

أَنَحْتُ بابَ القادِسيَّةِ ناقتي وسعدُ أميرُ شرِّه دون خَيْرِهِ
وعندَ أميرِ المؤمنينَ نوافِلُ وخيرُ أميرِ العراقِ جَرِيرُ
وعندَ المُثَنَّى فضَّةٌ وحَريْرُ

(١) مال دثر: كثير.

تَذَكَّرْ هَذَاكَ اللَّهَ وَقَعَ سَيُوفُنَا بَبَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ عَسِيرُ
عَشِيَّةً وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ دَلَفْنَا^(١) لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ نَسِيرُ
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجِمِينَ كَأَنَّهُمْ جِمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهَنَ زَفِيرُ
[البسيط]

فكتب سعد إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردّا عليه وبالقصيدتين، فكتب: أَنْ أَعْطَهُمَا عَلَى بِلَائِهِمَا، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَلْفِي دِرْهَمٍ.

قال: وَحَدَّثَنِي أَبُو حَفْصِ السُّلَمِيُّ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ: إِنَّ فِي جَنْدِكَ عَمْرَوَ بْنَ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَطُليحَةَ بْنَ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّ، فَإِذَا حَضَرَ النَّاسَ فَأَذُنَهُمَا وَشَاوَرَهُمَا وَابْعَثَهُمَا فِي الطَّلَاعِ، وَإِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا^(٢) فَضَعَهُمَا حَيْثُ وَضَعَا أَنْفُسَهُمَا، يَعْنِي بِذَلِكَ ارْتِدَادَهُمَا، وَكَانَ عَمْرُو ارْتَدَّ وَطُليحَةُ تَنَبَّأَ.

قال: وَحَدَّثَنَا أَبُو حَفْصِ السُّلَمِيُّ، قَالَ: عَرَضَ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ جَنْدَهُ بِأَرَمِينِيَّةٍ، فَجَعَلَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا عَتِيقًا، فَمَرَّ بِهِ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ بِفَرَسٍ غَلِيظٍ، فَقَالَ سَلِيمَانُ: هَذَا هَجِينٌ، فَقَالَ عَمْرُو: الْهَجِينُ يَعْرِفُ الْهَجِينَ. فَبَلَغَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَوْلَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ الْقَاتِلُ لِأَمِيرِكَ مَا قُلْتَ، وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ عِنْدَكَ سَيْفًا تُسَمِّيهِ الصَّمْصَامَةَ، وَعِنْدِي سَيْفٌ أَسْمِيهِ مُصَمَّمًا وَأُقْسِمُ لَنْ وَضَعْتُهُ بَيْنَ أُذُنَيْكَ لَا أَقْلَعُ حَتَّى يَبْلُغَ قِحْفُكَ. وَكَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ يَلُومُهُ فِي جَلْمِهِ عَنْهُ.

قال: وَزَعَمُوا أَنَّ عَمْرًا شَهِدَ فَتْحَ الْيَرْمُوكِ وَفَتْحَ الْقَادِسِيَّةِ وَفَتْحَ نَهَاوَنْدَ مَعَ النِّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّنِ الْمُرْنِيِّ، وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى النِّعْمَانِ: إِنَّ فِي جَنْدِكَ رَجُلَيْنِ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ وَطُليحَةَ بْنَ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّ مِنْ بَنِي قُعَيْنٍ فَأَحْضِرْهُمَا الْحَرْبَ وَشَاوَرَهُمَا فِي الْأَمْرِ وَلَا تَوَلَّهِمَا عَمَلًا وَالسَّلَامَ.

صوت

خَلِيلِي هُبَّا طَالَمَا قَدْ رَقْدْتُمَا أَجِدُّكُمْ لَا تَفْضِيَانِ كَرَاكُمَا
سَأَبْكِيكُمْ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكَاكُمَا
[الطويل]

(١) دلفنا: مشينا ليلاً.

(٢) وضعت الحرب أوزارها: أثقالها وآلاتها.

ويروى: ذي لَوْعَة، الشعر لُقُسَّ بنِ ساعدة الإياديِّ فيما أخبرنا به محمد بنُ العباس اليزيديِّ في خبر أنا ذاكره هاهنا، وذكر يعقوبُ بنُ السَّكِّيتِ أنه لعيسى بن قدامة الأسديِّ. وذكر العُتْبِيُّ أنه لرجل من بني عامر بنِ صعصعة، يقال له الحسن بنُ الحارث، والغناء لهاشم بنِ سليمانَ ثَقِيلَ أَوَّلَ بالوسطى عن عمرو:

ذكر خبر قس بن ساعدة ونسبه وقصته في هذا الشعر

هو قس بن ساعدة بن عمرو وقيل مكان عمرو: شمّر بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن التمر بن واثلة بن الطمّثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعَمِيّ بن إياد، خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها وحكمها في عصره، يقال: إنه أول من علا على شرف وخطب عليه، وأول من قال في كلامه: أمّا بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا، وأدركه رسول الله ﷺ قبل النبوة وراه بعكاظ فكان يَأْثُرُ عنه كلاماً سمعه منه، وسئل عنه فقال: يُحْشَرُ أُمَّةٌ وحده.

وقد سمعت خبره من جهات عدّة إلا أنه لم يَحْضُرْني وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناده فهو من أتمها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال: حدثني عمر بن عبد الرحمن بن حفص السائي، قال: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثني الحسن بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال:

لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ، قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول الله، قال: كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أ ورق، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه، فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا رسول الله، قال: كيف سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: أيّها الناس اسمعوا وعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، سماء ذات أبراج، بحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبرّ وآثام، ومطعم ومشرب، وملبس ومركب، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن خالفه. ثم أنشأ يقول:

في الدّاهيين الأولي ————— من من القرون لنا بصائر

لَمَّا رَأَيْتُ مُوَارِدًا لَلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي^(١) الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
أَيَقْنَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ
[مجزوء الكامل]

فقال النبي ﷺ: «يرحم الله قُسنًا، إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده». فقال رجل: يا رسول الله لقد رأيت من قُسن عجبًا، قال: «وما رأيت؟» قال: بينا أنا بجبل يُقال له سَمْعَانُ في يوم شديد الحرِّ إذ أنا بقسن بن ساعدة تحت ظلِّ شجرة عند عين ماء. وعنده سِباع، كلُّما زار سبع منها على صاحبه ضربه بيده، وقال: كُفَّ حتى يشرب الذي وَرَدَ قبلك، قال: فَفَرَّقْتُ^(٢) فقال: لا تخف، وإذا أنا بقبرين بينهما مسجدٌ، فقلت له: ما هذان القبران اللذان أَرَاهُما؟ قال: هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا فاتخذت بينهما مسجداً أَعْبُدُ اللهَ جَلَّ وعزَّ فيه حتى ألحق بهما، ثم ذكر أيامهما فبكى ثم أنشأ يقول:

خَلِيلِي هُبَّا طَالَمَا قَدْ رَقْدْتُمَا أَجِدُّكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانَ مُفْرَدُ وَمَا لِي فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكُمَا؟!
أُقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبَ صَدَاكُمَا
كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ بِجَسْمِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا
فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةً لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا
[الطويل]

فقال النبي ﷺ: «يرحم الله قُسنًا».

(١) يمضي: بمعنى يموت.

(٢) فرقت: خفت.

عيسى بن قدامة

وأما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أن الشعر لعيسى بن قدامة الأسدي فأخبرني بها علي بن سليمان الأخفش عن السكوني، قال: قال يعقوب بن السكيت: قال عيسى بن قدامة الأسدي، وكان قدم قاسان، وكان له نديمان فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين وهما براوند في موضع يقال له خزاق فيشرب ويصّب على القبرين حتى يقضي وطره^(١)، ثم ينصرف ويئشد، وهو يشرب:

خليلي هبّا طالما قد رقدتُما أجدكما لا تقضيان كراكمَا
ألم تعلم ما لي براوند هذه ولا بخزاق من نديم سواكمَا؟!
مقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صدكُمَا
جرى الموت مجرى اللحم والعظم كأن الذي يسقي العقار سقاكمَا
تحمل من يهوى القفول وغادروا أخاً لكم أشجاء ما قد شجاكمَا^(٢)
فأي أخ يجفو أخاً بعد موته فلست الذي من بعد موت جفاكمَا
أصب على قبريكما من مدامة^(٣) فإلا تذوقا أرو منها ثراكمَا
أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجاباً صوته من دعاكمَا
أمن طول نوم لا تجيبان داعياً خليلي ما هذا الذي قد دهاكمَا؟
قضيت بأنّي لا محالة هالكٌ وأني سيعروني الذي قد عراكمَا^(٤)
سأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي عولة^(٥) أن بكاكمَا

[الطويل]

أخبرني ابن عمار أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد بن

(١) الوطر: الحاجة.

(٢) شجاكمَا: أحزنكمَا.

(٣) المدامة: من أسماء الخمرة.

(٤) عراكمَا: حل بكمَا.

(٥) العولة: الحاجة إلى القيام بمساعدة المحتاج.

يحيى البلاذري، قال: حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، قال:

بلغني أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم، وكانوا يتنادمون لا يُخالطون غيرهم، فإنهم لعل ذلك إذ مات أحدهما فدفنه صاحبه، وكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأس هراقها على قبره وبكى، ثم إن الثاني مات فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصب الكأس على الذي يليه ثم على الآخر ويبكي. وقال فيهما:

نَدِيمَيَّ هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما

وذكر بعض الأبيات التي تقدّم ذكرها، وقال مكان «براوند» هذه «بقروين» وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمار: فقبورهم هناك تعرف بقبور النُدماء. وذكر العتبي عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة وكان أحد نديميه من بني أسد والآخر من بني حنيفة، فلمّا مات أحدهما كان يشرب ويصب على قبره ويقول:

لَا تُصَرِّدْ^(١) هَامَةً^(٢) مِنْ كَأْسِهَا وَاسْقِهِ الْخَمَرَ وَإِنْ كَانَ قُبِرَ
كَانَ حُرًّا فَهَوَى فِيمَنْ هَوَى كُلُّ عُودٍ ذِي شُعُوبٍ يَنْكَسِرُ
[الرمّل]

قال: ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما ويُشد:

خَلِيلَيَّ هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما

الأبيات، قال: ثم قالت له كاهنة: إنك لا تموت حتى تنهشك^(٣) حَيَّةً في شجرة بوادي كذا وكذا، فورد ذلك الوادي في سفر له، وسأل عنه فعرفه، وقد كان حَطَّ في أصل شجرة ومدَّ رجله عليها فنهشته حية فأنشأ يقول:

خَلِيلَيَّ هَذَا حَيْثُ رَمَسِي^(٤) فَعَرَجَا^(٥) عَلَيَّ فَإِنِّي نَازِلُ فَمُعَرَّسُ
لِبِسْتُ رَدَاءَ الْعَيْشِ أَحْوَى أَجْرَهُ الـ عَشِيَّاتٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَلْبَسُ

(١) تُصَرِّدُ: تسقي الخمر صرداً خالصاً مما يشوّهه.

(٢) الهامة: الرأس.

(٣) تنهشك حية: تعضك.

(٤) رمسي: قبري.

(٥) عرجا: ميلا.

تركتُ خبائي حيثُ أرسى عماؤه
أَحْتَفِي الذي لا بدَّ أنْكَ قاتلي
أَبْعَدَ نديمي اللَّذَيْنِ بِعَاقِلٍ
عليَّ وهذا مَرْمَسِي حيثُ أَرْمَسُ^(١)
هَلُمَّ فما في غابرِ العيشِ مَنَفَسُ
بكيتهما حَوْلًا مَدَى أَتَوَجَّسُ^(٢)
[الطويل]

(١) أرمس: أَدَفَنَ .

(٢) أَتَوَجَّسُ: أَتَوَقَّعُ الخوفَ .

ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

هو هاشم بن سليمان مولى بني أمية، ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادي يُسميه أبا الغريض، وهو حسن الصنعة غزيرها، وفيه يقول الشاعر:

يَا وَحْشَتِي بَعْدَكَ يَا هَاشِمُ غِبْتَ فَشَجْوِي^(١) بِكَ دَائِمُ
أَلَلَّهُوُ وَاللَّذَّةُ يَا هَاشِمُ مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرَهُ مَائِمُ
[السريع]

أخبرني علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرَدَّاذِبَه قال: كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويُمَازحه ويلقبه أبا الغريض.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد، قال:

بلغني أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغناه:

صوت

لَوْ يُرْسِلُ الْأَزْلُ^(٢) الظُّبَا ءَ تَرُوْدُ^(٣) لَيْسَ لَهْنَ قَائِدُ
لَتَيَمَّمْتُكَ تَدْلُهَا رِيَّاكَ لِلْسُّبُلِ الْمَوَارِدُ
وَإِذَا الرِّيَّاحُ تَنَكَّكَرَتْ نُكْبَا^(٤) هَوَاجِرُهَا^(٥) صَوَارِدُ^(٦)
فَالنَّاسُ سَائِلَةٌ إِلَيْكَ فَصَادِرٌ يَغْنَى وَوَارِدُ
[مجزوء الكامل]

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك،

(١) شجوي: حزني.

(٢) الأزل بسكون الزاي: الوقوع في المصائب والمشاكل.

(٣) ترود الأرض: تتفقد ما فيها من المراعي والمياه لترى هل تصلح للحياة.

(٤) النُكْب، بضم النون: هي رياح انحرفت عن مهاب الرياح بين ريحين.

(٥) الهواجر، الواحدة هاجرة: شدة الحر في فصل الصيف.

(٦) الصوارد: الرياح البوارد.

والغناء لهاشم بن سليمان خفيف ثقیل أول بالبنصر، فطرب موسى وكان بين يديه كانون كبير ضخم عليه فحم فقال له: سلني ما شئت، قال: تملأ لي هذا الكانون دراهم فأمر له بذلك وفرغ الكانون فوسع ست بدور فدفعتها إليه.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن أبي توبة، عن محمد بن جبر عن هاشم بن سليمان، قال: أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعة منّا، فقال: يا هاشم غتني.

أَبْهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعَا

فإن أصبت مرادي فيه فلك حاجة مقضية، فغنيته فقال: قد أصبت وأحسنت، سل حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر أن يملأ هذا الكانون دراهم - قال: وبين يديه كانون عظيم - فأمر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم، فلما حصلتها قال: يا ناقص الهمة لو سألتني أن أملاه دنائير لفعلت، فقلت: أقلني يا أمير المؤمنين، فقال: لا سبيل إلى ذلك فلم يسعدك الجد^(١) به.

نسبة هذا الصوت

أَبْهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعَا	وتركتني عبداً لكم مطواعا
بحديثك الحسن الذي لو كُلمت	وحش الفلاة به لجئن سِراعا
وإذا مررت على البهار منضداً	في السوق هيّج لي إليك نزاعا
والله لو علم البهار بأنّها	أضحت سميته لصار ذراعاً

[الكامل]

الغناء لهاشم ثاني ثقیل بالبنصر عن عمرو، وفيه ثقیل أول بالوسطى يُنسب إلى إبراهيم الموصلي وإلى يحيى المكي وإلى إسحاق.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني بعض أصحابنا، قال:

كنا في منزل محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان عالماً بالغناء والفقّه جميعاً، وقد كان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقّه ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء، فقال المأمون: ما أعجب ما اجتمع فيه، العلم بالفقّه والغناء،

(١) الجدّ، بفتح الجيم: الحظ.

فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن يتحول إلينا، وكان في جوارنا وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، ودُكَّاء وصغير غلاماً أحمد بن يوسف الكاتب، فكتب إلينا إسحاق: جعلتُ فداكم، قد أخذتُ دواءً، فإذا خرجت منه حملت قِدري وصرت إليكم، وكتب في أسفل كتابه:

أَنَا شَمَاطِيطُ الَّذِي حَدَّثْتُ بِهِ مَتَى أَنْبَهُ لِلْعَدَاءِ أَنْتَبَهُ
ثُمَّ أَدُورُ حَوْلَهُ وَأَحْتَبِبُهُ حَتَّى يُقَالَ شَرُّهُ وَلَسْتُ بِهِ
[الرجز]

ثم جاءنا ومعه بُدِيحٌ غلامُه فتغدينا وشربنا فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف:

أَبْهَارٌ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعَا

فسأله إسحاق أن يعيده فأعاده مراراً ثم قال له: ممن أخذت هذا؟ فقال: من مُعَاذِ بْنِ الطَّبِيبِ، قال: والصنعة فيه له، فقال له إسحاق: أَحَبُّ أَنْ تَلْقِيَهُ عَلَى بُدِيحٍ، ففعل، فلما صَلَّيْتَ الْعِشَاءَ انصرف دُكَّاءٌ وقد أبو جعفر يشرب - يعني مولاه - وعنده قوم وتخلّف صغيرٌ فغنّانا، فقال له إسحاق: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا غَلَامُ مَاخُورِيٌّ؛ وسَكَرَ محمد بن إسماعيل في آخر النهار فغنّانا:

هَبُونِي أَغْضُ إِذَا مَا بَدَتْ وَأَمْلِكْ طَرْفِي فَلَا أَنْظُرُ
[المقارب]

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن: أَجْرَكَ اللَّهُ فِي ابْنِ عَمِكَ، أَيَّ قَدْ سَكَرَ فَأَقْدَمَ عَلَى الْغَنَاءِ بِحَضْرَتِي.

نسبة هذا الصوت

صوت

هَبُونِي أَغْضُ إِذَا مَا بَدَتْ وَأَمْلِكْ طَرْفِي فَلَا أَنْظُرُ
فَكَيْفَ احْتِيَالِي إِذَا مَا الدَّمُوعُ نَطَقْنَ فَبُحْنَ بِمَا أَضْمُرُ
أَيَّامَنْ سُرُورِي بِهِ شَقْوَةٌ وَمَنْ صَفُوْ عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ
أَمْنِي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِّي فِي سَاتِرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْلَمْ أَصْنُهُ لِبُقْيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

[المقارب]

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء للزبير بن دُحْمَانَ ثَقِيلَ أَوَّلَ بالوسطى عن
 عمرو في الأبيات الثلاثة الأول، وفيها لعمرو بن بَانَةَ ماخوريّ، وفي:
 أَيَّامَنْ سروري به شِقْوَةٌ
 لِسُلَيْمٍ هَزَجٌ، وفيه ثاني ثَقِيلَ ينسب إلى حسين بن مُحَرِّزٍ وإلى عباس مُنْقَارٍ.

رشيد بن رميض والحطم والعلاء بن الحضرمي

صوت

هذا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّي زَيْمٌ^(١) قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطْمٌ
ليس براعي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ^(٢) عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌ^(٣)

[الرجز]

عروضه من الرجز، الشعر لرُشيد بن رُميض العَنزيّ يقوله في الحُطْم، وهو شُريحُ بن ضُبَيْعة، وأمه هندُ بنت حسانَ بن عمرو بن مَرثَد، والغناء ليزيدَ حوراء خفيف ثَقيل أول بالنصر، وفيه خفيف رمل يقال: إنه لأحمدَ بن المَكِّي.

قال أبو عُبيدة: كان شُريحُ بن ضُبَيْعة غزا اليمنَ في جموعِ جمعها من ربيعة، فغنمَ وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كِنْدَةَ أُسرَ فيها فَرغانُ بنُ مهديٍّ بن مَعْدٍ يَكربُ عُمُ الْأَشْعَثِ بن قيسٍ، وأخذَ على طريقِ مفازة^(٤) فَضَلَ بهم دليلهم ثم هرب منهم، وماتَ فَرغانُ في أيديهم عطشاً، وهلكَ منهم ناسٌ كثيرٌ بالعطش وجعل الحُطْمُ يسوقُ بأصحابه سوقاً عَنيفاً حتى نَجَوْا ووردُوا الماءَ فقال فيه رُشيدُ:

هذا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّي زَيْمٌ ليس براعي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ
ولا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌ نام الحُدَاةُ وابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنْمِ
باتت يُقاسيها غلامٌ كالزُّلْمِ^(٥) خَدَلَجُ^(٦) السَّاقِينَ خَفَّاقُ الْقَدَمِ^(٧)

قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطْمٌ

[الرجز]

(١) زيم: اسم فرس.

(٢) الجزار: الذابح.

(٣) الوضم: الخشبة التي يستعملها الجزار لتقطيع اللحم.

(٤) المفازة: المهمة الموحش لا أنيس فيه ولا ماء.

(٥) الزُّلْم، بضم الزاي: السهم.

(٦) الخدلج من الرجال: العظيم الساقين.

(٧) خفّاق القدم: السريع الحركة.

فَلَقَّبَ يَوْمَئِذٍ الْخُطَمَ لِقَوْلِ رُشِيدِ هَذَا فِيهِ، وَأَدْرَكَ الْخُطْمُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري، قال: أخبرنا عمي يعقوب، قال: أخبرني سيف، قال:

خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أن رسول الله ﷺ لما مات ارتدوا ففأدت عبد القيس منهم، وأما بكر فتت على ردتها، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن المعلّى - فذكر سيف عن إسماعيل بن مسلم - فأسلم وأقام بالمدينة حتى فقه.

حدثنا محمد بن جرير، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق، قال:

اجتمعت ربيعة بالبحرين، فقالوا: رُدُّوا المُلْكُ في آل المنذر، فمَلَكُوا المُنْذِرَ بنَ النُّعْمَانِ بنِ المنذر، وكان يسمّى العُرُور، ثم أسلم بعد ذلك، وقال: لست بالغرور ولكنني المغرور.

حدثنا محمد بن جرير، قال: حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرني عمي، قال: أخبرنا سيف، عن إسماعيل بن مسلم، عن عُمير بن فُلانٍ العَبْدِيِّ، قال:

لما مات رسول الله ﷺ خرج الخُطَمُ بن ضُبَيْعَةَ في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الرِّدَّةِ وَمَنْ تَأَشَّبَ إِلَيْهِ^(١) من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً، حتى نزل القُطَيْفَ وَهَجَرَ وَاسْتَعْوَى مَنْ كَانَ بِهِمَا مِنَ الزُّطِّ^(٢) والسَّبَابِجَةِ وبعث بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينهم وبينه، وكانوا مخالفين لهم يمدُّون المسلمين، وأرسل إلى الغرور بن سُوَيْدِ بن المنذر بن أخي النعمان بن المنذر، فقال له: اثْبُتْ فَإِنِّي إِن ظَفَرْتُ مَلَكْتُكَ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى تَكُونَ كَالنُّعْمَانِ بِالْحِيرَةِ، وَبَعَثَ إِلَى رُوَاثَا وَقِيلَ إِلَى جَوَاثَا فَحَاصَرَهُمْ وَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى الْمَحْصُورِينَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي الْمُسْلِمِينَ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَفٍ أَحَدُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابٍ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الْجُوعُ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَفٍ:

(١) تَأَشَّبَ إِلَيْهِ: اختلط.

(٢) الزُّطُّ، بضم الزاي: والسبابجة: من الشعوب التي انضوت في المجتمع العربي منذ الفتح الإسلامي، وهم يمتازون بالقوة، وفدوا من الهند والسند.

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولاً
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمِ كِرَامٍ
كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ^(١)
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا
وَفَتَيَانَ الْمَدِينَةَ أَجْمَعِينَ
فُعُودٍ فِي جُوثَا مُخْصَرِينَ؟
شُعَاعُ الشَّمْسِ يُعْشِي النَّازِرِينَ
وَجَدْنَا النَّصْرَ لِمَتَوَكَّلِينَ
[الوافر]

حدثني محمد بن جرير، قال: كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن الصقعب بن عطية بن بلال، عن سهم بن منجاب عن منجاب بن راشد، قال:

بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردّة بالبحرين، فتلاحق به من لم يرتد من المسلمين، وسلك بنا الدّهناء، حتى إذا كنا في بُحْبُوحَتِهَا^(٢) أراد الله عز وجل أن يُرينا آيةً، فنزل العلاء وأمر الناس بالنزول، فنفرت الإبل في جوف الليل فما بقي بغير ولا زاد ولا مُراد ولا بناء - يعني الخيم - قبل أن يَحْطُوا، فما علمتُ جمعاً هجم عليه من الغمّ ما هجم علينا وأوصى بعضنا إلى بعض، ونادى منادي العلاء: اجتمعوا، فاجتمعنا إليه، فقال: ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم؟ فقال الناس: وكيف نلام ونحن إن بلغنا غدّ لم تَحْمِ شمسُه حتى نصير حديثاً؟ فقال: أيّها الناس لا تُرَاعُوا أَلَسْتُمْ مُسْلِمِينَ؟ أَلَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ أَلَسْتُمْ أَنْصَارَ اللَّهِ؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا فوالله لا يخذل الله تبارك وتعالى من كان في مثل حالكم، ونادى المنادي بصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلّى بنا، ومنا المتيّم ومنا من لم يزل على طهوره، فلما قضى صلاته جثا لركبتيه وجثا الناس معه، فنصب في الدعاء ونصبوا، فلمع لهم سراب الشمس فالتفت إلى الصف فقال: رائد ينظر ما هذا، ففعل ثم رجع فقال: سَرَابٌ، فأقبل على الدعاء، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد: ماءً، فقام وقام الناس فمشينا حتى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه وأناخت إلينا، فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه، فما فقدنا سلكاً، فأرويناها العَلَل^(٣) بعد التهل^(٤) وتروينا ثم تروّحنا، وكان أبو هريرة رفيقي، فلما غبنا عن ذلك المكان، قال لي: كيف علمك بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أنا أهدي الناس بهذه

(١) الفجّ: الفُرجة ما بين جبلين.

(٢) البحبوحة: رفاهة العيش.

(٣) العلل: الشرب مرة بعد مرة.

(٤) التهل: الشرب أول مرة.

البلاد، قال: فَكَّرَ معي حتى تُقيمني عليه، فكررت به فَأَنْخَت على ذلك المكان بعينه، فإذا هو لا غديرَ به ولا أثرَ للماء، فقلت له: واللَّهِ لولا أَني لا أرى الغديرَ لأخبرتكَ أَنَّ هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماءً قَبْلَ ذلك، فنظر أبو هريرة فإذا إِدَاوَةٌ^(١) مملوءة، فقال: يا أبا سهم هذا واللَّهِ المكان، ولهذا رجعتُ ورجعتُ بك، ملأتُ إِدَاوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادي، فقلت: إِنْ كَانَ مِنَّا مِنَ الْمَنِّ وَكَانَتْ آيَةٌ عَرَفْتُهَا وَإِنْ كَانَ غِيَاثًا عَرَفْتَهُ فَإِذَا مَنَّ مِنَ الْمَنِّ، فحمد اللّهُ جل وعزّ، ثم سرنا حتى نزلنا هَجَرَ، فأرسل العلاء إلى الجارود، ورجلٍ آخَرَ: أَنْ انْضَمَّأ في عبد القيس حتى تنزلا على الحُطَمِ مما يليكما، وخرج هو فيمن معه وفيمن قَدِمَ عليه حتى ينزل مما يلي هجر، وتجمّع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي، ثم خندق المسلمون والمشركون، فكانوا يتراوحن القتال ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً، فبينما الناس ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة، فكانها ضوضاء هزيمة أو قتال، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حَذَفٍ: أنا آتيكم بخبر القوم، وكانت أمّه عَجَلِيَّةً، فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه، فقالوا له: من أنت؟ فانتسب لهم وجعل يُنادي يا أبجرا. فجاء أَبَجْرُ بن بُجَيْرٍ فعرفه، فقال: ما شأنك؟ فقال لا أَضِيعَنَّ اللَّيْلَةَ بَيْنَ اللَّهَازِمِ، عَلَامٌ أَقْتُلُ وَحَوْلِي عَسَاكِرُ مِنْ عِجْلٍ وَتَيْمٍ اللَّاتِ وَعَنْزَةٍ وَقَيْسٍ، أَتِلَاعِبُ بِي الحُطَمِ وَنَزَاغُ الْقِبَائِلِ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ؟ فَتَخَلَّصَهُ، وقال: واللَّهِ إِنِّي لَا أَظُنُّكَ بئس ابنُ الْأَخْتِ لِأَخْوَالِكَ اللَّيْلَةَ، قال: دعني من هذا وأطعمني فَقَدْ مِتُّ جَوْعاً، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَاماً فَأَكَلَ، ثم قال: زَوِّدْنِي وَاحْمِلْنِي وَجَوِّزْنِي نَطِيقُ إِلَى طَيْبَتِي - ويقول ذلك لرجل قد غَلَبَ عليه الشرابُ - ففعل وحمله على بعير وزوده وجَوَّزَهُ، وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْقَوْمَ سُكَارَى، فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم، فوضعوا فيهم السيوف حيث شَأَوْوا واقتحموا الخندق هُرَاباً فَمُتَرَدُّ وَنَاجٍ وَدِهْشٌ وَمَقْتُولٌ وَمَأْسُورٌ، واستولى المسلمون على ما في العسكر ولم يُفْلِتْ رَجُلٌ إِلَّا بِمَا عَلَيْهِ، فَأَمَّا أَبَجْرُ فَأَفْلَتَ. وَأَمَّا الحُطَمُ فَإِنَّهُ بَعَلَ^(٢) وَدِهْشَ وَطَارَ فَوَّادَهُ. فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ - وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَهُمْ يَجُوسُونَهُمْ^(٣) - ليركبه، فلما وضع رجله في الركاب انقطع فَمَرَّ بِهِ عَفِيفُ بْنُ الْمَنْذَرِ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَالْحُطَمُ يَسْتَغِيثُ، ويقول: أَلَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

(١) الإداوة: إناء صغير يتخذ من جلد ليشرب به الشاربون.

(٢) بعل: ارتعب لهول المفاجأة.

(٣) يجوسونهم: يدوسونهم بخيولهم.

يَعْقِلْنِي؟ فرفع صوته فعرفه عفيف، فقال: يا أَبُو ضُبَيْعَةَ؟ قال: نعم، قال: أَعْطِنِي رَجُلَكَ أَعْقَلَك، فَأَعْطَاه رَجُلَهُ يَعْقِلُهَا فَنَفَحَهَا فَأَطْنَّتْهَا^(١) مَنِ الْفَخَذ وَتَرَكَه، فقال: أَجْهَزَ عَلَيَّ، فقال: إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ لَا تَمُوتَ حَتَّى أُمِضَّكَ^(٢)، وكان مَعَ عَفِيفِ عِدَّةٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ فَأُصِيبُوا لِيَلْتَمِذَ، وجعل الحُطَمُ يَقُولُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، حَتَّى مَرَّ بِهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، فقال له ذَلِكَ، فعرفه فَصَلَّتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، فلما رَأَى فَخَذَهُ نَادَرَهُ^(٣) قال: وَاسْوَأَتَاهُ لَوْ عَرَفْتَ الَّذِي بِهِ لَمْ أُحَرِّكْهُ.

وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتَّبَعُوهُمْ، فلحق قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَبَجَرَ وكان فرسٌ أَبَجَرَ أَقْوَى مِنْ فَرَسِ قَيْسٍ، فلما خشي أَنْ يَفُوتَهُ طَعَنَهُ فِي الْعُرْقُوبِ فَقَطَعَ الْعَصَبَ وَسَلِمَ النَّسَا، فقال عفيف بن المنذر في ذلك:

فَإِنْ يَرْقَأُ^(٤) الْعُرْقُوبُ لَا يَرْقَأُ النَّسَا وما كَلَّ مِنْ تَلَقَّى بِذَلِكَ عَالِمٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّا قَدْ فَلَلْنَا حُمَاتَهُمْ بِأُسْرَةِ عَمْرٍو، وَالرَّبَابُ الْأَكَارِمُ؟!
[الطويل]

وَأَسَرَ عَفِيفُ بْنُ الْمَنْذَرِ الْغُرُورَ ابْنَ أَخِي النِّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ، فَكَلَّمَهُ الرِّبَابُ فِيهِ. وكان ابنُ أَخْتِهِمْ وَسْأَلُوهُ أَنْ يُجِيرَهُ، فجاء به إِلَى الْعَلَاءِ، وقال: إِنِّي أَجَرْتَهُ، قال: وَمَنْ هُوَ؟ قال: الْغُرُورُ، قال الْعَلَاءُ: أَنْتَ عَزَّرْتَ هَؤُلَاءِ؟ قال: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي لَسْتُ بِالْغُرُورِ وَلَكِنِّي الْمَغْرُورُ. قال: أَسْلِمَ، فَأَسْلَمَ وَبَقِيَ بِهَجْرٍ، وكان الْغُرُورُ اسْمُهُ لَيْسَ بِلَقَبٍ، وَقَتَلَ الْعَفِيفُ أَيْضاً الْمَنْذَرَ بْنَ سُؤَيْدٍ أَخَا الْغُرُورِ لِأُمِّهِ، وكان له يَوْمَئِذٍ بَلَاءٌ عَظِيمٌ، فَأَصْبَحَ الْعَلَاءُ يَقْسِمُ الْأَنْفَالَ وَنَفَلَ رَجَالاً مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ ثِيَاباً فِيهَا خَمِيصَةٌ^(٥) ذَاتُ أَعْلَامٍ - وكان الحُطَمُ يُبَاهِي فِيهَا - وَبَاعَ الْبَاقِي.

وهرب الْقَلُّ إِلَى دَارَيْنَ فَرَكَبُوا إِلَيْهَا السَّفْنَ، فجمعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، وَنَدَبَ الْعَلَاءُ النَّاسَ إِلَى دَارَيْنَ وَخَطَبَهُمْ، فقال: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ أَحْزَابَ الشَّيْطَانِ وَشَذَّاذَ^(٦) الْحَرْبِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَقَدْ أَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْبَرِّ لَتَعْبُرُوا بِهَا فِي الْبَحْرِ، فَانْهَضُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ ثُمَّ اسْتَعْرَضُوا الْبَحْرَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ جَمَعَهُمْ

(١) نَفَحَهَا فَأَطْنَّتْهَا: ضَرَبَهَا بِالسِّيفِ فَقَطَعَهَا.

(٢) أُمِضَّكَ: أَوَجَّعَكَ.

(٣) نَادَرَهُ: سَاقَطَهُ.

(٤) يَرْقَأُ الدَّمُ: يَجِفُّ وَيَنْقَطِعُ.

(٥) الْخَمِيصَةُ: ضَرْبٌ مِنَ الْأَكْسِيَةِ لَهُ عِلْمَانُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْلَمًا فَلَيْسَ بِخَمِيصَةٍ.

(٦) شَذَّاذُ الْحَرْبِ: هُمُ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ فِي الْقَوْمِ وَلَيْسُوا مِنْ قِبَائِلِهِمْ.

به، فقالوا: نفعل ولا نهاب والله بعد الدهناء هَولاً ما بقينا، فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر فاقتحموه على الخيل هم والحُمولة والإبل والبغال، الراكب والراجل، ودعا ودَعُوا، وكان دعاؤهم: يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا مُحيي الموتى، يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا. فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رَمْلَةٍ مَيْثاء^(١) فوقها ماء يَغْمُر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر، ووصل المسلمون إليها فما تركوا من المشركين بها مُخبراً، وسبوا الذراري واستاقوا الأموال، فبلغ من ذلك نَقْل الفارس من المسلمين ستة آلاف، والراجل ألفين، فلما فرغوا رجعوا عَوْدَهم على بَدْئهم، وفي ذلك يقول عفيف:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ وَأَنْزَلَ بِالْكَفَارِ إِحْدَى الْجَلَائِلِ؟!
دَعَوْنَا الَّذِي شَقَّ الْبَحَارَ فَجَاءَنَا بِأَعْجَبَ مِنْ شَقِّ الْبَحَارِ الْأَوَائِلِ
[الطويل]

وأقلل العلاء الناس إلا من أحبَّ المُقام، فاجتاز ثُمَامَةُ بن أثال الذي نَفَلَه العلاء خميصَةَ الحُطَم حتى نزل على ماء لبني قيس بن ثعلبة. فلما رأوه عرفوا الحَمِيصَةَ فبَعَثُوا إليه رجلاً فسأله: أهو الذي قتل الحُطَم؟ قال: لا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي قَتَلْتَهُ، قالوا: فَأَتَى لكَ حُلَّتُهُ^(٢)؟ قال: نَفَلْتُهَا^(٣). قالوا: وهل يُنْفَلُ إِلَّا الْقَاتِلُ؟ قال: إنها لم تكن عليه إنما كانت في رحله، قالوا: كذبت، فقتلوه.

وكان بهَجَرَ راهبٌ فأسلم، فقيِل له: ما دعاك إلى الإسلام؟ فقال: ثلاثة أشياء خشيت أن يَمَسَّخَنِي اللَّهُ بَعْدَهَا إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ: فَيُضْرَّ في الرمال، وتمهيد أثباج البحور^(٤)، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السَّحَر، قالوا: وما هو؟ قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن، وَعَلِمْتَ اللَّهُمَّ كُلَّ شَيْءٍ بغير تعليم. فعلمت أن القوم لم يُعَانُوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله جل وعز.

فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمعون هذا من ذلك الهجري بعد.

(١) رملة ميثاء: رملة سهلة ليثة.

(٢) الحُلَّة، بضم الحاء: الثوب.

(٣) نَفَلَهَا: أعطيتها.

(٤) أثباج البحور: أمواجه العاتية وظهورها.

عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى

صوت

يا خليلي من ملام دعاني وألما الغداة بالأظعان^(١)
لا تلوما في آل زينب إن الـ قلب رهن بال زينب عاني^(٢)
[الخفيف]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض خفيف رمل بالبنصر، وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحي.

وأخبرني حرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله عن أبي سلمة، قال:

حدثني قدامة بن موسى، قال: خرجت بأختي زينب بنت موسى إلى العُمرة فلما كنت يسرف لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم عليّ، فقلت: إني أراك متوجّهاً يا أبا الخطاب. قال: ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فأردت الحديث معها. قلت: أما علمت أنها أختي؟ قال: لا والله، واستحيا وثني عنق فرسه راجعاً إلى مكة. أخبرني حرمي، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهرّي، قال:

تشب ابن أبي ربيعة بزینب بنت موسى الجمحي أخت قدامة بن موسى فقال:

يا خليلي من ملام دعاني

وذكر البيتین بعدهما:

لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ما قلت مازحاً بلساني
[الخفيف]

فقال له ابن أبي عتيق: أما قلبك فمعيّب عنّا وأما لسانك فشاهد عليك.

(١) الأظعان، الواحدة ظعينة: المرأة في هودجها راحلة.

(٢) عاني: مقيد.

أخبرني الحرمي، قال: حدثني الزبير، قال: قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهرّي:

لما تشب عمرُ بنُ أبي ربيعةَ بزَيْنَبَ، قال:

لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ما قلت مازحاً بلساني
[الخفيف]

قال له ابن أبي عتيق: رضى لها بالمودة وللنساء بالدّهْفَشَة، قال: والدّهْفَشَة: التجميشُ والخديعةُ بالشيء اليسير:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: أخبرني مثل ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز، عن يوسف بن الماجشون، قال:

فبلغ ذلك أبا وداعةَ السهمي فأنكره، فقيل لابن أبي عتيق: أبو وداعة قد اعترض لعمر بن أبي ربيعة دون زينب بنت موسى الجُمَحِيَّة، وقال لا أقرُّ له أن يذكر في الشعر امرأة من بني هُصَيْص، فقال ابن أبي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعَظ^(١) من سَمَرَقَنْدَ على أهل عدن:

قال عبد الملك: وفيها يقول أيضاً عمر:

طالَ عن آل زينبَ الإعراضُ للتعدي وما بنا الإبغاضُ
ووليداً قد كان علقها القلبُ بـ إلى أن علا الرؤوسَ البياضُ
حبُّها عندنا متينٌ وحبلي عندها وهنُ القوى أنقاضُ
[الخفيف]

غناه ابنُ محرز رمل بالبنصر عن حبش، وفيها يقول أيضاً:

صوت

أيُّها الكاشح^(٢) المُعَيَّرُ بالصُّر م^(٣) تزحزح^(٤) فما بها الهجرانُ
لا مطاعُ في آل زينبَ فارجعُ أو تكلم حتى يملّ اللسانُ
فاجعل الليلَ موعداً حين يُمسي ويُعقِّي حديثنا الكتمانُ
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يضـ بر عن بعض نفسه إنسانُ؟!

(١) يُنْعَظ: يقوم وينتشر.

(٢) الكاشح: المبغض، القالي.

(٣) الصرم: القطيعة.

(٤) تزحزح: تقلقل عن مكانه.

ولقد أشهد المحدث عند الـ قَصْرَ فِيهِ تَعَفُّفٌ وَبَيَانُ
 فِي زَمَانٍ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَدُّ قَدْ مَضَى عَصْرُهُ وَهَذَا زَمَانُ
 [الخفيف]

عروضه من الخفيف غناه ابن سريج ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن
 بانه الثانية، ووافقه دنانير، وذكر يونس أن فيه لابن مُحَرَزٍ ولابن عَبَّادِ الْكَاتِبِ لَحْنَيْنِ
 وَلَمْ يُجَنِّسْهُمَا، وَأَوَّلُ لَحْنِ ابْنِ عَبَّادٍ.

«لا مطاع في آل زينب»

وأول لحن ابن محرز:

«ولقد أشهد المحدث»

قال: وفيها يقول أيضاً:

صوت

أحدث نفسي والأحاديث جمّة^(١) وَأَكْبَرُ هَمِّي وَالْأَحَادِيثُ زَيْنَبُ
 إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ذَكَرْتُهَا وَأُحْدِثُ ذَكَرَاهَا إِذِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
 [الطويل]

ذكر حماد عن أبيه أن فيه للهللي لحناً لم ينسبه.

صوت

يَا نُضِبَ عَيْنِي لَا أَرَى حَيْثُ التَّفْتُ سِوَاكَ شَيْئاً
 إِنِّي لَمَئِثٌ إِنْ صَدَدْتُ وَإِنْ وَصَلْتُ رَجَعْتُ حَيّاً
 [مجزوء الكامل]

الشعر لعلي بن أديم الجعفي الكوفي، والغناء لعمرو بن بانه رمل بالوسطى.

(١) جمّة: كثيرة.

ذكر علي بن أديم وخبره

هو رجل من تجار أهل الكوفة كان يبيع البزّ، وكان متأدّباً صالح الشعر يهوى جاريةً يقال لها منهلة، واستهام بها مدة ثم بيعت فمات أسفاً عليها، وله حديث طويل معها في كتاب مفرد مشهور صنّفه أهل الكوفة لهما، فيه ذكر قصصهما وقتاً وقتاً وما قال فيها من الأشعار، وأمرهما مُتعالماً عند العامة وليس مما يصلح الإطالة به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: قال دُعبل بن عليّ.

كان بالكوفة رجل يقال له عليّ بن أديم، وكان يهوى جارية لبعض أهلها، فتعاطم أمره وبيعت الجارية فمات جزعاً عليها، وبلغها خبره فماتت.

قال: وحدثني بعض أهل الكوفة أنه علقها^(١) وهي صبيةٌ تختلف إلى الكتاب فكان يجيء إلى ذلك المؤدّب فيجلس عنده لينظر إليها، فلما أن بلغت باعها مواليتها لبعض الهاشميين فمات جزعاً عليها.

قال: وأنشدني له أيضاً.

صوت

قالوا: الرّواخُ فَطَيَّرُوا لَبِّي
والنفسُ مشرفةٌ على نَحْبِ^(٢)
يوماً كما لاقيتُ من كَرْبِ
فقد الحبيب ولوعة الحُبِّ
[الكامل]

صاخوا الرّحيل وحنّني صَحْبِي
واشتقتُ شوقاً كاد يَقتلني
لم يلقَ عند البين^(٣) ذو كَلَفِ^(٤)
لا صبرَ لي عند الفراق على

(١) علقها: عشقها.

(٢) النحب: العويل والبكاء.

(٣) البين: البعد، الفراق.

(٤) ذو كلف: ذو عشق.

الشعر لعلي بن أديم الكوفي الجُعفي والغناء لحكم الوادي، غنى في هذه الأبيات حكم الوادي، وذكر حبش أن لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو بكر العُمري، قال: حدثني دَعبل بنُ علي، قال:

كان بالكوفة رجل من بني أسد يقال له علي بن أديم يهوى جارية لبعض بني عبس لامرأة منهم، فباعتها لرجل من بني هاشم، فخرج بها عن الكوفة. فمات علي بن أديم جَزَعاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها، وبلغها خبره فماتت، فعمل أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم.

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أبو بكر العُمري، قال: حدثنا أبو صالح الأزدي، قال: حدثنا محمد بن الحسين الكوفي، قال: حدثنا محمد بن سَماعة، قال:

آخر من مات من العشق علي بن أديم الجعفي، مرَّ بمكتب في بني عبس بالكوفة، فرأى فيه جارية تُسمى مَنهلة عليها ثياب سوادٍ، فاستهيم بها وكلفَ بها وقال، فيها:

إني لما يغتاذني من حُبِّ لابسة السَّوادِ
في فتنةٍ وبليَّةٍ ما إن يطيقهُما فؤادي
فبقيت لا دُنيا أصبُ ت وفاتني طَلَبُ المَعادِ

[مجزوء الكامل]

وسأل عنها فإذا لها مالكة عبسية، وكان ابن أديم خَزَّازاً^(١)، فتحمل أبوه بجماعة من التجار على مولاتها لتبيعهن فأبَتْ، وخرج إلى أم جعفر ورفع إليها قصته يسألها فيها المعونة على الجارية، فخرج له توقيع بما أحب، وأقام يتنجز تمام أمره فيينا هو ذات يوم على باب أم جعفر إذ خرجت امرأة من دارها فقالت: أين العاشق؟ فأشاروا إليه فقالت: أنت عاشق وبينك وبين من تُحب القناطر والجسور والمياه والأنهار مع ما لا يؤمن من حدوث الحوادث، وكيف تصبر على هذا؟ إنك لجسور صبور. فخامر قلبه هذا القول، وجزع فبادر واكترى بغلاً إلى الكوفة على الدخول، فمات يوم دخول الكوفة.

(١) الخزاز: بائع الخَز، وهو الحرير.

ذكر عمرو بن بانه

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف، وكان أبوه صاحب ديوان ووجهاً من وجوه الكتاب، ونُسب إلى أمه بانه بنت روح القحطبية، وكان مغنياً محسناً وشاعراً صالح الشعر، وصنعتة صنعة متوسطة، النادر منها ما ليس بالكثير وكان يُقْعده عن اللحاق بالمتقدم في الصنعة أنه كان مُرتَجِلاً، والمرتجل من المُحدثين لا يلحق الضُّراب، وعلى ذلك فما فيه مطعن، ولا يُقَصِّرُ جيدُ صنعتة في الأغاني أصل من الأصول، وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه، ويُخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصباً شديداً، ويواجهه بذلك وينصر إبراهيم بن المهدي عليه، وكان تيّهاً معجباً شديداً للذهاب بنفسه، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم على ما كان به من الوُضح^(١)، وفيه يقول الشاعر:

أَقُولُ لِعَمْرُو وَقَدْ مَرَّ بِي فَسَلَّمَ تَسْلِيمَةً جَافِيَةً
لئن فَضَّلوكَ بِفَضْلِ الْغِنَاءِ لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ بِالْعَافِيَةِ

[المقارب]

وقال ابنُ حَمْدُون: كان عَمْرُو حَسَنَ الحِكَايَةِ لِمَنْ أَخَذَ الْغِنَاءَ عَنْهُ، حَتَّى كَانَ مِنْ يَسْمَعِهِ لَوْ تَوَارَى عَنْ عَيْنِهِ عَمْرُو ثُمَّ غَنَى لَمْ يَشْكُ فِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ لِحَسَنِ كَفَايَتِهِ وَحِكَايَتِهِ، وَكَانَ مُحْظَوْظاً مِمَّنْ يَعْلَمُهُ، مَا عَلَّمَ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا خَرَجَ نَادِراً مُبَرَّزاً.

فَأَخْبَرَنِي جَحْظَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعُبَيْسِ بْنُ حَمْدُون، قَالَ: قَالَ لِي عَمْرُو بْنُ بَانَةَ: عَلَّمْتُ عَشْرَةَ غُلَمَانٍ، كُلُّهُمْ تَبَيَّنَتْ فِيهِمُ الثَّقَافَةُ وَالْحَذَقُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَتَقَدَّمُ، أَحَدُهُمْ أَنْتَ وَتَمَرَّةٌ. وَمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ خِلَافَ ذَلِكَ فَعَلِمْتَهُ.

وقال محمد بن الحسن الكاتب يحدثني أبو حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية قال:

سمعت عمرو بن بانه يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما: ليس مثلي يُقَاسُ

(١) الوُضح: البرص.

بمثلك، لأنك تعلمت الغناء تَكْسِباً وتعلَّمْتُهُ تَطَرُّباً.. وكنتُ أَضْرِبُ لئلا أتعلمه وكنتُ تُضْرِبُ لأن تتعلمه.

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرّون، قال:

اجتمع عمرو بن بانه والحسين بن الضحّاك في منزل ابن شعوف، وكان له خادم يقال له مُفَحِّمٌ وكان عمرو يُتهم به، فلما أخذ فيهم الشراب سأل عمرو الحسين بن الضحّاك أن يقول في مُفَحِّمٍ شعراً فيغنى فيه، فقال الحسين:

وَأَبَايَ مُفَحِّمٍ لِعِرَّتِهِ قلت له إذ خلوتُ مُكْتَتِماً
تُحِبُّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُصُكَ بِالْـ وودّ فما قال: لا ولا نَعَمَا

[المنسرح]

الشعر للحسين بن الضحّاك والغناء لعمرو بن بانه ثاني ثقيل بالنصر، قال: فغنى فيه عمرو ولم يزل هذا الشعر غناءهم وفيه طربهم إلى أن تفرقوا، وأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسالوا ابن شعوف أن لا يأذن له، فحجبه، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى منزله، فلما تفرقوا مرّ به الحسين بن الضحّاك، وهو سكران فأخبره بجميع ما دار في مجلسهم، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف:

يَا ابْنَ شَعُوفٍ أَمَا سَمِعْتَ بِمَا قد صار في الناس كُلُّهُمْ عَلمَا؟
أَتَاكَ عَمْرُو فَبَاتَ لَيْلَتَهُ في كُلِّ مَا يَشْتَهِي كَمَا زَعَمَا
حَتَّى إِذَا مَا الظَّلامُ خَالَطَهُ سَرَى دَبِيباً فُضَّاجِعَ الخَدَمَا
ثُمَّتَ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَفُوزَ بِذَا سِيراً وَلَكِنْ أَبْدَى الَّذِي كُتِمَا
حَتَّى تَغْنَى لِفَرْطِ صَبَوْتِهِ صَوْتاً شَفَى مِنْ فَوَادِهِ السَّقَمَا
وَأَبَايَ مُفَحِّمٍ لِعِرَّتِهِ قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَتِماً
تُحِبُّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُصُكَ بِالْـ وودّ فما قال: لا ولا نَعَمَا

[المنسرح]

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانه مدة وقطع عشرته.

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بهذا الخبر، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

كان لمحمد بن شعوف الهاشمي ثلاثة غلمان مغنين، منهم اثنان صقلبيان محبوبان يعرفان بخاقان وحسين، وكان خاقان أحسن الناس غناء، وكان حسين يغني غناء متوسطاً، وهو مع ذلك أضرب الناس، وكان قليل الكلام جميل الأخلاق أحسن الناس وجهاً وجسماً، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجاج، حسن الوجه رومي حسن الغناء، فتعشق عمرو بن بانه منهم المعروف بحسين وقال فيه:

وَأَبَايَ مُفَحِّمٌ لِّغِرَّتِهِ قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مُكْتَتِمًا
تَحَبُّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُصُكَ بِالْـ وَدَّ فَمَا قَالَ: لَا وَلَا نَعَمًا

[المنسرح]

ولم يذكر غير هذا.

وقال عمرو بن الحسين: حدثني أبو الحسين العاصمي، قال:

دخلت أنا وصديق لي على عمرو بن بانه في يوم صائف، فصادفناه جالساً في ظل طويل ممتع وهو مصطبح، فدعانا إلى مشاركته فيه، وجعل يُغَنِّينا يومنا كله لحنه.

صوت

نِقَابُكَ فَاتِنٌ لَا تَفْتِنِينَا وَنَشْرُكُ^(١) طَيْبٌ لَا تَحْرِمِينَا
وَحَاتَمُكَ الْيَمَانِي غَيْرُ شَكٍّ خَتَمْتُ بِهِ رِقَابَ الْعَالَمِينَا

[الوافر]

الغناء لعمرو بن بانه هزج خفيف بالبنصر.

قال: فما طربت لغناء قط طربي له ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغماً ولا أحسن مما غناه.

أخبرني جحظة، قال: حدثني أبو حشيشة، قال: كنت يوماً عند عمرو بن بانه فزاره خادم كان يحبه فأقام عنده، فطلب عمرو في الدنيا كلها مَنْ يَضْرِبُ عليه فلم يجد أحداً، فقال له جعفر الطبطال، إن أنا أغنيتك اليوم عَنْ عَوْدٍ يُضْرَبُ به عليك أي شيء لي عندك؟ قال: مائة درهم ودستيجة^(٢) نبيذ، وكان جعفر حاذقاً متقدماً نادراً طيباً بذل الهمة، فقال: أسمعني مخرج صوتك، ففعل، فسوى عليه طبله كما يسوي الوتر، واتكأ عليه بركبته ووقع عليه، ولم يزل عمرو يغني بقية يومه وجعفر يُوقِعُ على

(١) النشر: الطيب وفوحه.

(٢) دستيجة: آنية من زجاج كبيرة. فارسي معرب.

إيقاعه لا يُنكر منه شيئاً حتى انقضى يومنا، ودفع إليه مائة درهم وأحضر الدسّيجة فلم يكن له من يحملها، فحملها جعفر على عنقه وغطّاها بطيلسانه وانصرفنا. قال أبو حشيشة: فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بزيع، وكان صديق إبراهيم بن المهديّ، فحدثني أن إبراهيم بن المهدي، قال له: يا جعفر، حدّق فلانة جاريتي ضربَ الطبل، ولك مائة دينار، أعجل لك منها خمسين، قال: نعم، فعجلت له الخمسون وعلمها فلما حدقت، طالب إبراهيم بتتمة المائة فلم يُعطه، فاستعدى عليه أحمد بن داود الحسني خليفته فأعدها، ووكل إبراهيم وكيلاً، فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيل أن يكسر حجة جعفر، فقال: أصلح الله القاضي، أنا طبال وشارطني إبراهيم على مائة دينار على أن أهدق جاريتَه فلانة، وعجل لي خمسين ديناراً ومنعني الباقي بعد أن رضي حدّقها، فيُحضر القاضي الجارية وطبلها وأحضر أنا طبلي ويسمعنا القاضي، فإن كانت مثلي قضى لي عليه وإلا حدّقها فيه حتى يرضى القاضي. فقال له القاضي: قُم عليك وعليها لعنة الله وعلى من يرضى بذلك منك ومنها. فأخذ الأعوان بيده فأقاموه.

وقال علي بن محمد البسامي: حدثني جدّي ابن حمدون، قال:

كنت عند ابن بانه يوماً ففتح باب داره، فإذا بخادم أبيض شيخ قد دخل يقود بعلاً له، عليه مزادة^(١)، فلما رآه عمرو صرخ: لا إله إلا الله، ما أعجب أمرك يا دنيا: فقلت له: ما لك؟ قال: يا عبد الله، هذا الخادم رزق غلام علويه المغني الذي يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر:

يـالـيـت رزقاً كان من رزقي يـالـيـتـه حَظّي من الخلق
[الرجز]

قد صار إلى ما ترى، ثم غناني لحناً له في هذا الشعر، فما سمعت أحسن منه منذُ خلقت:

نسبة هذا اللحن

صوت

يـالـيـت رزقاً كان من رزقي يـالـيـتـه حَظّي من الخلق

(١) المزادة: ما يوضع فيه الزاد.

يا شادناً^(١) مَلَكْتُهُ رَقِي^(٢) فَلَستُ أَرْجو رَاحَةَ العِشْقِ^(٣)

[الرجز]

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمر بن بانه، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى.

وقال علي بن محمد البسامي: حدثني جدي يعني ابن حمدون، قال:

كنا عند المتوكل ومعنا عمرو بن بانه في آخر يوم من شعبان، فقال له عمرو: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، تأمر لي بمنزل، فإنه لا منزل لي يسعني، فأمر المتوكل عبيد الله بن يحيى بأن يتاع له منزلاً يختاره، قال: وهجم الصوم وشغل عبيد الله، وانقطع عمرو عنا، فلما أهل شوال دعا بنا المتوكل فكان أول صوت غناه عمرو في شعر هذا:

صوت

مَلَاكَ رَبِّي الْأَعْيَادَ تُخْلِفُهَا^(٤) فِي طُولِ عُمْرٍ يَا سَيِّدَ النَّاسِ
دُفَعْتُ عَنْ مَنْزِلٍ أَمَرْتُ بِهِ فَإِنِّي عَنْهُ مُبْعَدٌ خَاسِي^(٥)
فَمُرْ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيَّ عَلَى رَغَمِ عِدْوِي بِحَرَمَةِ الْكَاسِ
أَعُوذُ بِاللَّهِ وَالْخُلَيْفَةِ أَنْ يَرْجِعَ مَا قُلْتُهِ عَلَى رَأْسِي [المنسرح]

لحن عمرو في هذا الموضع هزج بالنصر فدعا المتوكل بعبيد الله بن يحيى، فقال له: لِمَ دَفَعْتَ عَمراً بابتياح المنزل الذي كنتُ أمرتُك بابتياحه؟ فاعتَلَّ بدخول الصوم وتشعب الأشغال، فتقدم إليه أن لا يؤخر ابتياح منزل له، فابتاع له الدار التي من دور سُرٍّ مَنْ رَأَى بِحَضْرَةِ دَارِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ، وفيها تُوفِّي عمرو.

أخبرني محمد بن إبراهيم قريص، قال سمعت أحمد بن أبي العلاء يحدث أستاذه يعني محمد بن داود بن الجراح، قال: جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم، وأخرج بدرة دراهم سبقاً لمن تقدم منهم وأحسن، فحضره مخارق

(١) الشادن: ولد الظبية، وقد استغنى عن أمه ونبت له قرنان.

(٢) الرق: العبودية، الأسر.

(٣) العتق: الحرية بعد الأسر.

(٤) تُخْلِفُهَا: تُمَضِّيها.

(٥) الخاسي، بتخفيف الهمزة من الخاسي: المطرود.

وَعَلَوِيهِ وَعَمْرُو بْنُ بَانَةَ وَمَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بَسْخُنَّرَ، فَغَنَى عَلَوِيهِ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئاً، وَتَبِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَانَتْ هَذِهِ سَبِيلَهُ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْيُنُ إِلَى مَخَارِقِ وَعَمْرُو. فَبَدَأَ مَخَارِقَ فَغَنَى:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِهِمْ عَمِّي وَخَالِي مِنْ جُذَامٍ
[مجزوء الكامل]

فَمَا نُهِنَهُ^(١) عَمْرُو مَعَ انْقِطَاعِ نَفْسِهِ حَتَّى غَنَى:

يَا رُبَّعَ سَلَامَةٍ بِالْمُنْحَنِ بِخَيْفِ سَلْعٍ^(٢) جَادِكَ الْوَابِلُ^(٣)
[السريع]

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فبكى طرباً، وقال: أحسنت والله واستحققت، فإن أُعْطِيَتْهُ وَإِلَّا فَخَذَهُ مِنْ مَالِي، يَا حَبِيبِي عَنِي أَخَذْتَ هَذَا الصَّوْتِ، وَقَدْ وَاللَّهِ زِدْتَ عَلَيَّ فِيهِ وَأَحْسَنْتَ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَلَا يَزَالُ صَوْتِي عَلَيْكَ أَبَدًا. فقال له عبد الله: مَنْ حَكَمْتَ لَهُ بِالسَّبْقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ. وأمر له بالبُدْرَةِ فحُمِلَتْ إِلَى عَمْرُو.

ثم حَدَّثْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَقِيَ عَمْرُو بْنَ رَاشِدِ الْخَنَاقِ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ الْمَجْلِسِ الَّذِي جَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ فِيهِ الْمَغْنِينَ يَمْتَحِنُهُمْ، وَلَوْ شَاءَ لَكَانَ فِي رَاحَةٍ مِنْ ذَلِكَ، قُلْتَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: أَمَّا مَخَارِقُ فَأَحْسَنُ الْقَوْمِ غَنَاءً إِذَا اتَّفَقَ لَهُ أَنْ يُحْسِنَ وَقَلَّمَا يَتَّفَقُ لَهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ فَأَحْسَنُهُمْ شِمَائِلَ وَأَمْلَحُهُمْ إِشَارَةً بِأَطْرَافِهِ وَوُجْهَهُ فِي الْغَنَاءِ، وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ بَانَةَ فَأَعْلَمُ الْقَوْمِ وَأَرْقَاهُمْ، وَأَمَّا عَلَوِيَةُ فَمَنْ أَدْخَلَهُ ابْنُ الزَّانِيَةِ مَعَ هَؤُلَاءِ.

نسبة هذين الصوتين

صوت

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِهِمْ عَمِّي وَخَالِي مِنْ جُذَامٍ
خَوْدُ^(٤) كَضْوِءِ الْبَدْرِ أَوْ أَضْوَى لَدَى لَيْلِ التَّمَامِ
فَجَرَى وَشَاحَاهَا عَلَى نَحْرِ نَقِيٍّ كَالرُّخَامِ
[مجزوء الكامل]

والغناء لابن جامع رمل مطلق فيم جرى البنصر عن إسحاق.

(٢) خيف سلع: موضع.

(١) نهنه: كف ومنع وتوقف.

(٣) الوابل: الجارية التي لم تمس، والحبيبة التي تلازم الصمت.

(٤) الخود: المطر المنهمر.

أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة

صوت

يا خليلي من بني شيبان أنا لا شك مئت فابكياني
إن رُوحِي لم يبقَ منها سوى شِيءٍ يسيرٍ مُعلّقٍ بلساني
[الخفيف]

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم، وهذا الشعر يُخاطب به أبو العتاهية عبد الله وزائدة ابني معن بن زائدة الشيباني، وكان صديقاً وخاصاً بهما، ثم إن يزيد بن معن غضب لمولاة لهم يقال لها سُعدى وكان أبو العتاهية يُشَبَّبُ بها فضربه مائة سوط، فهجاه وهجا إخوته ثم أصلح بينهم مندّل بن عليّ العززي، وهو مولى أبي العتاهية، فعاد إلى ما كان عليه لهم.

فأخبرني وكيع، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه، قال:

قول أبي العتاهية:

يا خليلي من بني شيبان

يُخاطب به عبد الله ويزيد ابني معن بن زائدة، أو قال: عبد الله وزائدة.

أخبرني ابن عمار، قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد، وأخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية، قال:

كان أبو العتاهية في حدائته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حُسنٌ وجمال ودُمائة^(١)، وكان ممن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل، وكانت مولاة لهم يقال لها سُعدى، وكان أبو العتاهية مغرمًا بالنساء، فقال فيها:

(١) الدُمائة: لين الخلق ورقته.

أَلَا يَا ذَوَاتِ السَّحْقِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ
أَفَقَنْ فَإِنَّ الْخُبْزَ بِالْأُذْمِ يُشْتَهَى
أَرَاكُنَّ تَرْقَعْنَ الْخُرُوقَ بِمِثْلِهَا
وَهَلْ يَصْلُحُ الْمِهْرَاسُ إِلَّا بِعُودِهِ

قال: وقال فيها أيضاً:

قَلْتُ لِلْقَلْبِ إِذْ طَوَى وَصَلَ سَعْدَى
أَنْتَ مِثْلُ الَّذِي يَفِرُّ مِنَ الْقَطْطِ

لهواء البعيدة الأنساب
رِحْدَارُ النَّدَى إِلَى الْمِيزَابِ

[الخفيف]

قال محمد بن موسى في خبره: فغضب عبد الله بن معن لسعدى فضرب أبا العتاهية مائة فقال:

جَلَدْتُنِي بِكَفِّهَا بَنْتُ مَعْنَ بْنِ زَائِدَهُ
جَلَدْتُنِي بِكَفِّهَا بِأَبِي أَنْتَ جَالِدَهُ
جَلَدْتُنِي وَبَالِغَتْ مَائَةٌ غَيْرَ وَاحِدَهُ
إِجْلِدِي إِجْلِدِي أَجْلِدِي إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَهُ

[مجزوء الخفيف]

أخبرني وكيع، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: إحتال عبد الله بن معن فضرب أبا العتاهية ضرباً غير مُبرَّحٍ إشفافاً ممن يغتي به فقال:

إِجْلِدِي إِجْلِدِي أَجْلِدِي إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَهُ

[مجزوء الخفيف]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا الغلابي، قال: حدثني مهدي، قال: تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه، ونهاه أن يعرض لمولاته سعدى، فقال أبو العتاهية قوله:

أَلَا قُلْ لَابْنِ مَعْنٍ وَالَّذِي فِي الْوُدِّ قَدْ حَالَا
لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَا
وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأُسْدِ
فَصُغِّ مَا كُنْتُ حَلَّيْتُ
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ

فَمَا بِالْيَتِّ مَا قَالَا
لَمَّا رَاعَ وَلَا هَالَا
بِهِ سَيْفُكَ خُلِّخَالَا
إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا

وَلَوْ مَدَّ إِلَى أَذْنِيْهِ — هِ كَفَّيْهِ لَمَانَا لَا
 قَصِيرُ الطُّوْلِ^(١) وَالطُّوْلُ فَلَاشَبَّ وَلَا طَالَا
 أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالَا وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالَا

[الهزج]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحسن بن علي الرازي قال: حدثني أحمد بن أبي فنن، قال: كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي، وهو:

إِذَا كَلَّمْتُهُ ذَاتُ دَلٍّ^(٢) لِحَاجَةٍ فَهَمَّ بَأَن يَقْضِي تَنْحَنَحَ أَوْ سَعَلَ

[الطويل]

وَأَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَمِيرٍ، قَالَ: تَرَكْنِي وَاللَّهِ وَإِن السَّعْلَةَ لَتَعْرِضَ لِي فِي الْخَلَاءِ فَأَذْكَرُ قَوْلَهُ فَأَتْرَكُهَا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ يَقُولُ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَّيْتُ بِهِ سَيْفُكَ خَلْخَالَا
 وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا

[الهزج]

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَا لَبَسْتُ السَّيْفَ قَطُّ فَلَمَحَنِي إِنْسَانٌ إِلَّا قُلْتُ: إِنَّهُ يَحْفَظُ شَعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِسَبَبِهِ. فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: اعْجَبُوا لِعَبْدٍ يَهْجُو مَوْلَاهُ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْ مَوَالِي بَنِي شَيْبَانَ.

وقال محمد بن موسى في خبره: وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن:

لَا تُكْثِرَا يَا صَاحِبَي رَحْلِي فِي شَتْمٍ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ عَذَلِي^(٣)
 سَبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
 قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَا نَفْسَهُ عَلَى مَنْ الْجَلْوَةُ^(٤) يَا أَهْلِي
 أَنَا فَتَاةُ الْحَيِّ مِنْ وَائِلٍ فِي الشَّرَفِ الْبَاذِخِ وَالنُّبْلِ
 مَا فِي بَنِي شَيْبَانَ أَهْلُ الْحَجَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي

(١) الطُّوْلُ، بفتح الطاء وسكون الواو: القدرة والإفضال.

(٢) الدَّلُّ: الغنج.

(٣) عذلي: لومي.

(٤) الجلوة: ما تتزين به العروس ليلة زفافها من حلَى وتطيّب.

يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ دَلَالَةً
وَالْهَفَّتَا الْيَوْمَ عَلَى أُمْرِدٍ
أَتَيْتَهُ يَوْمًا فَصَافَحْتُهُ
تُكْنَى أبا الفضلِ فَيَا مَنْ رَأَى
قَدْ نَقَطْتُ فِي خَدَّهَا نَقْطَةً
إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالَ حُجَّابُهَا
مَوْلَانَا خَالِيَّةٌ، عِنْدَهَا
قَوْلًا لِعَبْدِ اللَّهِ لَا تَجْهَلُنْ
أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ
تَبْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى
مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا
تَدُلُّنِي الْيَوْمَ عَلَى فَحْلٍ
يُلْصِقُ مِنِّي الْقُرْطَ بِالْحَجَلِ
فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
جَارِيَةً تُكْنَى أبا الفضلِ
مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
نَحْنُ عَنِ الزُّوَارِ فِي شُغْلٍ
بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ
وَأَنْتَ رَأْسُ الثُّوكِ^(١) وَالْجَهْلِ
تُجْلِدُ فِي الدُّبُرِ وَفِي الْقُبُلِ
هَذَا لِعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَذْلِ
مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبُخْلِ
[السريع]

وقال في ضربه إياه :

ضَرَبْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ
وَلَعَمْرِي لَوْلَا أَذَى كَفِّهَا إِذْ
أَوْجَعْتَ كَفِّهَا وَمَا أَوْجَعْتَنِي
ضَرَبْتَنِي بِالسَّوْطِ مَا تَرَكَتَنِي
[الخفيف]

أخبرني ابن عمار، قال: حدثني محمد بن موسى، وأخبرني محمد بن يحيى،
قال: حدثني عون بن محمد، قال:

لَمَّا اتَّصَلَ هَجَاءُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ
مَعْنٍ، فَهَجَاهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِمُهُ يَزِيدُ
فَمَعْنٌ كَانَ لِلْحَسَادِ غَمًّا
يَزِيدُ يَزِيدُ فِي مَنَعٍ وَبُخْلِ
كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
وَهَذَا قَدْ يُسَرِّبُهُ الْحَسُودُ
وَيَنْقُصُ فِي النَّوَالِ وَلَا يَزِيدُ
[الوافر]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني جبلة بن محمد، قال: حدثني أبي، قال:
هَجَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ بَنِي مَعْنٍ، فَمَضَوْا إِلَى مَنَدَلٍ وَحَيَّانَ ابْنِي عَلِيِّ الْعَنْزِيِّينَ الْفَقِيهَيْنِ، وَكَانَا

(١) الثُّوكُ: الحمقى والجهلة.

من سادات أهل الكوفة، وهما من بني عمرو بن عامر بطن من تَقْدُم من عَنزة، فقالوا لهما: نحن واحد وأهل بيت ولا فرق بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه. فأحضرا أبا العتاهية ولم يكن يُمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن، وضمننا عنه خُلوص النية، وعنهما أن لا يتبعاه بسوء، وكانا ممن لا يُمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء، وجعل الناس يَعْدُلُون^(١) أبا العتاهية على ما فرط منه، ولامه آخرون على صلحه لهما، فقال:

ما لِعُدَّالِي وَمَالِي	أَمْرُونِي بِالضَّلَالِ
عَذَلُونِي فِي اغْتِفَارِي	لَا بِنَ مَعْنٍ وَاحْتِمَالِي
أَنَا مِنْهُ كُنْتُ أَكْبَى	رُئْدَةٌ فِي كُلِّ حَالِ
كُلُّ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ	فَلِثُبْحٍ مِنْ فِعَالِي
إِنَّمَا كَانَتْ يَمِينِي	ضَرَبْتُ جَهْلًا شِمَالِي
مَالُهُ بَلْ نَفْسُهُ لِي	وَلَهُ نَفْسِي وَمَالِي
قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْ	نَ رَجُوعِي وَانْتِقَالِي
قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرًا	جَارِيًا بَيْنَ الرَّجَالِ
رُبَّ وَصَلٍ بَعْدَ صَدٍّ وَقَلَى بَعْدَ وَصَالِ	

[مجزوء الرمل]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعن أخويه عليه فمات فرثاه فقال:

حَزَنْتُ لِمَوْتِ زَائِدَةَ بِنِ مَعْنٍ	حَقِيقٌ أَنْ يَطْوَلَ عَلَيْهِ حُزْنِي
فَتَى الْفَتَيَانِ زَائِدَةُ الْمُصَفَّى	أَبُو الْعَبَّاسِ كَانَ أَخِي وَخِذْنِي ^(٢)
فَتَى قَوْمِي وَأَيُّ فَتَى تَوَارَتْ	بِهِ الْأَكْفَانُ تَحْتَ ثَرَى وَلِبْنِ ^(٣)
أَلَا يَا قَبْرَ زَائِدَةَ بِنِ مَعْنٍ	دَعَوْتُكَ كَيْ تُجِيبَ فَلَمْ تُجِبْنِي
سَلِّ الْإَيَّامَ عَنِّي إِنَّ قَوْمِي	أُصِيبَتْ بِهِنَّ رُكْنًا بَعْدَ رُكْنٍ

[الوافر]

(٢) الخِذْن، بكسر الخاء: الصديق.

(١) يَعْدُلُون: يلومون.

(٣) اللَّيْن، بكسر اللام وسكون الباء: الطين للبناء.

كثير وقطام

صوت

فما روضةً بالحزن طيبةً الشرى يَمْجُ الندى جثجاثها وعراؤها^(١)
 بأطيب من أردان^(٢) عزةً موهناً^(٣) وقد أوقدت بالمندل^(٤) الرطب نازها
 فإن خفيت كانت لعينيك قرّة وإن تبدّ يوماً لم يعمك عارها
 من الخفرات البيض لم تر شقوة وفي الحسب المكنون^(٥) صافٍ نجارها^(٦)
 [الطويل]

الشعر لكثير، والغناء لمعبد في الأول والثاني، ولحنه من الثقل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانه أنه لابن سريج، وللغريض في الرابع والثالث ثقل أول بالبنصر عن عمرو وحبش، وذكر الهشامي أن في الأول والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى، وذكر عمرو وحبش أن فيه رملاً لابن جامع بالبنصر، وفي الأبيات خفيفٌ ثقل يقال: إنه لمعبد، ويقال: إنه للغريض وأحسبه للغريض.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة - هكذا موقوفاً لم يتجاوز وأخبرني -:

أن كثير بن عبد الرحمن كان غالباً في التشيع، وأخبر عن قطام صاحبة ابن ملجم في قدمة قدمها الكوفة، فأراد الدخول عليها ليؤبّخها، فقليل له: لا ترزها^(٧) فإن لها جواباً، فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرّعه، فقالت: من هذا؟ فقال: كثير بن عبد الرحمن الشاعر، فقالت لبنات عم لها: تنحّين حتى يدخل الرجل، فولجّن البيت

(١) العرار والجثجاث: من النباتات الطيبة الرائحة.

(٢) الأردن، الواحد ردن: أصل الكم الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم.

(٣) موهناً: ليلاً.

(٤) المندل: العود الطيب الرائحة.

(٥) الحسب المكنون: الأصل النبيل الطاهر.

(٦) النجار، بكسر النون: الأصل.

(٧) لا ترزها: لا تختبرها، لا تمتحنها.

وَأَذْنَتْ لَهُ، فَدَخَلَ وَتَنَحَّتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَرَّاهَا وَقَدْ وَلَّتْ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ قَطَامٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: صَاحِبَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَتْ: صَاحِبَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ، قَالَ: أَلَيْسَ فِيكَ قَتْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالَتْ: بَلْ مَاتَ بِأَجَلِهِ، قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ فَلَمَّا رَأَيْتُكَ نَبَتْ عَيْنِي عَنْكَ فَمَا احْلَوْلَيْتُ فِي خَلْدِي، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَقَصِيرُ الْقَامَةِ، عَظِيمُ الْهَامَةِ، قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَإِنَّكَ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ. فَقَالَ:

رَأَتْ رَجُلًا أَوْدَى السَّفَارُ بِوَجْهِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْظَرٌ وَجَنَاجِنُ^(١)
فَإِنْ أَكُ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنِّي إِذَا وَزَنَ الْأَقْوَامُ بِالْقَوْمِ وَازِنُ
وَإِنِّي لِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي مِنْ أَمَانَةٍ إِذَا ضَاعَتِ الْأَسْرَارُ لِلْسَّرِّ دَافِنُ
[الطويل]

فَقَالَتْ: أَنْتِ - لِلَّهِ أَبُوكَ - كَثِيرُ عَزَّةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَّرَ بِكَ فَصَرْتَ لَا تُعْرِفُ إِلَّا بِامْرَأَةٍ، فَقَالَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَارَ بِهَا شِعْرِي وَطَارَ بِهَا ذِكْرِي، وَقَرُبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ مَجْلِسِي وَأَنَا لَكَمَا قُلْتُ:

فَإِنْ خَفَيْتُ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةً وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يَعْمَمَكَ عَارُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ^(٢) طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمْجُجُ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا
بِأَطْيَبِ مَنْ أَرْدَادَانَ عَزَّةً مَوْهِنًا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالْمَنْدَلِ اللَّدْنَ نَارُهَا
[الطويل]

فَقَالَتْ: بِاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَاعِرًا قَطُّ أَنْقَضَ عَقْلًا مِنْكَ وَلَا أَضْعَفَ وَضْفًا، أَيْنَ أَنْتِ مِنْ سَيْدِكَ امْرِئِ الْقَيْسِ، حَيْثُ يَقُولُ:

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيِّبْ
[الطويل]

فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَلْحَقْ أَبْلَجُ^(٣) لَا يُخِيلُ^(٤) سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ دَوُو الْأَلْبَابِ^(٥)
[الكامل]

(١) الجناجن: عظام الصدر، ورؤوس الأضلاع.

(٢) الحزن: سكون الزاي: ما غلظ من الأرض وقلما ما يكون إلا مرتفعاً.

(٣) الحق أبلج: واضح، ساطع.

(٤) يُخِيل: يشبه.

(٥) الأبواب، الواحد لب: العقول.

صوت

هاك فاشربها خليلي
 قهوة^(١) في ظل كرم
 في لسان المرء منها
 قل لمن يلحاك^(٢) فيها
 أنت دغها وارج أخرى
 تعطش اليوم وتسقى
 في مدى الليل الطويل
 سبيت من نهر بيل^(٣)
 مثل طعم الزنجبيل
 من فقيه أو نبيل
 من رحيق السلسبيل^(٤)
 في غد نعت الطلول
 [مجزوء الرمل]

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، والغناء لإبراهيم الموصلي
 هزج بالبنصر عن حبش، ولإبراهيم بن المهدي في الخامس والسادس والأول خفيف
 رمل بالوسطى عن الهشامي، ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر وقيل لعبد الرحيم.

(١) القهوة: من أسماء الخمرة.

(٢) نهر بيل: فرع يتصل بنهر بوق في سواد بغداد.

(٣) يلحاك: يلومك.

(٤) السلسبيل: من أسماء الخمرة.

ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

آدمُ بنُ عبد العزيز بنِ عمرَ بنِ عبد العزيز بنِ مروانَ بنِ الحكم بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبد شمس بنِ عبد مناف، وأمه أمُ عاصم بنتُ سُفيانَ بنِ عبد العزيز بنِ مروانَ بنِ الحكم أيضاً، وهو أحدُ مَنْ مَنَّ عليه أبو العباس السَّفَّاح من بني أميةَ لما قَتَلَ من وَجد منهم، وكان آدم أولُ أمره خَلِيعاً ماجناً منهوكاً في الشراب، ثم نَسَكَ بعدَ ما عُمِّرَ وماتَ على طريقة محمودة.

وأخبرني الحسن بن علي، عن أحمدَ بنِ سعيد الدمشقيّ، عن الزبير بن بكار عن عمه .

أن المهديّ أنشد هذه الأبيات وغُنِّيَ فيها بحضرته :

أَنْتِ دَغْهَهَا وَارِجَ أُخْرَى مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَبِيلِ
[مجزوء الرمل]

فسأل عن قائلها ف قيل : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . فدعا به فقال له : ويلك تزندقْت، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق؟، والمحنة^(١) في هذا إليك، ولكنه طرب غلبي، وشعر طَفَحَ على قلبي في حال الحداثة فنطقْتُ به، فخلَّى سبيله . قال : وكان المهديُّ يُحبه ويكرمه لظرفِهِ وطيب نفسه .

ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ، قال :

كان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويُفرط في المجون، وكان شاعراً : فأخذه المهديُّ فضربه ثلاثمائة سوطٍ على أَنْ يُقَرَّ بالزندقة فقال : والله ما أشركت بالله طرفة عينٍ ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ قال : فأين قولك :

إِسْقِنِي واسِقْ غُصَيْنَا لَا تَبِعْ بِالنَّقْدِ دَيْنَا
إِسْقِنِيهَا مُرَّةَ الطَّلْعِ مِ تَرِيكَ الشَّيْنِ زَيْنَا

[مجزوء الرمل]

في هذين البيتين لعمر بن بانه ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم هزج بالنصر.
قال: فقال: لئن كنتُ قُلْتُ ذاك فما هو مما يشهد على قائله بالزندقة، قال:
فأين قولك:

إسقني واسق خليلي	في مَدَى الليل الطويل
قهوة ^(١) صهباء ^(٢) صِرْفاً ^(٣)	سُبَيْتٌ من نهر بيل
لونُها أَصْفَرُ صافٍ	وهي كالمسك الفَتِيلِ
في لسان المرء منها	مثل طعم الزنجبيل
ريحها يَنْفُخُ منها	ساطعاً من رأس ميل
من يَنْلُ منها ثلاثاً	يَنْسَ مِنْهاجَ السبيلِ
فمتى ما نال خُمساً	تركته كالقتيل
ليس يدري حين ذاكُم	ما دَبِيرٌ من قَبيلِ ^(٤)
إنَّ سمعي عن كلام اللأئمي فيها التَّخِيلِ	
لشديد الوَقْرِ إني	غيرُ مطَّوَّعٍ ذَلِيلِ
قل لمن يَلْحَاكُ ^(٥) فيها	من فقيهٍ أو نَبِيلِ
أنت دعها وارْجُ أخرى	من رَحِيقِ السلسبيلِ
تَعْطَشُ اليوم وتُسْقَى	في غَدٍ نَعْتَ الطُّلُولِ

[مجزوء الرمل]

فقال: كنت فتى من فتیان قريش أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل
المجون، والله ما كفرت بالله قط ولا شككت فيه، فخلّى سبيله ورق له.

قال: مصعب: وهو الذي يقول:

صوت

إسقني يا مُعَاوِيَةَ سَبْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ

(١) القهوة: من أسماء الخمرة.

(٢) صهباء: لونها أصهب.

(٣) صِرْفاً: خالصاً.

(٤) معنى ذلك البيت: أي أن المرء لا يعرف من يدبر عنه ممن يقبل عليه.

(٥) يلحاك: يلومك.

إِسْقِنِيهَا وَغَنِّنِي قَبْلَ أَخَذِ الزَّبَانِيَةَ^(١)
 إِسْقِنِيهَا مُدَامَةً^(٢) مُرَّةَ الطَّعْمِ صَافِيَةً
 ثُمَّ مَنْ لَامَنَا عَلَيَّ هَذَا فَذَا ابْنُ زَانِيَةٍ

[مجزوء الخفيف]

فيه خفيف رمل بالنصر ينسب إلى أحمد بن المكي وإلى حكم الوادي .
 قال : وآدم الذي يقول :

أَقُولُ وَرَاعَنِي إِيوَانُ كَسْرَى بِرَأْسِ مَعَانَ أَوْ أَدْرُوسَفَانَ^(٣)
 وَأَبْصَرْتُ الْبَغَالَ مُرَبَّطَاتٍ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَزْمَنَةِ حَسَانٍ
 يَعِزُّ عَلَى أَبِي سَاسَانَ كَسْرَى بِمَوْقِفِكُنَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ
 شَرِبْتُ عَلَى تَذْكَرِ عَيْشِ كَسْرَى شَرَاباً لَوْنُهُ كَالزَّعْفَرَانِ
 وَرُحْتُ كَأَنَّنِي كَسْرَى إِذَا مَا عَلَاهُ التَّاجُ يَوْمَ الْمُهْرَجَانِ
 [الوافر]

قال : وهو الذي يقول :

أَحْبُبُّكَ حَبَّيْنِ، لِي وَاحِدٍ وَآخِرُ أَتَّكَ أَهْلُ لِذَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الطَّبَاعِ فَشَيْءٌ خُصِصَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْجَمَالِ فَلَسْتُ أَرَى ذَاكَ حَتَّى أَرَكَ
 وَلَسْتُ أُمْنُ بِهَذَا عَلَيْكَ لَكَ الْمَنْ فِي ذَا وَهَذَا وَذَاكَ
 [المقارب]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال : حدثنا الزبير بن بكار، قال : حدثني عمي
 عن فليح بن سليمان، قال :

مررنا يوماً مع خالصة في موكبها، فوقفت على آدم بن عبد العزيز، فقالت : يا
 أخي طلبت منك حاجة فرفعناها لك إلى السيدة وأمرت بها، وهي في الديوان، فساء
 ظنك بها فقعدت عن تنجزها . قال : فمؤة لها عذراً اعتذر به، فوقف عن الموكب
 حتى مضت ثم قلت له : أحملت؟ والله ما أحسب أنه حبسك عنها إلا الشراب، أنت
 ترى الناس يركضون خلفها وهي ترف^(٤) عليك لحاجتك، فقال : والله هو ذاك، إذا

(١) الزبانية : خزنة النار .

(٢) المدامة : من أسماء الخمرة .

(٣) أدروسفان : موضع .

(٤) ترف عليك : تحيطك بعطفها وحنانها .

أَصْبَحَتْ فَكُلَّ كِسْرَةً وَلَوْ بِمُلْحٍ، وافتح ذَنُكَ^(١) فَإِنْ كَانَ حَامِضاً دَبِغَ مَعْدَتَكَ، وَإِنْ كَانَ حَلِوًا خَرَطَكَ^(٢) وَإِنْ كَانَ مُدْرِكًا فَهُوَ الَّذِي أَرَدْتُ. قلت: لَا بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَمَضَيْتَ، ثُمَّ أَقْلَعَ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَابَ، فَاسْتَأْذَنَ يَوْمًا عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ الرَّبِيعِ، وَأَنَا عِنْدَهُ فَقَالَ يَعْقُوبُ: اارْفَعُوا الشَّرَابَ فَإِنَّ هَذَا قَدْ تَابَ وَأَحْسَبُهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرَاهُ، فَرَفَعَ وَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَيِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]، قَالَ يَعْقُوبُ هُوَ الَّذِي وَجَدْتُ وَلَكِنَّا ظَنَنَّا أَنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ لِتَرْكِكَ الشَّرَابِ، قَالَ: إِي وَاللَّهِ إِنَّهُ لِيَثْقُلُ عَلَيَّ ذَاكَ، قَالَ: فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا مِنْذُ تَرَكْتَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ:

أَلَا هَلْ فَتَى عَنْ شَرْبِهَا الْيَوْمَ صَابِرٌ لِيَجْزِيَهُ يَوْمًا بِذَلِكَ قَادِرٌ
شَرِبْتُ فَلَمَّا قِيلَ لَيْسَ بِنَازِعٍ نَزَعْتُ وَثُوبِي مِنْ أَدَى اللَّوْمِ طَاهِرٌ
[الطويل]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ بْنِ الْهَيْثَمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هِفَّانَ، عَنْ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ مَعَ الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ يُقَالُ لَهُ سَلِيمَانُ بْنُ الْمُخْتَارِ، وَكَانَتْ لَهُ لِحْيَةٌ عَظِيمَةٌ، فَذَهَبَ يَوْمًا لِيَرْكَبَ فَوَقَعَتْ لِحْيَتُهُ تَحْتَ قَدَمِهِ فِي الرِّكَابِ، فَذَهَبَ عَامَتُهَا، فَقَالَ آدَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَوْلُهُ:

قَدْ اسْتَوْجِبَ فِي الْحَكْمِ سَلِيمَانُ بْنُ مُخْتَارِ
بِمَا طَوَّلَ مِنَ لِحْيَةٍ تِهِ جَزَاءً بِمِنْشَارِ
أَوِ السَّيْفِ أَوِ الْحُلُقِ أَوِ التَّخْرِيقِ بِالنَّارِ
فَقَدْ صَارَ بِهَا أَشْهَرَ مِنْ رَايَةٍ بَيُّطَارِ

[الهمز]

قَالَ: ثُمَّ أَنْشَدَهَا عَمْرُ بْنُ بَزِيعٍ الْمَهْدِيُّ فَضَحَكَ، وَسَارَتْ الْأَبْيَاتُ، فَقَالَ أَسِيدُ بْنُ أَسِيدٍ، وَكَانَ وَافِرَ اللَّحْيَةِ: يَنْبَغِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُفَّ هَذَا الْمَاجِنَ عَنِ النَّاسِ، فَلَبِغْتَ آدَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ:

لِحْيَةٍ تَمَّتْ وَطَالَتْ لِأَسِيدِ بْنِ أَسِيدِ
كَشْرَاعٍ مِنْ عَبَاءٍ^(٣) قَطَعْتُ حَبْلَ الْوَرِيدِ
يَعْجَبُ النَّاضِرُ مِنْهَا مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدِ

(١) الدَّن: وعاء الخمر.

(٢) خرطك: جعلك تسهل.

(٣) العباء: ضرب من أردية صوفية.

هِيَ إِنْ زَادَتْ قَلِيلًا قَطَعْتُ حَبْلَ الْوَرِيدِ

[مجزوء الرمل]

وقال: وكان المهديُّ يُرَبِّي آدَمَ وَيُحِبُّهُ وَيُقَرِّبُهُ:

وهو الذي قال لعبد الله بن علي لما أمر بقتله في بني أمية بنهر أبي فطرس^(١)
 إن أبي لم يكن كآبائهم، وقد علمت مذهبه فيكم، فقال: صدقت، وأطلقه.
 وكان طيب النفس مُتَّصِفًا ومات على توبةٍ ومذهبٍ جميل.

(١) نهر أبي فطرس: موضع قرب الرملة من أرض فلسطين. حيث جرت معركة انتصر فيها العباسيون بقيادة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس على بني أمية، فأعمل فيهم تقتيلاً سنة ١٣٢هـ.

الحسين ويزيد بن معاوية

صوت

أَلَا يَا صَاحِ لَعَجَبٍ دَعُوْتُكَ ثُمَّ لَمْ تُجِبْ
إِلَى الْقَيْنَاتِ وَاللَّدَا تِ وَالصَّهْبَاءِ^(١) وَالطَّرَبِ
وَمِنْهُنَّ الَّتِي تَبَلَّتْ فَوَإِذَاكَ ثُمَّ لَمْ تَتُبْ

[مجزوء الوافر]

الشعر ليزيد بن معاوية يقوله للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام،
والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى عن حبش.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال:
حدثني المدائني، قال:

قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه، فقال له ليلة ألا أوليك خراسان؟ قال: بلى
وسجستان، فعقد له في ليلته، فقال:

إِسْقِنِي شَرْبَةً فَرَوْ عَظَامِي ثُمَّ عُدْ وَاسْقِ مِثْلَهَا ابْنَ زِيَادٍ
مَوْضِعَ السَّرِّ وَالْأَمَانَةِ مَنِّي وَعَلَى ثَغْرِ مَغْنَمِي وَجْهَادِي

[الخفيف]

قال: ولما حج في خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب فاستأذن عليه
عبد الله بن العباس والحسين بن علي، فأمر بشربه فرفع، وقيل له: إن ابن عباس إن
وجد ريح شرابك عرفه، فحجبه وأذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع
الطيب، فقال: لله در طيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسب أحداً يتقدمنا في صنعة
الطيب فما هذا يا ابن معاوية؟ فقال يا أبا عبد الله هذا طيب يُصنع لنا بالشام ثم دعا
بقدح فشربه ثم دعا بقدح آخر فقال: اسقِ أبا عبد الله يا غلام، فقال الحسين: عليك
شربك أيها المرء لا عين عليك مني، فشرب، وقال:

(١) الصهباء: من أسماء الخمرة التي لونها الصهوبة.

أَلَا يَا صَاحِ لِّلْعَجَبِ دَعَوْتُكَ ثُمَّ لَمْ تُجِبِ
إِلَى الْقَيْنَاتِ وَاللَّدَا ت وَالصَّهْبَاءِ وَالطَّرَبِ
وَبَاطِيَةِ^(١) مُكَلَّلَةٍ عَلَيْهَا سَادَةُ الْعَرَبِ
وَفِيهِنَّ الَّتِي تَبَلَّتْ^(٢) فَوَادَكَ ثُمَّ لَمْ تَتُبِ

[مجزوء الوافر]

فوثب الحسين عليه السلام وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية:

(١) الباطية: الإناء من الزجاج يملأ من الشراب.

(٢) تبلت: أسقمت، أودت بعقل المرء.

الأحوص ومطر

صوت

أَنَّ نَادَى هَدِيلاً يَوْمَ فَلَجَ
ظَلَلْتُ كَأَنَّ دَمْعَكَ دُرٌّ سَلَكُ
تَمُوتُ تَشْوُقاً طَوَّراً وَتَحْيَا
كَأَنَّكَ مَنْ تَذَكَّرِ أُمَّ عَمْرٍو
سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرَ عَلَيْهَا
فَإِنْ يَكُنِ النِّكَاحُ أَحَلَّ أَنْثَى
وَلَا غَفَرَ إِلَّاهُ لِمُنْكَحِهَا
فَطَلَّقَهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكَفٍ
مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي فَنَنِ حَمَامٍ
وَهَى^(١) خَيْطاً وَأَسْلَمَهُ النِّظَامُ
وَأَنْتَ جَدِيرٌ أَنَّكَ مُسْتَهَامُ
وَحَبْلٌ وَصَالِهَا خَلَقَ رِمَامُ^(٢)
وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ
فَإِنَّ نِكَاحَهَا مَطَرٌ حَرَامُ
ذُنُوبُهُمْ وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا
وَالْأَعْضَاءُ مَفْرَقَكَ الْحُسَامُ
[الوافر]

الشعر للأحوص والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقل الأول بالبنصر في مجرى الوسطى، ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصاري، قال: حدثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاري، قال:

قدم الأحوص البصرة فخطب إلى رجل من تميم ابنته وذكر له نسبه، فقال: هات لي شاهداً واحداً يشهد أنك ابن حمي الدبر^(٣) وأزوجك، فجاءه بمن شهد له على ذلك فزوجه إياها وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها، فخرج بها إلى

(١) وَهَى: ضعف.

(٢) الْخَلَقُ الرِّمَامُ: البالي لقدمه.

(٣) حَمِي الدَّبَرِ: هو عاصم بن ثابت الأنصاري، فقد حماه النحل، فلم يستطع مشركو قريش من التمثيل به.

المدينة، وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من، طريقتهم فقالت له: اعدِلْ بي إلى أختي ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم وكانت من أحسن الناس، وكان زوجها في إبله فقالت زوجة الأحوص له: أَقِمْ حتى يأتي، فلما أمسوا راح مع إبله ورعائه وراحت غنمه، فراح من ذلك أمر كثير، وكان يُسَمَّى مَطَرًا فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه وكان قبيحاً دميماً فقالت له زوجته: قُمْ إلى سِلْفِكَ وسلِّم عليه، فقال: وأشار إلى أخت زوجته بأصبعه.

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وليس عليك يا مَطَرُ السَّلامُ
[الوافر]

وذكر الأبيات وأشار إلى مطر بأصبعه، فوثب إليه مطر وبنوه وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجِرَ بينهم.

قال الزبير: قال محمد بن ثابت:

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ الَّذِي حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أُمُّهُ بِنْتُ الْأَحْوَصِ، وَأُمُّهَا التَّمِيمِيَّةُ أخت زوجة مطر.

وأخبرنا الحسين بن يحيى، قال: حدثنا حماد، عن أبيه.

أن امرأة الأحوص التي تزوجها إحدى بني سعد بن زيد مناة بن تميم؛ وذكر باقي القصيدة، وهو قوله:

كَأَنَّكَ مِنْ تَذْكَرٍ أَمْ عَمْرٍو وحبلٌ وصالها خَلَقَ رِمَامٌ
صَرِيْعٌ مُدَامَةٌ^(١) غَلِبَتْ عَلَيْهِ تموتُ لها المفاصل والعظامُ
وَأَنْتَى مِنْ بِلَادِكَ أَمْ عَمْرٍو سقى داراً تحلُّ بها الغمامُ
تَحُلُّ النَّهْدَ مِنْ أَحَدٍ وَأَدْنَى مساكنها السكينة أو سَنَامٌ^(٢)
فَلَوْلَمْ يُنْكَحُوا إِلَّا كَفِيًّا لكان كَفِيَّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ^(٣)
[الوافر]

أخبرني الحسين، قال: قال حماد: قرأت على أبي، حدثنا ابن كُنَاسَةَ قال:

مرَّ بنا أَشْعَبُ ونحن جماعة في المجلس فَأَتَى جَارٌ لَنَا صَاحِبُ جَوَارٍ يُقَالُ لَهُ أَبَانُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وعليه رِداءٌ خَلَقَ قد بدا منه ظهره، وبه آثار، فسَلَّم علينا فرددنا عليه

(١) المدامة: من أسماء الخمرة.

(٢) السكينة: موضع، وسنام: اسم جبل.

(٣) الملك الهمام: العظيم لعظم جيشه.

السلام، فلما مضى قال بعض القوم: مَدَنِيَّ مجلود، فأراه سَمِعَهَا أو سَمِعَهَا رجل يمشي معه فأخبره، فلما انصرف وانتهى إلى المجلس قال:

سلام الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلام
[الوافر] فقلت للقوم: أنتم والله مطر.

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة خبرٌ له آخر شبيهٌ فرجع له ابن حزم. أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا محمد بن فضالة عن جميع بن يعقوب، قال:

خطب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر إلى أخيها معمر بن عبد الله فزوجه إياها، فقال الأحوص أبيتاً وقال لفتى من بني عمرو بن عوف: أنشدُها معمر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبة، فقال الفتى: نعم، فجاءه، وهو في مجلسه، فقال:

يا معمرُ يا ابن زيد حين تنكحها وتستبدُّ بأمرِ العَيِّ والرَّشَدِ
[البسيط]

فقال: كان ذلك الرجل غائباً، فقال الفتى:

أما تذكُرت صَيْفِيّاً فتَحَفَظْهُ أو عاصماً أو قتيل الشَّعْبِ من أُحُدٍ
[البسيط]

قال: ما فعلت ولا تذكُرت، فقال الفتى:

أكنت تجهل حَزْماً حين تنكحها أم خِفْتَ لا زلت فيها جائع الكَبْدِ
[البسيط]

قال: معمر: لم أجهل حَزْماً، فقال الفتى:

أبعد صهر بني الخطاب تجعلهم صِهْراً وبعد بني العَوَامِ من أَسَدٍ
[البسيط]

فقال معمر: قد كان ذلك، فقال الفتى:

هَبْها سَلِيلَةَ خَيْلٍ غير مُقْرِفَةٍ^(١) مظلومةٌ حِسَتْ لِلْعَيْرِ^(٢) في الجَدَدِ^(٣)
[البسيط]

(١) المقرفة: من كانت أمها أقل من أبيها شرفاً.

(٢) العير، بفتح العين: الحمار الأهلي أو الوحشي.

(٣) الجد، بالفتح: الأرض الغليظة المستوية.

قال: نعم أعانها الله وصبرها، فقال الفتى:

فكلُّ ما نالنا من عارٍ منكجها سُوى إذا فارقته وهي لم تلد
[البسيط]

قال: نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة.

قال الزبير: أما قوله صهر بني الخطاب فإنَّ جميلة بنت أبي الأفلح كانت عند عمر بن الخطاب فولدت له عاصم بن عمر، وأما صهر بني العوام فإنَّ بهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عقبة كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير فولدت له أبا بكر ومحمداً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مصعب قال: قال الهذير:

كرهت أم جعفر أصواتاً من الغناء القديم فأرسلت لها رسولاً يلقيها في البحر ثم
غنتها جاريةً، بعد ذلك:

سلام الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلام
[الوافر]

فقلت: هذا أرسلوا به رسولاً مفرداً إلى دهلِكَ^(١) ليلقيَه في البحر خاصّة، قال: والذي حمل أم جعفر على هذا التطير على ابنها محمد الأمين من هذه الأصوات أيام محاربتة أخاه المأمون فمنها، قوله:

كُليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصراً وأكثرَ جُرماً منك ضُرج بالدم
[الطويل]

ومنها قوله:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرأبُه
[الطويل]

ومنها قوله:

رأيت زهيراً تحت كلِّ خالدٍ^(٢) فأقبلت أسعى كالعجول أبادرُه
[الطويل]

ومنها قوله:

أبا منذر أفئيت فاستبق بعضنا حنائيك بعض الشر أهون من بعض
[الطويل]

(١) دهلِكَ: جزيرة في بحر اليمن ضيقة حارة.

(٢) الكلكل: الصدر، صدر البعير الذي يستند إلى الأرض إذا برك.

مضى الحديث :

صوت

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةً حَقْبَةً مَنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَن يَتَّصِدَّعَا^(١)
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
 [الطويل]

الشعر لمُتَمِّم بن نُؤَيْرَةَ يرثي أخاه مَالِكَا والغناء لسياط .

(١) يتصدّع: يتشقق .

ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

هو مُتَمَّم بن نُويرَة: بن جَمْرَة بن شَدَّاد بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار، ويكنى متمم بن نويرَة أبا نهشل ويكنى أخوه مالك أبا المغوار وكان مالك يقال له فارس ذي الخمار، قيل له ذلك بفارس كان عنده يقال له ذو الخمار، وفيه يقول وقد أحمدّه في بعض قاعه:

جرى بي فلاي ذو الخمار وضيعتي بما فات أطواء بني الأصغر
[الطويل]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام، قال:

كان مالك بن نويرَة شريفاً فارساً شاعراً وكانت فيه خيلاء وتقذّم، وكان ذا لمة^(١) كبيرة وكان يُقال له الجفول، وكان مالك قُتل في الردة، قتله خالد بن الوليد بالبُطاح في خلافة أبي بكر، وكان مقيماً بالبُطاح، فلما تنبأ سجاح^(٢)، اتبعها ثم أظهر أنه مسلم فضرب خالد عنقه صبراً، فطعن عليه في ذلك جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وأبو قتادة الأنصاري لأنه تزوج امرأة مالك بعده، وقد كان يقال: إنه يهواها في الجاهلية واتهم لذلك أنه قتله مسلماً ليتزوج امرأته بعده.

حدثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرَة محمد بن جرير الطبري، قال: كتب إلي السري بن يحيى يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمي عن سيف بن عمر، عن الصَّعْب بن عطية عن أبيه:

أن رسول الله ﷺ استعمل عماله على بني تميم، فكان مالك بن نويرَة عاملاً

(١) اللمة بكسر اللام: الشعر المجاوز شحمة الأذن قد يكون سمي بذلك لأنه شام المنكبين وقاربهما.

(٢) سجاح: تبنى على الكسر كحزام وقطام. وهي امرأة من بني تميم ادعت النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ، تزوجت من مسيلمة الكذاب، ثم عادت إلى حظيرة الإسلام بعد مقتل زوجها.

توفيت نحو سنة ٥٥ هـ = ٦٧٥ م.

على بني يربوع، قال: ولما تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفَانَ وسارت من الجزيرة راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى المواجهة فأجابها ونهاها عن غزوها، وحملها على أحياء بني تميم فأجابته، وقالت: نعم فشأنك ممن رأيت، وإنما أنا امرأة من بني يربوع، وإن كان مُلْكُ فهو مُلككم، فلما تزوجها مُسْلِمَةُ الكَذَّاب، ودخل بها انصرفت إلى الجزيرة وصالحته على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة، فارعوى^(١) حينئذ مالك بن نويرة وندم وتحجّر في أمره فلحق بالبُطاح، ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يُكره إلا ما بقي من أمر مالك بن نويرة ومن تأشّب^(٢) إليه بالبُطاح، فهو على حاله متحير ما يدري ما يصنع.

وقال سيف: فحدثني سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد وعمر بن شعيب، قالوا:

لما أراد خالد بن الوليد المسير خرج وقد استبرأ أسداً وغطفاناً وعَنِيّاً، فسار يريد البُطاح دون الحزن وعليها مالك بن نويرة، وقد تردّد عليه أمره وقد تردّد الأنصار على خالد وتخلّفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا فقد عهد إلينا إن نحن فرغنا من البُزَاخَة^(٣) واستبرأنا بلاد القوم أن نُقيم حتى يكتب إلينا بما نعمل، فقال خالد: إن يكن عهد إليكم هذا فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير وإليّ تنتهي الأخبار، ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ثم رأيتُ فرصة فكنت إن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها، وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونعمل به، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وأنا قاصد له بمن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ولست أكرههم، ومضى خالد وندمت الأنصار وتذاَمروا^(٤) وقالوا: لئن أصاب القوم خيراً إنه لخير حُرمتهم ولئن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس فأجمعوا على اللّحاق بخالد وجردوا إليه رسولاً، فأقام عليهم حتى لحقوا به، ثم سار حتى لحق البُطاح فلم يجد به أحداً.

قال السري، عن شعيب، عن سيف، عن خزيمة بن شجرة العُقْفاني، عن عثمان بن سويد، عن سويد بن المنعبة الرّياحي قال:

(١) إرعوى: إرتدع.

(٢) تأشّب إليه: اختلط به.

(٣) البُزَاخَة: ماء لبني أسد حيث دارت معركة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد فقضى على طليحة بن خويلد الأسدي.

(٤) تذاَمروا: توخّدوا وتحاضوا على القتال.

قدم خالد بن الوليد البطح فلم يجد عليه أحداً ووجد مالكا قد فرقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، فبعث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام فمن أجاب فسالموه ومن لم يُجب وامتنع فاقتلوه، وكان فيما أوصاهم أبو بكر: إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم اقتلوا كل قتلة الحرّ فما سواه، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسالموهم فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم وإلا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من بني عاصم وعبيد وعرين وجعفر واختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد برداً فأمر خالد منادياً فنادى أذفئوا أسراكم، وكان في لغة كِنانة، إذا قالوا: دافأنا الرجل وأذفئوه فذلك معنى اقتلوه وفي لغة غيرهم أذفئوه من الدفء، فظن القوم أنه يريد القتل فقتلوه، فقتل ضرار بن الأزور مالكا، فسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه؛ وقد اختلف القوم فيهم؛ فقال أبو قتادة: هذا عملك، فزبره^(١) خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر بن الخطاب فيه فلم يرض إلا بأن يرجع إليه، فرجع إليه فلم يزل معه حتى قدم المدينة، وكان خالد قد تزوج أم تميم بنت المهلب وتركها لينقضي طهرها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايرهن، فقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالد رهقاً وحقاً عليه أن تُقيده. وأكثر عليه في ذلك وكان أبو بكر لا يُقيد من عماله ولا من وزعته^(٢) فقال: هيه يا عمر، تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد، وودى^(٣) مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل، وأخبره خبره فعذره وقبل منه وعنفه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك. فذكر سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا ففعلوا مثل ذلك، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فقتلوا. وقدم أخوه متمم يُشُدُّ أبا بكر دمه ويطلب إليه في سببهم، فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إن في سيفه لرهقاً^(٤)، فقال: لا يا عمر، لم أكن لأشيم^(٥) سيفاً سلَّه الله على الكافرين.

(١) زبره خالد: انتهره.

(٢) وزع: ردع.

(٣) ودى مالكا: أعطى وليه ديته.

(٤) أشيم سيفاً: أغمدته.

(٥) الرهق: الإثم والتهمة.

حدثنا محمد بن جرير، قال: كتب إليَّ السَّريُّ، عن شعيب، عن سيف عن خزيمة، عن عثمان بن سويد عن سويد، قال:

كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً، وإن أهل العسكر أثقوا القُدور^(١) برؤوسهم فما منها رأسٌ إلَّا وَصَلَتِ النَّارُ إلى بَشَرَتِهِ ما خلا مالكاَ فَإِنِ الْقِدْرُ نَضِجَتْ وما نَضِجَ رأسه من كثرة شعره، ووقى الشعرُ البَشْرَةَ من حرِّ النار أن تبلغ منه ذلك.

قال: وأنشد متمم عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه وذكر حَمَصَه^(٢) يعني قوله:

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالَ تَحْتَ رِداثِهِ فتى غير مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ^(٣) أَرْوَعَا
[الطويل]

فقال: أكَذَلِكَ كان يا متمم؟ قال: أما ما أعني فنعَم:

أخبرني اليزيديُّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني محمد بن فُلَيْح، عن موسى بن عُقْبَةَ، عن ابن شهاب، وحدثنيه أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبِي، قال: حدثنا محمد بن فُلَيْح، عن موسى بن عُقْبَةَ عن ابن شهاب.

أن مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شعراً، وأن خالداً لما قتله أمر برأسه فجعل أثْقِيَةً لِقِدْرٍ فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النار إلى شَوَاتِهِ^(٤).

أخبرني محمد بن جرير، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غَشِيتُم داراً من دور الناس فسمعتُم فيها أذاناً للصلاة فأمسِكوا عن أهلها حتى تسألُوهم: ماذا نَقِمُوا، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشنُّوا الغارة فاقتلوا وحرِّقوا فكان من شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري واسمه الحارث بن رُبَيْعٍ أخو بني سَلَمَةَ، وقد كان عاهد الله أنه لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً بعدها أبداً، وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال: فقلنا: إنا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ففعلوا، ثم صَلَّينا وَصَلُّوا.

(١) أثقوا القُدور: أي جعلوا لها أثافي، وهي أحجار تُحمل الآنية عليها.

(٢) الخمص: الإحساس بالجوع.

(٣) غير مبطان العشيات: أي لا يتخمد بطنه بكثرة المأكَل.

(٤) الشواة: جلدة الرأس.

وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له، وهو يُراجعُه: ما إخال صاحبكم، يعني النبي ﷺ إلا قد كان يقول كذا وكذا، فقال خالد: أو ما تُعْدهُ لك صاحباً؟ ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه فأكثر، وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نَزَا^(١) على امرأته. وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء عليه صدأ الحديد مُعْتَجِراً^(٢) بعمامة له، قد غرز فيها أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر، فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال أرئاء قتلتم أمراً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك، ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر عليه مثل رأي عمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز له عما كان في حربه تلك، فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد الحرام، فقال: هَلَمْ إِلَيَّ يا ابن أم مسلمة. فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه، ودخل بيته.

وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي. وقال محمد بن جرير: قال ابن الكلبي: الذي قتل مالك بن نويرة ضرائ بن الأزور، وهكذا روى أبو زيد عن عمر بن شبة عن أصحابه وأبو خليفة عن محمد بن سلام، قال:

قدِمَ مالك بن نويرة على النبي ﷺ فيمن قدم من أمثاله من العرب فولاه صدقات قومه بني يربوع، فلما مات النبي ﷺ اضطرب فيها فلم يُحمد أمره وفُرق ما في يده من إبل الصدقة، فكلمه الأقرع بن حابس المُجاشعي والقَعْقَاعُ بن مَعبد بن زرارة الدارمي، فقالا له: إن لهذا الأمر قائماً وطالبا فلا تَعَجَلْ بتفرقة ما في يدك، فقال:

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ الْمُنْدَى بِبُرْقَةٍ رَحْرَحَانَ^(٣) وقد أَرَانِي
تُمَشَّى يا ابن عَوْذَةٍ في تَمِيمٍ وصاحبك الأَقِيرَعُ تَلْحِيَانِي
حَمِيْتُ جَمِيعَهَا بِالسَّيْفِ صَلْتاً^(٤) ولم ترعش^(٥) يداي ولا بناني
[الوافر]

يعني أم القَعْقَاع، وهي مُعَاذَةُ بنت ضَرَار بن عمرو، وقال أيضاً:

وَقُلْتُ خَذُوا أَمْوَالَكُمْ غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا نَاضِرٍ فِيمَا يَجِيءُ مِنَ الْغَدِ

(٢) معتجراً بعمامة: لافاً عمامته.

(٤) السيف صلتاً: مجرداً.

(١) نزا على امرأته تزوج منها.

(٣) برقة رحرحان: موضع.

(٥) لم ترعش: لم ترتجف.

فإن قام بالأمير المَخَوْف قائمٌ منعنا، وقلنا: الدينُ دينُ محمدٍ [الطويل]

قال ابن سلام: فمن يعذر مالكا يقول: إنه قال لخالد: وبهذا أمرك صاحبك: يعني النبي ﷺ وآله وأنه أراد بهذه الفُرْشِيَّة، ومن يعذر خالداً يقول: أراد انتفاءً من نبوة النبي ﷺ، واحتج بشعره المذكورين آنفاً.

وذكر خالد أن النبي ﷺ لما وجهه إلى ابن جَلْدَى، قال له: يا أبا سليمان إن رأيت عينك مالكا فلا تزايله أو تقتله، قال محمد بن سلام: وسمعت يونس يوماً وأنا أرادُ التَّميميَّ في خالد وأعذره، فقال لي: يا أبا عبد الله أما سمعت بساقي أم تميم؟ يعني زوجة مالك التي تزوجها خالد لما قتله، فكان يقال: إنه لم ير أحسن من ساقها. قال: وأحسن ما سمعت من عذر خالد، قولُ متمم بأن أخاه لم يُستشهد فيه دليل على عذر خالد.

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا محمد بن الحكم البجلي، عن الأنصاري، قال:

صلَّى متمم بن نويرة مع أبي بكر رضوان الله عليه الصبح ثم أنشد قوله:

نِعْمَ القَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ تَحْتَ الإِزَارِ قَتَلْتَ يَا ابْنَ الأَزُورِ
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ [الكامل]

فقال أبو بكر: واللَّهِ ما دعوته ولا قتله، فقال:

لَا يُضْمِرُ الفَحْشَاءُ تَحْتَ رِدَائِهِ حَلَوُ شَمَائِلِهِ عَفِيفُ المِئْزَرِ
وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ وَحَاسِرَا وَلَنِعَمَ مَأْوَى الطَّارِقِ ^(١) المِثْنُورِ ^(٢) [الكامل]

قال: ثم بكى حتى سالت عينه، ثم انخرط على سِيَّةٍ ^(٣) قوسه مُتَكِنًا يعني مَعْشِيًا عليه.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثني محمد بن الحكم البجلي، عن صخر بن حَلْحَلَةَ، قال:

(١) الطارق: من يقصد القرى والعطاء في الليل.

(٢) المِثْنُور: هو من يستهدي مضارب القوم الذين أشعلوا نيرانهم ليستهدي بها السارون ليلاً.

(٣) سية القوس: ما عطف من طرفيها.

ذكر متمم بن نويرة أخاه في المدينة، ف قيل له: إنك لتذكر أخاك فما كانت صفته؟ أو صفه لنا، فقال: كان يركب الجمل الثفال^(١) في الليلة الباردة يرتوي لأهله بين المَرَادَتَيْنِ النضوحتين، عليه الشَّمْلَةُ الفُلُوت^(٢)، يقود الفرس الحرّون ثم يُصْبِح ضاحكاً. أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، عن الزبير، عن حبيب بن بدر الطائي وغيره.

أن المنهال رجلاً من بني يربوع مرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه ففيه يقول متمم:

صوت

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفّن المنهال تحت رداءه فتى غير مبطن العشيّات أروعا
[الطويل]

غناه عمرو بن أبي الكنات ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني الحسن بن محمد البصري قال حدثني الحسن بن إسماعيل الفضاوي، قال: حدثني أحمد بن عمار العبدّي وكان من العلم بموضع، قال: حدثني أبي:

عن جدّي قال: صلّيت مع عمر بن الخطاب الصبح فلما انقُتل من صلاته إذا هو
برجل قصير أعور مُتَنَكِّب قَوْساً، وبِيده هراوة، فقال: من هذا؟ فقال: متمم بن
نويرة، فاستنشد قوله في أخيه فأنشد:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفّن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطن العشيّات أروعا
[الطويل]

حتى بلغ إلى قوله:

وكنّا كنْدْمانِي جَذِيمة حِفْبَة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأنّي ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
[الطويل]

(١) الجمل الثفال: البطى في عدوه.

(٢) الشملة الفلوت: التي لا يضم طرفاها عليه لصغرهما وضيقها.

فقال عمر: هذا والله التأبين، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك. فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته وكان قُتل باليمامة شهيداً وأمير الجيش خالد بن الوليد. فقال عمر: ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم. قال: وكان عمر يقول: ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إلي أني أشم ريح أخي زيد.

قال: وقيل لمتمم: ما بلغ من وجدك^(١) على أخيك؟ فقال: أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها دمعاً عشرين سنة، فلما قُتل أخي استهلّت فما ترقأ^(٢).

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن أبي مليكة، قال:

مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبَشِيِّ جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ فَحُمِلَ فُدْفِنَ بِمَكَّةَ، فقدمت عائشة فوقفَت على قبره، وقالت متمثلة:

وَكُنَّا كَنَدِمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ مَنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَن يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطَوَّلَ اجْتِمَاعٌ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةَ مَعَا
[الطويل]

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك ما زرتك.

أخبرنا إبراهيم بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله أبو محمد بن مسلم بن قتيبة.

أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب، فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك، فقال: يا أمير المؤمنين، أما والله إني مع ذلك لأركب الجمل الثقال^(٣) وأعتقل الرمح الشطون^(٤) وألبس السملة الفلوت، ولقد أسرّني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكا فجاء ليفديني منهم، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداء.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال حدثني النوفلي، عن أبيه وأهله قالوا:

لما أنشد متمم بن نويرة، عمر بن الخطاب قوله يرثي أخاه مالكا:

وَكُنَّا كَنَدِمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ مَنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَن يَتَصَدَّعَا

(٢) ترقأ: تجف، تتوقف على الانهماك.

(١) وجدك: حزنك.

(٣) الجمل الثقال: البطيء في عدوه.

(٤) الرمح الشطون: الطويل الأعوج.

فلما تفرقنا كأنّي ومالكاً لَطول اجتماع لم نبث ليلة معا [الطويل]

قال له عمر: هل كان مالك يحبك مثل محبتك إياه؟ وهل كان مثلك؟ فقال: وأين أنا من مالك؟ وهل أبلغ مالكا؟ واللّه يا أمير المؤمنين لقد أسرني حيّ من العرب فشدوني وثاقاً بالقدّ، وألقوني بفنائهم^(١)، فبلغه خبري فأقبل على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليّ أعرض عني، ونظر القوم إليه فعدّل إليهم وعرفت ما أراد فسلم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فواللّه إن زال كذلك حتى ملأهم سروراً، وحضر غداؤهم فسألوه النزول ليتغدى معهم فنزل وأكل، ثم نظر إليّ، وقال: إنه لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقّى بين أيدينا لا يأكل معنا، وأمسك يده عن الطعام، فلما رأى ذلك القوم نهضوا إليّ وصبّوا الماء على قدّي^(٢) حتى لآن وحلوني ثم جاؤوا بي فأجلسوني معهم على الغداء فلما أكلنا قال لهم: أما ترون تحرّم هذا بنا وأكله معنا؟ إنه لقبيح بكم أن تردّوه إلى القدّ، فخلّوا سبيلي. قال: أفكان كما وصفته؟ فقال: ما كذبت في شيء من صفته إلّا أنّي وصفته بخمّص^(٣) البطن وكان ذا بطن.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن نصر الضُّبَعي، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرقِيّ عن أبيه، عن مروان بن موسى القُرَويّ ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن علي بن حمزة العلويّ، عن علي بن محمد النوفليّ، عن أبيه.

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لمتمم بن نويرة: إنكم أهل بيت قد تفانيتم، فلو تزوجت عسى أن تُرزق ولداً تكون فيه بقية منكم، فتزوج امرأة بالمدينة فلم ترّض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه وقلة حفله^(٤) بها، فكانت تُماطّه^(٥) وتؤذيه، فطلّقها، وقال:

أقول لهند حين لم أرض فعلها أهذا دلال الحب أم فعل فارك^(٦)
أم الصُّرم ما تبغي، وكلّ مفارق يسير علينا فقدّه بعد مالك
[الطويل]

(١) فناء الدار: ساحتها.

(٢) قدّي: قيدي.

(٣) خمّص البطن: الضاوي الخاصرتين لقلة شرهه.

(٤) حفله: اهتمامه.

(٥) تُماطّه: تخاصمه وتشتمه وتسيء إليه.

(٦) الفارك من النساء: الكارهة لزوجها.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلَانِيُّ النحوي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمَّاد، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن معاوية، عن سَلْمُويه بن صالح، عن عبد الله بن المبارك، عن نعيم بن عمرو الرازي، قال:

بيننا طلحة والزُّبير يسيران بين مكة والمدينة إذ عرض لهما أعرابي، فوقفاً ليمضي، فوقف، فتعجلاً ليسبقاه فتعجل، فقالا: ما أثقلك يا أعرابي: تعجلنا لنسبقك فتعجلت، فوقفنا لتمضي فوقفت، فقال: لا إله إلا الله هَبَانِي أعْذِرِ الناس، أأَعْذِرُ أصحاب محمد ﷺ؟ هَبَانِي خِفْتُ الضلال فأحببت أن أَسْتَدِلَّ بكما، أو خفت الوحشة فأحببت أن أَسْتَأْنِسَ بكما. فقال طلحة: من أنت؟ قال: أنا متمم بن نويرة. فقال طلحة: وأسوأناهُ لَقَدْ مَلَلْنَا غَيْرَ مَمْلُول، هَاتِ بعض ما ذكرتَ في أخيك، فطفق يسمعهما حتى أصبحا.

وكانوا قد خَشُوا على بصره من البكاء فزَوَّجوه أُمَّ خالد، فبينما هو واضع رأسه على فخذه إذ بكى، فقالت: لا إله إلا الله، أما تنسى أخاك؟ فأنشأ يقول:

أَقُولُ لَهَا لَمَّا نَهَيْتَنِي عَنِ الْبُكَاءِ	أَفِي مَالِكٍ تَلْحِينِنِي ^(١) أُمَّ خَالِدٍ؟
فَإِنْ كَانَ إِخْوَانِي أَصِيبُوا وَأَخْطَأْتُ	بَنِي أُمِّكَ الْيَوْمَ الْحَتُوفُ الرِّوَاصِدُ ^(٢)
فَكُلَّ بَنِي أُمِّ سَيُّمُسُونَ لَيْلَةً	وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ غَيْرُ وَاحِدٍ

[الطويل]

(١) تلحينني: تلوميني.

(٢) في هذا البيت إقواء، أي اختلاف حركة الروي؛ برفع وجرّ. والحتوف الرّواصد: كناية عن الموت بالمرصاد لا مفرّ منه.

جذيمة الأبرش ورقاش وعمر بن عددي والزباء

أما معنى قول متمم:

وكنّا كندمانيّ جذيمة حقة

فإنه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دؤس بن عدنان الأزد، وكان الخبر في ذلك ما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب، وذكر ابن الكلبي عن أبيه، والشرقي وغيره من الرواة.

أن جذيمة الأبرش - وأصله من الأزد، وكان أول من ملك قضاة بالحيرة، وأول من حذا النعال وأدلىج^(١) من الملوك ورفع له الشمع - قال يوماً لجلسائه: ذكر لي عن غلام عن لخم مقيم في أخواله من إباد، له ظرف ولب، فلو بعثت إليه يكون في ندمائي ووليته كأسي والقيام بمجلسي كان الرأي، فقالوا: الرأي ما رأى الملك فليبعث إليه، ففعل. فلما قدم عليه فعل به ما أراد له، فمكث كذلك مدة طويلة، ثم أشرفت عليه يوماً رقاش ابنه مالك أخت جذيمة فلم تزل ترأسله حتى اتصل بينهما ثم قالت له: يا عددي إذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرّفاً. فإذا أخذت فيه الخمر فاخطبني إليه فإنه يزوجك وأشهد القوم عليه إن هو فعل، ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوجه، وانصرف الغلام بالخبر إليها، فقالت: عرس بأهلك، ففعل، فلما أصبح غدا مضرباً بالخلوق، فقال له جذيمة: ما هذه الآثار يا عددي؟ قال: آثار العرس، قال: أي عرس؟ قال عرس رقاش، قال: فنخر^(٢) وأكب على الأرض، ورفع عددي جراميزه^(٣)، فأسرع جذيمة في طلبه فلم يتحسسه، وقيل: إنه قتله وكتب إلى أخته:

حدثيني رقاش لا تكذبيني أبحر زنيّت أم بهجين؟

(١) أدلىج: سار الليل كله أو في آخره.

(٢) نخر: سدّ الصوت والنفس في خياشيمه.

(٣) الجراميز: ما انتشر من ثيابه لذا جمعها ليلحق به.

أَمْ بَعْبُدَ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ أَمْ بَدُونِ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِدُونِ؟
[الخفيف]

قالت: بل زوجتني أمراً عربياً، فنقلها جذيمة إليه وحصنها في قصره واشتملت على حمل فولدت منه غلاماً وسمته عمراً وربته، فلما ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة مثله ثم أزارته خاله فأعجب به وألقت عليه منه محبة ومودة، حتى إذا وصف^(١) خرج غلمان الملك يجتنون^(٢) الكمأة في سنة قد أكماث. وخرج عمرو معهم، وقد خرج جذيمة فبسط له في روضة، فكان الغلمان إذا أصابوا الكمأة الطيبة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خبأها، ثم أقبلوا يتعادون، وهو معهم يقدمهم ويقول:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ
[الرجز]

فالتزمه جذيمة وحياء وقرب من قلبه وحل منه بكل مكان، ثم إن الجن استطارته، فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع له بخبر فكف عنه، ثم أقبل رجلاين يقال لأحدهما عقيل والآخر مالك ابنا فالج وهما يريدان الملك بهديّة، فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو، فنصبت قدراً وأصلحت طعاماً، فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث أغبر قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر^(٣) الكلب، فمدّ يده فناولته شيئاً فأكله، ثم مدّ يده فقالت: إِنْ يُعْطَ الْعَبْدُ كُرَاعاً يَبْتَغِ ذِرَاعاً، فأرسلتها مثلاً، ثم ناولت صاحبها من شرابها وأوكت زقها^(٤)، فقال عمرو بن عدي:

صوت

صَدَدَتْ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا
[الوافر]

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير.
وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن كلثوم.

(١) وصف الغلام: بلغ السن التي تسمح له بخدمة الملك.

(٢) يجتنون: يقطفون.

(٣) جلس مزجر الكلب: أي كان بمنزلة الكلب من صاحبه.

(٤) أوكت زقها: أحكمت ربطه بالوكاء، وهو الرباط.

وأخبرنا اليزيدي، قال: حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني، قال: حدثنا حفص بن عمرو عن الهيثم بن عدي، عن ابن عباس: أن هذا الشعر لعمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي.

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان: ومن أنت؟ فقال:

إِنْ تُنْكَرَانِي وَتُنْكَرَا نَسَبِي فَإِنِّي عَمْرُو وَعَدِي أَبِي
[المنسرح]

فقاما إليه فلثماه^(١) وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصّرا من لثّته، وألبساه من طرائف ثيابهما، وقالوا: ما كنا لنُهدِي إلى الملك هديّة أنفس عنده، ولا هو عليها أحسن صنعا من ابن أخته قد رده الله عز وجل إليه، فخرجا حتى إذ دُفعا إلى باب الملك بشّراه به فصرفه إلى أمه فألبسته ثياباً من ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقاً كانت تلبسه إياه، وهو صغير، وأمرته بالدخول على خاله، فلما رآه قال: شَبَّ عمرو عن الطوق^(٢) فأرسلها مثلاً. وقال للرجلين اللذين قدما به: احتكما فلكما حُكمكما. قالوا: منادمتك ما بقيت وبقينا. قال ذلك لكما، فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما متمم بن نويرة، وضربت بهما الشعراء المثل قال أبو خراش الخذلي:

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيلاً صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلٌ؟!
[الطويل]

يعنيهما، قال ابن حبيب في خبره: وكان جذيمة من أفضل الملوك رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدّهم نكايّة، وهو أول من استجمع له الملوك بأرض العراق، وكانت منازلها ما بين الأنبار وبقّة وهيت وعين التمر وأطراف البرّ والقُطْقُطَانَة والحيرة، فقصّد في جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي من عاملة العمالق، فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفضّ جموعه فانفلّوا وملّكوا عليهم ابنته الرّباء، وكانت من أحزم النساء، فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطئ الفرات، وسكّرت^(٣) الفرات في وقت قلة الماء، وبنّت في بطنه أَرْجاً^(٤) من الأجرّ والكلس متصلاً بذلك النفق، وجعلت نفقاً آخر في

(١) لثم: قتل.

(٢) شَبَّ عمرو عن الطوق: مثل يعني أن صاحبه كبير، وباستطاعته القيام بجليل الأعمال.

(٣) سكّرت الفرات: سدّته.

(٤) الأزرع: البيت يبني طولاً.

البرية متصلاً بمدينة لأختها، ثم أجرت الماء عليه فكانت إذا خافت عدواً دخلت النفق، فلما استجمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها، فقالت لها أختها وكانت ذات رأي وحزم: إنك إن غزوت جذيمة فإنه أمرٌ له ما بعده، فإن ظفرت أصبت ثارك، وإن ظفر بك فلا بقية لك، والحرب سجال ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك؟ ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه وسليه أن يجيبك لذلك، فإنه إن اغترّ فعل ظفرت به بلا مخاطرة، فكتبت الزباء إلى جذيمة في ذلك تقول له: إنها قد رغبت في صلة بلدها ببلده، وإنها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وإنها لم تجد كفواً غيره، وتساله الإقبال إليها وجمع ملكها إلى ملكه. فلما وصل ذلك إليه استخفه وطمع فيه، فشاور أصحابه فكل صوب رأيهِ في قصدها وإجابتها إلا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن ثمار بن لخم، فقال: هذا رأي فاتر^(١)، وغدر حاضر، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أبيها^(٢). فلم يوافق جذيمة ما قال، وقال له: أنت امرؤ رأيك في الكين^(٣) لا في الضح^(٤)، ورحل فقال له قصير في طريقه: انصرف ودُمك في وجهك. فقال جذيمة: بقة فضي الأمر، فأرسلها مثلاً، ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير: ما الرأي؟ قال: بقة تركت الرأي. قال: فما ظنك بالزباء؟ قال: القول رداف^(٥) والحزم عثراته^(٦) تخاف. واستقبله رسلها بالهدايا والألطف. فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خطب يسير في خطب كبير، وستلقاك الخيول. فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت في جنبك وأحاطت بك فالقوم غادرون، فلقيته الخيول فأحاطت به، فقال له قصير: اركب العصا فإنها لا تُدرُك ولا تُسبق - يعني فرساً له كانت تُجنب - قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك، فلم يفعل، فجال قصير في ظهرها فمرت به تعدو في أول أصحاب جذيمة، ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيراً على فرسه العصا في أول القوم يقول: الحازم من يجري العصا في أول القوم. فذكر أبو عبيدة والأصمعي: أنها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلاً ثم وقفت فبالت هناك، فبني على ذلك الموضع بُرجٌ فسُمي برج العصا. وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن فرجها، فإذا هي ضفرت الشعر عليه، فقالت: يا جذيم أشوار^(٧) عروس ترى؟ قال:

(١) رأي فاتر: لا قيمة له لضعفه وخطئه. (٢) وترتها في أبيها: فجعتها بقتله على يديك.

(٣) الكين: المسكن. (٤) الضح: ضوء الشمس وإشعاع نورها.

(٥) القول رداف: آخر كل شيء. (٦) عثراته، الواحدة عثرة: سقطات، زلات.

(٧) أشوار عرس ترى؟: الزينة والأفراح دلالة العرس.

لا بل أرى شيوار أمة لكعاء غير ذاتِ حَقَر، ثم قال؟ بلغ المدى وجفَّ الثرى وأمرَ عَدْرٍ أرى، قالت: واللَّهِ ما ذلك من عدم مَواس، ولا قلة أواس ولكنها شيمة من أناس، ثم قالت لجواربها: خذن بعَضْد سِيدكن، ففعلن، ثم دعت بِنطع فأجلسته عليه، وأمّرت بِرَواهشهِ^(١) ففُطعت في طُسْت من ذهب لَيْسِيل دمه فيه، وقالت له: يا جَذِيم لا تُضِيعَنَّ من دمكِ شيئاً فإنني أريده لِخَبَل، فقال لها: وما يَحْزُنُك من دم أضاعه أهله؟ وإنما أرادت ذلك أن كاهناً، قال لها: إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره، فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف، فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة، رخام ومات، قال: والعرب تتحدث أن في دماء الملوك شفاء من الخبل، قال المتلمس:

مَن الدارِمِيَّينَ الذين دماؤُهُم شفاء من الداءِ المُجِنَّةِ والخَبَلِ
[الطويل]

قال: وجمعت دمه في بَرِيَّة، وجعلته في خزانته، ومضى قصير إلى عمرو بن عبد الحرّ التَنُوخي، فقال له: اطلب بدم ابن عمك وإلا سَبَّكَ به العرب، فلم يحفل بذلك، فخرج قصير إلى عمرو بن عَدِيّ ابن أخت جذيمة، فقال: هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك؟ فجعل ذلك له، فأتى القادة والأعلام، فقال لهم: أنتم القادة والرؤساء وعندنا الأموال والكنوز، فانصرف إليه منهم بَشَرٌ كثير فالتقى بعمرو التَنُوخي، فلما خافوا القتال تابعه التَنُوخي ومُلِّك عمرو بن عَدِيّ، فقال له قصير: انظر ما وعدتني في الزَّباء، فقال: وكيف وهي أَمْنَع من عِقَابِ الجَو؟ فقال: أَمَّا إذا أبَيْتَ فإنني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها فَأَعْنِي وخلاك دَم، فقال له عمرو: أنت أبْصَر، فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزَّباء، فقالت: من أنت؟ قال: أنا قصير، لا وَرَبَّ البَشَرِ ما كان على ظهر الأرض أحدٌ كان أنصحَ لجذيمة مني ولا أَعْشَ لكَ حتى جدع^(٢) عمرو بن عَدِيّ أنفي وأذني، فعرفتُ أني لن أكون مع أحدٍ أثقلَ عليه منك، فقالت: أي قصير، نقبل ذلك منك ونُصَرِّفك في بضاعتنا. وأعطته مالاً للتجارة، فأتى بيت مال الحيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو ما ظن أنه يُرضيها، وانصرف إليها به، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته، ولم يزل حتى أنست به فقال لها، يوماً: إنه ليس من مَلِك ولا ملكة إلا وقد ينبغي له أن يتخذ نفقاً يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها، فقالت: أما إنني قد فعلت واتخذت نفقاً تحت سريري هذا

(١) الرواهش، الواحدة راهشة. عروق في ظاهر الكف، والراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

(٢) جدع أنفه: قطعها.

يخرج إلى نفق تحت سرير أختي، وأرته إياه، فأظهر لها سروراً بذلك، وخرج في تجارته كما كان يفعل وعرف عمرو بن عدي ما فعله، فركب عمرو في ألفي ذارع على ألف بعير في الجواليق^(١)، حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير فسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها: اصعدي حائط مدينتك فانظري إلى مالِك، وتقدمي إلى بوابك فلا يعرض لشيء، من أعكامنا^(٢) فإنني قد جئت بمال صامت، وقد كانت أمنتَه فلم تكن تتهمه ولا تخافه، فصعدت كما أمرها. فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت، وقيل: إنه مصنوع منسوب إليها:

مَالِ الْجَمَالِ مَشِيُّهَا وَثِيدَا أَجْنَدَلَا^(٣) يَحْمِلْنَ أَمَ حَدِيدَا؟
أَمَ صَرْفَانَا بَارِداً شَدِيدَا أَمَ الرَّجَالِ جُشْمًا قُعودَا؟
[الرجز]

فلما دخل آخرُ الجمال نخس البواب عكماً من الأعكام بمنخسةٍ معه فأصابته خاصرة رجل فضرط، فقال البواب: شراً واللّه عكمتم في الجواليق. فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف ودخلوا عليها قصرها فهربت تريد السرب^(٤) فوجدت قصيراً قائماً عنده بالسيف فانصرفت راجعة فاستقبلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها، وقيل: بل مصّت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو، وأخبرت المدينة وسييت الذراري وغنم عمرو كل شيء كان لها ولأبيها وأختها.

وقالت الشعراء تذكر ذاك وما كان من قصير في مشورته على جذيمة وفي جدعه أنفه فأكثر، قال عدي بن زيد:

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمُثَرِّي الْمُرْجِي أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الْأَوَّلِينَا؟
دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْرَاءَ يَوْمَاً جَذِيمَةُ عَصْرٍ يَنْجُوهُمْ^(٥) ثُبِينَا^(٦)
فَطَاوَعَ أَمْرَهُمْ وَعَصَى قَصِيرَاً وَكَانَ يَقُولُ - لَوْ نَفَع - الْيَقِينَا
[الوافر]

(١) الجواليق، الواحد جولق: العدل من صوف أو شعر. فارسي معرب.

(٢) الأعكام، الواحد عكم: هو ما جمع من ثوب أو ما يشابهه من ريش.

(٣) الجندل: الصخر والأحجار الضخمة.

(٤) السرب: الخندق تحت الأرض.

(٥) ينجوهم: يسارهم ويكشف ما في نفسه من أسرار.

(٦) ثُبِينَا: تم الالتفاف حولنا وحُجزنا. ويقال ثبن الشيء أي لفّ عليه، وهنا كناية عن التفاف خيول الزباء حول جذيمة والإحاطة به.

وهي طويلة، وقال المتلمّس يذكر جدع قصير أنفه:

ومن حذر الأيام ما جَزَّ أنفه قصيرٌ وخاض الموت بالسيفِ بيهسُ
وفي هذا المعنى: أشعار كثيرة يطول ذكرها. وكان جذيمة الملك شاعراً، وإنما
قيل له الأبرش والوضّاح لبرص كان به، وكان يُعظّم أن يُسمى بذلك، فجعل مكانه
الأبرش والوضّاح، وهو الذي يقول:

والمملك كان لذي نُوا
بالسابغات^(٣) وبالقنا^(٤)
أزّمان لا مملك يُجـ
أزّمان عَمَران وفهـ
أودى بهم غير الزما
س حوله تُردي^(١) يُحابر^(٢)
والبيض^(٥) تبرق والمغافر
ير ولا ذمام لمن يُجاور
م منهُم بادٍ وحاضر
ن فمُنجد^(٦) منهم وغائر^(٧)
[مجزوء الكامل]

وهو الذي يقول:

ربما أوفيت في علم
في شباب أنا رابئهم^(٩)
ليت شعري ما أطاف بهم
ثم أبنا غانمين وكم
ترفعن ثوبي شمالات^(٨)
هم لدى العورة^(١٠) ضمات
نحن أدلجنا^(١١) وهم باتوا
من أناس قبلنا ماتوا
[المديد]

فيه غناء يقال: إنه ليّمان ويقال: إنه لمعبد ولم يصحّ.

صوت

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أرّوع في عزّينه شمم

- (١) تردى: تجعل خيولها ترجم الأرض بحوافرها.
(٢) يُحابر: إحدى قبائل اليمن.
(٣) السابغات: الدروع اللينة.
(٤) القنا: الرماح.
(٥) البيض: السيوف.
(٦) المنجد: المتّجه إلى نجد.
(٧) الغائر: المتّجه إلى الغور.
(٨) الشمالات من الرياح، الواحد شمال: التي تهب من جهة الشمال شديدة الحرارة.
(٩) رابئة القوم: طليعتهم.
(١٠) العورة: المخافة.
(١١) أدلجنا: سرنا ليلاً.

يُغْضِي حِيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
[البسيط]

الشعر للحزین بن سلیمان الدیلی، والغناء لإسحاق ثاني ثقیل بالبنصر عن حبش، وفيه لعرب رمل عملته على لحن ابن سريج:

أَقْفَرَتْ^(١) الْأَطْلَالُ وَالْقَاعُ

(١) أقفرت الأطلال: خويت وخلت من ساكنيها.

أخبار الحزين ونسبه

ذكر الواقدي أنه من كِنانة وأنه صَليبةٌ وأن الحَزين لقب غلب عليه، وأن اسمه عمرو بن عُبيد بن وهيب بن مالك - ويُكنى مالك أبا الشعثاء - ابن حُرَيْث بن جابر بن بكر، وهو راعي الشمس الأكبر بن يَعْمَر بن عدي بن الدَّيل بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة.

أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبَّة عن الواقدي.

قال: وأما عمر بن شَبَّة فإنه ذكر أن الحزين مولى وأنه الحزين بن سليمان، ويُكنى سليمان أبا الشعثاء، ويُكنى الحزين أبا الحكم، من شعراء الدولة الأموية حجازي مطبوع ليس من فحول طبقتة، وكان هجاءً خبيث اللسان ساقطاً يُرضيه اليسير، ويتكسب بالشر وهجاء الناس، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم^(١) بمدح، ولا كان يريم الحجاز حتى مات.

وهذا الشعر يقوله الحزين في عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وكان عبد الله من فتيان بني أمية وظرفائهم، وكان حسن الوجه حسن المذهب، وأمه أم ولد، وزوجة عبد الله ربيعة بنت عبيد الله بن عبد الله، وعبد الله هو عبد الحجر بن عبد المَدان بن الريان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو، وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي. تزوجها لما كان يقال: إنه كائن في أولادهما فمات عنهما ولم يلدا له. فخلف محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على ربيعة فولدت له أبا العباس السفاح، وخلف عبد الله بن حسن بن حسن على هند فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى وبنات.

أخبرني بذلك عمر بن عبد الله بن جميل العتكي. وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، ويحيى بن علي بن يحيى، قالوا: حدثنا عمر بن شَبَّة. عن ابن داحية وغيره وأخبرني به الطوسي والحرمي عن الزبير بن بكار، عن عمه.

(١) إنتجع فلاناً: أتاها طالباً معروفة.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبِيّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي: أن عبد الله بن عبد الملك حجّ فقال له أبوه: سيأتيك الحزینُ الشاعر بالمدينة، وهو ذرْبُ اللسان، فأياك أن تحتجب عنه وأرضيه. وصَفَتْهُ أَنَّهُ أَشْعَرُ ذُو بطن، عظيم الأنف، فلما قَدِمَ عبد الله المدينة وصفه لحاجبه، وقال له: إِيَّاكَ أَنْ تَرُدَّهُ. فلم يأت الحزین حتى قام فدخل لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفع، فلمّا وَلَّى ذَكَرَ فلحقه، فقال: ارجع، فاستأذن له فدخل فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خيزران وقف ساكناً فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له: السلام عليك ورحمة الله أولاً، فقال: عليك السلام وحيّا الله وجهك أيّها الأمير. وإنّي قد كنت مدحتك بشعر، فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه فأنسيت ما كنتُ قلته، وقد قلتُ في مقامي هذا بيتين، فقال: ما هما؟ قال:

في كفّه خيزرانٌ رِيحها عَيْقُ من كفّ أروغ في عِرْنينه شَمَمُ
يُعْضِي حياءً وَيُعْضِي من مهابته فما يُكَلِّمُ إِلَّا حين يَبْتَسِمُ
[البسيط]

فأجازه، فقال: أَخْدِمْنِي أَصْلَحَكَ اللهُ فإنه لا خادمَ لي، فقال: اختر أحد هذين الغلامين، فأخذ أحدهما، فقال له عبد الله أَغَلَيْتُنَا بِرَدِّكَ^(١) خذ الآخر.

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها عليّ بن الحسين عليهما السلام التي أولها:

هذا الذي تَعْرِفُ البطحاء وطأته والبيتُ يَعْرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
[البسيط]

وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح بمثلهما عليّ بن الحسين عليهما السلام لأنهما من نعوت الجبابة والملوك، وليس كذلك ولا هذا من صفته وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد.

(١) البُرْد، بضم الباء: الثوب.

علي بن الحسين

حدثني محمد بن محمد بن سليمان الباعندي قال: حدثني محمد بن أبي عمر العدني، قال: حدثني سفيان بن عيينة. عن الزهري، قال:

ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.

حدثني محمد، قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، قال:

كان علي بن الحسين يُبخل. فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة.

حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن نفيس، قال: حدثنا ميمون، قال: حدثنا سفيان عن أبي حمزة الثمالي، قال:

كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به، ويقول: إن صدقة الليل تُطفئ غضب الرب تبارك وتعالى.

حدثني أبو عبيد الصيرفي قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصري، قال: حدثنا أحمد بن سليمان، قال: حدثنا ابن عائشة، قال: حدثنا سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء، عن نافع، قال:

قال علي بن الحسين: ما أكلت بقرابتي من رسول الله ﷺ شيئاً قط.

حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني إسحاق بن موسى الأنصاري، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال:

كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي ابن الحسين عليهما السلام، فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل.

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين، وخبره فيها فحدثني أحمد بن محمد بن الجعد، ومحمد بن يحيى، قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا ابن عائشة، قال:

حجَّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ومعه رؤساء أهل الشام، فجهَدَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْ اِزْدِحَامِ النَّاسِ، فَتُصِبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَنْظَفُهُمْ ثَوْبًا وَأَطْيَبُهُمْ رَائِحَةً، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ تَنَحَّى النَّاسُ كُلَّهُمْ وَأَخْلَوْا لَهُ الْحَجَرَ لَيْسَتْ لَهُ هَيْبَةٌ وَإِجْلَالٌ لَهُ، فَغَازَى ذَلِكَ هِشَامًا وَبَلَغَ مِنْهُ، فَقَالَ رَجُلٌ لَهُشَامَ: مِنْ هَذَا أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ؟ قَالَ: لَا أَعْرِفُهُ، وَكَانَ بِهِ عَارِفًا، وَلَكِنَّهُ خَافَ أَنْ يَرْغَبَ فِيهِ أَهْلُ الشَّامِ وَيَسْمَعُوا مِنْهُ. فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ، وَكَانَ لَذَلِكَ كُلَّهُ حَاضِرًا: أَنَا أَعْرِفُهُ فَسَلِّنِي يَا شَامِي، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش، قال قائلها:	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يُمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم
أي الخلائق ليست في رقابهم	لأوليّة هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أوليّة ذا	فالدّين من بيت هذا ناله الأمم

[البسيط]

فحبسه هشام، فقال الفرزدق:

أحبسني بين المدينة والتي	إليها قلوب الناس يهوي منيها
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّد	وعيناً له حولاء بادّ عيوبها

[الطويل]

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجه إليه عليّ بن الحسين عشرة آلاف درهم، وقال: اعذر يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به. فردّها، وقال: ما قلت ما كان إلا لله عز وجل وما كنت لأرزا عليه شيئاً. فقال له علي بن الحسين، قد رأى الله تبارك وتعالى مكانتك فشكر لك ولكننا أهل بيت إذا أنقذنا شيئاً لم نرجع فيه. وأقسم عليه فقبلها.

ومن الناس أيضاً من يروي هذه الآيات لداود بن سلم في قثم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه، فمن رواها لداود بن سلم في قثم ولخالد بن يزيد فيه فهي في روايته:

كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ يرجوك يا قُثمَ الخيرات يا قُثمُ
أيِّ العمائر ليست في رقابهمُ لأولِيَّةِ هذا أوله نَعَمُ
في كفِّه خيزرانٌ ريحُها عبِقُ من كفِّ أروعٍ في عرينِه^(١) شَمَمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضِي من مهابته فما يُكَلِّمُ إلَّا حينَ يبتسمُ
[البسيط]

وممن ذكر لنا ذلك محمد بن يحيى الصولي، عن الغلابي عن مهدي بن سابق .
أن داود بن سلم قال هذه الأربعة والأبيات في قثم بن العباس وذكر أن الفرزدق
أدخل هذه الأبيات سوى البيت الأول في شعره في علي بن الحسين عليه السلام،
وذكر الرياضي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقثم فناده قال :

يكادُ يمسكه عِرفانُ راحته ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ
كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ في الناس يا قُثمَ الخيرات يا قُثمُ
[البسيط]

فأمر له بجائزة سنيّة .

والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك ؛ وقد غلط ابن عائشة في
إدخاله البيتين في تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة تنبئ
عن نفسها وهي :

ألله يعلم أن قد جُبْتُ ذا يَمَنِ ثم العِراقين لا يثنيني السَّامُ
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها كذاك تُسْري على الأهوال بي القَدَمُ
ثم المواسم قد أوْطنتُها زمناً وحيث تُحَلِّقُ عندَ الجمرَةِ اللَّمَمُ
قالوا دَمَشقُ يُنبِّيك الخبيرُ بها ثم أئتِ مِصرَ فثمَّ النَّائلِ العَمَمُ
لما وقفتُ عليها في الجموع ضُحَى وقد تعرَّضتِ الحُجَّابُ والخدمُ
حيَّيَّته بسلام، وهو مُرتَفِقُ وضجَّةُ القومِ عندَ البابِ تزدحمُ
في كفِّه خيزرانٌ ريحُها عبِقُ من كفِّ أروعٍ في عرينِه شَمَمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضِي من مهابته فما يُكَلِّمُ إلَّا حينَ يبتسمُ
تري رؤوس بني مروان خاضعةً يمشون حَوْلَ رِكابِيهِ وما ظلمُوا

(١) العرين بكسر العين : الأنف .

إِنْ هَشَّ هَشْوَالَهُ وَاسْتَبَشَرُوا جَذَلًا^(١) وَإِنْ هُمْ آنَسُوا إِعْرَاضَهُ^(٢) وَجَمُّوا
كِلْتَا يَدَيْهِ رَبِيعٌ عِنْدَ ذِي خُلْفٍ فَتَلَكَ بَحْرٌ وَهَذِي عَارِضٌ^(٣) هَزِمٌ^(٤)
[البسيط]

وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ: إِنْ الْحَزِينُ قَالَهَا فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ لَذَكَرَهُ دِمَشْقَ
وَمِصْرَ. وَقَدْ كَانَ ثَمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيْضًا فِي مِصْرَ وَالْحَزِينُ بِهَا.

حَدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَبُو
غَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الرَّهْرِيِّ، قَالَ:

وَفَدَّ الْحَزِينُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَامِلٌ مِصْرَ فَأُتِيَ بِرَقِيقٍ مِنَ الْبَرْبَرِ
وَالْحَزِينُ عِنْدَهُ وَفِي الرَّقِيقِ أَخَوَانُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِلْحَزِينِ: أَيُّ الرَّقِيقِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟
قَالَ: لِيَخْتَرُ لِيَ الْأَمِيرَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَدْ رَضِيتُ لَكَ هَذَا، لِأَحَدِهِمَا فَإِنِّي رَأَيْتُهُ حَسَنَ
الصَّلَاةِ، قَالَ الْحَزِينُ: لَا حَاجَةَ لِيَ بِهِ فَأَعْطَنِي أَخَاهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، قَالَ: وَالْغَلَامَانِ،
مُزَاحِمٌ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ الَّذِي أَعْجَبَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِهِ وَأَهْدَاهُ
لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَتَمِيمٌ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ تَمِيمٍ. وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْحَزِينُ، قَالَ:
فَقَالَ فِي عَبْدِ اللَّهِ يَمْدَحُهُ:

أَلَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ قَدْ جُبْتُ ذَا يَمَنِ

وَذَكَرَ الْقَصِيدَةَ بِطُولِهَا عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ.

أَخْبَرَنِي وَكِيعٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْزَةَ الْعُلَوِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ
دِمَازٌ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ:

كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ طَائِفٌ يَقَالُ لَهُ صَفْوَانُ مَوْلَى لَالٍ مَخْرَمَةَ بْنِ نُوْفَلٍ، فَجَاءَ
الْحَزِينُ الدَّيْلِيُّ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَعَارَ حِمَارَهُ، وَذَهَبَ إِلَى الْعَقِيقِ فَشَرِبَ
وَأَقْبَلَ عَلَى الْحِمَارِ، وَقَدْ سَكَرَ، فَجَاءَ بِهِ الْحِمَارُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ كَمَا
كَانَ صَاحِبُهُ عَوْدَهُ إِيَّاهُ، فَمَرَّ بِهِ صَفْوَانُ فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ وَحَبَسَ الْحِمَارَ، فَأَصْبَحَ وَالْحِمَارُ
مَحْبُوسٌ مَعَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَيَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبِّرُونِي بِأَيِّ جَرِيرَةٍ^(٥) حُبِسَ الْحِمَارُ؟

(١) الجذل: الفرح، السرور.

(٢) إعراضه: امتناعه.

(٣) العارض: السحب المعترضة في السماء إيداناً بهطول الأمطار.

(٤) الهزم: المصحوب بصوت الرعد.

(٥) الجريرة: الذنب.

فَمَا لِلْعَيْرِ مِنْ جُزْمٍ إِلَيْكُمْ وَمَا بِالْعَيْرِ إِنْ ظَلِمَ انْتِصَارُ
[الوافر]

فردوا الحمار على صاحبه، وضربوا الحزين الحدَّ. فأقبل إلى مولى صفوان،
وهو في المسجد، فقال:

نَشَدْتُكَ بِالرُّكْنِ الَّذِي طِيفَ حَوْلَهُ وَزَمَزَمَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمَحَجَّجِ
لِزَانِيَةِ صَفْوَانُ أَمْ لِعَفِيفَةٍ لِأَعْلَمَ مَا آتَى وَمَا أَتَجَنَّبُ
[الطويل]

فقال مولاه: هو لزانية، فخرج، وهو ينادي: إن صفوان ابنُ لزانية، فتعلّق به
صفوان، فقال: هذا مولاك يشهد أنك ابنُ زانية، فخلّى عنه.

وقال محمد بن علي بن حمزة، وأخبرني الرياشي عن العتبي:

أَنَّ ابْنَ عَمٍّ لِلْحَزِينِ اسْتَشَارَهُ فِي امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لَهَا إِخْوَةً مَشَائِمَ.
وَقَدْ رَدُّوا عَنْهَا غَيْرَ وَاحِدٍ وَأَخْشَى أَنْ يَرُدُّوكَ فَتُطْلَقَ عَلَيْكَ أَلَسْنَا كَانَتْ عَنْكَ خُرْسًا،
فَخَطَبَهَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَرْدُوهُ، فَقَالَ الْحَزِينُ:

نَهَيْتُكَ عَنْ أَمْرٍ فَلَمْ تَقْبَلِ التُّهَى وَحَدَّرْتُكَ الْقَوْمَ الْغَوَاةَ الْأَشَاءِمَا
فَصَرْتَ إِلَى مَا لَمْ أَكُنْ مِنْهُ آمِنًا وَأَشَمَّتْ أَعْدَائِي وَأَنْطَقَتْ لَائِمَا
وَمَا بِهِمْ مِنْ رَغْبَةٍ عَنْكَ قُلْ لَهُمْ فَإِنْ تَسْأَلُونِي تَسْأَلُوا بِي عَالِمَا
[الطويل]

نسخت من كتاب لعلي بن محمد البسامي حدثني أبو محلم ولم يتجاوزَه.
وأخبرني عيسى بن الحسن، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني عمر بن
سلام مولى عمر الجعاب:

أَنَّ الْحَزِينِ الدِّيلِيَّ خَرَجَ مَعَ ابْنِ لُسْهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى مَتْنَزِهِ
لَهُمْ، فَسَكَرَ الْحَزِينُ وَانْصَرَفَ، فَبَاتَ فِي الطَّرِيقِ وَسُلِبَ ثِيَابُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ سَهِيلٍ
يُخْبِرُهُ الْخَبْرَ وَيَسْتَمِيحُهُ فَلَمْ يُمَحِّهِ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ سُفْيَانَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
مُرْوَانَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَعَوَّضَهُ مِنْ ثِيَابِهِ، فَقَالَ الْحَزِينُ فِي ذَلِكَ:

هَلَّا سُهَيْلًا أَشْبَهْتَ أَوْ بَعْضَ أَعْدَائِكَ يَمَامُكَ يَأْذَا الْخَلَائِقِ الشَّكْسَةِ^(١)
ضَيَّعْتَ نَدْمَانِكَ الْكَرِيمَ وَلَمْ تُشْفَقْ عَلَيْهِ مِنْ لَيْلَةٍ نَحْسَةٍ

(١) الأخلاق الشكسة: السيئة.

ثُمَّ تَعَالَيْتَ إِذَا أَتَاكَ لَهُ صُبْحاً رَسُولٌ بِعِلَّةٍ طَفِسَهُ^(١)
 لَكِنَّ سَفِيَّانَ لَمْ يَكُنْ وَكَلاَّ^(٢) لَمَّا أَتَيْنَا صَلَاتَهُ سَلِسَهُ
 سَمَّا بِهِ مَنْصِبٌ وَنَفْسٌ فَتَى أَرُوغَ لَيْسَتْ كَنَفْسِكَ الدَّنْسَهُ
 [المنسرح]

حدثني الصولي قال: حدثنا ثعلب، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال:
 مرّ الحزين الديليّ على مجلس لبني كعب بن خزاعة، وهو سكران، فضحكوا
 عليه، فوقف عليهم، وقال:

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي كَعْبٍ وَمَجْلِسِهِمْ مَاذَا يُجَمِّعُ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ ضَرَعٍ^(٣)
 لَا يَدْرُسُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ وَلَا يَصُومُونَ فِي حِرْصٍ عَلَى الشَّبَعِ
 [البسيط]

فوثب إليه مشايخهم فاعتذروا إليه وسألوه الكفّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله،
 فأجابهم وانصرف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا عمر بن أبي
 بكر المؤملي قال: حدثني عبد الله بن أبي عبيدة، قال:

كَانَ الْحَزِينُ قَدْ ضَرَبَ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ دَرَهْمَيْنِ دَرَهْمَيْنِ فِي كُلِّ
 شَهْرٍ، مِنْهُمْ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، فَجَاءَهُ لِأَخْذِ دَرَهْمِيهِ، وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ أَعْجَفَ، قَالَ:
 وَكُثِيرٌ مَعَ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، فَدَعَا ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ لِلْحَزِينِ بِدَرَهْمَيْنِ، فَقَالَ لَهُ الْحَزِينُ:
 مِنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: هَذَا أَبُو صَخْرٍ كُثِيرٌ بَنُ أَبِي جُمُعَةَ، قَالَ: وَكَانَ قَصِيراً دَمِيماً،
 فَقَالَ لَهُ الْحَزِينُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَهْجُوهُ بَبَيْتٍ مِنْ شَعْرٍ؟ قَالَ: لَا لِعَمْرِي لَا آذَنُ لَكَ
 أَنْ تَهْجُوَ جَلِيسِي وَلَكِنْ أَشْتَرِي عِرْضَهُ مِنْكَ بِدَرَهْمَيْنِ آخِرِينَ، وَدَعَا لَهُ بِهِمَا،
 فَأَخَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: لَا بَدَّ لِي مِنْ هَجَائِهِ بَبَيْتٍ، قَالَ: أَوْ أَشْتَرِي ذَلِكَ مِنْكَ بِدَرَهْمَيْنِ
 آخِرِينَ وَدَعَا لَهُ بِهِمَا. فَأَخَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهِ حَتَّى أَهْجُوهُ، قَالَ: أَوْ أَشْتَرِي
 ذَلِكَ مِنْكَ بِدَرَهْمَيْنِ آخِرِينَ، فَقَالَ لَهُ كُثِيرٌ: ائْذَنْ لَهُ، وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ فِيَّ؟ فَأْذَنُ
 لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، فَقَالَ:

(١) العِلَّةُ الطَّفْسَةُ: السبب القدر.

(٢) الْوَكْلُ، بفتح الواو والكاف: المتواني الضعيف.

(٣) الضَّرْع: الخضوع والاستسلام.

قصيرُ القميص فاحشٌ عندَ بيته يعضُّ القُرَادُ^(١) باسته وهو قائمٌ
[الطويل]

فوثبَ كُثِيرٌ إليه فوكزه فسقط هو والحمار . وخلَّصَ ابنُ أبي عتيقَ بينهما، وقال
لَكُثِيرٍ: قَبَّحَكَ اللَّهُ، أَتَأْذَنُ لَهُ وَتَبْسُطُ إِلَيْهِ يَدَكَ؟ قال كثير: وأنا ظننته يبلغ في هذا كله
في بيت واحد؟ وَلَكُثِيرٍ معَ الحزينِ أخبارٌ آخر قد ذُكرت في أخبار كُثِيرٍ .

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي، عن الضحاك بن
عثمان، قال:

حدثني ابنُ عُرْوَةَ بنُ أَدِينَةَ، قال: كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ،
وكان كثيراً ما يأتيه . وكانت تألفهم بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها، فبيعت
وأُخرجت عن المدينة . فأتى الحزين أبي، وهو كئيب حزين كاسمه، فقال له أبي:
ما لك يا أبا حكيم؟ قال: أنا والله يا أبا عامر، كما قال كُثِيرُ:

لَعَمْرِي لئنْ كَانَ الفؤَادُ مِنَ الهوى بَعَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمٌ
سَأَلْتُ حَكِيمًا أَيْنَ شَطَطُهَا التَّوَى فخبَّرني ما لا أَحِبُّ حَكِيمٌ
[الطويل]

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا .

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني
مُصعب، قال:

مرَّ الحزين الكِنَانِي بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث وعليه
أطمار، فقال له: يا ابنَ أبي الشعثاء، إلى أين أصبحت غادياً؟ قال: أمتع الله بك،
نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرَّةَ يريد الحجَّ . وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأحسن
إليَّ، قال: أفما وجدت شيئاً تلبسه غيرَ هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة
فلم يُعَرِّني أحد منهم شيئاً ألبسه غيرَ هذه الثياب، فدعا جعفر غلاماً له، فقال: ائتني
بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك فقال: البسْ وأبل وأخلق، فلما ولى الحزين،
قال جلساء جعفر له: ما صنعت؟ إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها
ويُفسد بئمنها، قال: ما أبالي إذ كافأته بثيابه ما صنع بها، فسمع الحزين قولهم وما ردَّ
عليهم، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه، فلما أصبح
الحزين أتى جعفرًا ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده:

(١) القُرَاد، بضم القاف: دُوبية تتعلق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان .

وما زال يَنُمى جعفرُ بنُ محمدٍ إلى المجد حتى عَبَّهَلْتُهُ^(١) عَوَازِلُهُ^(٢)
 وَقُلْنَ لَهُ هَلْ مِنْ طَرِيفٍ^(٣) وَتَالِدٍ^(٤) مَنْ الْمَالِ إِلَّا أَنْتَ فِي الْحَقِّ بِأَذْلُهُ
 يُحَاوِلُنَّهُ عَنْ شِيَمَةٍ^(٥) قَدْ عَلِمْنَاهَا وَفِي نَفْسِهِ أَمْرٌ كَرِيمٌ يُحَاوِلُهُ
 [الطويل]

ثم قال له بأبي أنت وأمي، قد سمعتُ ما قالوا وما رددت عليهم .
 أخبرني الحرَميَّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني
 محمد بن الضحاك، عن أبيه، قال:

صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لُؤيَّ يلقب أبا بَعْرَةَ، وكان اسْتُعْمِلَ على
 سِعاياتٍ^(٦) فلم يصنع إليه خيراً، وكان قد صحب قبله عُمَرُو بنُ مساحق - أخوا
 نوفل بن مساحق - وسعد بن نوفل فأَحْمَدَهُمَا، فقال له:

صَحِبْتُكَ عَاماً بَعْدَ سَعْدِ بْنِ نَوْفَلٍ وَعُمَرُو فَمَا أَشْبَهْتَ سَعْداً وَلَا عُمَرَا
 وَجَاداً كَمَا قَصَّرْتَ فِي طَلَبِ الْعُلَا فَحُزَّتْ بِهِ دَمًّا وَحَازَا بِهِ شُكْرَا
 [الطويل]

قال: وأبو بَعْرَةَ هذا هو الذي كان يعبث بجارية لابن أبي عتيق، فشكته إليه
 فأمرها ابن أبي عتيق أن تحتال عليه حتى تحصله في بيت في داره، ففعلت، وكان ابن
 أبي عتيق وشيخ من نظرائه جالسين في حَجَلَةٍ^(٧) فلما رآهما قال: أقسم بالله ما
 اجتمعتما إلا على ريبة، فقال له ابن أبي عتيق: استر علينا ستر الله عليك.

قال: وآل أبي بَعْرَةَ هم موالي آل أبي سُمَيْر، قال: فلما ولي المهديُّ باعوا
 ولاءهم منه.

قال الزبير: وأنشدني عمِّي تمامَ الأبيات التي هجا بها أبا بَعْرَةَ وسمَّاه لي، قال:
 كان اسمه عيسى، وهي:

أُولَاكَ الْجِعَادُ الْبَيْضُ مِنْ آلِ مَالِكٍ وَأَنْتُمْ بَنُو قَيْنٍ^(٨) لِحَقْتُمْ بِهِ نَزْرَا
 [الطويل]

(٢) العواذل، الواحد عاذل: اللائم.

(٤) التالد من المال: القديم الموروث.

(١) عبهله: لامته وعاتبته.

(٣) الطريف من المال: الحديث.

(٥) الشيمة: الخلق، الصفات.

(٦) السعايات: تقديم المساعدات والصدقات المالية للمعوزين.

(٧) الحجلة من السطور: تضرب في جوف البيت للاختباء عن أعين الناس.

(٨) القين: العبد.

نصب نَزراً على الحال كأنه قال: لحقتم به نِزاراً قليلاً من الرجال:

نُسُوفٌ بَيْعُورٌ أَمِيرٌ كَأَنَّمَا نَسُوقٌ بِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ زَبْرًا^(١)
فَإِنْ يَكُنِ الْبَيْعُورُ ذِمًّا رَفِيقُهُ قِرَاهُ فَقَدْ كَانَتْ إِمَارَتُهُ نُكْرًا
وَمُتَّبِعُ الْبَيْعُورِ يَرْجُو نَوَالَهُ فَقَدْ زَادَهُ الْبَيْعُورُ فِي فَقْرِهِ فَقْرًا
[الطويل]

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني صالح، عن عامر بن صالح، قال:

مدح الحزِينُ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو بْنِ الزَّبِيرِ فلم يعطه شيئاً.
وأخبرني بهذا الخبر عمي تاماً واللفظ له، ولم يذكر الزبير منه إلا يسيراً، قال:
حدثنا الكِرانيُّ، قال: حدثني العمريُّ، قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن
الحدثان، قال:

دخل الحزِينُ على عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو بْنِ الزَّبِيرِ بنِ العوامِ منزله فامتدحه وسأله حاجة،
فقال له: ليس إلي ما تطلب سبيل، ولا نقدر على أن نملأ الناسَ معاذير وما كلٌّ من سألنا
حاجة استحقَّ أن نقضيها، ولربُّ مُستحقٍّ حاجة قد منعناه إيَّاهَا. فقال له الحزِين: أفمن
المستحقِّين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض
الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمعضلات؟ إنما المستحق من كفَّ أذاه، وبذل نَداه،
وأرغم أعداءه. قال له الحزِين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تُبْعِدُنِي لا أُمُّ لَكَ من
هذه المنزلة وأفضل منها؟ فوثب الحزِين من عنده وأنشأ يقول:

حَلَفْتُ وَمَا صَبَرْتُ عَلَى يَمِينٍ وَلَوْ أَدْعَى إِلَى أَيِّمَانٍ صَبْرٍ
بَرَبِّ الرَّاغِبَاتِ بِشُعْبِ قَوْمٍ يُوَافُونَ الْجِمَارَ لِصُبْحِ عَشْرِ
لَوْ أَنَّ اللَّوْمَ كَانَ مَعَ الثُّرَيَّا لَكَانَ حَلِيفَهُ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو
وَلَوْ أَنِّي عَرَفْتُ بِأَنْ عَمْرًا حَلِيفَ اللَّوْمِ مَا ضَيَّعْتُ شِعْرِي
[الوافر]

قال العمريُّ: وحدثني لقيط أن الحزِين قال فيه أيضاً يهجوهِ ويمدح محمد بن
مروان بن الحكم وجاءه فشكا إليه عمراً فوصله وأحسن إليه، قال:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فَضْلٌ يَزِينُهُ سَوَى مَا أَدْعَى يَوْمًا فَلَيْسَ لَهُ فَضْلٌ

(١) زبراً: زجرأ، ردعاً.

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رَؤاؤه
 وآخر تنبو العين عنه مُهَدَّبٌ
 فيا راجياً عمرو بن عمرو وسَيِّبَهُ^(٢)
 فإن كنت ذا جهلٍ فقد يُخطئُ الفتى
 جهلت ابن عمرو فالتمس سببَ غيره
 عليك ابن مروان الأغرَّ محمداً
 يَرُوعك في النادي وليس له عقلُ
 وجود إذا ما الضخم نَهَنَهُ^(١) البُخلُ
 أتعرفُ عمراً أم أتاه بك الجهلُ
 وإن كنت ذا حزم إذا جازت النبلُ
 ودونك مرُمى ليس في جده هزلُ
 تجده كريماً لا يطيش^(٣) له نبلُ
 [الطويل]

قال لقيط : فلما أنشد الحزینُ محمدَ بن مروانَ هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : اكفف يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمك ، فقال : لا والله ولا بحُمُرِ النعم وسودها لو أعطيتها ما كفت عنه ، لأنه ما علمت ، كثير الشر قليل الخير مُتسلط على صديقه فظَّ على أهله .

وخيّر ابن عمرو بالثُرَيَّا مُعَلَّقُ

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر ، فقال : بعد ساعة يصير شعراً ، ولو شئت لعجلته ثم قال :

شرُّ ابنِ عمرو حاضرٌ لصديقه
 ووجه ابن عمرو باسِرٌ^(٤) إن طلبته
 فنفسُ الفتى عمرو بن عمرو إذا غدت
 فلا زال عمرو للبلايا دَريئةً^(٥)
 يَهْرُ هَرِيرَ الكلبِ عمرو إذا رأى
 وخيرُ ابنِ عمرو بالثُرَيَّا مُعَلَّقُ
 نوالاً إذا جاد الكريمُ المُوَفَّقُ
 كتائبُ هيجاءِ المنيةِ^(٦) تَبَرَّقُ^(٧)
 تُباكره حتى يموت وتَطْرُقُ
 طعاماً فما ينفك يبكي وبَشَهَقُ
 [الطويل]

قال : فزجره محمد عنه ، وقال له : أف لك فقد أكثرت في الهجاء ، وأبلغت في الشتيمة .

قال العُمريّ : وحدثني عطاء بن مصعب ، عن عبد الله بن الليث الليثي ، قال :

- (١) نهنه : كف ومنع وتوقف .
 (٢) السبب : العطاء ، الجود .
 (٣) لا يطيش له نبل . لا يخطئ هدفه .
 (٤) باسر : عابس ، معطب .
 (٥) هيجاء المنية : ساحة الحرب ، والمنية : الموت .
 (٦) تبرق : تشع ، تضيء .
 (٧) دريئة : حماية وصوناً .

قال الحزبن الديلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بما جد
ينام عن التقوى ويوقظه الحنا^(٢)
فلا بشر من عمرو لجار، ولا له
مواعيد عمرو ترهات ووجهه
جبان وفحاش لئيم مذمم
كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع
ولكنه كز^(١) اليدين بخيل
فيخبط أثناء الظلام فسول^(٣)
ذمام ولكن للئام وصول
على كل ما قد قلت فيه دليل
وأكذب خلق الله حين يقول
وكف ابن عمرو في الرخال^(٤) تطول
[الطويل]

فبلغ شعره عمراً فقال: ما له لعنه الله ولعن من ولده، لقد هجاني بينة صادقة
ولسان صنع ذلق وما عداني إلى غيري، قال: فلقني الحزبن عروة بن أذينة الليثي
فأنشده هذه الأبيات، فقال له: ويحك، بعضها كان يكفيك، فقد بنيتها ولم تقم
أودها، وداخلتها وجعلت معانيها في أكمتها، قال الحزبن: ذلك والله أرغب للناس
فيها: فقال له عروة: خير الناس من حلم عن الجهال وما أراه إلا قد حلم عنك، فقال
الحزبن: حلم والله عني شاء أو أبي برغمه وصغره.

قال العمري: فحدثنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان، قال:

لقي شباناً من ولد الزبير الحزبن فتناولوه بالسننهم وهموا بضربه. فحال بينهم
وبينه مصعب بن الزبير، فقال الحزبن يهجوهم ويهجو جماعة من بني أسد بن
عبد العزى سوى بني مصعب الذين منعوهم منه، قال:

لحي الله حياً من قريش تحالفوا
فصاروا لخلق الله في اللؤم غاية
فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعباً
بني أسد، سادت قريش بجودها
تجود قريش بالندی ورضيتم
أعمرو بن عمرو لست ممن تعدّه
على البخل بالمعروف والجود بالثكر
بهم تضرب الأمثال في النثر والشعر
حمدت ولكن أنت منقبض البشر
معداً وسادتكم معد مدى الدهر
بني أسد باللؤم والذل والعذر
قريش إذا ما هاتروا^(٥) الناس بالفخر

(٢) الخنا: الفحشاء قولاً وعملاً.

(١) كز اليدين: بخيل.

(٣) الفسول: هو الضعيف الفاقد للمروءة.

(٤) الرخال، بضم الخاء، الواحدة رخله: الإناث من الأغنام.

(٥) هاتروا: شتموا وسبوا.

أَبْتُ لَكَ يَا عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو دَنَاءَةً وَخُلِقْتُ لَتَيْمٍ أَنْ تَرِيشَ^(١) وَأَنْ تَبَرِّي [الطويل]

أخبرني الحرمي، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني محمد بن الضحاك الحزامي: قال: حدثني أبي، قال:

كان الحزين سفيهاً ندلاً يمدح بالنزر إذا أعطيته، ويهجو على مثله، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يقره، فقال يهجو به قوله:

سَيَرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَأَنْتَ الَّذِي يَرْجُو الْقَرَى^(٢) عِنْدَ عَاصِمٍ
ظَلَّلْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ كَالْتَّيْسِ طَاعِمًا فَشَدَّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعِمَائِمِ
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِ عِلْمُتُهُ سَوَى أَنَّنِي قَدْ جِئْتُهِ غَيْرَ صَائِمٍ
[الطويل]

فقل له: إن عاصماً كثيراً ما تُسمَّى به قريش، فقال: أما والله لأُبَيِّنَنَّ لَهُمْ فقال:

إِلَيْكَ ابْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ عَاصِمَ بَنَ عَمْرٍو سَرَتْ عَيْسَى فَخَابَ سُرَاهَا
فَقَدْ صَادَفْتُ كَزَّ الْيَدِينِ^(٣) مَبْخَلًا جَبَانًا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ لَظَاهَا^(٤)
بَخِيلاً بِمَا فِي رَحْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا مَا خَلَّتْ عِرْسُ الْخَلِيلِ^(٥) أَنَاهَا
[الطويل]

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن الضحاك، عن أبيه، قال:

قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة، قوله:

هَلَالُ بْنُ يَحْيَى غُرَّةٌ لَا خَفَابَ بِهَا عَلَى النَّاسِ فِي عُسْرِ الزَّمَانِ وَلَا الْيَسْرِ
وَسَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ظَفَرٌ مُوسَخٌ فَهَلْ يَسْتَرِيحُ النَّاسُ مِنْ وَسَخِ الظَّفَرِ؟
[الطويل]

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وكان ولي قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يُعطِ الحزين شيئاً فهجاه.

(٢) القرى، بكسر القاف: الضيافة.

(٤) لظى الحرب: نارها وسعيرها.

(١) تریش: تلصق على السهم ريشاً.

(٣) كزّ الیدین: البخيل.

(٥) الخليل: الصاحب، الصديق.

وقال فيه أيضاً:

أَتَيْتُ هَلالاً أَرْتَجِي فَضْلَ سَيْبِهِ^(١) فَأَمَكَّنَنِي مِمَّا أَحِبُّ هَلالُ
هَلالُ بْنُ يَحْيَى غُرَّةٌ لَا خَفَا بِهَا لِكُلِّ أَنْاسٍ غُرَّةٌ وَهَلالُ
[الطويل]

* * *

(١) السيب: العطاء.

جرير والفرزدق ونبوة السيف

صوت

أَلَمْ تَشْهَدْ الْجَوْنَيْنِ وَالشُّعْبَ وَالصَّفَا وَكَرَاتِ قَيْسٍ^(١) يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ^(٢)
تُحَرِّضُ يَابْنَ الْقَيْنِ^(٣) قَيْسًا لِيَجْعَلُوا لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاقِمِ^(٤)
بَسِيفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفٍ مُجَاشَعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تُضْرَبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعَشَتْ^(٥) يَدَاكَ، وَقَالُوا مُحَدِّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ
[الطويل]

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالنصر.

قصة للفرزدق:

وهذه الأبيات يقولها جرير يهجو الفرزدق ويُعَيِّرُهُ بضربة ضربها بسيفه رجلاً من الروم بحضرة سليمان بن عبد الملك فلم يصنع شيئاً.

فحدثنا بخبره في ذلك محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا صالح بن سليمان، عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، وكان شيخاً كبيراً، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ثم كان من أصحاب المنصور. قال:

كنت حاضراً سليمان بن عبد الملك.

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي عن أبي سعيد السُّكْرِيِّ، عن محمد بن حبيب عن أبي عُبَيْدَةَ وعن إبراهيم بن سعيد عن أبيه عن أبي عُبَيْدَةَ وعن قتادة عن أبي عُبَيْدَةَ وَدِمَازَ عن أبي عُبَيْدَةَ فِي كِتَابِ النِّقَاطِصِ، عَنْ رُوَيْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ، قَالَ:

(١) الجونين والشعب والصفاء وكرات قيس: مواضع جرت فيها معارك بين العرب.

(٢) دير الجماجم: من أيام العرب. (٣) القين: العبد.

(٤) يوم الأراقم: من أيام العرب. (٥) أرعشت يداك: إرتجفت خوفاً ورعباً.

حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ الشُّعْرَاءُ وَحَجَّجَتْ مَعَهُمْ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ مُنْصَرِفًا فَأَتَى بِأَسْرَى مِنَ الرُّومِ نَحْوَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ فَقَعَدَ سُلَيْمَانُ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ وَهُوَ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا، فَأَذْنَوْا إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِمْ وَهُوَ فِي جَامِعَةٍ^(١) فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ: قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَامَ فَمَا أَعْطَاهُ أَحَدٌ سِيفًا حَتَّى دَفَعَ إِلَيْهِ حَرَسِيُّ سِيفًا لَهُ كَلِيلًا، فَضْرِبَهُ فَأَبَانَ عُنُقَهُ وَذِرَاعَهُ وَأَطَنَّ سَاعِدَهُ وَبَعْضَ الْغُلِّ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: اجْلِسْ فَوَاللَّهِ مَا ضَرَبْتَهُ بِسِيفِكَ وَلَكِنْ بِحَسَبِكَ. وَجَعَلَ يَدْفَعُ الْأَسْرَى إِلَى الْوُجُوهِ فَيَقْتُلُونَهُمْ، حَتَّى دَفَعَ إِلَى جَرِيرِ رَجُلًا، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ بَنُو عَبَّسٍ سِيفًا قَاطِعًا فِي قِرَابٍ أَبْيَضٍ، فَضْرِبَهُ فَأَبَانَ رَأْسَهُ، وَدَفَعَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ أَسِيرًا فَدَسَّتْ إِلَيْهِ الْقَيْسِيَّةُ سِيفًا كَلِيلًا، فَضْرِبَ بِهِ الْأَسِيرَ ضَرْبَاتٍ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، فَضَحَكَ سُلَيْمَانُ وَضَحَكَ النَّاسُ مَعَهُ.

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤية. وأما سليمان بن أبي شيخ، فإنه ذكر في خبره أن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفًا، وقال له: اقتله به، فقال: لا بل أضربه بسيف مجاشع، واختلط سيفه فضربه به فلم يُغنِ شيئًا، فقال له سليمان أما والله لقد بقي عليك عازها وشنارها، فقال جرير قصيدته التي يهجوها فيها ومنها الصوت المذكور وأولها قوله:

أَلَا حَيَّ رُبَّعِ الْمَنْزِلِ الْمُتَقَادِمِ وَمَا حُلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سَالِمٍ
[الطويل]

وهي طويلة، فقال الفرزدق يجب جريراً:

صوت

فَهَلْ ضَرَبَهُ الرُّومِيُّ جَاعِلَةً لَكُمْ أَبَا عَنْ كَلِيبٍ أَوْ أَبَا مِثْلَ دَارِمٍ؟
كَذَاكَ سَيْوْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا^(٢) وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ^(٣) التَّمَائِمِ
وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
[الطويل]

(١) الجامعة: الأغلال والقيود.

(٢) ظبات السيوف: شفارها، الواحدة ظبية.

(٣) مناط التَّمَائِمِ: حيث توضع وتعلق.

ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لابن مُحَرِّز ولم يجنِّسه .

وقال يُعَرِّضُ بِسُلَيْمَانَ وَيُعَيِّرُ نُبُوَّ سَيْفٍ وَرِقَاءَ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ عَنْ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَبَنُو عَبْسٍ أَخْوَالُ سُلَيْمَانَ، قَالَ:

فَإِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدَرُ أَتَى بِتَأْخِيرِ نَفْسٍ حَتَفُهَا غَيْرُ شَاهِدٍ
فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدَيَّ وَرِقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سَيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَاناً مَنَاطَ الْقَلَائِدِ
[الطويل]

ورُوي هذا الخبر عن عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ فِيهِ: إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَالَ لِسُلَيْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَبْ لِي هَذَا الْأَسِيرَ، فَوَهَبَهُ لَهُ فَأَعْتَقَهُ، وَقَالَ الْأَبِيَّاتُ الَّتِي تَقْدِمُ ذِكْرَهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رُؤَايَاهُ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ: كَأَنِّي بَا ابْنِ الْمَرَاغَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ خَبْرِي، فَقَالَ:

بَسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفٍ مُجَاشَعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأُرْعِشْتَ يَدَاكَ وَقَالُوا مُخَدَّتٌ غَيْرُ صَارِمٍ
[الطويل]

قَالَ فَمَا لَبْنَا غَيْرَ مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ حَتَّى جَاءَنَا الْقَصِيدَةُ وَفِيهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ، فَعَجَبْنَا مِنْ فِطْنَةِ الْفَرَزْدَقِ .

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ حَمْزَةَ الْعَلَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ، قَالَ: زَعَمَ جَهْمُ بْنُ خَلْفٍ أَنَّ رُؤْبَةَ ابْنَ الْعِجَاجِ حَدَّثَهُ فَذَكَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ سَوَاءً وَزَادَ فِيهَا، قَالَ: وَاسْتَوْهَبَ الْفَرَزْدَقُ الْأَسِيرَ فَوَهَبَهُ لَهُ سُلَيْمَانُ فَأَعْتَقَهُ وَكَسَاهُ، وَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

وَلَا نَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
[الطويل]

قَالَ: وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

تَبَاشَرُ يَرْبُوعٌ بِنَبْوَةِ ضَرْبَةٍ ضَرَبْتُ بِهَا بَيْنَ الطَّلَا^(١) وَالْحَدَائِدِ
وَلَوْ شِئْتُ قَدْ السَّيْفُ مَا بَيْنَ عُنُقِهِ إِلَى عَلَقٍ بَيْنَ الْحِجَابَيْنِ جَامِدٍ
فَإِنْ يَنْبُ سَيْفٌ أَوْ تَرَاحَتْ مَنِيَّةٌ^(٢) لَمِيقَاتِ نَفْسٍ حَتَفُهَا^(٣) غَيْرُ شَاهِدٍ

(١) الطلى، الواحدة طلية: العنق.

(٢) تراخت منيته: امتد الأجل به.

(٣) الحتف: الهلاك، الموت.

فسيفُ بني عبس وقد ضربوا به نَبَا بِيَدَيَّ وِرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ
[الطويل]

قال: وقال في ذلك:

أَيَعَجِبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ؟
فَمَا نَبَا السَّيْفُ عَنْ جُبْنٍ وَلَا دَهْشٍ^(١) عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَكِنْ أَخَّرَ الْقَدْرُ
وَلَوْ ضَرَبْتُ بِهِ عَمْدًا مُقَلَّدَهُ لَخَرَّ جُثْمَانُهُ مَا فَوْقَهُ شَعْرُ
وَمَا يُقَدِّمُ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمَامَةُ الذِّكْرُ
[البسيط]

(١) الدهش: الحيرة والارتباك.

يوم الجونين

فَأَمَّا يَوْمَ الْجَوْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ جَرِيرٌ فَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَغَارَ فِيهِ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ عَلَى بَنِي كِلَابٍ، وَهُوَ يَوْمُ الرَّغَامِ.

أَخْبَرَنِي بِخَبْرِهِ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ عَنِ السُّكْرِيِّ عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ، وَدِمَازٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ عُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ أَغَارَ فِي بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ عَلَى طَوَائِفَ مِنْ بَنِي كِلَابٍ يَوْمَ الْجَوْنَيْنِ، فَأُطْرِدَ^(١) إِبْلَهُمْ وَكَانَ أَنَسُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ أَخُو بَنِي رِغْلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مَجَاوِرًا فِي بَنِي كِلَابٍ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ وَبَيْنَ بَنِي رِغْلٍ عَهْدٌ أَلَّا يُسْفَكَ دَمٌ وَلَا يُؤْكَلَ مَالٌ، فَلَمَّا سَمِعَ الْكِلَابِيُّونَ الدَّعْوَى: يَا لثَعْلَبَةَ، يَا لْعُبَيْدٍ، يَا لْجَعْفَرِ، عَرَفُوهُمْ. فَقَالُوا لِأَنَسِ بْنِ الْعَبَّاسِ: قَدْ عَرَفْتَ مَا بَيْنَ بَنِي رِغْلٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ فَأَذْرِكْهُمْ فَاحْبِسْهُمْ عَلَيْنَا حَتَّى نَلْحَقَ، فَخَرَجَ أَنَسُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ قَالَ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ لِأَخِيهِ حَنْظَلَةَ: أَغْنِ عَنَّا هَذَا الْفَارِسَ، فَاسْتَقْبَلَهُ حَنْظَلَةُ، فَقَالَ لَهُ أَنَسُ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكُمْ وَعَقِيدُكُمْ^(٢) وَكُنْتُ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأَعْرَظْتُ عَلَى إِبْلِي فِيمَا أَعْرَظْتُ عَلَيْهِ فَهِيَ مَعَكُمْ، فَارْجِعْ حَنْظَلَةُ إِلَى أَخِيهِ فَأَخْبِرْهُ الْخَبْرَ، فَقَالُوا لَهُ: حَيَّاكَ اللَّهُ، وَهَلُمَّ إِلَيْنَا فَوَالِ إِبْلِكَ أَيَّ اعْزَلْهَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهَا، وَبَنُو أَخِي وَأَهْلُ بَيْتِي مَعِي، وَقَدْ أَمَرْتَهُمْ بِالرُّكُوبِ فِي أَثَرِي، وَهُمْ أَعْرِفُ بِهَا مَنِي، فَطَلَعَ فَوَارِسُ بَنِي كِلَابٍ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ حَنْظَلَةُ بْنُ الْحَارِثِ فِي فَوَارِسَ، فَقَالَ لَهُمْ أَنَسُ: إِنَّمَا هُمْ بَنِي وَبَنُو أَخِي، وَإِنَّمَا يُرَبِّثُهُمْ^(٣) لَتَلْحَقَ فَوَارِسُ بَنِي كِلَابٍ، فَلَحَقُوا فَحَمَلَ الْحَوْثَرَةَ بْنُ قَيْسَ بْنِ جَزْءٍ بْنُ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَى حَنْظَلَةَ فَقُتِلَ. وَحَمَلَ لَأْمُ بْنُ سَلْمَةَ أَخُو بَنِي ضَبَارِيٍّ عَلَى الْحَوْثَرَةِ هُوَ وَابْنُ امْرَأَتِهِ أَخُو بَنِي عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدٍ فَأَسْرَاهُ وَدَفَعَاهُ إِلَى عُتَيْبَةَ فَقَتَلَهُ صَبْرًا، وَهَزَمَ الْكِلَابِيُّونَ وَمَضَى بَنُو ثَعْلَبَةَ بِالْإِبْلِ وَفِيهَا إِبِلُ أَنَسِ، فَلَمْ تُقَرَّ أَنَسًا نَفْسُهُ حَتَّى اتَّبَعَهُمْ رَجَاءٌ أَنْ يُصِيبَ مِنْهُمْ غِرَّةً، وَهُمْ يَسِيرُونَ فِي شَجَرَاءَ^(٤)،

(١) أُطْرِدَ إِبْلَهُمْ: سَاقَهَا وَاسْتَحْوِذَ عَلَيْهَا.

(٢) يُرَبِّثُهُمْ: يَعْمَلُ عَلَى رَدِّهِمْ وَمَنْعِهِمْ.

(٣) الْعَقِيدُ: الْمَعَاهِدُ.

(٤) الشَّجَرَاءُ: الْخَمِيلَةُ الْمُلْتَفَّةُ الشَّجَرِ.

فتخلّف عتيبةً لقضاء حاجته وأمسك برأس فرسه، فلم يشعر إلا بأنس قد مرّ في آثارهم، فتقدم حتى وثب عليه فأسره وأتى به عتيبةً أصحابه فقال له بنو عبّيد قد عرفت أنّ لأمّ بن سلمة وابن امرأته قد أسرا الحوثرَةَ فدفعاهُ إليك فضربت عنقه فأعقِبُهُما منه أنس بن عبّاس، فمن قتلته خيرٌ من أنس، فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتى افتدى أنس نفسه بمائتي بعير، فقال العباس بن مرداس يُعِيرُ عتيبةُ بن الحارث بفعله:

كَثُرَ الضَّجَاجُ وما سمعتُ بغادرٍ كُعْتِيبَةُ بنِ الحارثِ بنِ شِهَابٍ
جَلَلَتْ حَنْظَلَةُ المَخَانَةِ^(١) والخنا^(٢) وَدَنَسَتْ آخِرَ هَذِهِ الأَحْقَابِ
وَأَسْرَتُم أَنسًا فما حاولْتُم بِإِسَارِ جَارِكُم بني المِيقَابِ
[الكامل]

الميقاب: التي تلد الحمقى، والوَقْب: الأحمق:

بِأَسْتِ التّي ولدتكِ وَأَسْتِ معاشِرٍ تركوك تَمْرُسُهُم من الأحسابِ^(٣)
[الكامل]

فقال عتيبةُ بن الحارث:

غدرْتُم غَدْرَةً وَغدرْتُ أُخْرَى فليس إلى تَوَافِينَا سَبِيلُ
كَأَنَّكُم الغدَاةَ بني كِلَابٍ تَفَاقَدْتُم - عليّ لكم دَلِيلُ
[الوافر]

قوله: تفاقدم، دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً:

صوت

وَبِالْعُفْرِ دَارٌ من جَمِيلَةٍ هَيَّجَتْ سَوَالِفَ حُبٍّ في فُؤَادِك مُنْصِبِ
وَكُنْتَ إِذَا نَاءَتْ بِهَا غُرْبَةُ النُّوَى شَدِيدَ الْقُوَى لم تَدْرِ ما قول مِشْعَبِ
كَرِيمَةٌ حُرِّ الوجهِ لم تَدْعُ هَالِكاً من القومِ هُلُكاً في غِدٍ غيرِ مُعْقَبِ
أَسِيلَةٌ مجرى الدمعِ خُمُصَانَةُ الحِشَا^(٤) بَرُودُ الثَنَايَا^(٥) ذاتِ خَلْقٍ مُشْرَعَبِ^(٦)
[الطويل]

(٢) الخنا: الفحشاء قولاً وفعلاً.

(١) المخانة: الخيانة.

(٣) الأحساب: الأصول النبيلة.

(٤) خمصانة الحشا: ضامرة الخصر.

(٥) برود الثنايا: بياض الأسنان مع برودها، كناية عن فمها الذي يبعث على التقبيل.

(٦) الخلق المشرعب: الطويل الحسن.

العُقْر: منازل لقيس بالعالية، سواف: مواض: يقول هيَجَتْ حُبًّا قديمًا قد كان
ثم انقطع، ومُنْصَب: ذو نَصَب. ونَأَتْ ونَاءَتْ وبانتُ بمعنى واحد أي بعدت،
ومِشْعَب ذُو شَعْبٍ عليك وخلافٍ في حبها، ويروى مَشْعَب أي متعدد يشعبك
ويصرفك عنها. وقوله: لم تَدْعُ هالكًا أي لم تَنْدُب هالكًا هلك فلم يُخلف غيره ولم
يُعْقَب، ومعنى ذلك أنها في عَدَدٍ وقوم يَخْلَف بعضهم بعضاً في المكارم، لا كمن إذا
مات سيد قومها أو كريم منهم لم يَقم أحد منهم مقامه والمُشرع: الجسيم الطويل.
والشَّرْعِي: الطويل:

الشعر لطيف الغنوي، والغناء لجميلة ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر
حماد عن أبيه أنه لها ولم يُجنِّسه، وروى إسحاق عن أبيه عن سباط عن يونس أن هذا
أحسن صوتٍ صنعته جميلة.

نسب الطفيل الغنوي وأخباره

قال ابن الكلبي: هو طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن خلف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جالان بن غنم بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، ووافقه ابن حبيب في النسب إلا في خلف بن ضبيس فإنه لم يذكر خلفاً. وقال: هو طفيل بن عوف بن ضبيس. وقال أبو عبيدة: اسم غني عمرو، واسم أعصر منبه وإنما سمى أعصر لقوله:

قالت عميرة ما لرأسك بعدما فقد الشباب أتى بلون منكّر
أعمير إن أبالك غير رأسه مرّ الليالي واختلاف الأعصر
[الكامل]

فسمي بذلك.

وطفيل شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ويكنى أبا قران، يقال: إنه من أقدم شعراء قيس، وهو أوصف العرب للخيّل.

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ابن أخي الأصمعي، قال: قال لي عمي:

إن رجلاً من العرب سمع الناس يتذكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها، فقال: كان يقال: إن طفيلاً الغنوي ركب الخيل ووليها لأهلها، وإن أبا دؤاد الإيادي ملكها لنفسه ووليها لغيره، كان يليها للملوك، وإن النابغة الجعدي لما أسلم الناس وآمنوا اجتمعوا وتحذثوا ووصفوا الخيل فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمع وعرف قبل ذلك في صفة الخيل، فكان هؤلاء نعت الخيل.

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثني عمي، قال:

كان طفيل أكبر من النابغتين وليس في قيس فحل أقدم من طفيل، قال: وكان معاوية يقول خلوا لي طفيلاً، وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء.

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: كان طفيل الغنوي يسمّى طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها. أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسيّة، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: كان أهل الجاهلية يسمون طفيلًا الغنويّ المحبّر لحسن وصفه الخيل. أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: قال أبو عبيدة: طفيل الغنوي والنابعة الجعدي وأبو دؤاد الإيادي أعلم العرب بالخيّل وأوصفهم لها.

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراشي، قال: حدثنا العُمري، عن لقيط، قال:

قال قُتيبة بن مُسلم لأعرابي من غنيّ قدم عليه من خراسان: أيّ بيت قالته العرب أعفّ: قال: قول طفيل الغنوي:

ولا أكون وكاء الزاد أحبّسُهُ لقد علمتُ بأنّ الزادَ مأكولُ
[البسيط]

قال: فأَي بيت قالته العرب في الحرب أجود؟ قال: قول طفيل:

يجيء إذا قيل اركبوا^(١) لم يقل لهم - عواوير^(٢) يخشون الردى - أين نركب
[الطويل]

قال: فأَي بيت قالته العرب في الصبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي: ومن خير ما فينا من الأمر أننا متى ما تُوافي موطن الصبر نصبر
[الطويل]

قال: فقال له قُتيبة: فما تركت لإخوانك باهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وإنّا أناسٌ ما تَزَال سَوائُنّا^(٣) تُنور نيرانَ العدو مناسِمُهُ
وليس لنا حيّ نُضافُ إليهم ولكن لنا عودٌ شديدٌ شكائمُهُ

(١) اركبوا: أي هلموا وسارعوا للقتال.

(٢) العواوير، الواحد عوار: الجبان.

(٣) السّوام: الماشية والإبل الراعية.

حَرَامٌ وَإِنْ صَلَّيْتَهُ^(١) وَوَهْنْتَهُ^(٢) تَأَوَّدَهُ^(٣) مَا كَانَ فِي السَّيْفِ قَائِمُهُ

[الطويل]

وهذه القصيدة المذكور فيها الغناء يقولها طفيل في وقعة أوقعها قومه بطيء في حرب كانت بينه وبينهم .

وذكر أبو عمرو الشيباني والطوسي فيما رواه عن الأصمعي وأبي عبيدة أن رجلاً من غنبي يقال له قيس الندامي وفد على بعض الملوك، وكان قيس سيّداً جواداً، فلما حَفَلَ المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب، فقال: لأضَعَنَّ تاجي هذا على رأس أكرم رجل من العرب، فوضعه على رأس قيس، وأعطاه ما شاء وناداه مدة ثم أذن له في الانصراف إلى بلده، فلما قرب من بلاد طيء خرجوا إليه، وهم لا يعرفونه فلقوه برمّان^(٤) فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لأيادٍ له كانت فيهم فدفنوه برمّان وبنوا عليه بيتاً، ثم إن طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغار على طيء فاستاق من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلى كثيرة، وكانت هذه الوقعة بين القنان وشرقي سلمى، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة:

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةً مُّحَجَّرٍ^(٥) مَنِ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ^(٦)

فَبِالْقَتْلِ قَتْلُ وَالسَّوَامِ^(٧) بِمِثْلِهِ وَبِالشَّلِّ^(٨) شَلَّ الْغَائِطُ الْمُتَصَوِّبِ^(٩)

[الطويل]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الحارث بن محمد، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، قال:

لما مات محمد بن الحجاج بن يوسف جزع عليه الحجاج جزعا شديداً، ودخل الناس عليه يعزونه ويُسَلُّونه، وهو لا يُسَلُّو ولا يزداد إلا جزعا وتفجعا، وكان فيمن دخل عليه رجل، كان الحجاج قتل ابنه يوم الزاوية^(١٠) فلما رأى جزعه

(١) صليته: لينته . (٢) وهنته: أضعفته .

(٣) تأوّد: ثقل وتعب .

(٤) رمان، بفتح الراء: جبل في بلاد طيء، في غربي سلمى .

(٥) محجر: جبل في ديار طيء . (٦) التحوب: التألم والحزن .

(٧) السوام: الماشية والإبل الراعية . (٨) الشلّ: الإبعاد والطرّد .

(٩) الغائط المتصوّب: الوالج حتى أقصى حدّ لشدة ضربة السيف .

(١٠) يوم الزاوية: موضع في البصرة حيث جرت معركة بين الحجاج وابن الأشعث بن قيس، انتهت بهزيمة الأخير .

وقلة ثباته للمصيبة شمت به وسرَّ لما ظهر له منه، وتمثل بقول طفيل:

فذوقوا كما ذقنا غداة مُحَجَّرٍ من الغيظ في أكبادنا والتَّحَوُّبِ
[الطويل]

وفي هذه القصيدة يقول طفيل:

تري العين ما تهوى، وفيها زيادة من اليمن إذ تبدؤ وملهى لم لعب
وبيت تهبُّ الريح في حَجَرَاتِهِ^(١) بأرض فضاء بأبه لم يُحَجَّبِ
سماوته^(٢) أسمال^(٣) بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وسائرُه من أتحمي مُعَصَّبِ^(٤)
[الطويل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق، قال: حدثنا الرياشي عن العُتبي، عن أبيه، قال:

قال عبد الملك بن مروان لولده وأهله: أي بيت ضربته العرب على عصابة
ووصفته أشرف جِواء^(٥) وأهلاً وبناءً، فقالوا: فأكثرُوا، وتكلم من حضر فأطالوا، فقال
عبد الملك: أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقول فيه:

وبيت تهبُّ الريح في حَجَرَاتِهِ بأرض فضاء بأبه لم يُحَجَّبِ
سماوته أسمال بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وصهُوته من أتحمي مُعَصَّبِ
وأطنابُه^(٦) أرسان^(٧) جُرْدٍ كَأَنَّهَا صدورُ القنا من باديء ومُعَقَّبِ
نصبتُ على قوم تُدرُّ رماحُهم عُروقَ الأعادي من غرير^(٨) وأشيبِ
[الطويل]

وقال أبو عمرو الشيباني:

كانت فزارة لقيت بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من مُحارب فأوقعت بهم

(١) حجراته: جنباته.

(٢) الأسمال: البالية، الممزقة.

(٣) الأتحمي المعصَّب: من الألبسة المصنوعة في بلاد اليمن المحلاة والمنسوجة المنسوبة إلى أتحم، ولعله كان قد برع بنسج تلك الألبسة.

(٤) الجِواء، بكسر الحاء من البيوت: المتدانية، المتقاربة.

(٥) الأطناب، الواحد طنْب: الحبال التي تربط بأوتاد الخيم.

(٦) أرسان جُرد: الواحد رسن: المقود، والجُرد من الخيول: القليلة الشعر، وهي مفضلة عند الأعراب.

(٧) الغرير من الفتيان: من لا تجربة له في الحياة.

وقعة عظيمة ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم، فلما قتلت طيء قيس الندامي وقتلت بنو عبس هريم بن سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جالان بن غنم بن غني وكان فارساً حسيباً قد ساد ورأس، قتله ابن هذم العبسي طريد الملك، فقال له الملك: كيف قتلته؟ قال حملت عليه في الكبة^(١) وطعنته في السبة^(٢) حتى خرج الرمح من اللبة^(٣)، وقُتل أسماء بن واقد بن رفيد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جالان، وهو من النجوم وحصن بن يربوع بن طريف وأمهم جندع بنت عمرو بن الأغر بن مالك بن سعد بن عوف، فاستغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل في ذلك يمين عليهم بما كان منهم في نصرهم ويرثي القتلى:

تأوبني^(٤) هم من الليل مُنصب
تتابعن حتى لم تكن لي ريبة
وكان هريم من سنان خليفة
ومن قيس الثاوي^(٥) برمان^(٦) بيته
أشم طويل الساعدين كأنه
وبالسهب^(١٠) ميمون النقيبة قوله
وجاء من الأخبار ما لا أكذب
ولم يك عمّا خبروا متعقب
وحصن ومن أسماء لما تعيَّبوا
ويوم حفيل^(٧) فاد^(٨) آخر مُعجب
فنيق هجان^(٩) في يديه مُركب
لملتمس^(١١) المعروف: أهل ومرحّب
[الطويل]

صوت

كواكب دُجن كلما انقضّ كوكب بدا - وانجلت عنه الدُّجْنَةُ - كوكب
[الطويل]

الغناء لسليمان أخي بابويه ثاني ثقل عن الهشامي، وهي قصيدة طويلة، ذكرت منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذي فيها، ومن مختار مرثيته، فيها، قوله:

(٢) السبة: الإست.

(١) الكبة: الكتبية من الفرسان.

(٤) تأوبني: عاذني.

(٣) اللبة: موضع القلادة من الصدر.

(٦) رمان: موضع.

(٥) الثاوي: المدفون في قبره.

(٨) فاد: هلك، قتل.

(٧) يوم حفيل: من أيام العرب.

(١٠) السهب: موضع قتل فيه أحد أبناء قبيلة الشاعر.

(٩) فنيق هجان: فحل من كرام الإبل.

(١١) ملتمس المعروف: طالب العطاء.

لعمري لقد خَلَى ابن جُنْدَعٍ ثُلْمَةً^(١) ومن أين - إن لم يَرَأِبِ اللَّهْ - تُرَابُ
 نَدَامَايَ أُمَسَّوْا قَدْ تَخَلَّيْتُ مِنْهُمْ فكيف أَلَذُّ الخمرَ أم كيف أَشْرَبُ
 مضوا سَلَفاً قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ وَصَرَفُ المَنَايا بالرجال تَقَلَّبُ
 [الطويل]

صوت

فَدَيْتَ مِنْ بَاتٍ يُغَنِّيَنِي وَبِتَّ أَسْقِيهِ وَيَسْقِيَنِي
 ثُمَّ اصْطَبَحْنَا قَهْوَةً^(٢) عُتَّقْتُ مِنْ عَهْدِ سَابُورَ وَشَرُورِينَ
 [السريع]

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرَعَةِ، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر لا تُعرف له صنعةٌ غيره.

(١) الثُلْمَةُ بالضم الثاء: الخلل، محل الكسر من المكسور.

(٢) القهوة: من أسماء الخمرة.

نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور، ويكنى أبا جعفر ويلقب وجه القرعة، وهو أحد المغنين الحذاق الضراب الرواة، وقد أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته، وكان حسن الأداء طيب الصوت لا علة فيه. إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج لا لسبب يُعرف إلا لآفة تعرض للحسن في جنس من الأجناس، فلا يصح له بته.

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمي حدثه:

عن أبيه، أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند عمه هارون بن عيسى، وعنده محمد بن الحسن بن مُصعب، قال: فأتانا محمد بن حمزة وجه القرعة فسر به عمي، وكان شرس الخلق أبي النفس، فكان إذا سُئل الغناء أباه. فإذا أُمسك عنه كان هو المبتدئ به، فأمسكنا عنه حتى طلب العود، فأتي به فغنى:

مَرَّ بِي سِرْبُ ظَبَاءٍ رَائِحَاتُ مَنْ قُبَاءٍ

[مجزوء الرمل]

قال: وكان يُحسنه ويُجيده، فجعل إسحاق يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة أرتال، ثم قال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء لي وأنت تتقدمني فيه، ولا يُخلق الغناء ما دام مثلك ينشو^(١) فيه ولأدعن الغناء ما دام مثلك ينشر لحنه.

قال: وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه، قال:

كنا في البستان المعروف ببستان خالص النصراني ببغداد، ومعنا محمد بن حمزة وجه القرعة يُغنيننا قوله:

يَا دَارُ أَفْزَرَسْمُهَا بَيْنَ الْمُحَصَّبِ وَالْحَجُونِ^(٢)
يَا بَشْرُ إِنِّي فَاعِلْمِي وَاللَّهِ مُجْتَهِدٌ يَمِينِي

[مجزوء الكامل]

(١) ينشو فيه: شب وأدرك.

(٢) المحصب والحجون: موضعان في المدينة المنورة.

فإذا برجل راكب على حمار، يَوْمُنَا^(١) وهو يصيح: أحسنت يا أبا جعفر، أحسنت والله، فقلنا: اصعد إلينا كائناً مَنْ كُنْتَ، فصعد وقال: لو منعتموني مِنَ الصعود لما امتنعت، ثم سَفَر اللثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارق، فقال: يا أبا جعفر أعد عليّ صوتك، فأعاده فشرب رطلاً من شرابنا، وقال: لولا أَنِي مدْعُوٌّ إلى خدمة الخليفة لأَقمت عندكم، واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من الزهر غبَّ المطر^(٢).

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

مَرَّ بِي سِرْبُ ظَبَاءٍ	رَائِحَاتُ مَنْ قُبَاءٍ
زُمَرًا ^(٣) نَحْوَ الْمُصَلَّى	يَتَمَشَّيْنَ حِذَائِي
فَتَجَاسَرْتُ ^(٤) وَأَلْقَيْتُ	ت سَرَابِيلَ ^(٥) الْحَيَاءِ
وَقَدِيمًا كَانَ لَهُوِي	وَفُتُّونِي بِالنِّسَاءِ

[مجزوء الرمل]

الغناء لإسحاق مما لا أشك فيه من صنعه ولحنه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، وذكر محمد بن أحمد المكي أنه لجده يحيى، وذكر حَبَشُ أَنْ فيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى، ومنها:

صوت

يَا بِشْرُ إِنِّي فَاعِلْمِي	وَاللَّهِ مَجْتَهِدٌ يَمِينِي
مَا إِنْ صَرَمْتُ حِبَالَكُمْ ^(٦)	فَصَلِّي حِبَالِي أَوْ ذَرِينِي ^(٧)
إِسْتَبَدَلُوا طَلَبَ الْحِجَا	زِ سُرَّةَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ
بِحَدَائِقِ مَحْفُوفَةٍ	بِالْتَّبَتِ مِنْ عَنَبٍ وَتِينِ

(١) يَوْمُنَا: يأتي إلينا. (٢) غبَّ المطر: بعده.

(٣) زُمَرًا: جماعات جماعات. (٤) تجاسرت: تشجعت.

(٥) ألقىت سرابيل الحياء: خلعت رداء حيائي وتجرأت.

(٦) صرمت حبالكم: قطعت علاقتي بكم.

(٧) ذريني: أتركيني.

يا داراً أَقْفَرَ رِشْمُهَا بَيْنَ الْمُحَصَّبِ وَالْحَجُونِ
أَقْوَتْ^(١) وَغَيْرَ آيِهَا طُولُ التَّقَادُمِ وَالسَّنِينِ

[مجزوء الكامل]

الشعر للحارث بن خالد، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأول رمل بالوسطى، ولابن سريج في الخامس والسادس والأول والثاني ثقیل أول بالبنصر وذكر يونس أن فيه صوتين لمالك وابن سريج.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويّه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني القطرانيّ المغني عن محمد بن جبر، قال:

دخلنا إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي نعوده من عِلَّةٍ كان وجدها، فصادفنا عنده مخارقاً وعلّويه وأحمد بن يحيى المكيّ وهم يتحدثون، فاتصل الحديث بينهم وعرض عليهم إسحاق أن يقيموا عنده ليتفرّج بهم ويُخرج إليهم ستارة يُغْتُون من ورائها، ففعلوا، وجاء محمد بن حمزة وجه القرعة على تَفْتَةٍ^(٢) ذلك، فاحتبسه إسحاق معهم ووضع النبيذ وغنّوا. فغنّى مخارق وعلّويه صوتاً من الغناء القديم، فخالفه محمد فيه وفي صانعه وطال مِرَاؤُهُمَا^(٣) في ذلك وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمد، وراجعه علّويه، فقال له إسحاق: حسبك فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه، قال: ثم غنّى أحمد بن يحيى المكيّ قوله:

قُلْ لِلْجُمَانَةِ لَا تَعْجَلْ بِإِسْرَاجِ

فقال محمد: هذا اللحن لمعبدٍ ولا يُعرف له هزج غيره، فقال أحمد: أمّا على ما شرط أبو محمد أنفاً من أنه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك فلا مُعارض لك، فقال له إسحاق: يا أبا جعفر ما عَنَيْتُكَ واللّه فيما قلتُ، ولكن قد قال: إنه لا يُعرَف لمعبد هزجٌ غير هذا، وكلّنا نعلم أنه لمعبد فأكذبه أنت بهزج آخر له مما لا نَشْكُ فيه، فقال أحمد: ما أعرف.

قال محمد بن الحسن: وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه.

أن محمداً دخل معه على إسحاق الموصليّ مهنئاً له بالسلامة من عِلَّةٍ، كان فيها. فدعا بعود فأمر به إسحاق فدفع إلى محمد، فغنّى أصواتاً للقدماء وأصواتاً

(١) أقوت: خويت وخلت من ساكنيها.

(٢) على تفتة ذلك: على أثر ذلك.

(٣) مراؤهما: جدالهما.

لإبراهيم وأصواتاً لإسحاق في إيقاعات مختلفة، فوجه إسحاق خادماً بين يديه إلى جوار أبيه فخرج حتى سمعته من وراء حجاب ثم ودّعه وانصرف، فقال إسحاق للجواري: ما عندكن في هذا الفتى؟ فقلن: ذكرنا والله أباك فيما غناه من غناؤه، فقال: صدقتن، ثم أقبل علينا، فقال: هو مغنّ محسن ولكنه لا يصلح للمطارحة لكثرة زوائده، ومثله إذا طارح حير الذي يأخذ عنه فلم ينتفع به، ولكنه ناهيك من مغنّ مطرب.

قال إسحاق: وحُذِّث أنه صار إلى مخارق عائداً فصادف عنده المغنين جميعاً. فلما طلع تغامزوا به، فسلم على مخارق وسأل به، فأقبل عليه مخارق ثم قال له: يا أبا جعفر إن جواريك اللواتي في ملكي قد تركن الدرس منذ مدة، فأحب أن تدخل إليهن وتأخذ عليهن وتصلح من غنائهن، ثم صاح بالخدم فسعوا بين يديه إلى حجرة الجواري، ففعل ما سأله مخارق ثم خرج فأعلمه أنه قد أتى ما أحبه، والتفت إلى المغنين فقال: قد رأيت غمزكم فهل فيكم أحد رضي أبو المهنا أعزه الله حذقه وأدبه وأمانته ورضيه لجواريه غيري؟ ثم ولى فما كلمه أحد منهم وكأنما ألقمهم حجراً:

صوت

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها
فمدافع الريان عري رسمها خلقاً^(١) كما ضمن الوجي^(٢) سلامها
فاقنع بما قسم الإله فإنما قسم الخلائق بيننا علّامها
[الكامل]

عروضه من الكامل، عفت: دَرَسَتْ. ومنى: موضع في بلاد بني عامر وليس منى مكة، تأبّد: تَوَحَّش، والغول والرجام: جبلان بالجمي، والريان: واد بالحمي، ومدافعه: مجاري الماء فيه، وعري رسمها أي ترك وارثحل عنه، تقول: عري من أهله، وسلامها: صخورها واحدها سَلَمَة.

الشعر للبيد بن ربيعة العامري، والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن مُحَرِّز خفيف رمل أول بالوسطى عن حبش، وذكر الهشامي أن فيه رملاً آخر للهدلي في الثالث والأول.

(١) خلقاً: بالياء، انعدمت رسومه.

(٢) الوجي، الواحد وحى: المكتوب.

نسب لبید وأخباره

هو لبید بن ربیعۃ بن مالک بن جعفر بن کلاب بن ربیعۃ بن عامر بن صعصعة بن معاویة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى أبا عقيل وكان يقال لأبيه ربیعۃ المقتيرين لجوده وسخائه، وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومه، وعمه أبو براء عامر بن مالک مُلاعب الأسيئة، سُمي بذلك لقول أوُس بن حجر، فيه:

فَلَا عِبَ أَطْرَافَ الْأَسِنَّةِ عَامِرٌ فَرَّاحٌ لَهُ حِطُّ الْكِتَابَةِ أَجْمَعُ
[الطويل]

وأم لبید تامرة بنتُ زنباع العبسية إحدى بنات جذيمة بن رَوَاحَة، ولبید أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمُخَضَّرِمين ممن أدرك الإسلام، وهو من أشرف الشعراء المجيدين الفرسان القُرَّاء المُعَمَّرِينَ، يقال: إنه عُمِّرَ مائة وخمسة وأربعين سنة.

أخبرني بخبره في عمره أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شُبَّة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، وعن علي بن المسرور عن الأصمعي، وعن المدائني وعن رجال ذكرهم منهم أبو اليقظان وابن دأب وابن جُعْدَبَة والوقاصي.

أن لبید بن ربیعۃ قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل فأسلم وهاجر وحسن إسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فأقام بها ومات بها هناك في آخر أيام معاوية بن أبي سفيان فكان عمره مائة وخمسة وأربعين سنة، منها تسعون سنة في الجاهلية وبقيتها في الإسلام.

قال عمر بن شُبَّة في خبره: فحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم.

أن لبیداً قال حين بلغ سبعا وسبعين سنة:

قَامَتْ تَشْكِيٌّ إِلَيَّ الْمَوْتُ مُجْهَشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينَ

فإن تُزادي ثلاثاً تَبْلُغي أَمَلًا وفي الثلاث وفاءً للثمانينا

[البسيط]

فلما بلغ التسعين قال :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكَبِي رِدَائِيَا

[الطويل]

فلما بلغ مائة وعشرًا، قال :

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ وَفِي تَكَامِلِ عَشْرِ بَعْدَهَا عُمُرٌ؟!

[البسيط]

فلما جاوزها، قال :

وَلَقَدْ سَمُمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لِبَيْدُ؟

غَلَبَ الرِّجَالُ وَكَانَ غَيْرَ مُغْلَبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودٌ

يَوْمًا أَرَى يَأْتِي عَلَيَّ وَلَيْلَةً وَكِلَاهُمَا بَعْدَ الْمَضَاءِ يَعُودُ

وَأَرَاهُ يَأْتِي مِثْلَ يَوْمِ لَقِيَّتُهُ لَمْ يَنْتَقِصْ وَضَعُفْتُ وَهُوَ شَدِيدٌ

[الكامل]

قصته مع الربيع بن زياد :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال : حدثنا أبو حامد السَّجِسْتَانِي، قال :

حدثنا الأصمعي، قال :

وفد عامر بن مالك مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ - وكان يُكنى أبا البراء - في رهط من بني

جعفر ومعه لبيد بن ربيعة ومالك بن جعفر، وعامر بن مالك عم لبيد، على النعمان،

فوجدوا عنده الربيع بن زياد العَبْسِيَّ - وأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرَشْبِ الْأَنْمَارِيَّةِ - وكان

الربيع نديمًا للنعمان مع رجل من تجار أهل الشام يقال له زرجون بن توفيل وكان

حَرِيْفًا لِلنَّعْمَانِ يُبَايِعُهُ، وكان أديبًا حسن الحديث والندام، واستخفَّه النعمان فكان إذا

أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه، وإلى النطاسي مُتَطَبِّبٍ كان له، وإلى الربيع بن

زياد، فخلا بهم، فلما قدم الجعفريون كانوا يَحْضُرُونَ النعمانَ لحاجتهم فإذا خرجوا

من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم، وذكر معايبهم، وكان بنو جعفر له أعداء، فلم يزل

بالنعمان حتى صده عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء، وقد كان يُكرمهم

ويُقرَّبهم، فخرجوا غَضَابًا ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم ويغدو بإبلهم كل

صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بالإبل، فأتاهم ذات ليلة، وهم يتذكرون أمر الربيع،

فسألهم عنه فكتموا، فقال: واللّه لا حفظتُ لكم متاعاً ولا سَرَحْتُ لكم بعيراً أو تُخبروني فيم أنتم، وكانت أم لبيد يتيمة في حِجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على المَلِك وصدّ عنا وجهه، قال لبيد فهل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول مُمِضٍّ مؤلم لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا: وهل عندك شيء؟ قال: نعم. قالوا: فإنّا نَبْلُوك، قال: وما ذاك؟ قالوا: تشتم هذه البَقْلَة، وقُدَّامهم بقْلَة دَقِيقَة القُضبان، قليلَة الورق، لاصِقَة فروعها بالأرض تُدعى التَّربَة، فقال: هذه التَّربَة التي لا تُذكي ناراً، ولا تُؤهل داراً، ولا تُسرّ جاراً، عودها ضئيل، وفرعها قليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعى، وأقصرها فرعاً، وأشدّها قلعاً، بلدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فالقُوا بي أخا عبس، أرده عنكم بتعس، وأتركه من أمره في لبس. قالوا: نُصبح ونرى رأينا في أمرك. فقال عامر: انظروا إلى غلامكم هذا يعني لبيداً فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبه. فرمقوه فوجدوه قد ركب رَحْلاً وهو يكدم^(١) وسَطَه حتى أصبح، فقالوا: أنت واللّه صاحبه، فعمدوا إليه فحلّقوا رأسه وتركوا دُؤابته وألبسوه حُلّة، ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع بن زياد، وهما يأكلان لا ثالث لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوفود، فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه، وقد كان أمرهم تقارب، فذكروا الذي قدّموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم فقال لبيد في ذلك:

أَكَلْ يَوْمَ هَامَتِي مُقَزَّعَهُ^(٢) ياربُّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ
نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهُ سَيَوفُ جِنٍّ وَجِفَانٌ مُتَرَعَهُ^(٣)
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهُ الضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةِ^(٤)
وَالْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَعَهُ^(٥) مَهلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا نَأْكُلُ مَعَهُ
إِنْ اسْتَهْ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهُ وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا أَصْبَعَهُ
يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئاً ضَيَّعَهُ
[الرجز]

فرفع النعمان يده من الطعام، وقال: خَبِثَتِ واللّه يا غلامُ عليّ طعامي، وما

(٢) مقزعة: مخلوقة.

(١) يكدم: يعض.

(٣) جفان مترعة: أوانٍ مملأة بالماكل.

(٤) الخيضة: صوت القتال، المعركة وترابها.

(٥) الجفنة المدعدة: الإناء المليء بالماكل.

رأيت كالיום قطّ، فأقبل الربيع على النعمان، فقال: كذب والله ابنُ الفاعلة. ولقد فعلت بأُمّه كذا وكذا، فقال له لبید: مثلك فعل ذلك بريبة بيته والقريبة من أهله، وإن أُمي من نساء لم يَكُنْ فواعِلَ ما ذكُرتَ، وقضى النعمانُ للجعفرين الحوائج من وقتهم وصرفهم، ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته، فبعث إليه النعمان بضِعْف ما كان يَحْبُوهُ^(١) وأمره بالانصراف إلى أهله، فكتب إليه الربيع: إني قد عرفت أنه قد وقع في نفس الملك ما قال لبید، وإني لست بارحاً حتى تبعث إليّ من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال. فأرسل إليه: إنك لست صانعاً باتِّقائك مما قال لبید شيئاً، ولا قادراً على ما زَلْتُ به الألسُنُ فالْحَقْ بأهلك. فلحق بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبيات شعرٍ قالها، وهي:

لئن رَحَلْتُ جمالي لا إلى سَعَةٍ
بحيث لو وردتْ لَحْمٌ بأجمَعِها
ترعى الروائم^(٣) أحرارَ البُقُولِ بها
فائتُ بأرضك بعُدي وأخلُ متكئاً
ما مثلها سَعَةً عرضاً ولا طُولا
لم يعدلوا ريشة من ريش سَمُويلا^(٢)
لا مثل رَعْيِكُمْ ملحاً وعَسُويلا^(٤)
مع النطامِيّ طوراً وابنِ تُوفِلا
[البسيط]

فأجابه النعمان بقوله:

شَرَّدَ برحلك عني حيث شئتَ ولا
فقد ذُكِرْتَ بشيءٍ لست ناسيَهُ
فما اتقاؤك منه بعدما جَزَعْتَ
قد قيل ذلك إن حَقّاً وإن كَذِباً
تُكثِرُ عليّ ودَعَ عنك الأباطيلا
ما جاورَتْ مصرُ أهلَ الشام والنيلا
هُوجُ المَطِيِّ^(٥) به نحو ابن سَمُويلا
فما اعتذارك من قول إذا قِيلا
فأنشُرَ بها الطُرفَ إن عَرْضاً وإن طولا
[البسيط]

قال: وقال لبید يهجو الربيع بن زياد، ويزعمون أنها مصنوعة:

ربيعُ لا يَسْئُكُ نحوي سائِقُ
فَتُطْلَبُ الأذْحالُ^(٦) والحنائقُ^(٧)

(١) يَحْبُوهُ: يمنحه، يعطيه.

(٢) السُمُويل: ضرب من الطيور.

(٣) الروائم: الواحدة رئمة: الظبية البيضاء.

(٤) العَسُويل: ضرب من النباتات ينمو في السبخ.

(٥) هُوج المَطِيِّ: الإبل المرتبة.

(٦) الأذحال، الواحد ذحل: الثَّار.

(٧) الحنائق: شدة الغيظ والحق.

وَيُعْلَمُ الْمُعْيَا بِهِ وَالسَّابِقُ مَا أَنْتَ إِِنْ ضُمَّ عَلَيْكَ الْمَازِقُ
إِلَّا كَشِيءٍ عَاقَهُ الْعَوَائِقُ إِنَّكَ حَاسٍ حُسْوَةً فِذَائِقُ
لَا بَدَّ أَنْ يُغْمَزَ مِنْكَ الْفَائِقُ^(١) غَمَزَا تَرَى أَنَّكَ مِنْهُ نَازِقُ
إِنَّكَ شَيْخٌ خَائِنٌ مُنَافِقُ بِالْمُخْزِيَّاتِ مَاهِرٌ مُطَابِقُ
[الرجز]

وكان لبيد يقول الشعر فيُعرض على النابغة الذبياني، فيقول: لا تُظهِروه حتى قال:

عَفَتِ الدِّيَارَ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا
وَذُكِرَ مَا صَنَعَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ وَضَمْرُهُ بْنُ ضَمْرَةٍ وَمَنْ حَضَرَهُمْ مِنْ وَجْهِ النَّاسِ،
فَقَالَ لَهُمُ النَّابِغَةُ حِينَئِذٍ: أَظْهَرُوهَا.
قال الأصمعيّ في تفسير قوله: الْحَيْضَعَةُ أَصْلُهُ الْخَضَعَةُ بِغَيْرِ يَاءٍ يَعْنِي الْجَلَبَةَ
وَالْأَصْوَاتِ، فَزَادَ فِيهَا الْيَاءُ، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: بِالْمُخْزِيَّاتِ مَا هُوَ مُطَابِقٌ يُقَالُ طَابَقَ الدَّابَّةُ
إِذَا وَضَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ رَفَعَهَا فَوَضَعَ مَكَانَهُمَا رِجْلَيْهِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ يَطَأُ فِي شَوْكٍ أَوْ شَيْءٍ
يَتَّقِيهِ، وَالْمَازِقُ. الضِّيقُ، وَالنَّازِقُ: الْخَفِيفُ.

نسخت من كتاب مروّي عن أبي محلم، قال: حدثني العلاء بن عبد الله
الموقع، قال:

اجتمع عند الوليد بن عقبة سُمَّارُهُ وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ، وَفِيهِمْ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فَسَأَلَ
لَبِيداً عَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ عِنْدَ النِّعْمَانِ، فَقَالَ لَهُ لَبِيدُ: هَذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ
الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِالإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ، وَكَانُوا يَرُونَ
لِعَزْمَةِ الْأَمِيرِ حَقّاً: فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ مِنْ غَنِيٍّ، فَقَالَ: مَا عَلِمْنَا بِهِذَا،
قَالَ: أَجَلُ يَا ابْنَ أَخِي، لَمْ تُدْرِكْ سِتْكَ مِثْلَ ذَلِكَ وَلَا كَانَ أَبُوكَ مِمَّنْ يَشْهَدُ تِلْكَ
الْمَشَاهِدَ فَيَحْدِثُكَ.

فخر لبيد:

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْكِرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي

(١) الفائق: الخطّ الكامل.

الهيثم، عن ابن عياش، عن محمد بن المُثَنَّر، قال:

لم يُسمع من لبید فَخُرَّ في الإسلام غيرَ يوم واحد، فإنه كان في رَحْبَةٍ غَنِيٍّ مستلقياً على ظهره، قد سَجَى نفسه بثوبه، إذ أَقبل شابٌ من غَنِيٍّ، فقال: قَبَّحَ اللَّهُ طُفَيْلاً حيث يقول:

جزى الله عنا جعفرًا حيث أشرفت
أَبُوا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا
فدو المال موفورٌ وكلُّ مُعَصَّبٍ^(١)
وقالت هَلُمُّوا الدارَ حتى تَبَيَّنُوا
سنجزى بإحسانِ الأيادي التي مضت
بنا نَعْلُنَا في الواطئينَ فزَلَّتْ
تُلاقِي الذي يَلْقَوْنَ منا لَمَلَّتْ
إلى حَجَرَاتِ أَدْفَاتٍ^(٢) وَأَظْلَلَّتْ
وَتَنَجَلِي العَمِيَاءِ عما تَجَلَّتْ
لها عندنا ما كَثُرَتْ وَأَهْلَتْ^(٣)

[الطويل]

ليت شعري ما الذي رأى من بني جعفر حيث يقول هذا؟ قال فكشف لبید الثوب عن وجهه، وقال: يا ابن أخي إنك أدركت الناس وقد جُعِلَتْ لهم شرطةٌ يَزْعُونَ بعضَهم عن بعض، ودارُ رزقي تخرج الخادم بجرابها فتأتي برزق أهلها، وبيتُ مال يأخذون منه أَعْطِيَتْهُمْ، ولو أدركتُ طُفَيْلاً يومَ يقول هذا لبني جعفر لم تَلَمَّهُ، ثم استلقى، وهو يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فلم يزل يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ حتى نام.

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونسَ، قال: حدثنا عمر بن شَبَّةَ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، قال:

مرّ لبید بالكوفة على مجلس بني نهد، وهو يتوكأ على مِحْجَنٍ^(٤) له، فبعثوا إليه رسولاَ يسأله عن أشعر العرب فسأله، فقال: الملك الضَّلِيلُ ذو القروح، فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا امرؤ القيس، ثم رجع إليه فسأله: ثَمَّ مَنْ؟ فقال له: الغلامُ المقتول من بني بكر، فرجع فأخبرهم، فقالوا: هذا طُرفة ارجع فاسأله ثم من؟ فسأله، فقال: ثم صاحب المحجن، يعني نفسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شَبَّةَ، قال: حدثني أبو عُبَيْدَةَ، قال:

(١) المعصَّب: السيد المتوجّج بالتاج، أو تعصب به أمور الناس.

(٢) أدفأت: ألبست الحرارة والدفع. (٣) أهلت: اشتدّ انصبابها.

(٤) المحجن: العصا.

لم يقل لبيد في الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتَنِي أَجْلِي حَتَّى لَبِستُ مِنَ الْإِسْلَامِ سُرْبَالاً^(١)
[البسيط]

أخبرني أحمد، قال: أخبرني عمي، قال حدثني محمد بن عباد بن حبيب
المُهَلَّبِيُّ قال: حدثنا نصر بن داب، عن داود بن أبي هند، عن الشَّعْبِيِّ، قال:

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة:
أَنْ اسْتَنْشُدْ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ شِعْرَاءِ مِصْرِكَ مَا قَالُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَأَرْسِلْ إِلَى الْأَغْلَبِ
الْراجز الْعِجْلِيِّ فقال له: أنشدني، فقال:

أَرْجَزاً تُرِيدُ أَمْ قَصِيداً؟ لَقَدْ طُلِبْتَ هَيناً مَوْجُوداً
[الرجز]

ثم أرسل إلى لبيد، فقال: أنشدني. فقال: إن شئت ما عُفِيَ عنه، يعني الجاهلية،
فقال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام، فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها،
وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر، فكتب بذلك المغيرة إلى عمر رضوان الله
عليه فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه ألفين فجعله
ألفين وخمسمائة، فكتب الأغلب إلى أمير المؤمنين: أتُنقص عطائي أن أطعتك؟ فردّ عليه
خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة، قال أبو زيد: وأراد معاوية أن ينقصه من
عطائه لما ولي الخلافة، وقال هذان القودان يعني الألفين، فما بال العِلاوة؟ يعني
الخمسمائة، فقال له لبيد: إنما أنا هامة اليوم أو غد، فأعزني اسمها فلعلي لا أقبضها أبداً،
فتبقى لك العِلاوة والقودان، فرق له وترك عطاءه على حاله فمات ولم يقبضه.

وقال عمر بن شبة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم،
وأخبرنا به إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم قالًا:

كان لبيد من جوداء العرب، وكان قد آلى في الجاهلية أن لا تهبّ صباً إلا
أطعم، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم
فهبت الصبا يوماً ووليد بن عُقبة على الكوفة، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم
قال: إن أحاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية أن لا تهبّ صباً إلا أطعم، وهذا
يوم من أيامه وقد هبت صباً فأعينوه وأنا أول من يفعل، ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه
بمائة بكرّة، وكتب إليه بأبيات قالها:

(١) السربال: الثوب الواسع.

أَرَى الْجَزَارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُ أَبِي عَقِيلِ
 أَشَمَّ الْأَنْفِ أَصِيدُ عَامِرِي طَوِيلِ الْبَاعِ كَالسَيْفِ الصَّقِيلِ
 وَفَى ابْنُ الْجَعْفَرِيِّ بِحَلْفَتَيْهِ عَلَى الْعِلَاتِ^(١) وَالْمَالِ الْقَلِيلِ
 بَنَحَرَ الْكُومِ^(٢) إِذْ سُحِبَتْ عَلَيْهِ ذُيُولُ صَبَا تَجَاوَبُ بِالْأَصِيلِ
 [الوافر]

فلما بلغت أبياته لبيداً قال لابنته: أجيبه فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أعيأ
 بجواب شاعر، فقالت ابنته:

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُ أَبِي عَقِيلِ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
 أَشَمَّ الْأَنْفِ أَرُوعَ عَبْشَمِيَّأَ أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدَا
 بِأَمْثَالِ الْهَضَابِ كَأَنَّ رَكْبَا عَلَيْهِمَا مِنْ بَنِي حَامٍ فُعُودَا
 أَبَا وَهْبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَا نَحْرِنَاهَا فَأَطَعَمْنَا الثَّرِيدَا
 فَعُدَّ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادُ وَظَنِّي لَا أَبَا لَكَ أَنْ تَعُودَا
 [الوافر]

فقال لها لبيد: قد أحسنت لولا أنك استطعمتي، فقالت: إن الملوك لا يُستَحيا
 من مسألتهم، فقال: وأنت يا بنية في هذه أشعر.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني
 محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني القاسم بن يعلى، عن المُفَضَّلِ الضَّبِّي، قال:
 قدم الفرزدق فمرَّ بمسجد لبني أقيصر وعليه رجلٌ ينشد قول لبيد فيه:

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ^(٣) تُجَدُّ^(٤) مُتُونَهَا^(٥) أَقْلَامُهَا
 [الكامل]

فسجد الفرزدق فقيل له: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن
 وأنا أعرف سجدة الشعر.

(١) العِلَات، الواحدة علة: الحالات والشؤون المختلفة التي تشغل صاحبها عن وجهه.

(٢) الكوم، الواحدة كوما من الإبل: العظيمة السنام.

(٣) الزُّبُر، الواحد زبور: الكتاب.

(٤) تُجَدُّ: تجدد ما اندرس بعد ما انمحي.

(٥) المتون، الواحد متن: الظهر.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم القرشي، قال: حدثنا العمري، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي، قال: حدثنا مجالد وأبو يعقوب الثقفي وابن عيَّاش ومُسعر بن كدام، كلهم عن عبد الملك بن عمير، قال:

أخبرني من أرسله القُرَاءُ الأشراف - قال الهيثم: فقلت لابن عيَّاش: مَنْ القُرَاءُ الأشراف؟ قال: سليمان بن صُرْدَ الخزاعي والمسيَّب بن نَجَبَةَ الفزاري وخالد بن عُرْفُطَةَ الزُّهري ومَسْرُوق بن الأجدع الهمداني وهانئ بن عُرْوَةَ المُرادي - إلى لبيد بن ربيعة، وهو في المسجد وفي يده مِحْجَنٌ فقلت: يا أبا عَقِيل، إخوانك يُقْرِئونك السلام، ويقولون: أيُّ العرب أشعر؟ قال: الملك الضَّلِيل ذو القُروح، فردوني إليه، وقالوا: وَمَنْ ذو القُروح؟ قال: امرؤ القيس، فأعادوني إليه، وقالوا: ثم مَنْ؟ قال: الغلام ابن ثمانى عشرة سنة، فردوني إليه فقلت: ومن هو؟ فقال: طَرْفَة، فردوني إليه، فقلت: ثم مَنْ؟ قال: صاحب المحجن حيث يقول:

وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي ^(١) وَعَجَلُ	إِنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرٌ نَفَلُ
بِيَدِهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ	أَحْمَدُ اللَّهِ وَلَا نِدْلُهُ
نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضْلُ	مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى

[الرملة]

يعني نفسه، ثم قال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيعي، قال: حدثنا عمر بن شَبَّه، عن ابن البَّوَاب، قال:

جلس المعتصم يوماً للشَّراب فغناه بعض المغنين قوله:

وَبَنُو الْعَبَّاسِ لَا يَأْتُونَ لَا،	وَعَلَى أَلْسِنِهِمْ خَفَّتْ نَعَمُ
زَيَّنْتَ أَحْلَامُهُمْ أَحْسَابَهُمْ	وَكَذَاكَ الْحِلْمُ زَيْنٌ لِلْكَرَمِ

[الرملة]

فقال: ما أعرف هذا الشعر، فلمن هو؟ قيل: للبيد، فقال: وما للبيد وبني العباس؟ فقال المغني: إنما قال:

وَبَنُو الدَّيَّانِ لَا يَأْتُونَ لَا

(١) ريثي: تمهلي، إبطائي.

فجعلته: وبنو العباس. فاستحسن فعله ووصله، وكان يُعَجَّب بشعر لبید، فقال: من منكم يروي قوله:

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النَّجُومُ الطَّوَالِعُ

فقال بعض الجلساء: أنا، فقال: أنشدنيها فأنشد:

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النَّجُومُ الطَّوَالِعُ وتبقى الجبال بعدنا والمصانعُ
وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضْنَةٍ^(١) ففارقني جارٌ بأزبدٍ نافعُ

[الطويل]

فبكى المعتصم حتى جرت دموعه وترحَّم على المأمون، وقال: هكذا كان رحمة الله عليه ينشدها لي، ثم اندفع يُنشد هو باقيها ويقول:

فَلَا جَزَعُ^(٢) إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فكل امرئ يوماً له الدهرُ فاجعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بها يومَ حَلَّوْهَا وَبَعْدُ بِلَاقِعُ^(٣)
وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً^(٤) وَتُخْلَفُ بَعْدَهُمْ كَمَا ضَمَّ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَحُورُ^(٥) رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتُ مَنْ التُّقَى وَمَا الْمَالُ إِلَّا عَارِيَاتُ وَدَائِعُ
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ؟!
أَخْبَرَ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبٌ كَأَنِّي كَلِمَا قُمْتُ رَاكِعُ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ^(٦) تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ^(٧) وَالنَّضْلُ قَاطِعُ
فَلَا تَبْعَدُنْ إِنْ الْمَنِيَّةُ مَوْعِدُ عَلَيْنَا فِدَانٍ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
أَعَاذِلُ^(٨) مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنُّيَا إِذَا رَحَلَ الْفَتْيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصَبِّهِ الْقَوَارِعُ^(٩)
لِعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضُّوَارِبُ بِالْحَصَا وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

[الطويل]

(١) مضنة: ضيق وشدة.

(٢) بلاقع، الواحد بلقع: قفر، خاوٍ.

(٣) يحور: يتحول.

(٤) القين: الحداد.

(٥) القوارع، الواحدة قارعة: المصيبة.

(٦) الجزع: الخوف.

(٧) الأرسال: جماعات، جماعات.

(٨) جفن السيف: غمده.

(٩) العاذل: اللائم.

قال: فوالله لعجبنا من حسن ألفاظه وصحة إنشاده وفصاحته وجودة اختياره.

عثمان بن مظعون:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، وحدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال:

كان عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، فتفكر يوماً في نفسه فقال: والله ما ينبغي لي أن أكون آمناً في جوار كافر، ورسول الله ﷺ خائف، فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له: أحب أن تبرأ من جواري، قال: لعله رابك ريب، قال: لا ولكنني أحب أن تفعل، قال: فاذهب بنا حتى أبرأ منك حيث أجرتك، فخرج معه إلى المسجد الحرام، فلما وقف على جماعة قريش قال لهم: هذا ابن مظعون قد كنت أجرت ثم سألتني أن أبرأ منه، أكذاك يا عثمان؟ قال: نعم اشهدوا أنني منه بريء، قال: وجماعة يتحدثون من قريش، معهم لبيد بن ربيعة يُنشدُهم، فجلس عثمان مع القوم فأنشدُهم لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال له عثمان: صدقت، فقال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت، فلم يدر القوم ما عني، فأشار بعضهم إلى لبيد أن يُعيد فأعاد فصدقه في النصف الأول وكذبه في الآخر، لأن نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، ما كان مثل هذا يكون في مجالسكم، فقام أبي بن خلف أو ابنه فلطم وجه عثمان، فقال له قائل: لقد كنت في منعة من هذا بالأمس، فقال له: ما أحوج عيني هذه الصحيحة إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى في الله عز وجل.

الشعبي وعبد الملك:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عيَّاش، قال:

كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره بإشخاص الشعبي إليه، فأشخصه فألزمه ولده، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم، قال: فدعاني يوماً في عِلَّته التي مات فيها فعُصَّ بلقمة وأنا بين يديه فتساند طويلاً ثم قال: أصبحت والله كما قال الشاعر:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لَجَامٍ
إِذَا مَا رَأَيْتِ النَّاسَ قَالُوا أَلَمْ يَكُنْ شَدِيدَ مِحَالِ الْبَطْشِ غَيْرَ كَهَامٍ^(١)؟
رَمَتْنِي بِنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى وَكَيْفَ بِمَنْ يُزْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ
وَلَوْ أَنَّني أُرْمَى بِسَهْمِ رَأْيَتُهُ وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سَهَامٍ
[الطويل]

فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ، اسْتَسْلَمَ الرَّجُلُ وَاللَّهُ لِلْمَوْتِ، فَقُلْتُ لَهُ: كَلَّا
أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَلَكِنْ مِثْلُكَ مَا قَالَ لَبِيدُ:

بَاتَتْ تَشْكَى إِلَى الْمَوْتِ مُجْهَشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا
فَإِنْ تُزَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا وَفِي الثَّلَاثِ وَفَاءً لِلثَّمَانِينَا
[البسيط]

فَعَاشَ إِلَى أَنْ بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً، فَقَالَ:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنَكِبِي رَدَائِيَا
[الطويل]

فَعَاشَ إِلَى أَنْ بَلَغَ مِائَةً وَعِشْرَ سَنِينَ، فَقَالَ:

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ وَفِي تَكَامِلِ عِشْرٍ بَعْدَهَا عُمْرٌ؟!
[البسيط]

فَعَاشَ إِلَى أَنْ بَلَغَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَ:

وَلَقَدْ سَأَمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلُهَا وَسَوَّالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ
[الكامل]

صوت

غَلَبَ الْعَزَاءُ وَكُنْتُ غَيْرَ مُغْلَبٍ دَهْرٌ جَدِيدٌ دَائِمٌ مَمْدُودُ
يَوْمٌ إِذَا يَأْتِي عَلَيَّ وَلَيْلَةٌ وَكِلَاهُمَا بَعْدَ الْمَضَاءِ يَعُودُ
[الكامل]

فَفَرَحَ وَاسْتَبَشَرَ، وَقَالَ: مَا أَرَى بِي بَأْسًا، وَقَدْ وَجَدْتُ خِفَاءً، وَأَمْرٌ لِي بِأَرْبَعَةِ
آلَافِ دَرْهَمٍ، فَقَبِضْتُهَا وَخَرَجْتُ، فَمَا بَلَغَتْ الْبَابَ حَتَّى سَمِعْتُ الْوَاعِيَةَ عَلَيْهِ.

وَعَنَى فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ الَّتِي أَوَّلُهَا:

(١) الكَهَامُ: الضَّعِيفُ، وَمَنْ لَا سِلَاحَ مَعَهُ.

غَلَبَ الْعَزَاءُ وَكُنْتُ غَيْرَ مَغْلَبٍ

عمر الوادي خفيف رمل مطلق بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثنا هارون بن مسلم، عن العُمري، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية قال:

نظر النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة، وهو صبيٍّ مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر، فسأل عنه فنُسب له فقال له: يا غلام إن عينيك لَعَيْنَا شاعرٍ، أفتقرض من الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا عم، قال: فأنشدني شيئاً مما قلته، فأنشده قوله:

أَلَمْ تَرْبِعْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي

فقال له: أنت يا غلام أشعر قومك فأنشدني يا بني أيضاً، فأنشده قوله:

طَلَلْ لَخَوْلَةٍ بِالرُّسَيْسِ قَدِيمٌ

فضرب بيديه على جنبه، وقال: اذهب فأنْت أشعر قيس كلها، أو قال هوازن كلها.

وأخبرني بهذا الخبر عمي، قال: حدثنا الكُراني، قال: حدثنا العمرى، عن لقيط، عن أبيه وحماد الراوية عن عبد الله بن قتادة المُحاربِي، قال:

كنت مع النابغة بباب النعمان بن المنذر، فقال لي النابغة: هل رأيت لبيد بن ربيعة فيمن حضر؟ قلت: نعم. قال: أيهم هو؟ قلت: الفتى الذي رأيت من حاله كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فقال: اجلس بنا حتى يخرج إلينا، قال: فجلسنا، فلما خرج قال له النابغة: إلَيَّ يا ابن أخي، فأتاه فقال: أنشدني فأنشده قوله:

أَلَمْ تُلِمْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لَسَلِمَى بِالْمَذَانِبِ فَالْقِفَالِ^(١)

[الوافر]

فقال له النابغة: أنت أشعر بني عامر، زدني فأنشده:

طَلَلْ لَخَوْلَةٍ بِالرُّسَيْسِ^(٢) قَدِيمٌ بِمَعَاقِلٍ فَالْأَنْعَمَيْنِ رُسُومٌ

[الكامل]

فقال له: أنت أشعر هوازن، زدني فأنشده قوله:

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمَنْى تَأْبَدُ غَوْلُهَا فِرْجَامُهَا^(٣)

[الكامل]

(٢) الرئيس: موضع .

(١) المذانب والقفال: موضعان .

(٣) رجامها وغولها: موضعان .

فقال له النابغة: اذهب فأنت أشعر العرب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد.

أن لبيداً لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه - ولم يكن له ولد ذكر - يا بني إن أباك لم يمت ولكنه فني، فإذا قبض أبوك فأقبله القبلة وسجّه بثوبه ولا تصرّخنّ عليه صارخة، وانظر جفنيّ اللتين كنت أصنعهما فاصنعهما ثم احملهما إلى المسجد، فإذا سلّم الإمام فقدّمهما إليهم، فإذا طعموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيه، ثم أنشد قوله:

وإذا دفنّت أباك فاجـ علّ فوقه خشباً وطينا
وسقائفا ضمّاروا سبها يسدّدنّ العصونا
ليقين حرّ الوجه سفـ ساف التراب ولن يقينا
[مجزوء الكامل]

قال: وهذه الأبيات من قصيدة طويلة، وقد ذكر يونس أن لابن سريج لحناً في أبيات من قصيدة لبيد هذه، ولم يجنسه، أوله:

صوت

أبني هل أبصرت أعـ مامي بني أم البنينا
وأبي الذي كان الأرا ملّ في الشتاء له قطينا
وأبا شريك والمُنا زلّ في المضيق إذا لقينا
ما إن رأيت ولا سمعـ تُ بمثلهم في العالمينا
فبقيت بعدهم وكنـ تُ بطول صحتهم ضنينا^(١)
دعني وما ملكت يميـ ني إن سدّدت بها شزونا^(٢)
وافعل بمالك ما بدا لك مُستعاناً أو مُعينا
[مجزوء الكامل]

قال: وقال لابنتيه لما حضرته الوفاة وفيه غناء:

(١) ضنين: بخيل.

(٢) شزون: ضيق العيش.

صوت

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ؟!
فَإِنْ حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكُمْ فَلَا تَخْمُشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا الشَّعْرَ
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَلِيفَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ
[الطويل]

في هذه الأبيات هزجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى، وذكر الهشاميُّ أنه
لإِسْحَاقَ، وذكر أحمد بن يحيى المكيُّ أنه لإِبْرَاهِيمَ.

قال: وكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما في كل يوم ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن
كِلَابَ فترثيانه ولا تَنْدُبَانِ، فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفتا.

صوت

سَأَلْنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَأْبَى فَأَعْطَى فَوْقَ مُنْيَتِنَا وَزَادَا
وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُذْنَا فَأَحْسَنَ ثُمَّ عَدَتْ لَهُ فَعَادَا
مِرَارًا مَا دَنَوْتُ إِلَيْهِ إِلَّا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثَنَى الْوِسَادَا
[الوافر]

الشعر لزياد الأعجم، والغناء لشارية خفيف رمل مطلق بالبنصر:

أخبار زياد الأعجم ونسبه

زياد بن سليمان مولى عبد القيس، أحد بني عمار بن الحارث، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية.

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عن ابن حبيب، قال:

هو زياد بن جابر بن عمرو مولى عبد القيس، وكان ينزل إصطخر، فغلبت العجمة على لسانه، فقليل له: الأعجم، وذكر ابن الطّاح مثل ذلك في نسبه وخالف في بلده، وذكر أن أصله ومولده ومنشأه بأصبهان، ثم انتقل إلى خراسان فلم يزل بها حتى مات. وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الألفاظ على لُكنة لسانه وجزيه على لفظ أهل بلده.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثت عن المدائني أن زياداً الأعجم دعا غلاماً له ليرسله في حاجة فأبطأ، فلما جاءه قال له: «منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لي لبي ما كنت تسناً». يريد: منذ لدن دعوتك إلى أن قلت لبيك ما كنت تصنع. فهذه ألفاظه كما ترى في نهاية القبح واللكنة، وهو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب، بقوله:

صوت

قُلْ للقفوف والغزي إذا غزوا
إن المروءة والسماحة ضمنا
فإذا مررت بقبره فاعقربه
وانضخ^(٣) جوانب قبره بدمائها

والباكرين وللمجد الرائح
قبراً بمرؤ على الطريق الواضح
كوم الهجان^(١) وكل طرف^(٢) سابح
فلقد يكون أخا دم وذبائح

(١) كوم الهجان، الواحدة كوماء من الإبل: السمينة العظيمة السنم، وكوم الهجان: أفضل الإبل البيضاء.

(٢) الطرف من الخيول: أحسنها وأطولها.

(٣) نضح بالماء: رش قبره.

يا مَنْ بِمَعْدَى الشَّمْسِ مِنْ حَيٍّ إِلَى
ماتِ الْمَغِيرَةُ بَعْدَ طَوِيلٍ تَعْرِضُ
وَالْقَتْلُ لَيْسَ إِلَى الْقِتَالِ وَلَا أَرَى
مَا بَيْنَ مَطْلَعِ قَرْنِهَا الْمُتَنَازِحِ
لِلْمَوْتِ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَصَفَائِحِ
حَيًّا يُؤَخَّرُ لِلشَّفِيقِ النَّاصِحِ
[الكامل]

وهي طويلة، وهذا من نادر الكلام ونَقِيّ المعاني ومُختارِ القصائد، وهي معدودة من مراثي الشعراء في عصر زياد ومقدمها.

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأول غناء أوله نشيد كله ثم يعود إلى الصنعة في الثاني والثالث، في طريقة الهَزَج بالوُسْطَى.

وقد أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأَخْفَشِ، عنِ السُّكْرِيِّ، عن محمد بن حبيب أن مَنْ الناس من يروي هذه القصيدة للصَّلْتانِ العَبْدِيِّ، وهذا قول شاذ. والصحيح أنها لزياد، وقد رَوَتْها الرواةُ له غيرَ مدفوع عنها.

وأخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ، قال: حدثني إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيِّ، قال: حدثنا ابن عائشة عن أبيه، قال: رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب، فقال:

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاةَ ضُمَّنَا
قَبْرًا بِمَرْوٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ
كُومَ الْهَاجَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحِ
[الكامل]

فقال له يزيد بن المهلب وقد أنشده إياها: يا أبا أُمَامَةَ، أَفَعَقَرْتَ أَنْتَ عِنْدَهُ؟ قال: كنت على «بَتنِ الهمار» يريد متن الحمار.

أخبرني مدرك بن محمد الشَّيْبَانِيُّ، قال: كنت حاضراً في مجلس أبي العباس ثعلب، وقد قرئ عليه شعر زياد الأعجم، فقرئت عليه قصيدته:

قُلْ لِلْقَوَافِلِ وَالْغَزِيِّ إِذَا غَزَوْا
لِلْبَاكِرِينَ وَلِلْمُجِدِّ الرَّائِحِ
[الكامل]

فقال ثعلب: إنها لَمِنْ مُختارِ الشعر، ولقد أُنْشِدْتُ لبعض المُحَدِّثِينَ في نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة ثم أنشدنا^(١):

أَيُّهَا النَّاعِيَانِ مَنْ تَنْعَيَانِ
وَعَلَى مَنْ أَرَاكُمَا تَبْكِيَانِ
أُنْدُبَا الْمَاجِدَ الْكَرِيمَ أَبَا إِسْمَ
حَقَّ رَبِّ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ

(١) منشد تلك الأبيات أحمد بن محمد الخثعمي.

وَأَذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَقٌّ رُّ إِلَى جَنْبِ قَبْرِهِ فَأَعْقِرَانِي^(١)
وَانْضَحَا^(٢) مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ^(٣) لَوْ تَعْلَمَانِ
[الخفيف]

أخبرني وكيع، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، عن ابن عائشة، عن أبيه، قال:

كَانَ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ بَخْرَاسَانَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ زِيَادُ الْأَعْجَمِ فَمَدَحَهُ، فَأَمَرَ لَهُ
بِجَازَتِهِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا. قَالَ: فَإِنَّا لَبِعَشِيَّةٍ نَشْرَبُ مَعَ حَبِيبِ بْنِ الْمَهْلَبِ فِي دَارِهِ
فِيهَا دُلْبَةٌ^(٤) وَفِيهَا حَمَامَةٌ إِذْ سَجَعَتِ الْحَمَامَةُ، فَقَالَ زِيَادُ:

تَعَنَّنِي أَنْتَ فِي ذِمَمِي وَعَهْدِي وَذِمَّةِ وَالِدِي إِنْ لَمْ تُطَارِي
وَبَيْتَكَ أَصْلَحِيهِ وَلَا تَخَافِي عَلَى صُفْرِ مُزْغَبَةٍ صِغَارِ
فَإِنَّكَ كُلَّمَا غَنَّنَيْتَ صَوْتًا ذَكَرْتُ أَحْبَبْتِي وَذَكَرْتُ دَارِي
وَمَا يَقْتُلُوكَ طَلَبْتُ ثَارًا لَهُ نَبَأٌ لَأَنَّكَ فِي جَوَارِي
[الوافر]

فَقَالَ حَبِيبُ: يَا غَلَامُ، هَاتِ الْقَوْسَ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: وَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أُرْمِي
جَارَتَكَ هَذِهِ، قَالَ: أَوْ جَارَةٌ هِيَ؟ وَاللَّهِ لَنْ رَمَيْتَهَا لِأَسْتَعْدِينَ عَلَيْكَ الْأَمِيرَ، فَأَتَيْتِ
بِالْقَوْسِ، فَفَنَزَعَ لَهَا سَهْمًا فَقَتَلَهَا، فَوَثَبَ زِيَادُ فَدَخَلَ عَلَى الْمَهْلَبِ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ
وَأَنشَدَهُ الشَّعْرَ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ: عَلَيَّ بِأَبِي بَسْطَامٍ، فَأُتِيَ بِحَبِيبٍ فَقَالَ لَهُ: أَعْطِ أَبَا أُمَامَةَ
دِيَّةَ جَارَتِهِ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ. قَالَ: أَعْطَاهُ كَمَا
أَمَرَكَ فَأَعْطَاهُ فَأَنْشَأَ زِيَادُ يَقُولُ:

فَلَلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى كَقَضِيَّةٍ قَضَى لِي بِهَا قَرْمٌ^(٥) الْعِرَاقِ الْمُهْلَبُ
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمَهْلَبِ رَمِيَّةً فَأَثْبَتَهَا بِالسَّهْمِ وَالسَّهْمُ تَغْرُبُ
فَأَلْزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ ابْنَ حُرَّةٍ وَقَالَ حَبِيبُ: إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ
فَقَالَ: زِيَادُ لَا يُرَوِّعُ جَارُهُ وَجَارَةُ جَارِي مِثْلُ جَارِي وَأَقْرَبُ
[الطويل]

(١) عقر الناقة: ذبحها بعد أن عرقب قوائمها.

(٢) نضح: رش الماء.

(٣) نداه: كرمه، جوده.

(٤) الدلبة من الأشجار: شجرة عظيمة عريضة الأوراق لا تزهر ولا تثمر.

(٥) القرم: الفحل، السيد النبيل.

قال: فحمل حبيبٌ إليه ألف دينار على كُرْهِ منه، فإنه ليشربُ مع حبيبٍ يوماً إذ عَرَبَدَ عليه حبيبٌ وقد كان اضْطَعَنَ عليه ما جرى، فأمر بِشَقِّ قَبَاءِ دِيبَاجٍ كان عليه، فقام وقال:

لَعَمْرُكَ مَا الدِّبَاجَ خَرَّقْتَ وَحَدَهُ وَلَكِنَّمَا خَرَّقْتَ جِلْدَ الْمُهَلَّبِ
[الطويل]

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره، وقال له: صدق زيادٌ ما خَرَّقْتَ إِلَّا جِلْدِي، تبعث هذا على أن يهجوني: ثم بعث إليه فأحضره فاستلَّ سَخِيمَتَهُ^(١) من صدره وأمر له بمالٍ وصالَةٍ وصَرَفَهُ.

وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً، قال أحمد بن الهيثم بن فِرَاس: قال العُمري، عن الهيثم بن عديٍّ عن ابن عِيَّاش، قال:

تهاجى قتادة بن مُغْرِبٍ اليشكريُّ وزِيَادُ الأعجم بخراسان، وكان زياد يخرج وعليه قَبَاءٌ^(٢) ديباج تشبهاً بالأعاجم، فمرَّ به يزيد بن المهلب، وهو على حاله تلك، فأمر به فُقِّعَ أسواطاً ومَزَّقَتْ ثيابه. وقال له: أَبَاهِلِ الشُّرْكَ تَشْبَهُ لَا أُمَّ لَكَ، فقال زياد: لَعَمْرُكَ مَا الدِّبَاجَ مَزَّقْتَ وَحَدَهُ وَلَكِنَّمَا مَزَّقْتَ جِلْدَ الْمُهَلَّبِ
[الطويل]

ثم ذكر باقي الخبر مثله، وقال فيه: فدعا به المهلب، فقال له: يا أبا أُمَامَةَ قُلْتُ شيئاً آخر؟ قال: لا وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَالَ: فَلَا تَقُلْ. وَأَعْتَبَهُ وَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ، وَقَالَ لَهُ: اغْذِرْ ابْنَ أَخِيكَ يَا أبا أُمَامَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفَكَ.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها زيادُ الأعجم في عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ.

عمر بن عبيد الله بن معمر:

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ، قال: حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة، قال:

أتى زيادُ الأعجم، عُمَرَ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرِ بَفَارَسَ، وقدم عليه عِرَاكُ بنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيه من مصر، فكان عِرَاكُ يحدثه بحديث الفقهاء، فقال زياد:

(١) السخيمة: الحقد والكراهية.

(٢) القباء: ثوب يُلبس فوق الثياب.

يُحَدِّثُنَا أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ أَتَتْ وجاء عِرَاكَ يبتغي المال من مصر
فكم بين باب الثوب إن كنت صادقاً وإيوان كسرى من فلاة ومن قصر
[الطويل]

وقال يمدح عمر بن عبید الله :

سألناه الجزيل فما تأبى وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وزاداً
[الوافر]

وذكر الأبيات الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا : قال حدثنا محمد بن زياد ، عن ابن عائشة .
وأخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدثني عيسى بن إسماعيل ، عن ابن عائشة ، وخبر
ابن أبي الدنيا أتم ، قال :

كان زياد الأعجم صديقاً لعمر بن عبید الله بن معمر قبل أن يلي ، فقال له
عمر : يا أبا أمامة لو قد وليت لتركك لا تحتاج إلى أحد أبداً ، فلما ولي عمر فارس
قصده زياد فلما لقيه أنشأ يقول :

أبلغ أبا حفص رسالة ناصح أتت من زياد مستبيناً كلامها
فإنك مثل الشمس لا ستر دونها فكيف أبا حفص عليّ ظلامها ؟ !
[الطويل]

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامها أبداً ، فقال زياد :

لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى أمور معد في يدك نظامها
[الطويل]

فقال له : قد رأيت ذلك ، فقال :

فلما أتاني ما أردت تبشرت بناتي وقلن العام لا شك عامها
[الطويل]

قال : فهو عامهن إن شاء الله تعالى ، فقال :

فإني وأرضاً أنت فيها ابن معمر كمكة لم تطرب لأرض حمامها
[الطويل]

قال : فهي كذلك يا زياد ، فقال :

إذا اخترت أرضاً للمقام رضيئتها لنفسي ولم يثقل عليّ مقامها

وَكُنْتُ أُمْنِيَّ النَّفْسَ مِنْكَ ابْنَ مَعْمَرٍ أَمَانِيَّ أَرْجُو أَنْ يَتِمَّ تَمَامُهَا
[الطويل]

قال: قد أتمها الله لك، فقال:

فَلَا أَكُ كَالْمُجْرِي إِلَى رَأْسِ غَايَةٍ بِوَحْيِ سَمَاءٍ لَمْ يُصِبْهُ عَمَامُهَا
[الطويل]

قال: لست كذلك، فسَلَّ حَاجَتَكَ. قال: نجيةٌ ورِحَالَتُهَا، وفرس رائعٍ وسائسه،
وبَدْرَةٌ وحاملها، وجاريةٌ وخادمها، وتَخْتُ ثِيَابٍ وَوَصِيفٌ يَحْمِلُهُ فقال: قد أَمَرْنَاكَ
بجميع ما سألت، وهو لك علينا في كلِّ عام، فخرج من عند عُمَرَ حتى قدم على
عبد الله بن الحَشْرَج، وهو بسابورَ فَأَنْزَلَهُ وَأَلْطَفَهُ، فقال في ذلك:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبْتُ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
مَلِكُ أَغَرٍّ مَتَوَجِّ ذُو نَائِلٍ لِلْمُعْتَفِينَ^(١) يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ^(٢)
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ بِالثَّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتَكَ رَاجِيًا لِنَوَالِكُمُ أَلْفِيْتُ بَابَ نَوَالِكُمُ لَمْ يُرْتَجِ^(٣)
[الكامل]

فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ
الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهَذَا الْخَبَرِ، فَقَالَ فِيهِ:

أَتَى زِيَادَ، عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ. وَالْخَبَرُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ وَزَادَ فِي الشَّعْرِ:

أَخَّ لَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى الْعِلَّاتِ^(٤) بَسَّامًا جَوَادًا
[الوافر]

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا أُمَامَةَ، وَلَكَ بِكُلِّ بَيْتِ أَلْفٍ، قَالَ دَعْنِي أَتَمِّمُهَا مِائَةً،
قَالَ: أَمَّا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ فَعَلْتَ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ لَكَ مَا رُزِقْتَ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:
لَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ أَرْسَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) الْمُعْتَفِينَ: طَالِبِي الْمَعْرُوفِ، الْمُحْتَاجِينَ.

(٢) لَمْ تَشْنَجِ: لَمْ تَنْقَبِضْ، كَنَاقِيَةٍ عَنْ كَرَمِهِ.

(٣) لَمْ يَرْتَجِ: لَمْ يُغْلَقْ.

(٤) الْعِلَّاتُ، الْوَاحِدَةُ عِلَّةٌ: الْحَالَاتُ وَالشُّؤُنُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي تَشْغُلُ صَاحِبَهَا عَنْ وَجْهِهِ.

معمر ليقدم عليه، فلما كان بضَمِير وهي بالشام مات بالطاعون، فقام عبد الملك على قبره، وقال: أما واللَّهِ لقد علمتُ قُرَيْشٌ أَنْ قد فقدتِ اليوم نأباً من أنيابهـا. وقال جَدُّ خَلادِ بن أبي عمرو الأعمى - وكانوا مَوَالِي وَجَرَّةَ بن أبي عمرو بن أُمَيَّة - أَهُوَ اليوم نأبٌ لما ماتَ وكانَ أُمسٍ ضِرْساً كَلِيلَةً؟ أما واللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ السماء وقعت على الأرض فلم يَعِشْ بينهما أَحَدٌ بعده. وسمِعها عبدُ الملك فتغافل، عنها، قال: وقال الفرزدق يرثيه:

يا أَيُّها الناسُ لا تبكوا على أَحَدٍ
كانت يدها لنا سيفاً نَصُولُ به
أَمَّا قُرَيْشٌ أبا حَفْصٍ فقد رُزئتُ^(١)
من يَفْتُلُ الجوعَ من بعدِ الشَهِيدِ ومن
إِنَّ النوائِحَ لم يَعْدُدْنَ في عُمَرِ
إِذَا عَدَدْنَ فَعالاً أَوْ لَهُ حَسَباً
كم من جبانٍ إلى الهيجا^(٤) دَنَوَتْ به
بعدَ الذي بِضَمَيْرٍ وافَقَ القَدَرَا
على العدوِّ وَعَيْثاً يُنْبِتُ الشَجَرَا
بِالشامِ - إِذْ فارَقْتُكَ - البأسُ والظَفَرَا
بالسيفِ يقتُلُ كبشَ القومِ^(٢) إِنْ عَكَرَا^(٣)
ما كان فيه إِذا المَولى به افتَحَرَا
ويَوْمَ هيجاءِ يُعْشِي بِأُسِهِ البَصَرَا
يومَ اللقَاءِ ولولا أَنْتَ ما صَبَرَا

[البسيط]

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا عمر بن شَبَّه، قال: حدثنا عَفَّانُ بن مُسلم، قال: حدثنا حمَّاد بن سَلَمَة، قال: أخبرنا حُمَيد عن سليمان بن قَتَّة، قال:

بعث عمر بن عُبَيدِ اللّهِ بن معمر إلى ابنِ عُمَرَ والقاسم بن محمد بألف دينار فَأَتَيْتُ عبدَ اللّهِ بن عُمَرَ، وهو يغتسل في مستَحَمٍّ له، فأَخْرَجَ يده فصَبَّتها في يده فقال وَصَلَّتْهُ رَحِمٌ قد جاءتنا على حاجة. وَأَتَيْتُ القاسم فأبى أَنْ يقبلها، فقالت لي امرأته: إِنْ كان القاسمُ ابنَ عَمِّه فأنا ابنةُ عمه. فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، قال: وكان عمرُ يبعث بهذه الثياب العُمَرِيَّةَ إلى المدينة فيقسمها بين أهلها، فقال ابنُ عمر: جزى اللّهُ رجلاً أَفْشَى هذه الثياب بالمدينة خيراً. قال: وقال لي ابنُ عمر: لقد بلغني عن صاحبك شيء كرهته، قلت: وما ذاك؟ قال: يُعْطِي المهاجرين ألفاً ألفاً وَيُعْطِي الأنصار سبعمائة سبعمائة، فأخبرته، فسوّى بينهم.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا أبو زيد، قال:

(٢) كبش القوم: سيدهم وكبيرهم.

(٤) الهيجا: الحرب.

(١) رزئت: أصيبت بمصيبة.

(٣) عكر: كز وحمل.

كانت لرجل جاريةً يهواها، فاحتاج إلى بيعها، فابتاعها منه عمر بن عُبيد الله بن معمر، فلما قبض ثمنها أنشأت، تقول:

هنيئاً لك المال الذي قد قبضته
أَبُوءَ بِحُزْنٍ مِنْ فِرَاقِكَ مَوْجِعٍ
ولم يَبْقَ في كَفِّي غيرُ التَّحَسُّرِ
أُنَاجِي به قَلْباً طَوِيلَ التَّفَكُّرِ
[الطويل]

فقال الرجل:

ولولا قعودُ الدَّهرِ بي عنكِ لم يكن
عليكِ سلامٌ لا زيارةً بيننا
يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذري
ولا وُضِلَ إلّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ
[الطويل]

فقال: قد شئتُ، خُذِ الجاريةَ وثمرتها. فأخذها وانصرف.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن زياد، قال: حدثنا ابن عائشة، قال:

استبطأ زيادُ الأعجمُ، عمرَ بنِ عُبيد الله بن معمر في بعض زياراته إياه، فقال:
أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرُ
فَنَحْنُ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ وَالتُّشْرَ^(١)
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَمَاحِكَ^(٢) ضَلْبَةٌ
وَيَا رَبَّ عَيْنٍ ضَلْبَةٌ تَفْلِقُ الْحَجَرُ
سَنَرْقِيكَ بِالشَّعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا
فَإِنْ لَمْ تُفِقْ يَوْمًا رَقِينَاكَ بِالسُّوَرِ
[الطويل]

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرّحه.

أخبرني عمي، قال: حدثني الكِرَانِيُّ، قال: حدثني العُمَرِيُّ، قال: حدثني مَنْ سَمِعَ حماداً الراوية يقول:

امتدح زيادُ الأعجمُ، عَبَادَ بنَ الحُصَيْنِ الحَبْطِيِّ وكان على شُرط البصرة أيامَ
الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي، يقال له القُبَاع، وطلب حاجة فلم يقضها،
فقال زياد الأعجم:

سَأَلْتُ أَبَا جَهْضَمٍ حَاجَةً
فَلَوْ أَنَّنِي خِفْتُ مِنْهُ الْخِلَا
وَكُنْتُ أَرَاهُ قَرِيباً يَسِيرَا
فَ وَالْمَنْعَ لِي لَمْ أَسْأَلْهُ نَقِيرَا^(٣)

(١) التُّشْر، الواحدة نشرة: الرقية يعالج بها المرء من الجنون والمرض.

(٢) سماحك: جودك وكرمك. (٣) النقيير: النكتة في ظهر النواة.

وكيف الرجاء لما عنده وقد خالط البخل منه الضمير
أقلني أبا جهضم مدحتي فإنني امرؤ كان ظنني غرورا
[المقارب]

أخبرني عمي، قال: حدثني الكراني، عن العمري، عن عطاء بن مضع، عن
عاصم بن الحدثان، قال:

مرّ يزيد بن حبناء الضبيّ بزياد الأعجم، وهو يُنشد شعراً قد هجا به قتادة بن
مُعرب فأفحش فيه، فقال له يزيد بن حبناء: ألم يأن لك أن ترعوي وتترك تمزيق
أعراض قومك، ويحك حتى متى تتمادي في الضلال؟ كأنك بالموت قد صبحك أو
مسأك. فقال زياد فيه:

يحذرني الموت ابن حبناء والفتى إلى الموت يغدو جاهداً ويروح
وكل امرئ لا بد للموت صائر وإن عاش دهرأ في البلاد يسبح
فقل ليزيد يا ابن حبناء لا تعظ أخاك وعظ نفساً فأنت جنوح
تركت الثقي والدين دين محمد لأهل الثقي والمسلمين يلوح
وتابعت مرق العراقيين سادراً وأنت غليظ القصريين^(١) صحيح
[الطويل]

فقال له يزيد بن عاصم الشنّي: قبحك الله، أتهجو رجلاً وعظك وأمرك بمعروف
بمثل هذا الهجاء؟ هلا كففت إذ لم تقبل؟ أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تحيق فيك
عززان^(٢) اذهب ويحك فأته واعتذر إليه لعله يقبل عذرك. فمشى إليه بجماعة من عبد القيس
فشفعوا إليه فيه، فقال: لا تثريب^(٣)، لست واجداً عليك بعد يومي هذا.

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال سمعت جدي علي بن
يحيى يحدث عن أبي الحسن:

عن رجل من جعفي، قال: كنت جالساً عند المهلب إذ أقبل رجل طويل
مضطرب، فلما رآه المهلب، قال: اللهم إني أعوذ بك من شره، فجاء فقال: أصلح
الله الأمير، إني قد امتدحتك بيت صفده^(٤)، مائة ألف درهم، فسكت المهلب، فأعاد
القول، فقال له: أنشدته. فأنشده:

(١) القُصريين: ضلعان يلبان الترقوتين.

(٢) عززان: التجنب والتنحي.

(٣) لا تثريب: لا لوم.

(٤) الصفد: العطاء، الجائزة.

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْخَيْرِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ
[الطويل]

فَقَالَ لَهُ الْمَهْلَبُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ أَمَّا مِائَةُ أَلْفِ فَوَاللَّهِ مَا هِيَ عِنْدَنَا، وَلَكِنْ ثَلَاثُونَ أَلْفًا
فِيهَا عُرُوضٌ. وَأَمْرٌ لَهُ بِهَا، فَإِذَا هُوَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ.

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي
جَعْفَرُ بْنُ يَزِيدَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ عَوَانَةَ، قَالَ:

حَضَرَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ الْوَفَاءُ فَقِيلَ لَهَا: مَا تُوصِينَ؟ فَقَالَتْ وَمَا لِي مِنْ
مَالِي؟ قِيلَ: الثُّلُثُ، قَالَتْ: فَمَنْ يَقُولُ:

لِعَمْرُكَ مَا رَمَحُ بَنِي تَمِيمٍ بِطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ
[الوافر]

قَالُوا: زِيَادُ الْأَعْجَمِ. قَالَتْ: فَثَلْثِي لَهُ. وَمَاتَتْ.

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ وَأَبُو الْعَيْنَاءِ، عَنِ الْقَحْذَمِيِّ، قَالَ:

لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ زِيَادًا الْأَعْجَمِ، فَقَالَ لَهُ: يَا زِيَادُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَهْجُوَ عَبْدَ الْقَيْسِ
وَأَصْفَ مِنْ فَسُوْهِمْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَسْمَعَكَ شَيْئًا ثُمَّ قُلْ إِنْ شِئْتَ
أَوْ أَمْسِكْ، قَالَ: هَاتِ، قَالَ:

وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي إِنْ هَجَوْتُهُ مَصْحًا أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الْفَرَزْدَقِ
فَلِنَا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ
[الطويل]

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: حَسْبُكَ، هَلُمَّ نَتَّارِكْ. قَالَ: ذَاكَ إِلَيْكَ. وَمَا عَاوَدَهُ بِشَيْءٍ.

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَرِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُكْلِيُّ عَنْ
الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي خِرَاشٌ وَكَانَ عَالِمًا رَاوِيَةً لِأَبِي وَلَمْؤَرَجٍ
وَلِخَالِدِ بْنِ كَثْلُومٍ، قَالَ:

أَقْبَلَ الْفَرَزْدَقُ وَزِيَادُ الْأَعْجَمِ يُنْشِدُ النَّاسَ فِي الْمَرْبِدِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ فَقَالَ: مَنْ
هَذَا؟ قِيلَ: الْأَعْجَمُ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الْفَرَزْدَقُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ، فَقَامَ فَتَلَقَّاهُ
وَحَيًّا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: مَا زَالَتْ نَفْسِي تُنَازِعُنِي إِلَى هِجَاءِ
عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْذُ دَهْرٍ، قَالَ زِيَادُ: وَمَا يَدْعُوكَ إِلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ الْأَشْقَرِيَّ
هَجَاكَ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا وَأَنَا أَشْعَرُ مِنْهُ، وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي هَيَّجَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، قَالَ: وَمَا
هُوَ؟ قَالَ: إِنَّكُمْ اجْتَمَعْتُمْ فِي قُبَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرَجِ بِخُرَاسَانَ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُ

شيئاً فَمَنْ قال مثله فهو أشعرُ مِنِّي ، ومن لم يَقُلْ مثله فَاَلصِقْ في عنقه أَنِي أشعر منه ، فقال لك : وما قُلْتَ ؟ فقلت ، قلت :

وقافية حذاء^(١) بِتُ أَحوكها^(٢) إذا ما سُهِيلٌ في السماء تاللا
[الطويل]

فقال لك الأشقرِي :

وأَقْلَفُ^(٣) صَلَّى بعد ما ناك أُمُّهُ يرى ذاك في دين المَجوس حلالا
[الطويل]

فأقبلت على من حضر فقلت : ما لِأُم كعب ، أخزاها الله تعالى ؟ ما أَنَمَّها حين
تخبر ابنها بقُلُفتي ، فضحك الناس وغلَّبَت عليه في المجلس ، فقال له زياد : يا أبا
فراس ، هب لي نفسك ساعةً ولا تعَجَلْ حتى يَأْتِيكَ رسولي بهديتي ثم ترى رأيك .
فكَفَّ الفرزدق وظن أنه سيُهْدِي إليه شيئاً يستَكِفُّه به . فكتب إليه :

وما ترك الهاجون لي إن أردُّته مَصْحاً أراه في أديم^(٤) الفرزدق
وما تركوا الحمأ بدا فوق عظمه لآكله أَبْقَوْهُ للمتعرِّقِ^(٥)
سَاحِطُ ما أَبْقَوْا له من عظامه وَأَنْكُتُ^(٦) عظم الساق منه وَأَنْتَقِي
فلاناً وما تُهْدِي لنا إن هجوتنا فكالبحر مهما يُلقَ في البحر يَغْرَقُ
[الطويل]

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوماً أنت فيهم أبداً .

قال أبو المنذر هشامٌ : زيادُ أهجى من كَعْبِ الأشقرِي وقد أَبَرَّ عليه في عدة
قصائد منها التي يقول فيها :

فَبَيْلُهُ خَيْرُها شَرُّها وَأَصْدَقُها كَاذِبُ الآثِمِ
وضيفُهمُ وَسطُ أبياتهمِ وإن لم يكن صائماً صائِمُ
[المقارب]

(١) القافية الحذاء : القصيدة التي لا مثيل لها ولا شبيهه .

(٢) أحوكها : أنسجها .

(٣) الأقف : من لم يختن .

(٤) الأديم : الجلد المدبوغ .

(٥) المتعرِّق : هو العظم أخذ ما عليه من اللحم بالأسنان نهشاً .

(٦) أنكت عظم الساق : أخرج مخّه .

وفيه يقول:

إِذَا عَذَّبَ اللَّهُ الرَّجَالَ بِشَعْرِهِمْ أَمَنْتُ لَكُعْبٍ أَنْ يُعَذَّبَ بِالشَّعْرِ
[الطويل]

وفيه يقول:

أَتَتِكَ الْأَزْدُ تَنْفَخُ فِي لِحَاهَا تَسَاقَطَ مِنْ مَنَاخِرِهَا الْجُوفُ^(١)
[الوافر]

أخبرني وكيع، قال: حدثني أحمد بن
عمر بن بكير، قال: حدثنا أبي، قال:
حدثنا الهيثم، عن ابن عيَّاش، قال:

دخل أبو قلابَةَ الجَرْمِيُّ مسجدَ البصرة وإذا زيادُ الأعجم يُنشد بعجمته. فقال:
من هذا العُلج؟ فقال زياد: من هذا؟ قالوا: أبو قلابَةَ الجرمي، فقام على رأسه، فقال:

قُمْ صَاغِرًا يَا كَهْلَ جَزْمٍ فَإِنَّمَا يُقَالُ لَكَهْلٍ الصَّدَقُ قُمْ غَيْرَ صَاغِرٍ
فإِنَّكَ شَيْخٌ مَيِّتٌ وَمُورَثٌ قُضَاعَةَ مِيرَاثِ الْبَسُوسِ وَقَاشِرٍ^(٢)
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُذَكِّرُوا إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ
فَلَوْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقِّ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ إِلَى حَقِّهِ لَمْ تُدْفِنُوا فِي الْمَقَابِرِ
[الطويل]

فَقِيلَ لَهُ: فَأَيْنَ كَانُوا يُدْفِنُونَ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟ قَالَ: فِي النَّوَاوِسِ^(٣).

(١) الجُوف، بضم الجيم: ضرب من السمك.

(٢) البسوس: خالة جساس بن مرة الذي قتل كليباً زوج أخته، فوقع الحرب بين بني مرة وبين تغلب، وقاشر فحل قامت حرب بسببه؛ فهما مثال الشؤم عند العرب.

(٣) النواويس، الواحد ناووس: القبور لغير المسلمين.

أخبار شارية

قال أبو الفرج علي بن الحسين كانت شارية مؤلدة من مولدات البصرة، يقال: إن أباهما كان رجلاً من بني سامّة بن لؤي المعروفين ببني ناجية وإنه جحدها^(١). وكانت أمها أمة فدخلت في الرّق، وقيل: بل سُرقت فبيعت، فاشتريتها امرأة من بني هاشم فأدبتهَا وعلمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناءه كله أو أكثره عنه، وبذلك يحتج من يقدمها على عريب ويقول: إن إبراهيم خرّجها وكان يأخذها بصحّة الأداء لنفسه وبمعرفة ما يأخذها به، ولم تكن هذه حال عريب لأن المراكبي لم يكن يُقارن إبراهيم في العلم، ولا يُقاس به في بعضه فضلاً عن سائرهِ.

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قريص أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها، وقال له أن يزويه عنه، فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها من غيره في الكتب وسمعتُه أنا عمن رويته عنه.

قال ابن المعتز: حدثني عيسى بن هارون المنصوري أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصريّة من ولد جعفر بن سليمان، فحملتها لتبيعها ببغداد، فعُرِضَتْ على إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأعطى بها ثلاثمائة دينار ثم استغلاها بذلك ولم يُردّها، فجاء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعُرِضَتْ عليه فساوم بها، فقالت له: قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلاثمائة دينار، والأمير أعزّه الله أولى بها. فقال: زِنُوا لَهَا مَا قَالَتْ مَوْلَاتُهَا: فُوزَن، ثم دعا بقيّته، فقال: خذي هذه الجارية ولا تُرينيها سنّة، وقولي للجوّاري يطرحنّ عليها. فلما كان بعد سنة أُخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها، فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأتاه وأراه إيّاها، وأسمعه غناءها، وقال: هذه جارية تباع، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار، وهي رخيصة بها، فقال له إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا، قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلاثمائة دينار فلم تقبلها. فبقي إسحاق متحيراً ويتعجب من حالها وما انقلبت إليه.

(١) جحدها: أنكر بنوّته لها.

قال ابن المعتز: وحدثني الهشامي، عن محمد بن راشد: أن شارية كانت مولدة بالبصرة، وكانت لها أم خبيثة مُنْكَرَة تدَّعي أنها بنت محمد بن زيد من بني سامة بن لؤي.

قال ابن المعتز: وحدثني غيره أنها كانت تدَّعي أنها من بني زُهْرَة، قال الهشامي: فجيء بها إلى بغداد وعُرِضَتْ على إبراهيم بن المهدي فأعجب بها إعجاباً شديداً، فلم يزل يُعْطِي بها حتى بلغت ثمانية آلاف درهم، فقال لي هبة الله بن إبراهيم: إنه لم يكن عند أبي درهم ولا دينار، فقال لي: ويحك، قد أعجبني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً وليس عندنا شيء. فقلت له: تباع ما تملكه حتى الخرف وتجمع ثمنها، فقال لي: قد تفكرت في شيء اذهب إلى علي بن هشام فأقرئه مني السلام، وقل له: جعلني الله فداك، قد عُرِضَتْ عليّ جارية، وقد أخذت بمجامع قلبي، وليس عندي ثمنها، فأحب أن تُقْرِضَنِي عشرة آلاف درهم فقلت له: ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلم تُكْثِرْ على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريتها بثمانية آلاف درهم لا بد أن نكسوها ونُقيّم لها ما تحتاج إليه. فصرت إلى علي بن هشام فأبلغته الرسالة فدعا بوكيل له، وقال له: ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً وقل له أنا لا أصِلُّك، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة. قال فصرت إلى أبي بالدرهم، فلو طلعت عليه بالخلافة لم تكن تعدلُ عنده تلك الدراهم.

وكانت أمها خبيثة، فكانت كلما لم يُعْطِ إبراهيم ابنتها ما تشتهي ذهبت إلى عبد الوهّاب بن عليّ ودفعت إليه رُقعةً يرفعها إلى المعتصم أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

قال ابن المعتز: وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي أن إبراهيم وجّه به إلى عبد الوهّاب بن عليّ في حاجة كانت له، قال: فلقيناه وانصرفنا من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهّاب حتى استقبلتني امرأة، فلما بصرت بي سترت وجهها، فأخبرني شاكري^(١) أن المرأة هي أم شارية جارية إبراهيم، فبادرت إلى إبراهيم، وقلت له: أدرك فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهّاب، وهي من تعلم وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: إني أشهدك أن جارتني شارية صدقة عن ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ما أشهدني عليه، وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دؤاد وإحضار من قدرْتُ عليه من الشهود المعدلين

(١) الشاكري: المستخدم.

عنده فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً، فأمر بإخراج شارية فخرجت، فقال لها: اسفري، فجزعت من ذلك، فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يُريده بها، ففعلت فقال لها: تسمي، فقالت: أنا شارية أمتك، فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا، ثم قال: فإنني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى وأني قد تزوجتها وأصدقته عشرة آلاف درهم، يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدي والحمد لله على ما أنعم به علي. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطيبهم وانصرفوا، فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دؤاد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي فأقرأ إبراهيم سلام المعتصم ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترض علي طاعتك، وصيانتك عن كل ما يعرُّك^(١). إذ كنت عمي وصنو أبي، وقد رفعت إلي امرأة من قريش قصّة ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبة^(٢) وأنها أم شارية، واحتجّت بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية بنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة، والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك وسترها عند من تثق به من أهلِكَ، حتى تكشف ما قالت هذه المرأة، فإن ثبت ذلك أمرت من جعلتها عنده بإطلاقها وكان الحظ في ذلك لك في دينك ومروءتك، وإن لم يصح ذلك أعيدت الجارية إلى منزلِك، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك، ولا تخش. فقال له إبراهيم: فديتك يا أبا إبراهيم، هب شارية بنت زهرة بن كلاب، أتُنكر على ابن العباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟ فقال عبد الوهاب: لا، فقال له إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين أطل الله بقاءه وأخبره أن شارية حرة، وأني قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول.

وقد كان الشهود بعد مُنصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دؤاد، فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره، فسألهم عنه فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية وتزويج إبراهيم إياها، فركب إلى المعتصم فحدثه بالحديث مُعجِباً له منه، فقال: ضلّ سعي عبد الوهاب.

ودخل عبد الوهاب على المعتصم، فلما رآه يمشي في صحن الدار سدّ المعتصم أنف نفسه وقال: يا عبد الوهاب، أنا أشم رائحة صوف مُحرق وأحسب أن عمي لم يُقنعه ردُّك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرَقها فشممت رائحتها منك. فقال: الأمر على ما ظن أمير المؤمنين وأقبح.

(١) يعرُّك: يلحق بك العار والمذلة.

(٢) صليبة: خالصة النسب.

ولما انصرف عبد الوهَّاب من عند إبراهيم ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم، وستر ذلك عنها. فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره، ثم ابتاعها من ميمونة، فحلَّ له فرجها، فكان يطؤها على أنها أمته، وهي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة، فلما تُوفِّي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد مولاته وزوجته في الثمن، فأظهرت خبرها، وسُئلت ميمونة وهبة الله عن الخبر فأخبراً به المعتصم، فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار وحُولت إلى داره، فكانت في ملكه حتى تُوفِّي المعتصم.

قال ابن المعتز: وقد قيل: إن المعتصم ابتاعها بثلاثمائة ألف درهم، قال: وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته. وملكها إبراهيم ولها سبع سنين، فربَّها تربية الولد حتى لقد ذكَّرت أنها كانت في حجره جالسة وقد أعجب بصوت أخذته إذ طمِثت أول طمِثها، وأحسَّ بذلك فدعا قيمة له، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام فلفه عليها، وقال: احملها فلقد اقشعرت وأحسب أن برَد الخيش قد آذاها.

وقال: وحدثت شارية أنها كانت معه في حراقة^(١) قد توسَّط بها دجلة في ليلة مُثْمرة وهي تُغني إذ اندفعت فغنت:

لقد حثوا الجمال ليهِ — ربوا منّا فلم يئلوا^(٢)

[مجزوء الوافر]

فوثب إليها فأمسكها، وقال: أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناءً فما يؤمنني عليك؟ أمسكي.

قال: وحدثني حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوماً، فقال له: أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمع مثله قط؟ فقلت: نعم، فقال: هاتوا شارية، فخرجت فأمرها أن تُغني لحن إسحاق:

هل بالديار التي حيَّيتها أحد

قال حمدون: فغنتني شيئاً لم أسمع مثله قط، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هذا قط، فقال: أتحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ فقلت: لا يكون، فقال: بلى والله لقد كان. فقلت: على اسم الله، فغناه هو، فرأيت فضلاً عجباً، فقلت: ما

(١) الحراقة: نوع من السفن كانت تستعمل في نهر دجلة للنزهة.

(٢) لم يئلوا: لم ينجوا.

ظننت أن هذا يُفْضَلُ ذاك هذا الفضل، قال: أَفْتُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا وَذَاكَ؟ فقلت: هذا الذي لا يكون، فقال: بلى واللّه، فقلت: فَهَاتِ، قال: بحياتي يا شارية قُولِيهِ وَأَجِيلِي حَلَقَكَ فِيهِ، فسمعت واللّه فَضْلاً بَيِّنًا، فَأَكْثَرْتُ التَّعَجُّبَ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَا أَهْوَنَ هَذَا عَلَى السَّامِعِ؟ تَدْرِي بِاللّهِ كَمْ مَرَّةً رَدَدْتُ عَلَيْهَا مَوْضِعًا فِي هَذَا الصَّوْتِ؟ قلت: لا، قال: قل وَأَكْثِرْ، قلت: مائة مرّة، قال: اصْعِدْ مَا بَدَا لَكَ، قلت: ثلاثمائة، قال أَكْثِرْ، واللّه من ألف مرة حتى قالته. كذا قال:

وكانت رَيِّقُ تقول: إن شارية إذا اضطربت في صوت فغاية ما عنده من عقوبتها أن يُقِيمَهَا تَغْنِيَةً عَلَى رَجُلِيهَا، فإن لم تُبْلَغِ الذي أراد ضُرِبَتْ رَيِّقُ.

قال: ويقال: إن شارية لم تُضْرَبْ بِالْعُودِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ لَمَّا اتَّصَلَ الشَّرُّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَرِيبٍ، فَصَارَتْ تَقْعُدُ بِهَا عِنْدَ الضَّرْبِ، فَضْرَبَتْ هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ.

قال ابن المعتز: وحدث محمد بن سهل بن عبد الكريم المعروف بسهل الأَحُولِ - وكان قاضي الكُتَّابِ في زمانه، وكان يكتب لإبراهيم، وكان شيخاً ثِقَةً - قال: أعطى المعتصمُ إبراهيمَ بشاريةَ سبعين ألف دينار، فامتنع من بيعها فعاتبته على ذلك فلم يجبني بشيء، ثم دعاني بعد أيام، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة، فأحضره الغلامُ سَفُوداً^(١) فيه ثلاث فراريج، فرمى إليّ بواحدة فأكلتها وأكل اثنتين، ثم شرب رطلاً وسقانيه، ثم أُتِيَ بِسَفُودٍ آخَرَ، ففعل كما فعل وشرب كما شرب وسقاني، ثم ضَرَبَ سِتْرًا كان إلى جانبه، فسمعت حركة العيدان. ثم قال: يا شارية تَعْنِي، فسمعت شيئاً ذهب بعقلي، فقال لي: يا سهل، هذه التي عاتبتني عليها في أن أبيعها بسبعين ألف دينار، لا واللّه ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار.

قال: وكانت شارية تقول: إن أباهما من قُرَيْشٍ وَإِنِهَا سُرِقَتْ، وهي صغيرة فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية، وباعتها من إبراهيم بن المهدي، واللّه أعلم.

أخبرني عمي، قال: حدثني عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر، قال: أمرني المعتز ذات يوم بالمُقامِ عنده فأقمت، فأمر فمُدَّتِ الستارة، وخرج من كان يُغْنِي وراءها وفيهن شارية، ولم أكن سمعتها قبل ذلك، فاستحسننت ما سمعت منها، فقال لي أمير المؤمنين المعتز: يا عُبيد اللّه كيف ما تسمع منها عندك؟ فقلت: حظُّ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ الطرب. فاستحسن ذلك وأخبرها به فاستحسنته.

قال ابن المعتز: وأخبرني الهشامي، قال: قالت لي رَيِّقُ: كنت أَلْعَبُ أَنَا وَشَارِيَةَ

(١) السفود: السيخ من الحديد للشواء.

بالتَّردُّ بين يَدَيَّ إبراهيمَ وهو متكئٌ على مخدَّة، وهو ينظر إلينا، فجرى بيني وبين شاريةَ مشاجرة في اللعب، فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة، فاستوى إبراهيم جالساً، وقال: أراك تستخفين بها. فوالله ما أجد أحداً يخلُفك غيرها، وأوماً إلى حلقه بيده.

قال: وحدثني الهشامي قال: حدثني عمرو بن بانه، قال: حضرت يوماً مجلس المعتصم، وضربت الستارة وخرجت الجواري، وكنت إلى جنب مُخارق، فغنت شارية فأحسنت جداً، فقلت لمخارق: هذه الجارية في حُسن الغناء على ما تسمع ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرَّم بها إبراهيم بن المهدي؟ فقال: لي أحدُ الحظوظ التي رُفِعَت لهذا الخليفة ومنع إبراهيم بن المهدي من ذلك.

قال عبد الله بن المعتز: وحدثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى عن ريق قالت: استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام فنالته ضيقة، قالت فتحمل ذهابنا إليه على ضعف، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة، فجعلنا نرى جواري المعتصم وما عليهن من الجواهر والثياب الفاخرة، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا، فطرب المعتصم على غنائنا ورأنا أمثل من جواريه فتحولت إلينا أنفسنا في التيه والصلف، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم.

قال: وحدثني أبو العُبَيْس عن أبيه قال: كانت شارية أحسن الناس غناء منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق:

قال أبو العُبَيْس: وحدثني ريق أن المعتصم افتضها، وأنها كانت معها في تلك الليلة.

قال أبو العُبَيْس: وحدثني طباعُ جارية الواثق أن الواثق كان يسميها ستي وكانت تُعلِّم فريدة فلم تُبق في تعليمها غاية، إلى أن وقع بينهما شر بحضرة الواثق، فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها، فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلا ناقصت من نغمه.

وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريته، وكانت أكمل الناس ملاحه وخفة روح، وعجز عن شرائها، فسأل أم المعنز أن تشتريها له، فاشتريتها من شارية بعشرة آلاف دينار وأهدتها إليه، ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المعني، وكان يتعشقها، فقال عبد الله بن المعتز، وكان يتعشقها:

أَقُولُ وَقَدْ ضَاقَتْ بِأَحْزَانِهَا نَفْسِي أَلَا رَبُّ تَطْلِيْقٍ قَرِيبٌ مِّنَ الْعُرْسِ
لئن صرتَ للبقالِ يا شرَّ زوجةً فلا عجبٌ قد يَرِْبُضُ الكلبُ في الشَّمْسِ
[الطويل]

وقال يعقوبُ بنُ بُنان: كانت شارية خاصةً بصالح بن وصيف، فلما بلغه رحيلُ موسى بن بُغا من الجبل يُريده بسبب قتله المعتز أودع شاريةً جوهره فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك، فلما أوقع موسى بصالح استترت شاريةً عند هارون بن شُعيب العُكبري وكان أنظف خلق الله طعاماً وأسراهم مائدةً وأوسخهم في كلِّ شيء بعد ذلك، وكان له بسرٌّ من رأى منزل، وفيه بستان كبير وكانت شارية تسميه أبي، وتزوره إلى منزله، فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه حتى الحصير الذي تقعد عليه، قال: وكانت شارية من أكرم الناس، عاشرها أبو الحسن عليُّ بن الحسين عند هارون هذا، ثم أضاق في وقت فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار فأقرضته، ومكثت عليه أكثر من سنة ما أذكرته ولا طالبته حتى ردّها ابتداءً قال يعقوبُ بنُ بُنان وكان أهل سرٍّ من رأى متحازبين، فقوم مع شارية وقوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ولا أصحاب هذه في هؤلاء، فكان أبو الصَّقر إسماعيل بن بلبل عربياً، فدعا عليُّ بنُ الحسين في يوم جمعة أبا الصَّقر وعنده عريب وجواريتها، فاتصل الخبرُ بشارية، فبعثت بجواريتها إلى عليِّ بن الحسين بعد يوم أو يومين، وأمرت إحداهن وما أدري: هي مهرجان أو مطرب أو قُمريّة؟ إلا أنها إحدى الثلاث، أن تغنيه:

لَا تَعُودَنَّ بَعْدَهَا فَتَرَى كَيْفَ أَصْنَعُ

[مجزوء الخفيف]

فلما سمع عليُّ الغناء ضحك، وقال: لست أعود.

قال: وكان المعتمد قد وثق بشارية فلم يكن يأكل إلا طعامها، فمكثت دهرًا من الدهور تُعِدُّ له في كل يوم جَونتين، وكان طعامه منهما في أيام المتوكل.

قال ابن المعتز: وحدثني أحمد بن نُعيم:

عن رَيْقٍ قالت: كان مولاي إبراهيمُ يسمى شارية بنتي، ويسميني أُختي.

حدثني جحظة، قال: كنت عند المعتمد يوماً، فغنّته شارية بشعر مولاها

إبراهيم بن المهدي ولحنه:

يَا طَوْلَ عِلَّةِ قَلْبِي الْمُعْتَادِ أَلِفَ الْكَرَامِ وَصُحْبَةَ الْأَمْجَادِ

[الكامل]

فقال لها: أحسنت والله، فقالت: هذا غنائي وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسية؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أصناف الثياب الخاصة فحمل ذلك إليها، فقال لي علي بن يحيى المنجم: اجعل انصرافك معي، ففعلت، فقال لي: هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية؟ قلت: لا، فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام فتصفحنها فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا طولَ علّةِ قلبي المعتادِ أَلِفَ الكرامِ وُحْبَةَ الأمجادِ
ما زلتُ أَلِفُ كلَّ قَرَمٍ^(١) ماجد متقدّمِ الآباءِ والأجدادِ
[الكامل]

الشعر لإبراهيم بن المهدي، والغناء لعلويه خفيف رمل بالبنصر ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن مالك الخُزاعي، قال: حدثني مُلِحُ العطارُ - وكانت من أحسن الناس غناءً، وإنما سُميت العطارُ لكثرة استعمالها الطيب، قالت: غنت شارية يوماً بين يدي المتوكل وأنا واقفة مع الجواري:

بِاللّهِ قولوا لي لمن ذا الرّشا^(٢) المَثَقُلُ الرّدفِ الهُضيمُ الحَشى^(٣)
أَظرفُ ما كان إذا ما صَحَا وأملَحُ الناسِ إذا ما انتَشى^(٤)
وقد بنى بُرجَ حَمامٍ لهُ أرسل فيه طائراً مُرَعِشا^(٥)
يا ليتني كنت حَماماً لهُ أو باشقياً يفعل بي ما يشا
لو لبس القُوهي^(٦) من رِقّةٍ أوجعه القُوهي أو خَدِشا
[السرّيع]

(١) القَرَم: الفحل، السيد النبيل.

(٢) الرشا: ولد الطيبة الذي استقل عن أمه، وقد نبت قرناه.

(٣) الهُضيم الحَشى: النحيل الخضر.

(٤) انتَشى: أحسّ بالنشوة والانتعاش.

(٥) المرعش من الحمام: الأبيض.

(٦) القُوهي من الأردية: الأبيض الناعم.

وهو هزج، فطرب المتوكل، وقال لشارية: لمن هذا الغناء؟ فقالت: أخذته من دار المأمون ولا أدري لمن هو، فقلت له: أنا أعلم الناس به، فقال: لمن هو يا ملح؟ فقلت: أقوله لك سرّاً، قال: أنا في دار النساء وليس يحضرني غير حرّمي فقوليّه، فقلت: الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهوّه وغنت فيه هذا اللحن، فأطرق طويلاً، ثم قال: لا يسمع هذا منك أحد.

صوت

أحبك يا سلمى على غير ريبة وما خير حبّ لا تعف سرائره
أحبك حباً لا أعنف بعده محباً ولكنني إذا ليم عاذره
وقد مات قلبي أول الحب فانقضى ولو مت أضحي الحب قد مات آخره
ولمّا تناهى الحب في القلب واردة أقام وسدّت عنه يوماً مصادره
[الطويل]

الشعر للحسين بن مطير الأسدي، والغناء لإسحاق هزج بالنصر، والله أعلم.

أخبار الحسين بن مطير ونسبه

هو الحسين بن مطير بن مكمّل مولّى لبني أسد بن خزيمة ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان جدّه مكمّل عبداً، فأعتقه مولاه، وقيل: بل كاتبه^(١) فسعى في مكاتبته حتى أذاها وأعتق، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحرون أنه كان من ساكني زبالّة، وكان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية، وذلك بيّن في شعره.

ومما يدل على إدراكه دولة بني أمية ومدحه إياهم ما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً، قال: أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

عن مروان بن أبي حفصة قال: دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفني والحسين بن مطير الأسديّ وعدة من الشعراء على الوليد بن يزيد، وهو في فرش قد غاب فيها، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعراً وقف الوليد على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان حتى أتى عليّ أكثر الشعراء، فقلت: من هذا؟ قالوا: حماد الراوية، فلما وقفت بين يدي الوليد لأنشدّه، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين، وهو لحانة؟ فتهافت الشيخ ثم قال: يا ابن أخي، أنا رجل أكلّم العامّة وأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعراً ابن مقليل. فقلت: نعم، لابن مقليل، فأنشدته:

سل الدار من جنبّي حبر فواهبٍ إلى ما رأى هضب القليب^(٢) المضيق^(٣)

[الطويل]

(١) الكاتب: هو المكاتب لسيده على مبلغ يدفعه له ليحرّر نفسه من رق العبودية.

(٢) القليب: البئر. وحبر وواهب وهضب القليب: مواضع ومياه.

(٣) المضيق: الممزوج.

ثم جُزّت، فقال: قف، ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول، فقال لي: يا ابن أخي أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار والحسن بن عليّ ويحيى بن عليّ، قالوا: حدثنا الحسن بن عليّ بن عَمِيْل العَنْزِيّ، قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن عليّ، قال: حدثني أبي:

أن الحسين بن مطير وفد على مَعْن بن زائدة لما ولي اليمن، وقد مدحه، فلما دخل عليه أنشده:

أَتَيْتُكَ لَمَّا يَبُتُّ غَيْرُكَ جَابِرٌ وَلَا وَاهِبٌ يُعْطِي اللُّهَ^(١) وَالرَّغَائِبَ^(٢)
[الطويل]

فقال له معن: يا أخا بني أسد. ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن تَوْسَعَةَ أَخِي بني تيم الله بن ثعلبة في مِسْمَعِ بن مالك بن مِسْمَعِ:

قَلَّدْتُهُ عُرَا الْأُمُورِ نَزَارٌ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكَ السُّرَاةُ^(٣) الْبُحُورُ
[الخفيف]

قال: وأول هذا الشعر:

إِظْعَنِي مِنْ هَرَاةٍ قَدَمَرٍ فِيهَا حَجَجَ^(٤) مَذْ سَكْنَتِهَا وَشُهُورُ
إِظْعَنِي نَحْوَ مِسْمَعٍ تَجْدِيهِ نِعْمَ ذُو الْمُتَمَى وَنِعْمَ الْمَزُورُ
سَوْفَ يَكْفِيكَ إِنْ نَبَتْ بِكَ أَرْضُ بِخُرَاسَانَ أَوْ جَفَاكَ أَمِيرُ
مَنْ بَنِي الْحِصْنِ عَامِلٌ ذُو فَعَالٍ لَا قَلِيلُ النَّدَى وَلَا مَنَزُورُ
وَالَّذِي تَفْزَعُ الْكُمَاةُ إِلَيْهِ حِينَ تَذْمَى مِنَ الطَّعَانِ التُّحُورُ
فَاصْطَنَعْ يَا ابْنَ مَالِكٍ آلَ بَكْرِ وَاجْبُرِ الْعِظَمَ إِنَّهُ مَكْسُورُ
[الخفيف]

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأولها:

حُدِّثْتُهَا يَا حَبِّذَا دَلَالُهَا تَسْأَلُ عَنْ حَالِي وَمَا سُؤَالُهَا

(١) اللُّه: العطاء العظيم.

(٢) الرغائب: ما يرغب به من العطاء.

(٣) السُّرَاة، الواحد سُرَيّ: السادة الشرفاء.

(٤) الحجج: الأعوام.

عَنِ امْرِئٍ قَدْ شَفَّهُ خِيَالُهَا^(١) وَهِيَ شِفَاءَ النَّفْسِ لَوْ تَنَالُهَا
[الرجز]

يقول فيها يمدحه :

سَلَّ سَيُوفاً مَحْدَثاً صِقَالُهَا صَابَ عَلَى أَعْدَائِهِ وَوَبَالَهَا^(٢)
وَعِنْدَ مَعْنٍ ذِي التَّدَى أَمْثَالُهَا
[الرجز]

فاستحسنها وأجزل صِلته .

أخبرني ابنُ عمار ويحيى بن علي، قالاً: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه
قال: حدثني أبو المُثَنَّى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكر الأصم، قال:
كنا في مجلس الأصمعي، فأنشده رجل لدِعل بن علي .
أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّاهُ سَلَكَ
فاستحسننا قوله :

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
[الكامل]

فقال الأصمعي: هذا سرقة من قول الحسين بن مطير، حيث يقول:

أَيْنَ أَهْلُ الْقِبَابِ بِالْذَّهْنَاءِ^(٣)؟ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ؟
فَارَقُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نُو رَ الْأَقَا حِي تُجَادُ بِالْأَنْوَاءِ
كُلَّ يَوْمٍ بِأَقْحُوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ
[الخفيف]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني محمد بن القاسم الدِّينَوْرِيُّ،
قال: حدثني محمد بن عِمْرَانُ الضُّبِّيُّ، قال:
قال المَهْدِيُّ للمَفْضَلِ الضُّبِّيِّ: أَسْهَرْتَنِي الْبَارِحَةَ أَبْيَاتُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَطِيرِ
الْأَسَدِيِّ، قال: وما هي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال: قوله:

وَقَدْ تَعُدُّ الدُّنْيَا فَيُضْحِي فَقِيرُهَا غَنِيّاً وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا

(١) شَفَّه خيالها: جعله يمرض لتخيُّله خيالها وأضناه.

(٢) الوبال: الشدة وسوء العاقبة.

(٣) الدهناء: موضع.

فَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ حَلَاوْثُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيرِ عَيْشَةٍ وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ اكْدِرَارِ غَدِيرُهَا
[الطويل]

فقال له الْمُفَضَّلُ: مثل هذا فليُسْهِرْكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

وقد أخبرني بهذا الخبر عَمِّي أَتَمُّ مِنْ هَذَا: نسخت من كتاب الْمُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ: قال أَبُو عَكْرِمَةَ الضَّبِّيُّ: قال المفضل الضَّبِّيُّ: كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعليَّ يومئذٍ عشرة آلاف درهم ديناً، إذ جاءني رسول المهديِّ، فقال: أَجِبِ الْأَمِيرَ، فقلت: ما بعث إليَّ في هذا الوقت إلا بِسْعَايَةِ سَاعٍ وَتَخَوُّفُهُ لَخُرُوجِي - كان - مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فدخلت منزلي فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين وصرت إليه، فلما مَثَلْتُ بين يديه سلَّمت عليه، فردَّ عليَّ وأمرني بالجلوس، فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أَيُّ بيت قالت له العرب أَفْخَرُ؟ فتشكَّكت ساعة ثم قلت: بيتُ الخنساء، وكان مستلقياً فاستوى جالساً ثم قال لي: وأَيُّ بيت هو؟ قلت: قولها:

وإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاهُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلمٌ^(١) فِي رَأْسِهِ نَارٌ
[البسيط]

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه، فقلت: الصواب ما قاله أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثم قال: حدَّثني يا مفضل، قلت: أَيُّ الحديثِ أَعْجَبُ إلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال: حديث النساء، فحدثته حتى انتصف النهار، ثم قال لي: يا مفضل أسهرني البارحة بيتا ابن مطير، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأول ثم قال: ألْهَدين ثالثاً يا مفضل؟ قلت: نعم يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله:

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيرِ عَيْشَةٍ وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ اكْدِرَارِ غَدِيرُهَا
[الطويل]

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر، ثم قال: يا مفضل كيف حالك؟ قلت: كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم؟ فأمر لي بثلاثين ألفَ درهم، وقال: اقْضِ دينك وأصلح شأنك. فقبضتها وانصرفت.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، وحدثنا الحسن بن عليّ، قال: حدثنا

(١) الْعَلَمُ، بالفتح: الجبل.

محمد بن القاسم، عن عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مَجْمَع أحد بني سِوَاءة بن الحارث الأسدي، قال: أخبرني جدي موسى بن مَجْمَع، قال:

قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَعَسَّفْتُ	بِنا الْبَيْدَ هَوَجَاءَ النَّجَاءِ ^(١) خُبُوبُ ^(٢)
وَلَوْلَمْ تَكُنْ قُدَّامَهَا مَا تَقَاذَفْتُ	جِبَالَ بِهَا مُغْبَرَّةٌ وَسُهِوبُ
فَتَى هُوَ مِنْ غَيْرِ التَّخَلُّقِ مَا جُدُّ	وَمِنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرِّجَالِ أَدِيبُ
عَلَا خَلْقُهُ خَلَقَ الرِّجَالَ وَخُلِقَهُ	إِذَا ضَاقَ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ رَحِيبُ
إِذَا شَاهَدَ الْقُودَّ سَارَ أَمَامَهُمْ	جَرِيءٌ عَلَى مَا يَتَّقُونَ وَثُوبُ
وَإِنْ غَابَ عَنْهُمْ شَاهَدَتْهُمْ مَهَابَةٌ	بِهَا يَقْهَرُ الْأَعْدَاءُ حِينَ يَغِيبُ
يَعْفُ وَيَسْتَحْيِي إِذَا كَانَ خَالِيًا	كَمَا عَفَّ وَاسْتَحْيَا بِحَيْثُ رَقِيبُ

[الطويل]

فلما أنشدنا المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحِصَانٍ جَوَادٍ.

وكان الحسين من الثَّعلبية وتلك داره بها، قال ابن أبي سعد: وأرانيها الشيخ.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحاق بن عيسى، قال:

دخل الحسين بن مطير على المهدي فأنشد قوله:

لَوْ يَغْبُدُ النَّاسُ يَا مَهْدِيْ أَفْضَلَهُمْ	مَا كَانَ فِي النَّاسِ إِلَّا أَنْتَ مَعْبُودُ
أَضَحَّتْ يَمِينُكَ مِنْ جُودٍ مَصُورَةٍ	لَا بَلْ يَمِينُكَ مِنْهَا صُورَ الْجُودِ
لَوْ أَنَّ مِنْ نَوْرِهِ مِثْقَالَ خَرْدَلَةٍ	فِي السُّودِ طُرّاً إِذَا لَا بِيَضَّتِ السُّودُ

[البسيط]

فأمر له لكل بيت بألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني أبي، قال:

(١) النجاء: هنا بمعنى الإسراع والخلاص.

(٢) الخبواب: السريعة العدو نسبة إلى الخبب وهو ضرب من العدو السريع.

خرج المهديّ يوماً فلقبه الحسين بن مطير، فأنشده:

أَضَحْتَ يَمِينُكَ مِنْ جُودِ مُصَوَّرَةٍ لَا بَلْ يَمِينُكَ مِنْهَا صُورَ الْجُودِ

[البسيط]

فقال: كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد بعد قولك في
معن بن زائدة، حيث تقول:

أَلِمَّا بِمَعْنٍ ثُمَّ قُولاً لِقَبْرِهِ سَقَيْتَ الْعَوَادِي مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعاً^(١)

[الطويل]

أخرجوه عني، فأخرج. وتمام الأبيات:

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَمَاحَةِ^(٢) مَضْجَعَا

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعَا

بَلَى قَدْ وَسَّعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصَدَّعَا

فَتَيَّ عَيْشٌ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا

أَبَى ذِكْرُ مَعْنٍ أَنْ تَمُوتَ فَعَالُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ لَاقَى حِمَاماً وَمَصْرَعَا

[الطويل]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني
علي بن عبيد الكوفي، قال: حدثني الحسين بن أبي الخَصِيبِ الكاتب.

عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال: كنت أنا وعبدُ الله بن طاهر عندَ المأمون،

وهو مستلقٍ على قفاه، فقال لعبد الله بن طاهر: يا أبا العباس، من أشعر من قال

الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً. فقال له علي

ذاك فَقُلْ وتكلّم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم

الذي يقول:

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَنْتَ أَوَّلَ حَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَمَاحَةِ مَضْجَعَا

[الطويل]

فقال أحمد بن يوسف: بل أشعرهم الذي يقول:

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ

[الطويل]

(١) المربع: المطر في الربيع.

(٢) السماحة: الكرم والجود.

فقال: أبيت يا أحمدُ إلا غَزَلًا، أين أنتم عن الذي يقول:

يا شقيقَ النفس من حَكَمٍ نِمْتُ عن ليلَى ولم أنم
[المديد]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال حدثنا أبو خليفة:

عن التَّوَزِّي قال: قلت لِأبي عُبَيْدَةَ: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال:
واللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الشعراء قاربته في قوله:

مَخْصَرُهُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودُهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
فَصُفِّرْ تَرَاقِيهَا وَحُمْرُ أَكْفُفِهَا وَسُودُ نَوَاصِيهَا وَبِيضُ خُدُودِهَا
[الطويل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَش، قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير قال: وكان سبب قوله هذه الأبيات أَنَّ واليَا وَلِيَّ المدينة فدخل عليه الحسين بن مطير، ف قيل له: هذا من أشعر الناس. فَأَرَادَ أَنْ يَبْلُوَهُ^(١) وقد كانت سحابةٌ مُكْفَهَرَةٌ نشأت وتتابع منها الرِّعْدُ والبرق، وجاءت بمطر جَوْدٍ^(٢)، فقال له: صف هذه السحابة، فقال:

مُسْتَضْحِكٌ بِالْوَامِعِ مُسْتَعْبِرٌ بِمَدَامَعٍ لَمْ تَمُرْهَا^(٣) الْأَقْدَاءُ^(٤)
فَلَهُ بَلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسْرَةٍ كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ وَدْقِهِ^(٥) أَطْبَآؤُهُ^(٦)
وَكَأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ تَلْتَقِي لَوْ كَانَ مِنْ لَجَجِ^(٩) السَّوَاوِحِلِ مَاؤُهُ
بِمَدَامَعٍ لَمْ تَمُرْهَا^(٣) الْأَقْدَاءُ^(٤) ضَحِكٌ يُرَاحُ بَيْنَهُ وَبِكَاءٍ
فَإِذَا تَحَلَّبَ^(٧) فَاضَتْ الْأَطْبَاءُ رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرْفَجٌ^(٨) وَالْأَلَاءُ^(٨)
لَمْ يَبْقَ فِي لَجَجِ السَّوَاوِحِلِ مَاءٌ [الكامل]

(١) يبلوه: يختبره، يمتحنه.

(٢) الجود: المطر الغزير.

(٣) لم تمرها: لم تستدرها.

(٤) الأقداء: الأقدار.

(٥) الودق: دفع انهمار المطر.

(٦) الأطباء: حلقات الضرع.

(٧) تحلب: اجتمع في الضرع.

(٨) العرفج والألاء: نوعان من الأشجار.

(٩) اللجج، الواحدة لججة: أعماق البحار المتلاطمة.

قال: فكان أصحابنا يعجبون من أبياته.

صوت

إِذَا مَا أُمُّ عَبْدِ اللَّـهِ ه لَمْ تَحُلُلْ بِوَادِيهِ
وَلَمْ تُمَسِّ قَرِيباً هَيَّجَ الْحَزْنَ دَوَاعِيهِ
غَزَالُ رَاغِهِ الْقَتْنَا ص تَحْمِيهِ صَيَاصِيهِ^(١)
وَمَا ذِكْرِي حَبِيباً وَ
كَذِي الْخَمْرِ تَمَنَّاها ق لَيْلٌ مَا أَوَاتِيهِ
عَرَفْتُ الرَّبْعَ بِالْإِكْلِي وَقَدْ أَتَرَفَ^(٢) سَاقِيهِ
بِجَوْنَاعِمِ الْحَوْذَا ل^(٣) عَفَّتْهُ^(٤) سَوَافِيهِ^(٥)
ن^(٦) مُلْتَفَّ رَوَابِيهِ

[الهمز]

الشعر مختلطٌ بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري وبعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الأخير، وسائرهما ليزيد بن معاوية ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني، وجدت ذلك في كتابه، وخالد بن كلثوم، نسخته من خط أبي سعيد السكري في جامع شعر النعمان وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه فإنها متوالية قال:

فَبُحْتُ الْيَوْمَ بِالْأَمْرِ الـ ذِي قَدْ كُنْتُ أَخْفِيهِ
فَإِنْ أَكْتُمُهُ يَوْمًا مَا فَإِنِّي سَوْفَ أَبْدِيهِ
وَمَا زِلْتُ أَقْدِيهِ وَأُدْنِيهِ وَأَرْقِيهِ
وَأَسْعَى فِي هَوَاهُ أـ بَدَأَ حَتَّى أَلْأَقِيهِ

(١) الصياصي، الواحدة صيصه: الحصن وكل ما امتنع به.

(٢) أترف: أفسده الترف فحمله على البطر.

(٣) الإكليل: موضع.

(٤) عفته: درسته، محته.

(٥) السوافي من الرياح: التي قويت فحملت معها الرمال.

(٦) الحوذان من النباتات: يمتاز بطيب طعمه، وبلون زهره الأحمر في وسطه صفرة.

فَبَاتَ الرِّيمُ مِّنِّي حَا — ذِرَا زَلَّتْ مَرَاقِيهِ

[الهمزج]

والغنا لمعبد خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، ولم ينسبه إلى أحد، وفيه للغريض ثقل أول بالوسطى عن الهشامي وحَبَش.

الفهرس العام

فهرس المحتويات

٥	أخبار جعفر بن الزبير ونسبه
٩	تزوج الحجاج وشعر جعفر فيه :
١١	ذكر خبر مُضاض بن عمرو
٢٢	ذكر بصبص جارية ابن نفيس وأخبارها
٢٤	المنصور والحادي
٣٠	ذكر أحيحة بن الجلاح
٣٠	ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر
٤٠	خبر لإسحاق الموصلي :
٤٤	ذكر خبر سلامة الزرقاء وخبر محمد بن الأشعث
٥٦	نسبة الصوت الذي في الخبر
٥٧	ذكر نسب عدي بن نوفل وخبره
٥٨	نسب الخنساء وخبرها ومقتل أخويها صخر ومُعاوية
٧٩	الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم
٨٣	نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء
٨٥	ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك
٩٣	أخبار حبابة
٩٩	نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
١٠٤	نسبة الصوت الذي غناه معبد الذي أوله
١٠٧	أطرب من يزيد :
١٠٩	موت حبابة ويزيد :
١١٢	أخبار أبي الطفيل ونسبه
١١٦	وفاة أبي الطفيل :
١٢٠	أخبار حسان وجبله بن الأيهم
١٢٩	نسبة ما في الأخبار من الأغاني

- ١٢٩ حسان والحارث الغساني :
 ١٣٢ خبر بديح في هذا الصوت وغيره
 ١٣٥ نسب ابن الزبعرى وأخباره وقصة غزوة أحد
 ١٣٨ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق
 ١٤١ رجع إلى حديث ابن إسحاق
 ١٥٥ ذكر عمرو بن معد يكرب وأخباره
 ١٦٩ علي يتمثل بشعر عمرو :
 ١٧٠ رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو
 ١٧٢ نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
 ١٧٣ المأمون وطاهر بن الحسين :
 ١٧٧ سهل بن الحنظلية :
 ١٨٢ ذكر خبر قُتُس بن ساعدة ونسبه وقصته في هذا الشعر
 ١٨٤ عيسى بن قدامة
 ١٨٧ ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره
 ١٩١ رشيد بن رميض والحطم والعلاء بن الحضرمي
 ١٩٧ عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى
 ٢٠٠ ذكر علي بن أديم وخبره
 ٢٠٢ ذكر عمرو بن بانة
 ٢٠٥ نسبة هذا اللحن
 ٢٠٧ نسبة هذين الصوتين
 ٢٠٨ أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة
 ٢١٣ كثير وقطام
 ٢١٦ ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره
 ٢٢١ الحسين ويزيد بن معاوية
 ٢٢٣ الأحوص ومطر
 ٢٢٨ ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله
 ٢٣٨ جذيمة الأبرش ورقاش وعمرو بن عدي والزباء
 ٢٤٠ رجع الحديث إلى سياقته
 ٢٤٦ أخبار الحزين ونسبه

٢٤٨	علي بن الحسين
٢٦١	جرير والفرزدق ونبوة السيف
٢٦١	قصة للفرزدق:
٢٦٥	يوم الجونين
٢٦٨	نسب الطفيل الغنوي وأخباره
٢٧٤	نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره
٢٧٥	نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
٢٧٨	نسب لبید وأخباره
٢٧٩	قصته مع الربيع بن زياد:
٢٨٢	فخر لبید:
٢٨٨	عثمان بن مظعون:
٢٨٨	الشعبي وعبد الملك:
٢٩٣	أخبار زياد الأعجم ونسبه
٢٩٦	عمر بن عبيد الله بن معمر:
٣٠٥	أخبار شارية
٣١٢	نسبة هذا الصوت
٣١٤	أخبار الحسين بن مطير ونسبه
٣٢٥	فهرس المحتويات